

قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية

تأليف
أحمد أمين

تقديم ومراجعة
محمد الجوهري

القاهرة
2007

قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية

تأليف
أحمد أمين

تقديم وتعليق
محمد الجوهري

القاهرة
2007

فهرس المحتويات

- ❖ هذا الكتاب: تقديم بقلم محمد الجوهرى.
- ❖ الأستاذ أحمد أمين فى سطور.
- ❖ مقدمة المؤلف.
- ❖ مواد القاموس مرتبة حسب الأبجدية العربية.
- ❖ الحواشى والمراجع (من إعداد المحرر).
- ❖ فهرس تفصلى لمواد القاموس.

..... وبعد

تمهيد

شاءت الظروف أن تتخلق بين الأستاذ العميد والباحث المدقق أحمد أمين وبين شخصى الضعيف صلة عجيبة قوامها إعجاب التلميذ بالأستاذ، والتقاء طريقنا - رغم بُعد الزمن - فى أكثر من مرة وأكثر من مناسبة(*) .

فقد عُين الأستاذ أحمد أمين عميداً لكلية الآداب فى عام مولدى: 1939. ومرت السنون وكانت أعماله الجلية من أوائل الأعمال التى طالعتها وأنا بعد تلميذاً فى التعليم الثانوى، بحكم كونها جزءاً عزيزاً من مكتبة والدى. وفى أثناء دراستى الجامعية ومتابعتى لمحاضرات أستاذى زكى نجيب محمود عرفت كتابيه: قصة الفلسفة اليونانية، وقصة الفلسفة الحديثة.

ثم مرت سنوات قبل أن يقع فى يدي الكتاب الذى أشرف بتقديمه اليوم للقارئ "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية". وكنت قد فرغت من دراستى الجامعية، وأتيتها وقتها للسفر إلى بعثتى لدراسة علم الفولكلور بجامعة بون بألمانيا الغربية.

ودار الزمن دورة جديدة، وعدت إلى بيتى فى كلية آداب القاهرة، وشرفنى زملائى الأساتذة باختيارى عميداً لكلية الآداب فى عام 1982. وجلست على المقعد الذى شغله طه حسين وأحمد أمين وغيرهما من أعلام الفكر المصرى. فعلاقتى بأحمد أمين استغرقت - على نحو أو آخر - عمرى كله. وأنا أز هو بذلك كل الزهو وأحمد الله أيضاً.

ثم كانت الحلقة، التى أعتقد أنها آخر الحلقات، حينما كلفتنى لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للثقافة - التى أشرف بعضويتها - بإعداد قاموس العادة والتقاليد للنشر ليقرأه القارئ المصرى فى نهاية القرن العشرين. فهو شهادة على التراث الشعبى المصرى فى النصف الأول من هذا القرن، كتبه قلم شامخ مثقف، جمع فيه بين دقة العالم وحماس المواطن وإيمان المصلح الاجتماعى، ومن أجل استمرار وعى الإنسان المصرى بتراثه ووطنه لا يصح أن يسقط هذا الكتاب من ذاكرة الأمة.

والحق أن إعادة نشر أمهات كتب التراث الشعبى المصرى سياسة عامة تبنتها لجنة الفنون الشعبية برئاسة فاروق خورشيد، حرصاً كما قلت على اتصال الوعى

(*) لن نتطرق هذه المقدمة لترجمة لحياة الأستاذ أحمد أمين، فقد كتب هو نفسه كتاباً كاملاً، وكتب عنه آخرون كتابة ممتازة. وسوف ألخص أهم مراحل حياته ومعالمها فى نبذة مختصرة عقب هذه المقدمة: "الأستاذ أحمد أمين فى سطور".

وإنعاشاً للذاكرة وتربية للمواطنة المصرية(*) .

* * *

الخلفية الفكرية لهذا الكتاب

الإنتاج المنشور في ميدان التراث الشعبي

من الطبيعي أن يسبق قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية تراث عريض من الإنتاج العربي حول موضوعات الفولكلور. فالتراث العربي يحفل بثروة من المؤلفات العريقة لا تداخيه فيها أى ثقافة من الثقافات الإنسانية. وتحتوى كتب التاريخ والأدب والموسوعات العربية، بل كتب الثقافة الدينية وغيرها على مادة لا حصر لها حول العادات والتقاليد والفنون والمعتقدات والألعاب وغير ذلك من عناصر التراث الشعبي. وتتفاوت هذه المادة فى حجمها وأهميتها، بدءاً من الإشارات العابرة إلى الأعمال الكاملة التى أوقفها أصحابها على هذا الموضوع أو ذلك.

ولكن السمة الواضحة والمميزة لأغلب أشكال هذه المادة أن أصحابها لم يكتبوها لذاتها، ولا كان هدفهم دراسة هذه الموضوعات ولا الاهتمام بحياة "الناس العاديين"، ثم إنهم لم يلتزموا فى كتابتها بأغلب قواعد المنهج العلمى فى الوصف والجمع والتحليل. ولكنها مع ذلك تقدم لنا ذخيرة لا غنى عنها لمن يريد الوقوف على الخلفية التاريخية لهذا التراث الشعبى الغنى.

ونحن فضلاً عن هذا - وكما أشار رشدى صالح - أن تاريخ الحضارة العربية وبخاصة تاريخ العصور الوسطى يحفل بمجموعات الأدب الشعبى كقصص ألف ليلة وليلة، وسيرة عنترة، والجنديبة، والظاهر بيبرس، وسيف بن ذى يزن، والهلالية. ويحفل بالأزجال والأمثال الدارجة آنذاك، وفنون التمثيل بالخيال، والدمى وفنون التشكيل، والموسيقى، والتطريز، والأزياء، وغيرها(**).

ولم تكن بعض تلك المؤلفات تخلو من إرهاصات قوية للدراسة العلمية لهذا

(*) ومن الكتب الأخرى المقرر إعادة نشرها فى هذا الإطار:

❖ الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى لعبد الحميد يونس.

❖ ألف ليلة وليلة لسهير القلماوى.

❖ قصصنا الشعبى لفؤاد حسنين.

❖ الأدب الشعبى لأحمد رشدى صالح... إلخ.

(**) انظر: رشدى صالح، الفنون الشعبية، القاهرة، 1961، ص 18 وما بعدها، ولنفس المؤلف: "تطور الفولكلور العربى فى مصر"، مقال بمجلة الطليعة، نوفمبر 1967، ص 69 وما بعدها.

الميدان العام. إذ يمكن أن نقع أحياناً على التفاتات سابقة تحمل طابع الفراسة. فكأن أصحابها كانوا يتحسون أهمية التراث الشعبي، بل كان بعضهم يجاهر بما يشبه الدعوة العلمية لدراسة هذه المأثورات. والمثل الأشهر على ذلك المفكر العربي العملاق عبدالرحمن بن خلدون الذى انتبه فى "مقدمته" إلى خطر أدب اللهجات الدارجة، فعقد له فصلاً ودعا صراحة إلى استنباط قواعد تحكم العاميات، وإلى النظر الدقيق فى فنون القصائد والأزجال والمواليا.

ولا حاجة بنا إلى الاستطراد فى عرض نماذج للمادة الشعبية فى هذه المؤلفات والتي تغطى فترة التاريخ العربى الإسلامى كله أو معظمه. فقد قدمنا معالجة مفصلة لهذا الموضوع من خلال دراسة المدونات كمصدر للمادة الفولكلورية^(*).

وقد اتخذت هذه البدايات الأولى شكلاً أكثر تحديداً، وربما أشد عمقاً وأكثر تركيزاً عندما بدأت مصر تتصل اتصالاً كبيراً بالثقافة الأوروبية الحديثة، وتفتح على الحضارات الغربية التى كانت تفوقها تقدماً فى ذلك الوقت. وأخص بالذكر الكتابات المصرية - مؤلفة أو مترجمة - التى كتبها مصريون، لأن المفروض أن تكون أكثر تأثيراً فى حركة الفولكلور المصرى مما كتبه الأوروبيون فى نفس الفترة عن نفس الموضوعات.

ومن أبرز الكتابات العربية الرائدة أعمال رفاعة رافع الطهطاوى الذى كان له فضل ترجمة عدد كبير من المؤلفات الفرنسية إلى اللغة العربية. وقد نقل إلينا بعض أصداء أفكار الثورة الفرنسية، ومعها أصداء أخرى من الاهتمامات العلمية الحديثة. ففى عام 1245 هجرية (1830م) ترجم رفاعة كتاباً فرنسياً بعنوان "دائرة العلوم فى أخلاق الأمم وعوائدها"، وهو الذى طبعه بعد ذلك بأربعة أعوام وسماه "قلائد المفخر فى غريب عوائد الأوائل - والأواخر"، والكتاب الفرنسى من تأليف دبنج.

وفى هذا الكتاب فصول تتناول عادات الشعوب فى الملبس والزى واللعب والرقص والمعتقدات الشعبية (الخرافات) والجنائز ودفن الموتى. والشىء اللافت للنظر أن يترجم رفاعة مثل هذا الكتاب، وهو الذى كان منصرفاً إلى العلوم المعترف بها فى زمانه (موقف شديد الشبه بموقف الأستاذ أمين عندما تصدى لوضع هذا الكتاب - القاموس).

ويرى رشدى صالح فى تفسير ذلك أن رفاعة قد أحس شيئاً من اهتمام علماء

(*) انظر كتابنا: علم الفولكلور، المجلد الأول، الأسس النظرية والمنهجية، دار المعرفة الجامعية، طبعات متعددة، الفصل السادس عشر، ص ص 681-756.

أوروبا بعادات الأمم وعادات الشرق الإسلامي. ولعله علم بترجمة الفرنسيين لألف ليلة وليلة، فأدرك أن كتاب دبنج له أهميته التي لا تقل عن أهمية كتب الجغرافيا والتاريخ والمعادن والهندسة وغيرها مما عُرب.

غير أن هناك كتابات أشد التصاقاً بدراسة الأدب الشعبي وبعض أنواع الفنون الشعبية. ويمكن الإشارة هنا إلى الجهود التي بذلها الشيخ محمد عياد الطنطاوى فى القرن الماضى (والمتوفى عام 1861)، وإلياس بقطر السيوطى (المتوفى عام 1821) وهما اللذان وضعاً كتباً فى العامية ونشرا بعض النماذج من الأشعار والحكايات.

ولكن القرن العشرين شهد إسهامات أكثر نضجاً، وأشد تركيزاً على عناصر التراث الشعبى، وربما أوضح تأثراً بتقدم بحوث العلم الفولكلورى على الساحة العالمية. ويمكن أن نشير فيما يلى على عجل إلى عينة - أرجو أن تكون ممثلة - للإنتاج الفكرى المنشور عن موضوعات التراث الشعبى، سواء كان مؤلفاً بالعربية، أو مترجماً إلى العربية من لغات أخرى، أو مؤلفاً بأحد اللغات الأجنبية.

ومن معالم الكتابات التي يمكن الإشارة إليها فى هذا الصدد مؤلف كلوت بك، الأثرى الأشهر، لمحة عامة إلى مصر، الذى ترجمه محمد مسعود، ونشر عام 1923. وفى اتجاه آخر تظهر فى نفس الفترة مؤلفات أحمد فتحى إبراهيم زغول ذات التوجه الاجتماعى الإصلاحى البارز، أذكر منها: الآثار الفتحية - خواطر فى العلم والأدب والاجتماع، والتملق، وعوائد الأفراح، وفوائد المصاهرة، وذرات الأذنان وخرافات العادات، والحشيش، وعادات المآثم.

وتتألق مؤلفات "الدكاترة" زكى مبارك، وأشير هنا إلى كتابه: اللغة والدين والتقاليد فى حياة الاستقلال، الذى نشره عيسى الحلبي فى القاهرة، 1936. وشهد نفس العام اهتماماً مكثفاً بالنشر حول هذه الموضوعات، ففيه نشر محمود أحمد الحفنى دراسته عن موسيقى قدماء المصريين، وفيه كتب عباس عمار رسالته للماجستير، التى أجازت من كلية الآداب جامعة القاهرة عن: بعض نواحي الجغرافيا البشرية لشبه جزيرة سيناء.

ونشرت عائشة عبدالرحمن كتابها عن قضية الفلاح، فى عام 1938. وكانت رسالة سهير القلماوى عن ألف ليلة، التى حصلت بها على درجة الدكتوراه من كلية الآداب جامعة القاهرة عام 1941. وبعدها بوقت غير بعيد نشرت ترجمة محمد غلاب لكتاب الأب هنرى عيروط اليسوعى - الأشهر - بعنوان: الفلاحون، عام 1944.

ويمثل كتاب عبدالرحمن البرقوقى، دولة النساء، معجم ثقافى اجتماعى لغوى عن المرأة، والمنشور فى القاهرة عام 1945 (فى 668 صفحة) تياراً من الكتابات الاجتماعية الشعبية التى ظهرت على امتداد النصف الأول من هذا القرن، وكانت بمثابة مقدمات وخلفية لمؤلف أستاذنا أحمد أمين.

وتتابع الاهتمام الأكاديمى برسالتى عبدالحميد يونس، الأولى حصل بها على الماجستير عن موضوع: سيرة الظاهر بيبرس، عام 1946، والثانية حصل بها على الدكتوراه عن موضوع: الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى، عام 1950، وكلاهما أجزتا من ذات القسم والكلية، حيث كان يعمل الأستاذ المؤلف. وإلى نفس الفئة ينتمى مؤلف فؤاد حسنين على، قصصنا الشعبى، الصادر عام 1947، وكذلك الرسالة التى حصل بها عبدالعزيز الأهوانى على درجة الدكتوراه فى موضع الأزجال الأندلسية من آداب القاهرة، عام 1951. ولا ننسى الجهد العظيم الذى قدمه أحمد تيمور باشا، ومن أبرز ثماره: الكنايات العامة والأمثال العامية، وخيال الظل واللعب والتمثيل المصورة عند العرب.

كما ظهرت فى فترة ما بين الحربين طائفة من المقالات فى مجلات الهلال والرسالة والثقافة تتناول هذا الجانب أو ذاك من جوانب التراث الشعبى.

وخطت الدراسات فى هذا الميدان خطوات أكثر تقدماً وأغرز فائدة فى فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها وحتى أوائل الخمسينيات، وذلك فى خط مواز للرسائل الجامعية التى أشرنا إليها فيما سبق. ومن هذا النوع المقالات التى نشرتها مجلة الثقافة عن الحكايات والأشعار الشعبية وأزجال بيرم التونسي. (لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا: علم الفولكلور، مرجع سابق).

* * *

المؤلفات الأوروبية

شهد النصف الأول من القرن العشرين، وقبله بقليل، اهتماماً مكثفاً من جانب العلماء الإنجليز، والفرنسيين، والألمان وغيرهم بدراسة مصر: المجتمع والثقافة والتاريخ... إلخ. وحظيت موضوعات علم الفولكلور بقسط وافر من هذا الاهتمام.

وأذكر فى مقدمة هذه النوعية من الأعمال كتاب وليام لين الأشهر: المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم، الذى صدر فى لندن عام 1846 (فى طبعته الأولى، ثم توالى طبعاته). وسوف أتناول أهمية هذا الكتاب تفصيلاً فى موضع لاحق من هذه المقدمة فى سياق حديثى عن مصادر مادة الكتاب، حيث كان مصدراً مهماً من المصادر التى استعان بها الأستاذ أحمد أمين فى جمع مادته.

وأذكر أيضاً كتاباً مهماً للعالم الألماني كلونزنجر Klunzinger يحمل عنواناً لافتاً: **صور من الصعيد**، شتوتجارت، 1878. وكذلك كتاب روبرتسون سميث، **دين الساميين**، الذى صدر فى لندن عام 1889. (وقد صدرت لهذا الكتاب ترجمة عربية بنفس العنوان، بإشراف أحمد عثمان، ضمن المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997).

ونشر كارل فولرز K.Vollers عدداً من الدراسات عن المعتقدات الشعبية المصرية، أشير إلى اثنين منها هما: **دراسة عن الزار**، 1891، ودراسة عن **الخضر**، 1909. كذلك أبدى فريدريش شفالى اهتماماً موسعاً وطويلاً بدراسة الثقافة الشعبية المصرية، ونشر عنها: **"تكريم الأولياء فى العالم الإسلامى المعاصر"** (1905)، و**"دراسات مصرية"** (1906)، و**"سكان المدن والفلاحون والبدو فى مصر المعاصرة"** (1912). ومن بين الدراسات المهمة أيضاً أعمال جورج ياكوب G.Jacob عن **الطرق الصوفية**، وعن **التدين الشعبى** عموماً والتي نشرها فى الفترة من 1908 وحتى 1912. واهتم العالم إسرائيل فريديندر I.Friedlander بموضوع **الخضر**، فأصدر عنه ثلاث دراسات صدرت اثنتان منها عام 1910، والثالثة عام 1912.

وشهدت هذه الحقبة نشاط العالم المجرى الأصل، الألماني الثقافة إجناتس جولدتسيهر I.Golzieher، الذى أخرج أكبر وأشمل عدد من الدراسات للثقافة الإسلامية والعربية فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين. كما أشير إلى دراسات باول كاله P.Kahle العديدة، خاصة دراسته عن **الزار** التى نشرت عام 1912.

ومن الأعمال المنشورة بالفرنسية كتاب جورج ليجران G.Legrain بعنوان: **الأقصر بلا فراغنة**، باريس، 1914 (يقصد حياة أهل الأقصر المعاصرين). وكتاب السيدة الفرنسية نية سليمة. وهذا هو اسمها بعد أن تزوجت من مصرى هو رشدى باشا. ومن ثم أتاحت لها الفرصة كأوروبية أن تطلع على جوانب كثيرة من حياة المصريين – وخاصة النساء – ظلت مغلقة تماماً فى وجه الكثير من الباحثين الأوروبيين الرجال^(*).

ومن الكتب الإنجليزية التى حازت شهرة خاصة مؤلف وينفريد بلاكمان

(*) ليس من المتوقع طبعاً أن تلتزم نية سليمة – التى لم تتلق دراسة أكاديمية – بأى مقاييس علمية فى دراستها وتسجيلها للمادة. فتجدها متحفزة، ربما بسبب فشل زواجها من مصرى لرؤية الجانب السئ من كل العادات التى تعرضت لها فى كتابها. ولهذا لا يخلو الكتاب من كلمات السباب، وأحكام القيمة، ونظرة الاستعلاء. انظر عليها شكرى، التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الأوروبية، الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 342.

W.Blackman، **فلاحو الصعيد**، الذى صدر فى لندن عام 1927. ويحمل هذا الكتاب عنواناً فرعياً هو: حياتهم الدينية والاجتماعية والصناعية المعاصرة، مع إشارة خاصة إلى رواسب العصور القديمة. ويحوى الكتاب ثمانية عشر فصلاً تغطى الحياة التقليدية لفلاحى الصعيد بجوانبها المختلفة.

وقد قدمت له علياء شكرى عرضاً تحليلياً نقدياً موسعاً فى كتابها: "التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الأوروبية"، الذى سبقته الإشارة إليه، ص ص 67-115^(*). وكانت الأنسة بلاكمان قد نشرت قبل هذا الكتاب بعامين دراسة عن الأشجار المقدسة فى مصر المعاصرة، لندن، 1925.

ومن الأعمال العلمية الأكثر أهمية لكل دارس للحضارة العربية والإسلامية دائرة المعارف الإسلامية، التى كانت تصدر فى ليدن بهولندا، انظر مثلاً طبعة 1934. وتحوى إشارات قيمة إلى العديد من الموضوعات الشعبية، ولأستاذنا أحمد أمين معرفة وثيقة بها. وقد صدرت لها طبعة جديدة فى الستينيات. ومن الأعمال التى حظيت فى تلك الفترة بشهرة خاصة مؤلفات الإنجليزى واليس بدج W.Budge عن السحر فى مصر، وأذكر بصفة خاصة كتاب **الأحجية والخرافات**، الصادر فى لندن عام 1930.

ومن بين المؤلفات الإنجليزية المعروفة آنذاك كتاب جون ووكر J.Walker عن **الطب الشعبى فى مصر**، الصادر فى لندن عام 1934. وهو عرض وتحليل لكتاب عبدالرحمن إسماعيل: **طب الركة**^(**). وأشير إلى مؤلفات سامويل زويمر S.Zwemer، خاصة دراسته عن **أثر الأنيميزم**^(***) **على الإسلام**، الصادرة عام 1920، وكتابه **دراسات عن الإسلام الشعبى** الصادر عام 1939. وكتاب إدوارد وسترمارك E.Westermark عن **المعتقدات الشعبية فى المغرب العربى**، المنشور فى لندن عام 1928.

ومن المؤلفات المهمة التى نشرها مصريون بلغة أجنبية كتاب محمد غلاب

(*) وقد ترجم الكتاب بعد ذلك أحمد محمود إلى اللغة العربية بعنوان: "الناس فى صعيد مصر: العادات والتقاليد"، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995.

(**) انظر حول هذا الكتاب نبيل صبحى، "الطب الشعبى، دراسة لكتاب طب الركة" فى: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، دراسات فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دراسات مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور أحمد الخشاب، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص ص 379-401.

(***) انظر تعريفاً لمفهوم الأنيميزم Animism (أى المذهب الحيوى) فى شارلوت سميث، موسوعة علم الإنسان، ترجمة محمد الجوهري وزملاؤه، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص 183.

بعنوان: "بقايا مصر القديمة فى الفولكلور المصرى الحديث" (*)، المنشور فى باريس عام 1929.

وحظى ميدان الموسيقى الشعبية باهتمام الباحثين الأجانب من مختلف بلاد أوروبا، أخص بالذكر دراسة بريجيت شيفر بعنوان: **واحة سيوة وموسيقاها**، التى قدمتها كرسالة نالت عنها درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة برلين عام 1936 (**).

وأشير أخيراً إلى نموذج من الكتب وتجميعات المادة والمشاهدات الميدانية التى كان يصدرها بعض موظفى الاحتلال البريطانى فى مصر، وهو كتاب ماكفرسون بعنوان **موالد مصر**، الذى طبع ونُشر بلغته الإنجليزية فى القاهرة عام 1941. وماكفرسون ضابط شرطة إنجليزى كان يعمل مأموراً فى مصر (***) .

كذلك شهدت حقبة الثلاثينيات دوراً نشطاً اضطلع به المستشرق الألمانى الشهير إنو ليتمان E.Littmann (عاش من 1875 حتى 1957)، وعمل لبضع سنوات إبان الثلاثينيات أستاذاً بكلية الآداب، حيث كان الأستاذ أحمد أمين. وقدم الأستاذ ليتمان دراسات شعبية مهمة، أخص بالذكر منها الدراسات التى أجراها عن التراث الشعبى المصرى، ومن أبرزها ترجمته **لألف ليلة وليلة** فى ست مجلدات (صدت من 1923 حتى 1928). وقد ذيلها بخاتمة حول ظروف نشأة الليالى، كما درس علاقتها بالأدب العربى تأثيراً وتأثراً. ومنها أيضاً دراسته عن **"الحياة الشعبية فى مدينة القاهرة"**، 1941، و**"أحمد البدوى"**، 1950 و**"أدعية الزار فى مصر"**، 1950، و**"أناشيد الأولياء العرب المسلمين"**، 1952.

ودراسته عن الحياة الشعبية فى مدينة القاهرة عبارة عن تقرير مطول استكتبه ليتمان أحد المصريين فى عام 1935. وقد طلب ليتمان من ذلك المواطن القاهرى أن يصور فى هذا التقرير عادات وأخلاق المصريين، مع الاهتمام بإبراز خصائص المصرى وسماته العامة فى ثنايا الحديث. وكانت ثمرة تلك المحاولة نصاً شعبياً بعنوان: **"السفر الجليل فى أخلاق وعادات سكان وادى النيل"**. وقد نشر ليتمان هذه الرسالة فى أصلها العربى مع ترجمة دقيقة لها إلى اللغة الألمانية، وقدم

(*) Les Survivances de L'Egypte Antique dans le Folkloie Egyptien Moderne, Paris, 1929.

(**) صدرت لهذا الكتاب الهام ترجمة عربية تحت هذا العنوان، قام بها الدكتور جمال عبدالرحيم، وراجعتها الدكتورة سمحة الخولى، وصدرت ضمن المشروع القومى للترجمة، عن المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1996.

(***) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية د. عبدالوهاب بكر بعنوان **الموالد فى مصر**، وصدر ضمن سلسلة الألف كتاب الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.

بعض الملاحظات المهمة(*)

ولكن الأهم في تقديري من دراسات ليمان نفسه - رغم أهميتها - رعايته لجهد الشاب النابه هانز ألكسندر فينكلر H.A.Winkler الذي نشر عدة كتب مهمة عن التراث الشعبي المصري في الفترة من 1930 حتى 1936. وهي على سبيل الحصر: "فلاحون الكيمان: بين الماء والصحراء، شتوتجارت، 1934، "أرواح الموتى التي تلبس الإنسان، شتوتجارت، 1936، "الأختام والأشكال في السحر الإسلامي، شتوتجارت، 1930، "سليمان والقرينة (أم الصبيان)، شتوتجارت، 1931.

وكان كتابه العظيم: **الفولكلور المصري**، الذي صدر عن نفس الناشر عام 1936 بمثابة تنويع لها(**). وهو دراسة ضخمة اتبعت أحدث مناهج علم الفولكلور في ذلك الوقت. وهو أكمل علمي عن التراث الشعبي المصري حتى ذلك التاريخ. ويجري الآن ترجمته بمعرفة كاتب هذه السطور ضمن المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة.

ظروف تأليف الكتاب

عرضنا فيما سبق للخلفية الفكرية العامة للعصر الذي نشط فيه أحمد أمين، واقتصر تركيزنا على رصد المؤلفات التي تناولت مختلف عناصر التراث الشعبي، عربية وأوروبية. ونتجه الآن إلى تأمل الظروف المباشرة التي أُلّف في ظلها الأستاذ أحمد أمين قاموسه الذي بين أيدينا الآن.

نفهم من مطالعة مقدمة الأستاذ لهذا العمل أنه قد بدأ في كتابة مواد القاموس في عام 1938 في صورة مقالات كانت تنشر في مجلة الإذاعة. ولكنه اضطر إلى التوقف عن كتابتها عند تعيينه عميداً لكلية الآداب (جامعة فؤاد الأول، القاهرة الآن) عام 1939. ثم عاد إليها في عام 1948 حتى فرغ منها بعد أربع سنوات، وخرجت إلينا تحمل تاريخ يناير 1953.

ويهمنا من هذا التطور التاريخي للاشتغال بالكتاب تاريخ بداية العمل فيه. فقد بدأ الأستاذ أحمد أمين الاهتمام بهذا الموضوع في الفترة التي أعقبت سنة 1936

(*) عرضت علياء شكري لمحتويات هذا "السفر الجليل.." عرضاً نقدياً مفصلاً، وركزت على أهميته المنهجية والموضوعية في كتابها: التراث الشعبي المصري في المكتبة الأوروبية، الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص ص 189-228.

(**) انظر علياء شكري، التراث الشعبي المصري...، مرجع سابق ص ص 117-187، حيث قدمت فصلاً مستقلاً لعرض الكتاب عرضاً نقدياً وبيان تأثيره على الدراسة العلمية للتراث الشعبي المصري. وفصلاً مستقلاً ثانياً عن محاولات فينكلر لعمل أطلس فولكلور مصر.

التي شهدت توقيع المعاهدة الشهيرة بين مصر وبريطانيا. فقد حصلت مصر من وراء هذه المعاهدة على مكتسبات محدودة كدولة، ومن أهمها اكتساب بعض مظاهر الاستقلال. وغذت بعض تلك المظاهر الشعور بالوطنية المصرية، خاصة ما يتصل بنظام الحكومة، والبرلمان، والجيش المصري... إلخ.

وفى أعقاب هذه المعاهدة حصلت مصر على حق زيادة جيشها، وكان من آثار أن توسعت الحكومة فى قبول أبناء المصريين - ممن دون الطبقة العليا - للالتحاق بالكلية الحربية. فدخلها فى عام 1938 جمال عبدالناصر وبعض رفاقه، والذين لعبوا بعد ذلك الدور الأكبر فى تشكيل تاريخ مصر المعاصر.

أما على صعيد الدراسة العلمية، أو حتى الاهتمام الثقافى العام بتراث الشعب، تراث الطبقات الأدنى، أو الفلاحين، أو "الطبقات الوضيعة"، أو "تراث العامة"، أو القطاع "البلدى" من المجتمع... إلخ، فقد قدمنا فى الجزء السابق من هذه الفقرة عرضاً سريعاً للأعمال التى يحتمل أن تكون أثرت بوضوح على فكر الأستاذ وتوجهاته حول هذا الموضوع، أو على الأقل إثارة اهتمامه به.

ويستطيع القارئ أن يقف على صورة أكثر دقة واكتمالاً بمراجعة البيبلوجرافيا العربية: مصادر دراسة الفولكلور العربى، التى سبقت الإشارة إليها، والمنشورة عام 1978 بإشراف كاتب هذه السطور.

كما عرضنا فيما سبق لأبرز الموضوعات التى تناولها الباحثون الأجانب للتراث الشعبى المصرى، خلال فترة التفكير فى هذا العمل، وخلال فترة العمل فيه. ومن المؤكد أن أحمد أمين، الباحث المدقق الواسع الاطلاع كان على دراية كاملة بهذه المؤلفات، العربية منها والأجنبية. وليس من قبيل المصادفة أن يلمس نفس هذا الاهتمام "بأدب العامة" عند صديقه وزميله العظيم طه حسين الذى أسند إلى تلميذته الظاهرة سهير القلماوى موضوعها للدكتوراه.

وأخيراً هل يجانبنى الصواب كثيراً إذا قلت أن الأستاذ أحمد أمين كان يحتاج أثناء اشتغاله بمؤلفه الموسوعى فى تاريخ الحضارة الإسلامية (من فجر الإسلام إلى ظهر الإسلام) إلى الترويج عن نفسه، بالاشتغال بموضوع أكثر إمتاعاً وطرافة، وأقوى فى دعم الإحساس بالمصرية (فى مقابل الطابع العروبى والإسلامى للموسوعة الإسلامية).

على أية حال، مهما كانت الدوافع المباشرة، فنحن نسعد بها أن شجعت أستاذنا على الإقدام على تأليف هذا القاموس.

* * *

فكرة الكتاب ودوافع تأليفه

لماذا كتب الأستاذ أحمد أمين هذا الكتاب. يقول إنه طُلب منه أن يكتب سلسلة من المقالات في مجلة، "فاختار في اختيار موضوع تتعاقب مقالاته... وبعدها هداه تفكيره إلى أن يكتب سلسلة مقالات في العادات والتقاليد المصرية بعنوان دائرة المعارف المصرية". هذه هي كلمات المؤلف، ولكننا نرى أن نتبين هنا: كيف، ولماذا هداه تفكيره إلى اختيار موضوع العادات والتقاليد؟

إن هذه الكلمات لا تكفى لكى نستخرج منها إجابة هذا التساؤل، ولكننا نتصورها ونعيد رسم صورة لها من واقع محتوى الكتاب نفسه. الحقيقة أن أحمد أمين أراد كتابة "دائرة المعارف المصرية"، أى أنه أراد إخراج سفر عن المصريين، يعطى صورة قريبة عن حياتهم "مزاياهم، وعيوبهم، نواحي قوتهم ونواحي ضعفهم (في بعض الأحيان). وسوف نبرز ذلك فى فقرة مستقلة من هذه المقدمة. ونحن نترجم ذلك الهدف إلى مصطلح العلم اليوم، فنقول إنه أراد تقديم دراسة للشخصية المصرية من واقع تراثها الشعبى، أو ثقافتها التقليدية. ذلك هو جوهر مشروع أحمد أمين.

ولكنه ساق بعض مبررات تأليف هذا الكتاب الموسوعة فى ثنايا مقدمته، بمعنى أنها نقاط كان يعيها وعياً مباشراً صريحاً. وهى تدخل اليوم فى صميم الأهداف العلمية المشروعة لأى دراسة فولكلورية، أو أنثروبولوجية ثقافية، عن أبناء شعب من الشعوب.

فهو يسعى من وراء هذا العمل إلى الاضطلاع بمهمة الإنقاذ، مهمة تسجيل واقع ثقافى مائل، أو كان مائلاً حتى عهد قريب، ويخشى عليه من غوائل التغير ومن تدمير الأساليب العصرية له. والسبب الأصلى لذلك: "أن المؤرخين قد قصرُوا فأهملوا الجوانب الشعبىة عند كتابتهم التاريخ اعتزازاً بأرستقراطيتهم، مع أن الأدب الشعبى (أى بمصطلح اليوم = التراث الشعبى كله) - فى نواح كثيرة - لا يقل شأنًا عن اللغة الفصحى وأدبها، سواء من حيث فنها أو من حيث دلالتها على حالة الشعوب". (ص ب من مقدمة المؤلف). فهو وإن كان يقصد مؤرخى الأدب، وميدان الأدب، إلا أن الفكرة تنطبق فى خطوطها العريضة وفى تفاصيلها أيضاً على التاريخ الاجتماعى، وعلى ميدان الحياة الاجتماعية والثقافية.

ويزيد هذه النقطة إيضاحاً، مؤكداً لنا وعيه بأننا نتحدث عن ميدان الاجتماع والثقافة، وليس الأدب فقط، فيقول: "... وقد أقدمت عليه وأنا وجل، لأنه موضوع جديد، أظن أنى لم أسبق إليه، والجديد عادة غريب، وأنا أعتقد انه فتح باب يكمله من يأتى بعدى. وقد دعانى إلى تأليفه ما رأيت من عادات وتقاليد وتعابير كانت حية فى زمنها ثم أخذت تندثر حتى أن أولادى قل أن يعرفوا منها شيئاً. فالمؤرخ فى

حاجة شديدة إلى تدوينها والانتفاع بها". (ص ب من المقدمة).

وهذا الفهم لمهمة "الإنقاذ" يؤشر إلى أن الباحث يدرك حقيقة التغير الاجتماعي والثقافي وينطلق منها، ويرى ضمناً أن فهم التغير هو المقدمة العلمية المنطقية لاستشراف المستقبل. وذلك هو لب النظرة العلمية لميدان الفولكلور اليوم.

ولم يدع الأستاذ أنه أنجز المهمة التي من أجلها اشتغل بموضوع الكتاب، وجمع مادته، ورتبها ونشرها. ولكنه أدرك ببصيرته العلمية الثاقبة أن هذا الجهد في حاجة إلى جهود تكمله، وتنقله إلى مستويات أرحب في النظرة، وشمول أكبر في التغطية، وتدقيق أكثر في مناهج المعالجة والتحليل والتفسير.

فالباحث العلمي الحق لا يرى عمله نهاية المطاف، بل يراه في أحسن الأحوال عامل تحفيز على مزيد من البحث، وإثارة لمزيد من القضايا والمشكلات، وطرحاً لمزيد من التساؤلات. وهذا هو ما اعتقده أحمد أمين بحق.

ولكنه كان موقناً تماماً أن كتابه يسجل لحظة أنية من تطور ثقافة مجتمعه، أو قطاع من تلك الثقافة هو الثقافة الشعبية، وأن تلك اللحظة سبقها تاريخ طويل. وهي في حاضرها وفي تراثها دالة على عصرها، هي جزء من التاريخ الاجتماعي لتلك الأمة، كما هي صورة له في العصر الراهن. وهي تسجيل لعلاقة تلك الثقافة بالثقافات التي اختلطت بها وعاشتها (فعاشرت معاً أو لفظتها). وهي – وربما كان ذلك عنصراً مهماً في خلفية أحمد أمين وهو يكتب هذا القاموس – بمثابة مرآة نرى فيها نواحي القوة والضعف في بنية هذا المجتمع وفي عقلية هذا الشعب.

ولأهمية هذا البُعد في فكر أحمد أمين وفي تحريره لهذا العمل فقد أفردت له فقرة مستقلة في هذه المقدمة، سأعود إليها لمزيد من الإبراز والتفصيل. حيث أراد أن يكون إلقاء الضوء على نقاط الضعف في الشخصية المصرية والمجتمع المصري مدخلاً إلى الإصلاح والتقويم والترشيد والتنوير.

* * *

لمن هذا الكتاب؟

ونؤكد أن أحمد أمين لم يستهدف من تأليف كتابه هذا تقديم قراءة مسلية، أو ترفيهية ممتعة لوقت القارئ. ولكنه أراد منه شيئاً آخر.

حقيقة أن نشره أجزاء منه في مجلة سيارة، ثم طرحه في صورة كتاب، كان يدل دلالة واضحة على أن الأستاذ كان يتوجه بكتابه إلى القارئ العام المثقف. فجاء العمل أولاً ممتعاً، وجديداً، وجذاباً بالنسبة لأي قارئ عام غير متخصص. ولكنه لم

يقتصر على ذلك، وإنما أثراه بحشد من الملاحظات والإشارات والتفسيرات والانتقادات لما كان يسجله من ظواهر سلوكية أو معتقدات، أو عبارات... إلخ. ولذلك قلنا بحق إن الأستاذ تبنى في عمله نظرة للتراث تسعى إلى ترشيده وعقلنته في فكر المصرى عموماً، وأنه كان يتخذ من السلبيات والعناصر غير الرشيدة (في رأيه) موقفاً إصلاحياً واضحاً. وتلك سمة لتيار مهم ومؤثر في تاريخ الدراسة العلمية للتراث الشعبى فى العالم. وإن كان تقدم علم الفولكلور قد عمل على ضبطها، والتقليل من غلوها، لأن الغلو فيها يفسد عملية الدراسة العلمية لها، ويشوه النظرة الموضوعية إليها. (ولأهمية هذا البُعد فى العمل، سأفرد له فقرة مستقلة من هذه المقدمة: الموقف الإصلاحي للمؤلف).

وفى هذه النقطة يهمنى أن أؤكد أن الدافع الحقيقى للمؤلف فى إنجاز هذا العمل كان يتمثل فى حس وطنى قوى، ورغبة فى تخليد الثقافة المصرية من خلال وصفها وتسجيلها وتقديمها للمصريين ولغيرهم ممن يريدون أن يتعرفوا عليهم. وطبيعى أن يحاول - فى ذلك الظرف التاريخى المبكر - أن يخلص الصورة التى يعرض لها مما قد يبدو فى نظره شوائب تعيبها أو تنتقص من قدرها.

على أن الأستاذ لم يكن يرى أن عمله موجه إلى القارئ العام غير المتخصص فقط، ولكنه كان يفكر بالتأكيد فى القارئ الباحث، الذى خاطبه خطاباً مباشراً صريحاً، وأسند إليه تكليفات بمزيد من تدقيق المادة التى يقرأها فى هذا القاموس، وإلقاء مزيد من الضوء عليها لتجليتها، وتعظيم الإفادة منها، وتطويرها.

فقد كانت تجلية عمليات التطور التاريخى للتراث الشعبى المصرى تشغله بشكل جدى، يريد أن يعرف: "أى العادات والتقاليد - التى يتحدث عنها الكتاب - كان موروثاً من عهد قدماء المصريين، وأى مستحدث. وهذا المستحدث، ما الأحوال الاجتماعية التى سببته؟" (ص ج من المقدمة).

وأراد أحمد أمين من الباحثين أن يحاولوا إمطة اللثام عن دلالة هذه العادة والتقاليد على التطور الاجتماعى الذى كانت تعيش فيه البلاد، والتى انتقلت منه وسبب الانتقال. وأراد من دارسى التعابير الشعبىة أن يحاولوا تبين الأصول اللغوية لتلك التعابير: "... فهى فى حاجة إلى أن تدرس دراسة لغوية لمعرفة أصولها: هل هى من أصل تركى مثلاً، أو إيطالى، أو فرنسى، أو عربى محرف". (ص ج من المقدمة).

فإذا أضفنا إلى كل ما سبق أن المؤلف كان فى ثنايا عرضه لبعض مواد الكتاب يكشف عن عمق بعض الممارسات أو المعتقدات فى نفسية المصرى أو تكوينه النفسى الاجتماعى؛ إذا أخذنا كل ذلك فى الاعتبار فسوف نكتشف أن الأستاذ

أحمد أمين قد أخذ في اعتباره كافة التساؤلات المنهجية التي يحرص الباحث الفولكلورى المعاصر على طرحها فيما يجريه من بحوث.

فالتساؤل الأول يمس جوهر النظرة التاريخية إلى التراث الشعبى. والاهتمام بتفاعل الثقافات والشعوب واللغات جزء من النظرة الجغرافية المعاصرة إلى هذا التراث. كما أن محاولة الكشف عن دلالة هذا التراث على الإنسان، حامل التراث، هو جوهر الطرح السوسىولوجى والسيكولوجى لدارس الفولكلور المعاصر^(*).

* * *

الموقف الإصلاحي للمؤلف

نشأ الأستاذ أحمد أمين فى بيت متدين، بل شديد التدين، عاش فى كنف أب حازم، يبلغ حد الصرامة، مثالى يطبق على حياته الخاصة ما يؤمن به من صدق وأمانة وتجرد. وكان هو أحب إخوته إلى أبيه، خاصة بعد أن توفى أخواه، وأصبح هو وحديه. فأكسبه ذلك صرامة فى الطباع، وصلابة فى الإيمان، وقوة فى قول الحق، وأمانة فى الدفاع عن المبادئ^(**).

(*) يمكننا أن نميز على وجه الإجمال – ومن قبيل التبسيط – أربعة اتجاهات فى الدراسة، هى الاتجاه الجغرافى، والاتجاه السوسىولوجى (الاجتماعى)، والتاريخى، والسيكولوجى. ويساعد كل من هذه الاتجاهات – من ناحية معينة – على خدمة الهدف المشترك بينها جميعاً، ألا وهو تفسير العلاقات القائمة بين الشعب والثقافة الشعبية. ولا يمكننا أن نكتفى بالاعتماد على واحد فقط من هذه السبل المنهجية الأربعة. ومن ثم يمكننا القول فى الواقع أنها تكون مجتمعة "المنهج الفولكلورى" أو "منهج الدراسة الفولكلورية" بمفهومه المعاصر. ولكننا نلاحظ هنا أن المنهجين التاريخى والجغرافى يركزان – فى المقام الأول – على الثقافة الشعبية نفسها. بينما تتجه أنظار المنهجين الآخرين – وأعنى الاجتماعى والنفسى – مباشرة إلى حاملى هذه الثقافة الشعبية. انظر، محمد الجوهري، علم الفولكلور، المجلد الأول، الأسس النظرية والمنهجية، مرجع سابق، الباب الثالث، ص ص 353-575.

(**) يقول الأستاذ فى، حياتى: "... وقد كنت قاسياً على أولادى الأولين، شديد المراقبة لهم فى دروسهم وأخلاقهم، أعقابهم على انحرافهم ولو قليلاً، ولا أسمح لهم بالحرية إلا فى حدود، حسب عقليتى إذ ذاك، ولكنها على كل حال قسوة لا تقاس بجانب قسوة أبى على. ولكلما تقدمت فى السن واتسع تفكيرى أقللت من تدخلى وأكثرت من القدر الذى يستمتعون فيه بحريتهم، فلم أجد كبير فرق بين الأولين والآخرين لشدة تأثر من لحق بمن سبق، حياتى، ص 196.

هذا على المستوى العائلى، أما على المستوى العام، فقد اشتهر عنه الحرص الفائق على سمعته "فالقضاء الشرعى يتطلب وقاراً وجلالاً ومشياً بطيئاً وحركة جامدة... والقاضى = الشرعى – بجانب ذلك – ينظر إليه على أنه رئيس دينى، فيجب أن يتحرج من الجلوس فى قهوة أو أن يكون فى ناد تشرب فيه خمر أو يلعب فيه ميسر. وإذا جلس فى قوم فلا بد أن يتحدث حديثاً دينياً أو أخلاقياً وعلى الأقل أن يكون جاداً لا يمزح ووقوراً لا يضحك". ويحكى عن واقعة حدثت له وهو قاض فى قويسنا، حيث دعى إلى عشاء فى بيت طبيب المركز مع وجهاء وأعيان المنطقة، وما أن دخل المكان وشاهدهم يشيرون حتى خرج لتوه فى نفس اللحظة متعللاً بعدر. انظر: حياتى، ص 209-210.

هذا عن الطبيعة الشخصية للأستاذ، ولذلك نجد رغم الطابع العلمي لأسلوبه في الكتابة على امتداد القاموس، وحرصه على تقصى كل موضوع ما وسعه الأمر، نجده يتبنى نظرة معيارية إلى التراث الشعبي، الذي وجد فيه عناصر قيمة كريمة وأخرى ذميمة فاسدة، الأولى جديرة بالرعاية والدعم والأخرى أهل للتفنيد والهدم. وبما أن مادة الكتاب في جوهرها عرض لممارسات ومعتقدات شعبية، فبديهى أن يستفز أكثرها غير المؤلف، ونزعتة الإصلاحية، فيعمل فيها نظرتة المعيارية. ولا مأخذ عليه في ذلك فهو لم يكن يتصور أن مثل هذه المادة هي موضوع لدرس علمي رصين، كبحوثه في تاريخ الحضارة، ولذلك أباح لنفسه حرية اتخاذ المواقف الأخلاقية في داخل عرض المادة.

ونجده في ترجمته للشيخ حسن الكفراوي، أحد علماء الأزهر، يذكر أن الشيخ صادق في مرحلة متأخرة من حياته أحد المشعوذين (الشيخ صالح صادومة). وعقب الأستاذ على ذلك بأن أخذ على الشيخ هذا المسلك واعتبره أمراً مشيناً، عندما قال: "... بعض العلماء يؤيد المشعوذين في شعوتهم". (انظر مادة نماذج). ففي رأيه أن العالم عليه أن يتصدى للخرافة والمشعوذين، لأنه يجب أن يتحلى بالاستقامة الأخلاقية. ولم يفرق في ذلك بين موقفه كفرد ومواطن عليه أن يهاجم الخرافة والشعوذة، وبين دوره كباحث عليه أن يتابع الظاهرة بكثير من الحياد ليتسنى له التقاطها في حقيقتها. ولعل العذر الذي يمكن أن نلتمسه له، ربما كان يرى أنه يكتب للجمهور، أي لعامة الناس، وليس للباحثين.

وهو في حديثه عن "الطالع" يشرح الأساليب الشعبية لمعرفة الطالع، ويصفها صراحة: "بعضها فيه تخريف كثير، وبعضها معتدل". ثم يشرح فساد فكرة الطالع في إنبائنا بمستقبل الإنسان: "وأظن أنه لو استحصى جميع من ولدوا في يوم واحد، أو ساعة واحدة، لوجد بعضهم شقياً وبعضهم سعيداً. ولكن العقيدة لا يغلبها غالب". وهو في وصفه للمعتقد الشعبي يبدأ كلامه عادة بقوله: "ويدعون" (في أكثر من مادة انظر مادة: نبين زين).

واللافت للنظر أنه كان لا يترك أي فرصة عندما يشرح معتقداً خرافياً أو ممارسة خرافية أن يحكى قصة تفندھا وتبين فسادھا وكذبھا. وبالقياس طبعاً تسهم في هدم باقى الخرافات. ففي مادة "عنزة السيدة نفيسة" يحكى عن عنزة مبروكة، قالوا عنها إنها استطاعت أن تخلص المسلمين من الأسر... وكان الناس يقدمون لها النذور والهدايا... وتحايل الأمير على صاحب العنزة ليحضرها إلى بيته، ثم ذبحها وأطعمها لهم. "فلما أكلوا وشربوا القهوة طلب الشيخ عنزة فأخبر بذبحها فأسقط في يده وبهت، ووبخه الأمير وبكته. وأمر أن يعمم الشيخ بجلدها، وأن يذهب كما جاء

بالطبول والزمور".

ويتبنى الأسلوب نفسه كلما أتاحت له الفرصة، ففي حديثه عن "مدعى التصوف" في ذلك حكايات تؤيد فسادهم وخذاعهم من تاريخ الجبرتي، إلى جانب ما يعرفه هو شخصياً.

ويتبنى المؤلف نفس الموقف الإصلاحى من أى "مساخر" كتلك التى كانت تجرى فى "جنينة الأربكية"، وفى حديثه عن "الخرافات والأوهام"، وحديثه عن "سعة الرزق"... إلخ مما لا يتسع المقام لحصره، ويغنى عنه مطالعة هذا القاموس القيم.

ولا يقتصر الأمر على إدانته للخرافة والأوهام، ولكن هذه النعمة تمتد إلى كل ممارسة تتم عن جهل أو تخلف، كالتداوى بالطب الشعبى. فممارسى الطب الشعبى "دجال" وهى تسمية يجمع تحتها كلاً من المطيب الشعبى وممارس السحر، وأساليب الطب الشعبى ليست سوى "علاجات خرافية" (*). (انظر مادة صداع).

ولا يفوته أن يشير إلى الأساليب الشعبىة فى مواجهة بعض الأمراض الوبائية الخطيرة كالقوليرا، ثم يعقب: "... وكان بعض المصريين يعالجون القوليرا بأشياء خرافية إلى أن انتهت. وشاهدت مرة من يطلع على سلم مزدوج فى الشارع ومعه مقص به الهواء، يزعم أنه يقص الميكروبات". (انظر مادة القوليرا).

وبعيداً عن ميدان المعتقدات العريض نلمس اللهجة الإصلاحية فى كل حديث. فعندما يتحدث عن الضرائب يبدو ذلك الموقف الإصلاحى - الإيجابى - واضحاً وضوح الشمس، حيث يسجل كثرة الضرائب المفروضة على المصريين، وعدم استخدام حصيلتها فى تحسين أحوال الفقراء. فتكون النتيجة الطبيعية التهرب من أدائها. ومن شأن ذلك أن يودى إلى قلة حصيلتها، ومن ثم عجز أكبر للحكومة عن الإنفاق العام على الإصلاح، وهكذا يدور الجميع فى حلقة مفرغة. وهو برغم كل شئ يعيب على المصريين- فى سياق هذا الحديث- تهربهم من الضرائب، رغم أنه يجعلنا أكثر قدرة على فهم جذور هذا السلوك ودوافعه.

(* من يقرأ سيرة الأستاذ كما كتبها فى "حياتى" يدرك مدى المعاناة الهائلة التى صادفها فى حياته عندما كان يصاب وهو صغير أو أحد من أفراد أسرته بمرض عضال، وترفض الأسرة اللجوء إلى الطب الحديث، وتعتمد على أساليب الطب الشعبى (الوصفات البلدية ووصفات العطار) فلا يجنى المريض سوى أسوأ العواقب. بهذه الطريقة مات أخوه الأصغر الذى كان عزيزاً عليه بعد أن رفضت أسرته إدخاله المستشفى، وعانى أبوه من مرض الفتق ومتاعبه أربعين عاماً كاملة، وترك هو نفسه وهو صغير فريسة لمرض التيفود إلى أن أبراه الله.

* * *

الاتجاه التنويرى الترشيدى فى فهم التراث

فالتنوير عن طريق "كشف حقيقة" المعتقد أو الممارسة يمثل خطأ موازياً للخط الإصلاحى، أو هو فى نظره سيكون فى نهاية الأمر وسيلة من وسائل الإصلاح والتقويم. وهنا يستهدف المؤلف كلما وسعه ذلك أن يدلل بالشرح أو الحكايات أو الحقائق على جانب الزيف فى الممارسة أو المعتقد، أو يكشف طبيعتها التى يمكن فهمها واستيعابها.

فالعين التى يعتقد المصريون أن الاغتسال فيها يشفى الأمراض هى فى الحقيقة عين "ذابت فيها بعض مواد كيميائية، من المواد التى مرت عليها فجعلتها صالحة لشفاء الأمراض وخصوصاً الجلدية... الخ". (انظر مادة عين الصيرة).
والرجل الرفاعى الذى يسير فى شوارع القاهرة منادياً "يا فرج" ليستخرج الثعابين من مكانها، يلاحظ عليه قائلاً: "... ولا أدرى هل يخرج الثعبان لشيء يحمله هذا الرجل يشتهي الثعبان أو غير ذلك... ومن وظائفه أيضاً أنه ينزل الدود من أنف الأطفال بما يدعيه من عزائم. وكثيراً ما يكون ذلك من وضع دود فى كفه ينزله من أنف الطفل بحركة سريعة منه". (مادة يا فرج).

إن الأستاذ هنا كالشخص الذى يحاول أن يشرح كيفية أداء الحاوى أو "الساحر" (بمعناه المعاصر) لحيله على المسرح وأمام الناس. ويقص حول ذلك عشرات القصص، ويقدم لكل منها تفسيراً رشيداً. فالمرأة التى كان يضربها زوجها، وذهبت إلى الساحرة، فأمرتها بملء فمها بالماء حتى لا يضربها زوجها. ففعلت، وتوقف الزوج فعلاً عن ضربها، ولكن السبب هو أنها كانت تثرثرة بحديثها، فهذا العلاج حل مشكلتها. فليس فى الأمر سحراً. (انظر مادة حجر الكباس).

والشيخ التونسى الذى اشتهر بتحضير الأرواح، وتعامل الأستاذ معه شخصياً. وكشف لنا أنه كان نصاباً، لم يكن يستطيع أكثر من إخبارهم بما فى عقولهم، ولكنه عجز عن إنبائهم بالمستقبل (مادة استحضار الأرواح). وهو شأنه شأن النساء اللائى ينادين "نبيين زين". .. فبعضهن يصدقن بعض الأحيان، إما بسبب أن لها قدرة على الكشف بطريق يشبه التنويم المغناطيسى، وإما أن تكون عندها قوة الفراسة، وإما بكلامها كلاماً عاماً ينطبق على كل حال. وأكثرهن يكذب ولا يقول حقاً".

ويلجأ المؤلف إلى المكتشفات الحديثة (آنذاك) لعلم النفس التحليلى، والتى كانت أخاذة شديدة الجاذبية لمعاصريه، فيفسر تخيل شخوص أو كائنات فوق

طبيعية للناس أثناء الليل، بكثرة حديثهم عنها، حتى ولو كان الشخص لا يؤمن بذلك. ويحكى لنا عن والد صاحبه، الذى لا يعتقد فى الجن، ولكنه ظل يتكلم مع أصحابه عنها طوال الليل، حتى جاءت فى المنام... إلخ.

يقول المؤلف على لسان أحد أصحابه: "فلما قام أبى لينام صحا فى الساعة الرابعة فوجد كأن أحداً ينبهه فانتهبه، فرأى عفاريت كثيرة فى أجسام صغيرة، ورأى من يكلمه ويحدثه، فقام مذعوراً ونبه أهل بيته ليحيطوا به خوفاً مما رأى فى النوم. وهذا من غير شك نتيجة لما كان من أحاديث قبل النوم، وهذا يدل على أن المخ إذا شغل بهذه الأشياء تراءت له وانعكست له صورة الأحاديث فى نفسه". (مادة: تسخير الجن).

وهناك سبيل آخر لتفسير الممارسات الخارقة أو غير الطبيعية التى يؤمن بها الناس، لأنهم يشاهدونها تتحقق أمامهم، بل إن بعضها يكون الأستاذ قد شاهده وخبره بنفسه. ولكن "الحقيقة" فى رأيه لها تفسير عقلانى رشيد، يشرحه فى كل حالة.

فالمراة الساحرة العجوز التى تعالج المتعوقة (التي تلد ويموت أطفالها) تأتى بلعبة معينة لتثبيت الإيمان بها فى نفوس الحاضرين. وقد شاهد بنفسه وهو صغير كيف أن تلك المراة مارست بعض الأفعال، كان من بينها أن طلبت من المعوقة ريالاً ووضعته على أداة فى يدها". وبعد قليل طار الريال إلى السقف، وتضاحك الحاضرون والحاضرات واختفى الريال. وقد فهمت الآن أن هذه الأداة كان مركباً فيها زمبلك مضغوطاً لحم بشيء يذوب فى الماء بعد مدة، فلما ذاب انفك الزمبلك فطار الريال. والمهم فى المسألة أن المتعوقة لم تحمل، والريال قد ضاع عليها". (انظر: المتعوقة).

والنساء اللائى يتأخر حملهن، أو يكن عاقرات، ويذهبن إلى شيخ معين ويلدن، يقول الأستاذ فى ذلك: "... ولعله حدث ذلك مرة أو أكثر بسبب وجود رجال سيئى الأخلاق، انتهزوا هذه الفرصة واتصلوا بالمراة، وكان العيب من زوجها فحملت، فأشاع هؤلاء الرجال والنساء هذا الخبر، الرجال لإرواء شهواتهم، والنساء لستر موقفن. والله أعلم" (*) (انظر مادة: المغاورى).

وبنفس الأسلوب يتصدى المؤلف للدجالين الذين يحتالون على الناس، خاصة الأثرياء، حتى أضاعوا نقودهم فيها وافتقروا بسبب أنهم: "يدخلون فى أذهان

(*) مازالت مثل هذه الممارسات تتم حتى اليوم فى عيادات المشايخ، وفى مناسبات الموالد، وفى ظروف أخرى مماثلة، تتحدث بها الصحف، وتشهد عليها أروقة المحاكم، وتعرضها علينا الأفلام السينمائية كل يوم. ولكن وجود طلب على هذه السلعة، يجعل الظاهرة تقاوم كل ترشيد أو تنوير، وتسمر فى البقاء ونحن على مشارف الألفية الثالثة.

الأغنياء أنهم يستطيعون بالعزائم والسحر والمواد الكيميائية أن يحولوا النحاس إلى ذهب.. ثم يصبحون فلا يجدونهم، لأنهم يفرون قبل أن يفتضح أمرهم". (مادة: الكيمياء) ويحكى عن شخص يعرفه فقد ثروته عن هذا الطريق.

ويصل المؤلف إلى مستوى أشد من "كشف" تلك المعتقدات والممارسات الزائفة، حين يشير بمناسبة شرحه مفهوم المارد أنه: "عند مجئ الأرنأوط في مصر في عهد محمد على باشا عرفوا خوف المصريين. فكانوا يلبسون الثياب البيض، ويلفون عصيهم بشاش أبيض، ويظهرون بالليل، ويدخلون الحواري بحجة أنهم مرده. وقد يرفعون عصيهم، فيظن أنهم طوال. وهم بذلك يخيفون أهل الحارة، ويقضون منهم أوطارهم". (انظر: المارد).

فالمعتقد قد يستند كما رأينا إلى أساس وهمي تماماً، قريب من ذلك ما حكاه عن الحجاب الذي كان يحرص صديق له على حمله باستمرار، ثم سقط منه، ولم يجد بداخله سوى ورقة صحف. (انظر مادة الأحجية).

ويبدى المؤلف إعجاباً خاصاً بموقف محمد على باشا من "امرأة ادعت أن الجن تقمصوها ففتنت الجن، وكثر اعتقادهم فيها، حتى استفحل أمرها. فخاف محمد على من ذلك فاستدعاها إلى قصره. وكان الوقت ليلاً، فأمرت بإطفاء الأنوار، وادعت أنها تحضر الجنى. فحضر، وتكلمت بكلام رجل كأن الصوت يخرج من بطنها. فأطراها محمد على على فعلها وأمرها أن تقرب منه حتى يقبل يدها. فلما مدت يدها قبض عليها وأمر بإضاءة الشموع، فرأى أنها هي المرأة ولا جنى ولا غيره. ثم أمر بإلقائها في النيل، فجزع الجند الحاضرون، وظنوا أنها ولية وأن هذا الأمر خارج عن الدين. فقال لهم محمد على: لا تجزعوا، لو كان الجن معها لأخرجوها من النيل. ولو كانت مدعية ادعاء باطلاً فقد استرحنا منها. فلما ألقيت غرقت واستراح الناس منها". (مادة: جن).

* * *

مصادر مادة الكتاب

بديهى أن الأستاذ أحمد أمين لم يجر بحثاً ميدانياً أو استقصاء علمياً لجمع مادة كتابه^(*). وأنه قد استخلص تلك المادة من بينته الخاصة وخبرته المباشرة، التي

(*) عرضنا في دراسة سابقة مصادر جمع التراث الشعبي جمعاً علمياً، من واقع استقرار تراث علم الفولكلور، وهي باختصار: 1- دليل العمل الميداني، 2- طريقة الاستكشاف، 3- البحوث الطلابية، 4- جمع المادة الشعبية من المدونات، 5- متاحف الفولكلور كمصدر لجمع المادة، 6- الملاحظة بالمشاركة. راجع كتابنا، دراسات في علم الفولكلور، مرجع سابق، الفصل الثاني (أساليب جمع التراث

وعنها ذاكرته، أو شاهدها حية فى حاضر أيامه. يقول المؤلف: " .. ورأيت صعوبات كثيرة فى هذا الموضوع، فلم أكن أعتمد إلا على الذاكرة غالباً، وساعدنى أنى تربيته فى حارة بلدية تكثر فيها العادات والتقاليد. وقد منحنى الله ذاكرة طيبة حفظت ما كان يجرى أمامها حتى مع التقدم فى السن. فأخذت أستذكر ما مضى. وكلما ذكرت عادة أو كلمة قيدها من غير ترتيب، حتى إذا تمت اجتهدت فى ترتيبها". (ص أ من مقدمة المؤلف).

وهناك بالطبع قيود تمثل حداً على القيمة العلمية للمادة المستخلصة من هذا المصدر. فهى محدودة بحدود البيئة التى نشأ فيها المؤلف وعاش، وتزود بخبرته. وهذه الحدود بطبيعتها حدود طبقية، وحدود ثقافية، وأخرى مادية ملموسة. كما أن هذه المادة محدودة بكونها أنية، بنت العصر، أو الأيام القريبة من العصر. وفى ذلك يقول المؤلف: " .. ولم أمعن فى كتابة العادات القديمة، أى ما كان عند قدماء المصريين، أو عند المصريين فى العصور الوسطى، لأن الموضوع أليق أن يكتب فيه المتخصصون فى تاريخ مصر فى ذلك العصر، وإنما اكتفيت بذكر العادات والتقاليد التى كانت فى زمنى أو قبل زمنى بعهد قليل". (ص ب + ج من مقدمة المؤلف) (راجع كذلك فقرة البعد التاريخى فى تقديمنا هذا).

والحق أن المؤلف قد استخدم هذه الطريقة بكفاءة، بل أقول ببراعة، حيث كان يؤكد المعتقد أو الممارسة، أو يدلل على أهميتها أو انتشارها، أو خطورتها بحادثة شخصية أو خبرة شخصية عاشها بنفسه، أو سمعها بنفسه من غير من الناس. وأشير على سبيل المثال إلى حديثه عن استحضار الأرواح، (ص ص 35-36)، وحكاية الموظف المرتشى (الذى أصيب بكوارث) فى حديثه عن المال الحرام (ص 354)، وحديثه عن الشاب ابن الأغنياء الذى أدمن المعجون (تركيبه من مواد مخدرة) وساء حاله (ص ص 371-373).

وهناك مصدر آخر مهم هو المدونات بأنواعها، سواء كانت دراسات أو تجميعات، أو مصادر من أنواع مختلفة^(**). ويأتى على رأس تلك الفئة التى استعان

الشعبى)، ص ص 57-77.
(**) قدمت فى كتابى علم الفولكلور، الذى سبقت الإشارة إليه، تصنيفاً للمدونات العربية، = حاولت أن التزم فيه روح التصنيف العام للتراث العربى المدون، مع التركيز بطبيعة الحال على بعض الموضوعات، وإغفال القليل الذى لا يتصل بموضوعنا بشكل كبير. = وكانت خلاصة ذلك الجهد التصنيف التالى:

- 1- الأعمال البيبلوجرافية. (كتب الكتب)
- 2- المؤلفات الموسوعية.
- 3- الكتابات ذات الطبيعة الدينية.
- 4- الكتب التاريخية.
- 5- الكتب الجغرافية.
- 6- الكتب الأدبية والأعمال الأدبية الشعبية.
- 7- كتب العلوم الطبيعية العربية.
- 8- الكتب الاجتماعية والفكرية.

بها المؤلف فى تجميع مادة قاموسه كثير من الكتب التى أشرنا إليها عند الحديث عن الخلفية الفكرية لعصر المؤلف، وتحديد الأعمال التى تناولت موضوعات التراث الشعبى. وقد رأينا أن بعضه كان عربياً والآخر أجنبياً. ولكن المؤكد أنه يأتى على رأس تلك الكتب التى أفاد منها المؤلف كتاب ادوارد وليام لين الأشهر: **المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم** (الذى ترجمه عدلى طاهر نور إلى اللغة العربية) دار النشر للجامعات المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1975). ولكنه عندما نقل عنه، ذكره بالاسم، ولم يشر إلى مؤلفه المذكور (مادة المندل، ص 381-382)، وإنما قال: ".. وروى الأستاذ لين الإنجليزى الذى كان فى القاهرة منذ حوالى مائة عام أن ساحراً أحضر غلاماً وأجلسه على كرسي، وأمر خادمه الإنجليزى أن يحضر مجمره، فلما أحضرها، وضع فيها.. إلى آخر القصة الشهيرة التى نعرفها. وربما لأنه يكتب آنذاك فى مجلة سيارة، فلم يستشعر الحاجة إلى ذكر الكتاب الذى ينقل عنه وتوثيقه. وهو بصفة عامة لم يوثق أياً من الكتب الأخرى الكثيرة التى استعان بها وأشار إليها. فكان يذكرها بعنوانها فقط (دون المؤلف)، أو ينسبها إلى المؤلف فقط (دون ذكر عنوان الكتاب)، أو يذكر اسم الكتاب واسم المؤلف، ولكن فى جميع الأحوال - تقريباً - دون توثيق، حسب الأعراف المعمول بها فى الكتابة العلمية المعاصرة.

وليست هذه هى الجزئية الوحيدة التى نقلها عن كتاب وليام لين، ولكن هناك أجزاء أخرى كثيرة مبنوثة فى ثنايا الكتاب. وطبيعى أن تكون الصور والأشكال المرسومة كملحق للكتاب من أثنى ما أخذه عن لين، وأشار بوضوح إلى مصدره.

ومن الأعمال الأخرى من هذه الفئة دراسات "العالم الألمانى جاكوب" (ياكوب) الذى اهتم بإجراء دراسات موسعة لتمثليات ابن دانيال. هذا عدا إشارات غير محددة إلى "بعض الرحالة من الفرنج"، دون تحديد لاسم المؤلف، أو لعنوان العمل الذى نقل عنه.

كما أفاد المؤلف بطبيعة الحال من كثير من الكتب المصرية التى تهتم ببعض جوانب الموضوع وكانت معاصرة للفترة التى نشط فيها. من أبرز هذه الفئة بعض مؤلفات قاسم أمين، التى نقل عنها فى أكثر من موضع، ولم يحدد اسم كتاب معين منها. ومنها الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك، ومذكرات محمد شفيق باشا... الخ.

وطبيعى أن تحتل أهمية خاصة فى هذا الصدد الكتب الشعبىة، سواء كانت

9- كتب الرحلات.
راجع، محمد الجوهري، علم الفولكلور، المجلد الأول، مرجع سابق، الفصل السادس عشر، (جمع المادة الفولكلورية من المدونات)، ص ص 674-756.

10- الصحف بأنواعها.

تجميعات أو دراسات أو مصادر أصيلة. وأذكر منها دون ترتيب معين: كتاب الشيخ يوسف الشربيني، هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، وكتاب الشيخ حسن الآلاتي: ترويح النفوس ومضحك العبوس (ثلاثة أجزاء)، وكتاب الديري (نسبة إلى ديرب): مجريات الديري، وكتاب الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستطرف (تجميعات أمثال)، وقصيدة الجلولوتية (قصيدة شهيرة من العزائم تتصل بالسر والجان)، وتمثيلات ابن دانيال، وتفسير الأحلام لابن سيرين، وكتب "طب الركة"، دون تحديد لمؤلفين بعينهم^(*).

ومن مصادر المادة التي استعان بها المؤلف عدد كبير من المجالات والصحف السيارة أو المتخصصة، بل يمكن القول كافة تلك الصحف والمجلات. ولكني أبرز منها المجموعة التالية: مجلة التنكيت والتبكييت لعبدالله نديم (المتوفى سنة 1896)، ومجلة حمارة منيتي، ومجلة الكشكول، ومجلة آخر ساعة، ومجلة الصاعقة، ومجلة المسامير، ومجلة أبونضارة ليعقوب صنوع، ومجلة الأسناذ لعبدالله نديم، وجريدة المقطم، وجريدة اللواء، وجريدة المؤيد، ومجلة السبعة وذمتها (مجلة فكاهية)، ومجلة روضة المدارس... إلخ.

ومن مصادر مادة القاموس تراث عريض من الشعر العربي، ورد منه - كمثال - إشارات إلى الفرزدق، وحسان بن ثابت، وأبو العلاء المعري، والبهاء زهير، والبوصيري، وأحمد فارس الشدياق، وحافظ إبراهيم... إلخ.

ومن الزجاجين: الشيخ النجار، والشيخ القوصي، وعبدالله نديم، والشيخ حسن الآلاتي، والشيخ إمام العبد وغيرهم.

أما كتب التراث ففي مقدمتها الكتب المقدسة: القرآن الكريم، والإنجيل^(**). ثم يأتي بعدها مؤلفات: الجاحظ (كتاب الحيوان)، وتاريخ ابن عباس (بدائع الزهور)، وتاريخ المقرئ، ومؤلفات السيوطي (أكثر مؤلفي كتب التراث الذين وردت إليهم إشارات)، ومقدمة ابن خلدون، وتاريخ الجبرتي... إلخ.

وقد اقتصر على ذكر أمثلة منها، ولا يمكن، كما أنه لا يوجد ما يدعو إلى الإحاطة بها كاملة، فالقائمة يمكن أن تطول، بما يخرج عن حدود هذه المقدمة. وكلنا يعلم أن كتب التراث هي "الملعب" الذي يعرفه أحمد أمين أكثر من أي شيء

(*) أوردت هذه الأعمال كنماذج، دون حصر لكل ما ورد في الكتاب، ويمكن الحصول على البيانات الببليوجرافية لتلك المؤلفات من: مصادر دراسة الفولكلور العربي، مرجع سابق، في ترتيبها الموضوعي والأبجدي.
(**) وردت في القاموس إشارتان إلى التلمود، نقل فيهما بعض الأمثال والأقوال السائرة، دون أن يتطرق إلى الكلام عن طبيعة الكتاب.

آخر. فهو المؤرخ الأشهر للحضارة الإسلامية، وهو أكثر الجميع دراية بتراثها.

* * *

شمول تغطية الكتاب لموضوعات التراث الشعبي

أوضحنا في سياق سابق أن التراث الشعبي هو موضوع الدراسة في على الفولكلور بمفهومه المعاصر. وقد اجتهدنا أن نقدم تفسيراً لأبواب هذا التراث وعناصره، انتهينا منه إلى أن تلك الأقسام الرئيسية الأربعة هي: المعتقدات، والمعارف الشعبية، والعادات والتقاليد الشعبية والأدب الشعبي، والثقافة المادية والفنون الشعبية^(*).

ولم يستهدف الأستاذ أحمد أمين في الحقيقة تغطية هذه الأقسام الأربعة، فوق أنها ثمرة اجتهادات علمية تبلورت في العقدين السابع والثامن من هذا القرن. ولكن المؤكد أيضاً أنه غطى قائمة طويلة من المجالات التي تمثل غالبية الأقسام الفرعية لهذه الأقسام الرئيسية الأربعة.

فقد غطى بعض موضوعات المعتقدات الشعبية، كما يحددها التقسيم السابق، كالأولياء، والسحر، والكائنات فوق الطبيعية، والطب الشعبي، وأساليب استطلاع الغيب (كالاستخارة، والمندل، والزايحة، وفتح الكتاب... إلخ)، والمعتقدات المتعلقة بالجسم الإنساني (كطنين الأذن وتنميل الرجل، ورف العين؛ والشعر... إلخ)، وتلك الدائرة حول النباتات، وحول الزمن، والأماكن، والأعداد، والألوان، والأيام والشهور، والأرواح، والنظرة إلى العالم. وبديهي أن كثافة المعالجة وعمقها تتفاوت من مجال إلى مجال على نحو ما سيرى القارئ عند مطالعته للقاموس.

كذلك غطى الأستاذ أحمد أمين موضوعات العادات والتقاليد الشعبية، كعادات دورة الحياة (كتلك المرتبطة بالميلاد، والزواج، والموت)، وعادات الاحتفال بدورة العام (كالأعياد الدينية، والقومية، والزراعية)، والممارسات المرتبطة بحياة الفرد في المجتمع المحلي (كآداب السلوك)، والروتين اليومي (أو موضوعات الحياة اليومية)، والعلاقات الاجتماعية والأسرية والتنشئة الاجتماعية والعلاقات بين الفئات والجماعات الاجتماعية، كالجماعات الطبقية، والعرقية، والدينية، والمرأة... إلخ وعادات الطعام وآداب المائدة. وتصدق هنا نفس الملاحظة السابقة التي تصدق في الحقيقة على كل المواد في شتى أقسام التراث، وأعنى تفاوت شمول المعالجة وكثافة

(*) انظر، محمد الجوهري، علم الفولكلور، الجزء الأول، مرجع سابق، الفصل الثالث، ميدان الدراسة، حدوده وموضوعاته، ص ص 87-134.

المعلومات المقدمة من مجال لآخر لاعتبارات واضحة.

وفي ميدان الأدب الشعبي تطرق المؤلف إلى موضوعات القصص الشعبي بأنواعه، خاصة السير الشعبية، والحكايات... إلخ. وكذلك الأمثال، والأسماء، والنكت، والنوادر، والشعر الشعبي، والمدائح، والرقى، وطبعاً التعابير والأقوال السائرة، والنداءات والألغاز، وخيال الظل، والأراجوز، ومشاهد الحوارة ونظائرهم، والبلاغة الشعبية، والعامية المصرية... إلخ.

وفي ميدان الثقافة المادية والفنون الشعبية تناول القاموس بعض موضوعات الألعاب الشعبية، والأزياء الشعبية، والعمارة الشعبية، والأثاث المنزلي، وقليل من موضوعات الموسيقى والرقص والغناء الشعبي، وعادات العمل (الإداري، والمنزلي، والزراعي)، وبعض الحرف الشعبية، والتزيين الشعبي... إلخ. وبصرف النظر عن الملاحظة العامة، وهى تفاوت المواد من حيث التغطية والمعالجة، فبديهى أن أدوات العمل الزراعي كان حظها ضئيلاً من اهتمام المؤلف، بحكم أن خبرته وتجاربه، كانت هى المصدر الرئيسى لمادة الكتاب، وأن الأستاذ كان ينتمى إلى الطبقة الوسطى الحضرية، فلا غرابة أن تتراجع هذه الموضوعات بين اهتمامات المؤلف.

ولا يصح أن نختم حديثنا عن الموضوعات التى غطاها القاموس دون أن نشير إلى أهمية تغطية هذا القاموس للتعابير الشعبية والأقوال السائرة. ولا غرابة أن يقدر أحمد أمين أكثر من أى شخص آخر أهمية إنشاء قاموس للعامية المصرية (لاحظ: فى خدمة اللغة الفصحى)، ولكن المهم أنه أدرك الحاجة العلمية إلى ذلك، وسارت الخطاوات الأولى العظيمة نحو تحقيق هذا الهدف. كما أنه بسعة إطلاعه قد قدر مدى إهمال أهل الفصحى للأدب الشعبي، وللجوانب الشعبية فى الحياة اليومية، وأن هذه العناصر يتهددها الفناء أكثر من سواها، لأنها أسرع فى النسيان، والتداول هو الذى يبث فيها الحياة. وبما أن التغيير هو سنة الحياة، فمن المقطوع به أنه سوف يأتى يوم يتوقف استخدام كثير من تلك التعابير والأقوال، فإذا لم تكن مدونة، فمعنى ذلك أنها ستموت إلى غير رجعة، ولن يصبح بمقدور أى إنسان أن يستعيدها.

من هنا يمكن القول بأن قاموس أحمد أمين هذا يعد أهم مصدر منشور جمع هذا الكم من التعابير الشعبية والأقوال السائرة، سواء كانت تلك واردة فى مدونات، أو فى أشعار شعبية، أو أمثال، أو نداءات الباعة، أو كلام وتعليقات سائرة على ألسنة الناس.

ففى أكثر مواد القاموس كان يولى اهتماماً خاصاً للتعبيرات التى ترد فيها الكلمة، سواء كانت اسم عضو ممن أعضاء الجسم (البطن مثلاً، ص 90)، أو اسم حيوان (كالبغلة مثلاً، ص ص 91-92)، أو اسم نبات، وإذا كان يباع فيرصد تعبيرات الباعة فى النداء عليه. وألفت النظر إلى أمثلة بارزة لذلك: مادة التشبيهاة، التصغير، التغيير، حط، حلق بلا ودان، دستور، الذقن، الزلزال، السقا... إلخ.

والملاحظة الأهم على أسلوب تناول أحمد أمين للتعبير الشعبية والأقوال السائرة أنه استطاع أن يجمع ببراعة وعلى نحو فريد بين ميدانى الأدب الشعبى والعادات والمعتقدات، حيث كان يربط الكلمة أو العبارة بالمناسبة أو الممارسة التى تستعمل فيها أو تتردد فيها. ولذلك عندما وجد أن كم التعبير والأقوال السائرة التى جمعها قد زادت بكثير، ولك يعد من الممكن إدراجها فى مواد القاموس الأخرى، أو لم تكن هناك مناسبة لذكرها؛ عندئذ قرر أن يفرد لها ملحفاً خاصاً، شغل فى الطبعة الأصلية نحو خمس وخمسين صفحة (تضم نحو 500 تعبيراً شعبياً وقولاً سائراً)، وقد رتبته هو الآخر على حروف الأبجدية.

ولكننا رأينا عند إعادة طبع الكتاب أن نضمّن تلك التعبير (التى تمثل قاموساً داخل القاموس) بين مواد القاموس الكبير فى ترتيبها الأبجدي. وهناك أسباب كثيرة قدرناها تبرر هذه الخطوة، فالأستاذ نفسه قد أورد تعبيرات فى ثنايا القاموس – الرئيسى – التى عالجهها. وىلفت النظر أن المؤلف نفسه قد كتب بعضها فى متن القاموس – ثم عاد فكررها (سهواً) فى قاموس التعبير فى نهاية الكتاب (انظر مثلاً: مادة بلكى ص 96 فى الطبعة الأولى، وبلكى ص 432 بنفس الطبعة، وكلاهما بنص واحد). وهناك أخيراً سبب عملى هو التخلص من عمليتى ترتيب أبجدي داخل قاموس واحد، فالوضع الذى اخترناه يجعل الإفادة من القاموس أيسر لمستخدمه. والله أعلم.

* * *

أسئلة الدرس الفولكلورى بين الأمس واليوم

أوضحنا فيما سبق أن الطرح التاريخى قد اختلف من الأمس إلى اليوم اختلافاً طفيفاً، وإن ظل محافظاً على الخط العام، الذى وجدناه جلياً عند أحمد أمين.

واهتمام القاموس بالطرح الاجتماعى، أى التساؤل عن حملة التراث، وممارسيه، وعملية الأداء فى وسط اجتماعى، والوظيفة الاجتماعية، وتداول التراث بين الجماعات والفئات الاجتماعية؛ كل ذلك نلمس آثاره وعلاماته فى القاموس الذى بين أيدينا، مع الأخذ فى الاعتبار الفارق بين التجميع (أى المادة

الخام) والدراسة (التي تعالج تلك المادة).

كذلك لمسنا أن الطرح الجغرافي، القديم المتجدد في دراسة الفولكلور، مائل في المادة التي بين أيدينا، وإن كان في صورة متواضعة. أما البُعد النفسى فقد تجلى في استخدامه العناصر التراثية للاستدلال على سمات الشخصية المصرية وتطورها.

في مقابل هذه النظرات المنهجية الأساسية نلمس في عمل أحمد أمين الاتجاه التطبيقي بشكل واضح، أى اتخاذ مواقف عملية (سياسية اجتماعية) من عناصر التراث. وهو اتجاه نراه اليوم قد جلب أضراراً هائلة على علم الفولكلور وعلى سمعته، خاصة بالنظر إلى سوء استخدام المادة الشعبية لدعم أيديولوجيات معينة، كما حدث في روسيا السوفيتية وألمانيا النازية^(*). وهذا الاتجاه الذى يخشاه أصحاب العلم اليوم ويحذرون منه ويحذرونه أشد الحذر هو فكرة "الانتفاع" بعناصر التراث، أو "استغلالها" أو حتى النظر إليها نظرة معيارية، بهدف تقويمها، أو تطويرها، أو دعمها في مواجهة عوامل التغيير. وهذه النظرة هى التى تجعل دارساً أو جامعاً للمادة الشعبية يزهو ببعض تلك العناصر، ويخجل من بعضها الآخر. ولأهمية هذه النقطة، ووضوح نظرة المؤلف المعيارية للتراث، أفردنا لها فقرة مستقلة (الاتجاه الإصلاحى).

* * *

أسلوب عرض المادة

طبيعى أن يعالج الأستاذ المواد التى تناولها معالجة موسوعية، تشمل كل، أو على الأقل الكثير، مما شاهده أو سمعه أو نما إلى علمه بأى سبيل من السبل. وشملت أغلب المواد الحديث عن الممارسات المرتبطة بها، والمعتقدات التى تدور حولها، واختلاف تلك المعتقدات والممارسات باختلاف أشكالها وأنواعها (إن

(*) لم يتعرض علم من العلوم الإنسانية لمشكلات الاستخدام العملى لمواده ومناهجه وأفكاره ومحن "الانتفاع" بمادته وتطويرها فى ضوء أيديولوجيات معينة يمثل ما تعرض له علم الفولكلور. ذلك أن ظروف نشأته الخاصة وارتباطها بالحركة الرومانسية فى ألمانيا أساساً - وبنشأة القوميات الأوروبية قد جعلت فكرة التطبيق والانتفاع هذه قريبة من فكر كل صاحب أيديولوجية أو مذهب خاص. وأبرز هذه المحن التى مر بها هذا العلم فى تاريخه الطويل ظروف تطويره أو استخدامه لتأييد بعض قضايا الفكر القومى النازى فى ألمانيا الهتلرية. انظر محمد الجوهري، علم الفولكلور، المجلد الأول، مرجع سابق، ص 40 وما بعدها. وكذلك فقرة من الفصل الخامس من نفس الكتاب عن الاتجاه الأيديولوجى فى علم الفولكلور، ص ص 234-248، وكذلك ريتشارد دورسون، نظريات الفولكلور المعاصرة، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامى، دار الكتب الجامعية، القاهرة، 1973، ص ص 75-85. وانظر كذلك عبد الحميد يونس، دفاع عن الفولكلور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

وجدت)، والعبارات أو الأقوال (أو الشتائم، أو النداءات وغيرها) التي ترتبط بها، بل وكذلك الأمثال الشعبية المتعلقة بها، وربما ذكرها في القرآن والتراث العربي الإسلامي، وأخيراً نظرة المعاصرين إليها.

وأضرب مثلاً لذلك بحديثه عن "الإبرة" إذ تجده يتناول الممارسات الشعبية المرتبطة بالإبرة، سواء في استخدامها، أو بيعها، أو إعارتها... إلخ. ثم يتناول المعتقدات التي تفسر تلك الممارسات، وكذلك العمليات والأغراض التي تدخل فيها الإبرة (وهي هنا الخياطة)، والأشكال المتميزة وما يرتبط بها من ممارسات ومعتقدات (أعنى الإبرة العشيمة واستخدامها في إبطال السحر)، واستخدام اسمها في السباب أو المديح أو المعايير... إلخ، والأمثال الشعبية التي ترد فيها، بل وآيات القرآن التي وردت فيها، ومأثورات الثقافة العربية الكلاسيكية التي ورد فيها اسم الإبرة، وأخيراً استخدامها في الكتابة الحديثة العصرية.

ولكن المؤلف لم يكتف بتسجيل قراءاته وملاحظاته ومعلوماته، وإنما أقدم على دراسة بعض الحالات^(*) دراسة لا تخلو من التعمق (انظر نماذج على ص ص 401-404)، حيث درس تركيا، وشيخ عرب، وعالم، وأميراً. وقال عن ذلك: "... هذه نماذج من تركي وشيخ عرب، وعالم، وأمير. وهي تمثل أصناف الناس من الطبقة الوسطى والعلية، ولا يختلف عنهم أمثالهم إلا قليلاً. فقد يزيدون في بعض الصفات، وقد ينقصون. ويمكن أن نتصور الشعب المصري من هذه النماذج على قدر الإمكان، إلا أفراداً شذوا في باب الخير أو باب الشر، فمنهم من زهد في الدنيا، ومن الحكام من عدل، ومن العلماء من تورع أو تصوف، ولكن عددهم قليل، والعبرة بالغالب" (ص 404، ع2). فقد كان واعياً كل الوعى أنه يتناول حالات، ليقدمها ليس بوصفها أحاداً أو أفراداً، وإنما بوصفها نماذج.

وكان يحرص حرصاً ظاهراً على الرصد الصحيح للتعبير أو الممارسة ما وسعه ذلك، ثم يجتهد في شرحها، وتفسير معناها أو دلالتها أو أصلها (اللغوى مثلاً). أما إذا لم يستطع أن يفسرها وجدناه يثبت ذلك، التزاماً بروح العالم وأمانة الباحث، وهي أمور تلقى الضوء على القيمة الكبرى للعمل الذي نحن بصدد تقديمه للقارئ في نهاية القرن العشرين. (انظر على سبيل المثال مواد: ذمة، السقاء، القرفة... إلخ).

* * *

(*) راجع عرضاً وافياً لقواعد منهج دراسة الحالة في البحوث الاجتماعية والثقافية في محمد الجوهري، طرق البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، طبعات متعددة، الفصل السابع، ص ص 245-264.

هذه موسوعة لفولكلور الحياة اليومية

منذ البداية استبعد الأستاذ أحمد أمين الكتابة عن مادة شعبية من عصر بعيد، أو الذهاب إلى عصور سحيقة لتأريخ مادة شعبية يتحدث عنها، حيث اعتبر هذه المهمة - كما أشرنا في موضع سابق - قاصرة على علماء الآثار والمؤرخين. وقصر الأستاذ مهمته على رؤية الظاهرة التي يتحدث عنها في الحاضر وفي الماضي القريب (قبل عصرنا بقليل، أو قبل زماننا بقليل).

ومن مظاهر نفوره من التواريخ أو اعتباره أن تلك الظواهر لا تاريخية (رغم اشتغاله بتاريخ الحضارة الإسلامية) أنه عندما تصدى لحادثتي زواج الشيخ على يوسف من بنت الشيخ السادات، وعن حادثة دنشواي - في مادة "حادثتان" - لم يذكر تاريخاً واحداً، مع العلم بأن الأولى وقعت سنة 1904 والثانية وقعت سنة 1906. والكتاب نشر على الناس عام 1953. وهذه قضية مهمة عند أصحاب التوجه التاريخي المعاصر.

ويلتقى هذا المنحى بقوة مع اتجاه معاصر داخل علم الفولكلور الأوروبي، والأمريكي المعاصر أيضاً، يرى أن دراسات هذا العلم يتعين أن تنصب على دراسة الحياة الشعبية المعاصرة. (يسمى فولكلور الحاضر). ويرى رواد هذا الاتجاه حقائق التاريخ الثقافي في فهم الثقافة الشعبية الحاضرة. بل إن عالم الفولكلور الألماني شبامر Spamer يعرف علم الفولكلور حيث يقول: "يعنى علم الفولكلور في المقام الأول تصوير الحياة الروحية الشعبية بطبقاتها وجماعاتها المختلفة، بالاعتماد على ملاحظة ما هو قائم".

ومن الطبيعي أن يؤدي ظهور هذا الاتجاه إلى التقريب الوثيق بين علم الفولكلور وعلم الاجتماع. إلا أن موزر Moser يميز بوضوح بين علم الاجتماع "كعلم يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية منظمة" وعلم الفولكلور كدراسة "تتناول الاستجابات الفكرية الروحية لهذه الظواهر" (*).

وهو في معالجته لبعض المواد لا يركز على شئ بعينه، أو مكان محدد، أو فئة معينة من الناس... إلخ ولكنه يغطي كل ذلك مصوراً الحياة اليومية تصويراً ينبض بالحياة ويتسم بالتدقق. وهي مادة مستمدة في أغلبها من الخبرة الحية المشاركة. ويراجع القارئ معي حديث الأستاذ عن التسالي: "اعتاد المصريون أن

(* راجع مزيداً من التفاصيل عن هذه الاتجاهات في: هولنكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1973، مواد: فولكسكند (فولكلور) الحاضر، وفولكسكند المدينة الكبيرة، وشعبي، والأنثروبولوجيا التطبيقية وغيرها.

يتسلوا بأشياء صغيرة بين الأكلات، مثل قزقزة لب البطيخ، واللب الأبيض، وهو لب القرع الأسطمبولي، والفشار، وهو حبوب الذرة المشوية، والترمس والبول المقيلي، والفسق، وأنواع النقل، وخصوصاً فى لىالى رمضان كالجوز واللوز والبندق، ويسمونه فطرة. وكذلك يتسلون بكيزان الذرة، فنجد كثيراً من الباعة، وأمامهم النار يشون عليها كيزان الذرة ويبيعونها، وفى الأيام الأخيرة أصبح من التسالى أيضاً أبوفروة، يشونه كما يشون الذرة، ويشونه فى الأسواق، كما يشونه فى البيوت. ومن التسالى أيضاً البطاطة، ومص صلب السكر".

فأنت تلحظ أنه ذكر المواد التى يتسلى بها الناس، ويحشر جملاً اعتراضيه تحدد هوية كل مادة أو تعرفها إذا قدر ذلك. ثم الأوقات التى تكون التسالى فيها أكثر انتشاراً. والأفراد الذين يحترفون إعداد مواد التسالى هذه للناس. والتغير الذى طرأ على مواد التسالى، وطرق إعداد تلك المواد الجديدة.

وبنفس الطريقة يمكن أن نفر أن عديداً من المواد التى ترصد مظاهر وعمليات وعناصر مختلفة من جوانب الحياة اليومية، ويكفى أن أنبه القارئ إلى مواد: التسليم، الأكل، الحسد، الحفوف، الحمار، الحمام، حمل الأتقال، حنبلى، حوش، الخدم، القبله، المجاملة، المداراة، المشروبات، المقاطعة... إلخ وجميعها مما يصب بشكل مباشر فى إلقاء الضوء على سمات الشخصية المصرية. (انظر الفقرة التالية عن: الشخصية المصرية).

وأرى الأمر جديراً بأن نستعرض مادة مهمة من هذا الصنف، هى مادة: محسوبة. فالواقع أن الأستاذ قد قدم إبداعاً حقيقياً فى تناوله لهذا الموضوع. فهو يبدأ بالتعريف اللغوى، وربما إشارته إلى أن النسبة نفسها تركية (إلى محسوب) تشير فى نظرنا إلى المناخ الذى ازدهرت فيه، وهو مناخ الاحتلال التركى، الذى جثم على صدر مصر أربعة قرون كاملة.

ويشير إلى انتشار هذه الظاهرة المرضية على نطاق واسع فى مصر، ونظرة الناس إليها: "حتى اعتقد الناس أن ليس يعمل عمل إلا بها". وطبيعى أن يتطرق بعد ذلك إلى تأمل إمكانيات القضاء على هذه الظاهرة المرضية.

ثم يبرر تشاؤمه من صعوبة القضاء عليها، بحكايات من خبرته الشخصية. ولأن معظم الحديث انصرف إلى مظاهر المحسوبة وصورها فى دواوين الحكومة، فإننا نجده يتطرق إلى إلقاء الضوء على بعض جوانب الإدارة العامة والإدارة المحلية فى مصر، ويؤرخ لتراث الفساد وحجمه الراهن فيثبت - ربما دون أن يقصد - عمق هذه الممارسات فى الحياة العامة المصرية. وبوسع القارئ أن يطلق لخياله

العنان ليتصور دور أعضاء مجلس الشعب المصرى اليوم فى "التوسط" لقضاء مصالح الأفراد لدى الهيئات الحكومية، حتى أن السادة الأعضاء يشكون من إهمال الوزراء والمسؤولين لهم، أو إعطائهم توصيات "مضروبة" (أى لا تحقق الهدف منها عند التنفيذ)، ولم يعد أحد يخجل من إثارة الموضوع داخل المجلس الموقر وخارجه. ولا يشذ عن ذلك - بطبيعة الحال - أعضاء المجالس الشعبية والمحلية، لتحقيق نفس الأهداف، ولكن على مستوى محلى محدود.

واللافت فى حديث الأستاذ أنه أدرك إدراكاً ساطعاً أن المحسوبية كانت أكثر ضرراً فى ظل نظام تداول السلطة بين الأحزاب، قبل ثورة يوليو 1952. ويقول فى هذا كلاماً مهماً، ولكنه عجيب، يستحق أن نتوقف عنده: "... وكان من مساوئ نظام الحكم عندنا أن كل وزارة تأتى يكون لها لون من المحسوبين عليها، وظهر المحسوبون على الوزارة الجديدة، وهكذا دواليك. وفى كل هذا خسارة على الأمة. هذا عدا أن أناساً قويت عندهم حاسة الشم، فإذا أدركوا أن وزارة ذات لون خاص ستأتى أسرعوا فانتسبوا إليها وتظاهروا أنهم من رجالها. وقد كان هذا من مضار انقسام الأمة إلى أحزاب. فالحزبية لا تنجح مع شعب كهذا". (مادة محسوبية).

وهكذا ينتقل الأستاذ من رصد ممارسات الحياة اليومية، وتحليلها والتعليق عليها، والحكم عليها إلى التفكير فى أساليب إصلاحها أو القضاء عليها (إن كانت سلبية)... إلخ.

وتتجلى براعته فى ثنايا ذلك حيث يشير إلى وجود خلفية ثقافية عريضة وعريقة للمحسوبية عند المصريين، فيحشد الأمثال الشعبية والأقوال السائرة التى تدور حول المحسوبية. ولكن الأهم والأكثر طرافة فى نظرى هو ربط هذه الظاهرة بظاهرة "توسيط" المصريين لأولياء الله لقضاء مصالحهم عند العزيز القوى سبحانه وتعالى. ويقول: "... وهكذا من كثير من الأمثال التى تدل على تغلغل هذه العادة إلى الأولياء وأصحاب الأضرحة الأموات". هذا فى نظرى نموذج للعرض ذى المستوى الفكرى الرفيع الذى نستطيع أن نسوق عليه أمثلة لا حصر لها على امتداد هذا الكتاب الموسوعة.

* * *

الحديث عن الشخصية المصرية

لعل الغاية النهائية التى يسعى إليها دارس الفولكلور دائماً أن ينتهى من دراسته لتراث شعب معين إلى الكشف عن الطابع القومى لذلك الشعب، أو التعرف على سمات شخصيته. وسواء وعى الباحث بهذا الهدف، أو لم يع تماماً، فإن عمله

فى جمع التراث وتحليله إنما يصب فى النهاية فى تيار دراسات الطابع القومى. ولسنا فى هذا المقام فى حاجة إلى التأكيد على أهمية مواد الفولكلور فى الكشف عن ملامح الشخصية القومية، فهذا أمر تكفلت به دراسات "الثقافة والشخصية" (*). فكيف يتسنى لنا دراسة شخصية الفلاح المصرى على سبيل المثال إلا من خلال دراسة تراثه الشعبى، فهذا الجزء التقليدى من ثقافة الفلاح هو أبعد أجزاء ثقافته غوراً، وأكثرها تمكناً منه، وأعصاها جميعاً على التغيير والتطوير، وأقربها إلى نفسه.

ونفس هذا المبدأ ينطبق على الجهد العظيم الذى قدمه الأستاذ أحمد أمين فى هذا القاموس. ومن الطبيعى أن تحد المادة التى يحويها القاموس حدود معينة، قد تقتصر من نطاق تطبيقها، أو تقلل من قابليتها للتعميم، أو تفرض عليها بعض التحفظات. فالمادة الرئيسية لهذا العمل تصور تراث الطبقة الوسطى الحضرية (فى عصر معين)، ولكن أفاق المادة المدونة، أو الثانوية (المنقولة عن شخص أو مصدر آخر) أوسع نطاقاً بطبيعة الحال، مكانياً، واجتماعياً، وزمناً. وهذه كلها اعتبارات تفرض قيوداً معينة على استخدام الباحث لتلك المادة فى دراسة الطابع القومى المصرى.

ولكنها بالقطع مادة ثرية، متنوعة، موثقة، مصحوبة بتحليل وتفسير من قلم معاصر حصيف، قادر على استكناه دلالاتها. وكل مادة علمية تخضع بالقطع للكثير من القيود والتحفظات.

يبدأ الأستاذ بمحاورة معاصريه ممن يتوقع هجومهم على مشروعه هذا وتجريحهم له. "... نعم قد يؤخذ على أن فى نشر هذه الأشياء تشهيراً بالمصريين وخطأ من شأنهم، لأن أكثرها خرافات وأوهام، وانتشار الثقافة بين المصريين وخصوصاً النساء أزال كثيراً منها. ولكن عذرى فى ذلك أنها تسجيل لما كان، وحمد لله على أخذها فى الزوال. والحق أحق أن يقال من غير اعتبار للوم لائم أو اتهام متهم. فإذا رأى راء أن فى هذا عيباً وتشهيراً، رأيت أن فى هذا مفخرة للمصريين إذا نظرنا إلى أين كانوا، وإلى أين صاروا، وكيف قطعوا خطوات واسعة فى عهد قريب فى التقدم". (ص ب).

ويهمنا فى النص السابق أن الأستاذ انتبه إلى نقطتين: الأولى أن الدراسة العلمية والبيانات الواقعية الصادقة قد تجد من يحاربها ويقف فى وجهها، لأنه لا يريد مواجهة الحقيقة، ويخشاه، أو يتحرج منها. والثانية أن هذه الحقيقة ليست ذات

(* انظر معالجة مفصلة لهذا الموضوع فى، محمد الجوهري، علم الفولكلور، المجلد الأول، الأسس النظرية والمنهجية، مرجع سابق، ص 37 وما بعدها.

وجه واحد، ولكنها متعددة الأوجه، أو متباينة التكوين. فهي ليست شراً خالصاً، كما أنها ليست خيراً مطلقاً، فيها نقاط الضعف، ولكن فيها يبدو أيضاً مجاهدة الإنسان لهذا الضعف واستطاعته التغلب عليه في بعض المواضع، ومحصلة هذه المجاهدة بضع خطوات إلى الأمام.

كذلك يضع الأستاذ في اعتباره - وهو يكتب منذ خمسين عاماً - عتاب زملائه الأساتذة الكبار، الذين يسميهم "بعض الأرسقراطيين من العلماء" على اشتغاله بالكتابة عن "عادات وتعايير شعبية يعنى بها العوام". فمن المؤكد أنه لا يستطيع أن يقدم على هذه الخطوة الجبارة في هذا الزمن الباكر إلا أستاذ عظيم المكانة، يتسم بالشجاعة في قول الحق، وذلك كان أحمد أمين. فالحديث عن بعض سمات المصريين لابد وأن يقوده إلى عرض الكثير من السلبيات الموجودة في الواقع حوله. ليس بقصد التشهير، كما قد يدعى نقاده، ولكن بغرض إثارة الوعي بها، ثم الانطلاق إلى مواجهتها ومحاصرة آثارها.

يقول المؤلف في ختام حديثه عن "البقشيش" (انظر تلك المادة): "والبقشيش إحدى المصائب الثلاثة المصرية، وهي البقشيش، ومعلهش، وأنا مالى". وكما سنرى فيما بعد كان الأستاذ يرى أن هناك سمات معينة (نسميها مثلاً: رئيسية) مسئولة بشكل أساسي عن تخلف الإنسان المصري، وذلك من واقه تجاربه ومشاهداته. وهذه العبارة الصغيرة عن البقشيش، وتصويره فيها لإلحاف الناس في طلب البقشيش... إلخ إضاءة - مع مواد أخرى كثيرة - لمدى الفقر والمعاناة التي عاش قطاع مهم من المصريين فريسة له آنذاك. وهذه سمة حاكمة، أصبحنا نوليها اليوم المحل الأول من الاهتمام - أعنى الفقر بدرجاته وأنواعه - الذي يعاني منه القطاع الأكبر من المصريين آنذاك(*) .

والسمة الثانية هي عدم الإجابة، أو عدم الإلتقان. وقد غطاها في حديثه عن التجارة، وعن الصناعة، وعن عقده المقارنات بين المصريين والشعوب الأخرى، وهي معلهش. وتعكس في نفس الوقت إنكاراً وتجاهلاً لمبدأ الثواب والعقاب، فأى خطأ يكون الاعتذار عنه بمعلهش. وهي مواقف يجدها قارئ هذه الموسوعة ميثوثة في عدد كبير من المواد(**).

أما السمة الثالثة فهي اللامبالاة، أو العزوف عن المشاركة الإيجابية في الشأن

(*) اليوم في نهاية القرن، وبعد حسابات معقدة ودراسات مطولة، يمكن القول أن ربع المصريين كافة يعيش في فقر شديد، وربع آخر مازال يعيش في فقر نسبي.

(**) ليتذكر القارئ اليوم في ديسمبر 1998 حديث الجميع عن أبعاد أزمة المرور الطاحنة في القاهرة. وهي - إلى جانب عوامل أخرى - ثمرة لمفهوم معلهش. المخالفة المقصودة، التي لا يتوقع صاحبها أن يحاسبه عليها أحد.

العام، سواء على مستوى الحى أو القرية، أو على مستوى الوطن كله. وسبب ذلك تراث طويل من القهر، والجفاء بين المصرى وحكامه، وغياب للتربية الوطنية، أدت بالبعض إلى افتقاد الشعور بالمواطنة، وتقضيل الأجنبي - الشيء والإنسان - على المصرى تفضيلاً دائماً وعلى طول الخط. وسيأتى ذكر بعض ذلك فيما يلى.

وعلاقة المصرى مع الحكومة على امتداد التاريخ علاقة فيها كثير من الظلم والاضطهاد للمواطن المصرى لصالح قوى إقطاعية، أو أجنبية، أو حتى محلية ظالمة. وقد تمثلت فى السخرة (***)، وفرض الضرائب، و"الوجبة" (راجع فى هذا القاموس مواد: السخرة، والعونة، والوجبة، وغيرها).

وتتجلى العلاقة السيئة بين المصرى وحكامه أوضح ما تتجلى فى موقف المصرى من أداء الضرائب. فبدأ بتقرير حقيقة كثرة الضرائب المفروضة على المصريين "وفى العهد الأخير كثرت الضرائب بأشكال مختلفة حتى كان كل شئ عليه ضريبة". ولكنه يلاحظ على الفور أن هذه الضرائب لا تصرف فى تحسين حال الفقير: "لأن الفقير فى مصر كالفلاح سئ الحال جداً، ولا يسكن مسكناً نظيفاً، ولا يشرب ماء نظيفاً، ولا يأكل أكلاً مغذياً...". ولذلك ينتهى إلى النتيجة الطبيعية لهذا، حيث يقول: "... ومع أن الضرائب كثيرة فى مصر فهى لا تأتى بمحصول يناسب كثرتها، لأن المصريين يعتقدون من عهد الظلم أن الهرب من الضريبة لا بأس به، وكلما استطاع الإنسان أن يهرب فليهرب". (مادة ضرائب)*.

وقد أثرت تلك العلاقة تراثاً من الممارسات، والمعتقدات، والتعابير، والنكات أيضاً، ولكن الأهم أنها شكلت نظرة الإنسان المصرى إلى العالم، عالمه الصغير والعالم الكبير من حوله. وتلك أمور سوف يفيد منها أعظم الفائدة كل من يتصدى لدراسة رؤى العالم لدى الفئات والجماعات المصرية، ليقف على خلفياتها الحقيقية وجذورها فى التاريخ القريب. وهذا ما نحمده لأستاذنا صاحب القاموس ونقدره.

(***) يجب أن نأخذ فى الاعتبار أن السخرة، وهى العمل الذى تفرضه السلطة السياسية، كان يعد فى بعض مراحل التاريخ وفى كثير من المجتمعات شكلاً من أشكال الجزية، أو بديلاً عن فرض الضرائب. فهو نوع من ضريبة العمل، خاصة عندما توجه أعمال السخرة إلى تنفيذ مشروعات عامة، كحفر الترعى، أو حفر قناة السويس. راجع أيضاً، شارلوت سميث، موسوعة علم الإنسان، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، مادة: السخرة.

(*) ومن يقرأ ترجمة المؤلف لحياته يلاحظ انتباهه منذ كان فى عشرينات عمره أن وقف يخطب فى احتفال مدرسة القضاء الشرعى برأس السنة الهجرية، واختار أن يتحدث عن أساليب ضعف المسلمين. واعتبر أن السبب الأول لذلك الضعف هو: "... فساد نظام الحكم فى البلاد الإسلامية، وما جره ذلك من ظلم للرعية وعسف بحريتها، واستغلال الحكام لمالها وتسخيرهم قواها لملاذم الشخصية". (أحمد أمين، حياتى، ص114).

وهذا المجتمع الذى يعرف كل هذا التسلط، لا بد أن يعرف معه أموراً أخرى كثيرة، لعل أهمها فنون تملق هذا المتسلط ومسايرته حتى يمكن أن تمضى الحياة. ولا بد أيضاً أن ينقسم الكيان الاجتماعى المصرى إلى طبقات، أو جماعات كبقية، متباينة فى حظها من القوة والثروة، ومتباعدة فى اتجاهاتها ومشاربها. ويضرب لنا الأستاذ مثلاً صارخاً بولع المصريين بالألقاب (انظر مادة: باشا) حيث يمكن أن ينفق مصرى ثروته كلها من أجل الحصول على لقب، ليستعيد لها مرة أخرى وأضعافها، بواسطة هذا اللقب (**).

ثم يضرب لنا أمثالاً بتعابير وأمثال تدعوك "إن كنت فى بلد يعبدوا الجحش حش وارمى له" وأخواتها وأشباهها وينتهى منها إلى القول: "... وهذه الأقوال وأمثالها أثر من آثار عصور الاستبداد والظلم، فطلبوا من الناس أن يكونوا آلات صماء وأحجاراً جامدة، تطيع ولو ظلمت، وترضى ولو نكبت، وتقبل الحاكم ولو كان قرداً، وتطيع الأمر ولو كان فاسداً". (مادة: إن وإذا).

العنصر الأساسى الثانى - بعد البعد السياسى والعام - فى تكوين الشخصية المصرية هو الدين. ويقول الأستاذ (فى مادة الدين): "إنما نتكلم عنه لأن له أثراً كبيراً عميقاً وظاهراً فى الحياة الاجتماعية المصرية. والحق يقال إن المصريين معروفون من قدم بالتدين، حتى من لم يتدين منهم يتحمس للدين إذا مس ولو مساً خفيفاً (*). وأكثر المصريين مسلمون، ولكن أكثرهم يعتنق الإسلام بعد أن امتلاً بأوهام من الديانات الأخرى، وبعد أن تسربت إليه عادات وتقاليد ليست منه فى الأصل". ثم يعدد بعد ذلك تفصيلاً مظاهر التدين فى حياة الإنسان المصرى الخاصة والعامة.

ويهمنا من ذلك النص الحقيقة العلمية المستمدة من بحوث علم الأديان المقارن، ودراسات علم الفولكلور (ميدان المعتقدات الشعبية) أن المصرى - شأنه شأن أى إنسان - يحمل فى صدره إلى جانب الدين الذى يؤمن به ذخيرة من المعتقدات السابقة عليه، ويمتلك قدرة هائلة على تطويع بعض "حقائق" ومسلمات هذا الدين لتتلاءم مع تراثه السابق عليه، أو للتوافق مع واقعه الاجتماعى الإنسانى.

(**) ما أشبه الليلة بالبارحة! هذا كان بالأمس، واليوم تجد مواطناً مصرياً يبيع أو يستدين - أو ينفق مما لديه - الملايين ليمول حملته الانتخابية ليفوز بعضوية مجلس الشعب. وهو يعلم تمام العلم كيف يعوض ما أنفق.

(*) يتسق هذا التأكيد مع حقيقة كون المؤلف نشأ فى بيت متدين، بل شديد الحفاظ على الواجبات الدينية، مع ورع وتقوى. وهذه حقيقة معروفة من سمعته العامة، ومن لم يسمع عنه من الناس يمكن أن يراجع سيرته الذاتية: "حياتى"، حيث يقول عن نفسه: "وكان شعورى الدينى، وأنا طالب بمدرسة القضاء، لا يزال قوياً كشعورى الوطنى، بل أقوى منه، حتى كان طلبة فصلى يسمونى "السنى". (حياتى، ص118).

ويلتقط أحمد أمين في ذكاء مجموعة من هذه "الرواسب" الثقافية الخبيثة في نفس الإنسان المصري، والتي يضيف عليها طابعاً إسلامياً زائفاً. ففي ثنايا حديثه عن الأوراد (الورد: دعاء طويل بعض الشيء، محدد الصيغة، يتلى في وقت معين، بشكل منتظم)، يلاحظ أن من أضرارها: "... اعتماد الناس عليها في قضاء حوائجهم، وبسط رزقهم. ولذلك يتركون العمل اعتماداً عليها. كما اعتقدوا في تكفير الذنوب، والاستكثار من الحسنات، بدلاً من أن يعتمدوا على الأعمال الصالحة" (**).

ويتفرع عن ذلك الإحساس المتدين - الزائف - إيمان شديد بالقدر والحظ. وهو حديث طويل في التراث الشعبي المصري، يقودك إلى أساليب جلب الحظ، ودفع نوائب القدر، ويتقاطع مع أساليب استطلاع الغيب ومعرفة المجهول... إلخ. وهكذا تجد أن التدين بفهمه هذا الخاص الزائف يقود المواطن المطحون المقهور إلى عالم الخرافة والأوهام، على حد تعبير الأستاذ. أو يشير بمصطل علم الفولكلور إلى تداخل ميداني الدين والتدين الشعبي تداخلاً لا ينفصم.

والجنس حقيقة بيولوجية اجتماعية شئنا أم أبينا، اعترفنا بذلك أو أنكرناه أو قررنا الصمت عنه. ومن الطبيعي أن يحوى حديث الأستاذ على امتداد القاموس مصطلحات تلقى الضوء على هذا الجانب. ولكن أحمد أمين ابن الأزهر والبيئة المحافظة - لا يمكن أن يصل - حتى ولو في ساحة العلم - إلى مستوى المصارحة والحديث المباشر. ولكنك لا تعدم ملاحظات متفرقة، ولكنها كاشفة، عن السلوك الجنسي للمصريين، مبنوثة في أحاديثه عن المخدرات، والمرأة، والأسرة، والسحر، والحكايات... إلخ. ولكن الأستاذ العالم يفرد مادة مستقلة للبصيرة (انظر: بصيص) ونظامها، وما يتردد فيها من عبارات، ودلالاتها... إلخ. فقد أدرك ببصيرته النافذة أن الفصل بين الجنسين يولد بالضرورة مثل هذه الممارسات، التي تتفاقم وتنتشر، كلما اشتد الفصل وكان أكثر صرامة (**).

والأستاذ بفطرته العلمية ونظرة الباحث التي لا تضيع منه أبداً، يرى أن

(**) يذكر القارئ إشارتنا إلى خطبة المؤلف وهو في العشرينات م عمره عن أسباب ضعف المسلمين، وكيف أنه أرجع السبب الأول إلى فساد نظم الحكم. أما السبب الثاني لهذا الضعف في رأيه فهم رجال الدين.. "فقد شابعوا الحكومات الظالمة وأيدوها، وتآمروا معها وبثوا في نفوس الشعب الرضا بالقضاء والقدر والاعتماد على نعيم الآخرة إذا حرموا نعيم الدنيا... كل هذا أضعف من نفوس المسلمين وأذلهم وأنهك قواهم، ولا أمل في صلاحهم إلا بصلاح رجال الحكومة ورجال الدين... إلخ". (حياتي، ص 114).

(*) مرة أخرى ما أشبه الليلة بالبارحة! تطالعنا صحافة اليوم أن الشرطة في منطقة القاهرة قد سجلت بضعة آلاف المخالفات في حصر شباب يعاكسون الفتيات والسيدات في الشوارع. لاحظ أن تلك الممارسة كانت قد تراجعت في الستينيات والسبعينيات تراجعاً ظاهراً. ولكن ها هي تعود مطلة برأسها مرة أخرى.

التنشئة الاجتماعية للأطفال هي المسؤولة بشكل رئيسي عن زرع كثير من هذه السمات السلبيه، أو تغذيتها، أو على الأقل إتاحة الفرصة لها للاستمرار والبقاء.

ونلمس ذلك عندما يتطرق في حديثه (في مادة بعبع) إلى عملية تنشئة الأطفال على الخوف، وغرس سمة الجبن في نفوسهم، وهي السمة التي تتفاعل مع واقع قائم على التدرج الطبقي الصارم، والاستغلال والقهر... إلخ. ويسجل تخويف الأطفال بالبعبع وأبورجل مسلوخة والمزيرة، ويقول: "ومن أجل ذلك وأمثاله اشتهر المصريون بالجبن".

وهناك ملاحظات وإشارات تلقي كل منها ضوءاً مفيداً على شخصية الإنسان المصرى. فيسجل فوضى الأزياء (ومن بينها فوضى لباس القدمين)، (مادة البلغة)، والمجاملة، والمحسوبية، والمدارة، وعدم النظام (الهرجلة) وقلة النظافة عند الأغنياء والفقراء... إلخ. ولو راجعت النتائج التي انتهى إليها من استعراضه (في مادة حادثتان) لحادثتى زواج الشيخ على يوسف من ابنة الشيخ السادات وحادثه دنشواى فسوف تجد مزيداً من تلك السمات الأساسية والملامح للشخصية المصرية، منها: أن الرأى العام - فى هاتين الحادثتين - كان يتحرك للتوافه من الأمور وبغض النظر عن عظامها^(*) (كالاحتلال الإنجليزي والظلم الذى يقع على رأس الرعية من حين إلى حين). ومنها أيضاً مكانة الزواج والأسرة فى حياة المصريين، وهى مكانة تصل إلى حد التقديس، وتخضع للتقاليد "القديمة"، وغلبة المسائل الشخصية على المسائل العامة، وحرص الفلاح المصرى على حرمة ملكيته الخاصة لا العامة"... فلو ضاعت البلد بأكملها ما أهمته، ولكن لو حرق جرنه الخاص لسفك فيه الدماء، ونجدة الفلاحين^(**) بعضهم لبعض عند نزول الكارثة بأحدهم... إلخ.

ولا يستطيع القارئ أن يحيط بكل السمات التي عالجهها الأستاذ أو أشار إليها عابراً إلا بمطالعة كاملة لهذا القاموس الجليل. فلن تجد حديثاً عن الشخصية المصرية إلا مادة من صفحة واحدة (المصرية)، ولكن الحديث مبعوث فى أغلب مواد الكتاب.

فتجده يذكر بولع المصريين بالخرافة والجرى وراء الغيبيات فى مادة (المكتبة)، حيث يقول فى حديثه عن المكتبات الفرعية: "... وهذه المكتبات صورة من عقلية المصريين، ففيها الكتب القديمة النافعة. وفيها كتب التدجيل، وكتب

(*) مرة أخرى وليست أخيرة ما أشبه الليلة بالبارحة. راجع الصف اليومية، وبرامج التلفزيون، وأحاديث الناس فى جلساتهم تجدهم كما يقول الأستاذ: "يتحركون للتوافه من الأمور ويغضون النظر عن عظامها".

(**) يمكن أن نقول بدلاً من الفلاحين: المصريين.

الكيمياء واليازرجة، ونحو ذلك. والمصريون يطلبونها أكثر من الكتب الجدية، وقد يستعبرونها (***) .

وفى حديثه عن "التجارة" يلمس سمتين مهمتين من سمات المصريين الأولى هي الولع بالمساومة (الفصال)، وقصور المهارات الإدارية أو إساءة التعامل مع أطراف العلاقة التجارية. فيقول: "وقد كانت سمعة المصريين رديئة فى التجارة من ناحيتين: الأولى المساومة فى الأثمان، والثانية سوء المعاملة (المقصود التعامل التجارى) خصوصاً مع الأجانب، فقد يستوردون سلعاً ويماطلون فى دفع ثمنها، حتى كف بعض التجار الكبار عن معاملتهم. وقد تحسنت الحال فى هذه الأيام بعض الشئ لمخالطتهم الأجانب وشربهم من مشربهم".

والحديث عن الشخصية المصرية يشمل بطبيعة الحال حديثاً عن مختلف الفئات والجماعات الإثنية (السلالية = الثقافية) التى تعيش على أرض مصر. فتجده ينتبه إلى الحديث عن البرابرة (انظر هذه المادة) ويقصد بهم النوبيين، من حيث أعمالهم، وحياتهم، وسماتهم الشخصية: مزاياهم وعيوبهم. كما تناول البدو (الأعراب أيضاً) مبرزاً نمط حياتهم، وسماتهم، ورأيهم فى الفلاحين - أى المصريين - وتعاملهم معهم، ومدى تعريضهم للأخطار والضرر، وخطوات تكاملهم مع بنية المجتمع المصرى.

وأبدى المؤلف اهتماماً خاصاً بمعالجة الأتراك، مبرزاً نظرهم إلى المصريين وأسلوب معاملتهم لهم (انظر مادة "برطمة") "... وما كان أكثر ما يبرطم التركى، ويشتم المصرى ويحتقره... وإذا أراد أن يؤكد شيئاً، قال: إن فعلت هذا أكون من العرب. وإذا سئل كم كان عددكم فى هذا المجلس؟ قال ثلاثة ومصرى، أو أربعة ومصرى، لأن المصرى غير محسوب".

قريب من هذا حديثه عن المماليك، وكيف أنهم عاشوا على خير مصر، وتحكموا - وهم عبيد فى الأصل - فى شعب مصر، ولك ينله منهم سوى الظلم والاحتقار. والمهم ما يلاحظه الأستاذ عندما يقول: "... وقد أورثوا الشعب صفات كثيرة، بعضها حسن وبعضها ردى. فقلدهم الأغنياء فى... وأحياناً كانوا يقلدونهم فى الغطرسة والاستبداد إذا ولوا أمراً من الأمور... ومن أسوأ ما ورثوا عنهم الإسلام السطحى والإيمان بالخرافات والأوهام... وربما كان للمماليك أثر كبير فى

(***) أشرنا فى دراسة سابقة عن الثقافة المصرية المعاصرة إلى الرواج الهائل فى الكتب التى تتحدث عن السحر والجان وعذاب القبر، وتطبع بعشرات الألف، وتوزع أمام المساجد، وعلى الأرصفة، وفى داخل الجامعات، وفى الموالد... إلخ، وأوضحنا أن الهروب إلى الخرافة والغيبيات استجابة لتيار التطرف الدينى الجارف، ولكن فى اتجاه يستهدف الهروب من العنف والتشدد، حيث يفتح المصرى فى هذه الأعمال على عالم جديد مثير، يصرفه عن معاناته الحاضرة.

أن المصريين يعبدون الله عبادة ظاهرية، فلا يصل فيها الإيمان إلى قلوب أكثرهم". (انظر مادة: المماليك).

وطبيعى أن يكون الخواجات (الأوروبيون، وخاصة اليونان والإنجليز) من أبرز الجماعات الإثنية التى خالطت المصريين وأثرت فيهم، ولا يمكن أن يكتمل فهم سمات الشخصية المصرية دون الإشارة إلى ذلك. يقول المؤلف: "... الخواجة يحترم فى مصر، ويخاف منه، ويعتقد فيه العلم والأمانة أكثر من المواطنين، وخصوصاً فى الزمن الماضى... وسبب هذا أن الخواجات الأوروبيين هم الذين غزروهم وفتوحهم، فأجلوهم جميعاً، وخافوا منهم من غير تفرقة بن إنجليزى وغيره... ومن أسباب ذلك أيضاً المحاكم المختلطة وما كانت ترهب ب المصريين... وقد وجدت هذه الحالة مركب النقص لدى المصريين، فاحترموهم واعتقدوا فيهم الكمال فى كل شئ، مهما كان الخواجا ساقطاً. (انظر مادة: الخواجة).

* * *

نظرته إلى "الطبقة الوضيعة"

لم يكن المجتمع المصرى فى نظر المؤلف كياناً كلياً واحداً، أو كتلة مسمطة بغير ملامح. بل كان يراه مكوناً من طبقات أو مستويات فوق بعضها، ورأه - كما أوضحنا فى الفقرة السابقة - جملة من الجماعات الإثنية. ولكنه للحق لم ينتبه إلى فكرة التباين بين الجماعات التى تسكن مناطق جغرافية متباعدة، أو مفهوم المناطق الثقافية^(*).

أكثر المؤلف من استخدام مصطلح الطبقة الوضيعة لوصف فقراء المدينة، سكان الحارة أحياناً، والرعاع وغيرهم. وهذه هى البيئات التى يتعين أن نلتمس فيها - فى رأيه - التراث الشعبى بعناصره المختلفة خاصة الوضيع منها. وليس أحمد أمين الوحيد بين دارسى التراث الشعبى الذين يرون الطبقات العليا هى صاحبة القدر المعلى فى إبداع التراث، وأن الطبقات الدنيا ليست سوى مستهلكة له. ليس هذا فحسب، بل إنهم يمارسونه فى صورة قبيحة، أو على الأقل غير جميلة، ومن يدقق فى مصطلحه يقول: بصورة فقيرة.

وعندما نطالع حديثه عن أفراح الزواج (مادة الزواج والطلاق) يقول بعد

(*) كان هذا المفهوم محورياً فى كل العلوم التى تدرس الثقافة، "الراقية" والشعبية على السواء، وكانت هى المحور الأساسى لبحوث هانز فينكلر عن الفولكلور المصرى، لأنها كانت الشغل الشاغل لعلماء الإثنولوجيا والفولكلور الأوروبيين فى الثلاثينيات والأربعينيات ومازالت، ولكن بمفاهيم وأشكال مختلفة.

وصف أفرح الأغنياء: "... أما الزواج فى الطبقة الفقيرة فكان وضيعاً، فتحمل المشاعل بدل الفنايير، والطبل البلدى بدل الموسيقى، والبوظة بدل الشربات والخمر... وتمشى العروس فى ناموسية بدل الشيلان الكشمير، وتركب التختروان إلى منزل العريس...".

والأسرة هى أداة نقل التراث، فالأسرة "الوضيعة" تعلم أولادها ثقافة "وضيعة". يقول المؤلف: "... وبعض الرجال من الطبقة الوضيعة يعلمون أبنائهم السب والقذف، ويسمحون لهم أن يضربوهم أو يشدوا ذقنهم أو يشتموهم، فيخرج الولد عديم التربية، قليل الأدب... وفى الأسرات الكبيرة... يعلم الطفل آداب الاجتماع والمعاشرة. وفى البيوت المتدينة يعلم الأطفال الصلاة والصوم، حتى ينشئوا على الدين. وفى الطبقات الوضيعة يعلمون الأولاد الحرفة والكسب قبل الأوان، فترى طفلاً فى السادسة يبيع الصحف فى الشوارع أو ينوب عن أبيه فى التجارة فى الدكان أو نحو ذلك". (مادة: تربية الأطفال).

ولأن الفقراء - أعضاء الطبقات الوضيعة - قد نشأوا هذه النشأة، فمن الطبيعى أن تنسب إليهم ممارسة الرذائل أو الاعتقاد فى الخرافة. فوجد المؤلف يبدأ حديثه عن المعجون (خليط من مواد مخدرة) قائلاً: "المعجون والمنزل بمعنى واحد. وهو منتشر بين طبقات وخصوصاً طبقة الفقير" (*). وفى حديثه عن القسم يقول: "... ويجرى على ألسنة الساقطين الإكثار من الحلق بالطلاق، فيقولون...". (انظر مادة: القسم).

وتبدو ضعة هذه الطبقات الأدنى فى ممارستهم للاحتفالات، يقول المؤلف: "... ومما تصعنه الطبقة الوضيعة يوم شم النسيم غير أكل الخس والملانة وشرب الخمر، وهم بعد شربها يتصايحون فى الشوارع، ولذلك يمتنع خيار الناس عن الخروج فى ذلك اليوم اتقاء للأضرار". (انظر مادة: الخس).

ويرجع الفضل إلى بحوث علم الفولكلور الحديث فى أنها كشفت بكل جلاء أن التراث الشعبى لا يقتصر على فئة بعينها (كالفلاحين مثلاً) أو طبقة بعينها (كالأغنياء أو الفقراء) أو إقليم بعينه (البدو دون الحضر، أو أهل السواحل دون أهل المدن أو غير ذلك)... إلخ، فالحياة الشعبى والثقافة الشعبى توجد دائماً حيث يخضع الإنسان - كحامل للثقافة - فى تفكيره، أو شعوره أو تصرفاته لسلطة المجتمع والتراث. ويقول عالم الفولكلور السويسرى ريشارد فايس Weiss فى هذا

(* يلفت النظر أن الحكايات التى قدمها عن خطر الإدمان تتعلق جميعها بأولاد الأغنياء، أو تدور عن "شاب متعلم من ذوى الشهادات العالية"، أو "موظف وارث"... إلخ لأن الحقيقة المؤكدة أن التراث لا يقتصر على طبقة بعينها، وكذلك الانحراف وممارسة الرذائل.

الصدد أنه: "يوجد في داخل كل إنسان شد وجذب دائمين بين السلوك الشعبي وغير الشعبي". ولذلك يتضح عند كل إنسان موقفان مختلفان أحدهما فردي والآخر شعبي أو جماعي.

فجميع أفراد الأمة – سواء كانوا عمالاً أو فلاحين، أو رعاة، رجال أعمال أو جنود، محامين أو أساتذة جامعيين – يشتركون جميعاً في خاصية كونهم "شعباً"، على اعتبارهم حملة الأشكال الثقافية التقليدية. وما من جدال في أن كثافة هذا العنصر الشعبي وشدته تختلف حتماً من فئة إلى أخرى، ولكن لا يوجد إنسان بدونها على الإطلاق. الفيصل في الموضوع هو ما يعرفه الشعب – أي مجموع سكان البلد – من خلال المعرفة المتواترة بالطريق التقليدي. فهذا الاتجاه إذن دراسة للإنسان ككائن ثقافي، أي دراسة الإنسان كحامل للثقافة، أو بتعبير أفضل في سلوكه كحامل للثقافة. ويبدو ذلك واضحاً عندما لا يستطيع أن يحرر نفسه من الثقافة التي ينتمي إليها، ويسلك كإنسان فرد عقلائي.

ومن الواضح أنه لا يوجد إنسان فرد يخضع خضوعاً كاملاً لسلطان العقل، ويستطيع أن ينظم جميع أفعاله طبقاً للمبادئ المنطقية. وبالمثل لا يوجد – في ميدان الإحساسات والعواطف – إنسان يعرف كيف يحافظ على ذاتيته الفردية المتميزة دون أن يتأثر بمعايير السلوك الكثيرة المعقدة التي تملئها التقاليد (أو التراث إن شئنا). ولا يستطيع أكثر الناس أصالة واستقلالاً داخل إحدى الثقافات – حتى لو تصور في نفسه أنه أبعد عن كل تأثير تقليدي – أن يهرب من هذا التأثير أو يتفاداه. والواقع أنه لا يوجد إنسان في العالم لا يشارك في التقاليد، أو يعدم بعض اللحظات اللاعقلية.

وهكذا فإن علم الفولكلور الحديث لا يتخذ موضوع دراسته طبقة معينة وثقافتها، وإنما الإنسان في أثناء عملية حمل التراث الاجتماعي للجماعة التي ولد ونشأ فيها. ومن الطبيعي أن تختلف شدة التراث من طبقة اجتماعية لأخرى. ولكن المسألة مسألة شدة فقط، وليست قاصرة تماماً على طبقة بعينها*).

* * *

الحديث عن المرأة

أبرز المؤلف في صدر حديثه عن المرأة المصرية خصائصها الروحية والجسمية، فيقول: "المرأة المصرية مشهورة من القدم بخصائص، وحتى الأجانب

(*) نقلاً عن محمد الجوهري وزملاؤه، دراسات في علم الفولكلور، مرجع سابق، ص ص 26-27.

الذين زاروا مصر لفت نظرهم خفة روحها، وجمال عينيها العسليتين، وحسن قوامها، ولطافة تقاطيعها، وجمال مشيتها، وظهور أنوثتها، (مادة: المرأة). ولاحظ اهتمام المرأة بزينتها، خاصة القادرات طبعاً، وتحدث عن ذلك بكثير من التفصيل. ويشير في ذات المناسبة إلى الوشم عند المرأة الريفية كأسلوب من أساليب التزين.

وكان من الطبيعي أن يمثل الحديث عن المرأة الجزء الأكبر من حديث المؤلف عن الأسرة، وأبرز ما لفت نظره تعدد الزوجات. فقد استأثر هذا الموضوع (ربما بوصفه مظهراً من مظاهر التخلف الحضاري) باهتمام المؤلف، فأوضح أن المسلمين يشتهرون بهذه الممارسة. ولكنه يلاحظ في نفس الوقت أنها قليلة الحدوث في الطبقة الراقية والوسطى في مصر، ولا تفشو إلا في الطبقة الدنيا (**). (مادة: الزواج والطلاق).

وقد أبرز تأثير هذا النظام على إفساد الأسرة وخلق المشكلات لأفرادها جميعاً، ويرجعه إلى أن: "... النظر إلى المرأة كان نظراً وضيعاً، وكانت تعتبر أخط منزلة من الرجل إلا في القليل النادر..." (مادة: الزواج والطلاق).

كذلك اهتم المؤلف - في أكثر من موضع - بتأمل علاقة المرأة بالرجل (الزوج، والابن، والأخ... إلخ) فأبرز بشكل خاص تسلط الرجل على مقدرات الأسرة وتربعه على رأسها كحاكم بأمره لا تقبل أحكامه نقضاً ولا إبراماً.

ويسجل الأستاذ ملاحظة بارعة عندما كتب يقول إن وضع المرأة في الريف خير منه في المدن، فهي تستمد من مشاركتها الرجل عمله في الحقل قوة وسنداً. وهي لا تكتسب من ذلك العمل مكانة فقط، ولكنها تكتسب معرفة ودراية ومعلومات عن الأشياء، وتقرب من معرفة الرجل ودرايته، ولذلك "يتفاهم الزوجان الفلاحان إلى عهد قريب خادمة نظيفة والزوج في وظيفته أو قراءته أو حساباته المالية منعزلاً من زوجته لا يستطيع إشراكها معه". (مادة: الأسرة).

ولكنه ينتقل بعد ذلك من خلال رصد التغيير الذي طرأ على الأسرة إلى ملاحظة مظاهر التغيير في علاقات القوة بين الزوجين، وفي زى المرأة (خاصة التحول من الحجاب إلى السفور)، وفي اشتراكها في التعليم والعمل العام... إلخ. تقول عبارته الرائعة: "وقد شاهدنا في عصرنا تحول الأسرة من سيطرة الأب إلى

(**) تدلنا الدراسات الأنثروبولوجية المقارنة الحديثة أن تعدد الزوجات نظام محدود الانتشار نسبياً، وأن زواج الواحد بامرأة واحدة هو القاعدة العامة الأكثر انتشاراً. كما تدل تلك الدراسات على أنه أكثر انتشاراً بين الأسر الأكثر ثراء، وربما في بعض الفئات الأوفر حظاً من القوة السياسية، وذلك أمر بديهي حيث أه أكثر تكلفة. وقد انتبه الأستاذ نفسه إلى هذه الحقيقة حينما لاحظ: "والذي يدعو إلى اقتصار أغلبية المصريين على زوجة واحدة هو تساوى عدد الرجال بالنساء تقريباً". (مادة: الزواج والطلاق).

سيطرة الأم، ومن استبداد الرجل إلى استبداد المرأة. وشاهدنا في عصرنا أن حجاب المرأة يتحول إلى سفورها (معذرة للأستاذ: ونحن بعد خمسين عاماً من كلماتك تلك نشهد التغيير في الاتجاه المعاكس، أي النكوص)، وجعلها يتحول إلى تعلمها، وتفريطها في حقوقها إلى الغلو في طلبها، حتى لتريد أن تشارك في السياسة فنتخب وتنتخب، وشاهدنا مزاحمتها للرجل في العمل والتوظيف، وشاهدنا كثيراً من البيوت يكون فيها الزوج موظفاً والزوجة موظفة ويسلمان أولادهما للمربيات". (مادة: الأسرى).

ولاحظ أن الحياة في الحریم، مع الضرائر والمحظيات وغيرهن، كانت سبباً فيما اشتهرت به المرأة من الكيد العظيم، الذي يغلب كيد الرجال. (مادة: المرأة).

وهو يدرك إدراكاً واضحاً أن السبب في ذلك التخلف الشامل في أحوال المرأة المصرية راجع إلى الفصل بينها وبين الرجال. ويقول: "وقد بنى نظام الحياة الاجتماعية على فصل الرجال عن النساء في المسكن، وفي التعليم، وفي الركوب، ونحو ذلك. فسبب هذا انحطاطاً للمرأة كما سبب انحلالاً في الأخلاق". (مادة: المرأة).

أما عن مستقبل المرأة حسب رؤيته، وأعنى مستقبل مكانتها، ووضعها في علاقتها بالرجل، فقد أشار إلى بوادر التحسن في تلك المكانة (التي كانت حتى عهد قريب وضيعة، بالقياس إلى الرجل) وأنها سوف تستطيع في المستقبل المنظور أن تحصل على كل حقوقها القانونية والسياسية... إلخ (حصلت المرأة مثلاً على حق الانتخاب والترشيح بعد صدور القاموس بثلاث سنوات فقط).

ولكن الأهم أنه يرى أن المرأة لن تتوقف عند تحقيق المساواة، ولكنها سائرة في الغالب إلى قهر الرجل والسيطرة عليه. فقد كان يخشى أن يتبادل كل من الرجل والمرأة مواقعهما في المستقبل (مادة: الأسرة). وقد عبر عن هذه النبوءة في أكثر من موضع في القاموس في حديثه عن الأسرة، وفي حديثه عن الزواج، بل في حديثه عن السن، وطبعاً في الحديث الذي أفرده للمرأة، حيث يشير إلى كلام يحيك ويغزل كالمراة، ويعلق: "... ويظهر ان التاريخ يعيد نفسه، فنحن في مصر الآن سائرون في هذا الطريق".

ومن العادات التي يراها المؤلف سائرة إلى الفناء لا محالة، مبالغة المرأة في احترام الرجل: "... فقد كانت منذ سنين تقف أمامه لتتلقى أوامره، وتدعوه يا سيدي، ولا تستطيع أن تأكل معه، وقد تقف أمامه عند الأكل بالكباية فيها الماء، وتخضع أكثر من خضوع الخادمة له، وتتخذ كل الوسائل لنيل رضاه وتوفير

أسباب السعادة له. ثم تغير الحال فبدأت بالمساواة، ثم بخضوع الرجل للمرأة، والله بالمستقبل عليم". (مادة: السن).

وتبقى أخيراً كلمة عن المرأة والتراث الشعبي. فقد كان المؤلف يشير في كل مناسبة إلى أن المرأة هي الأكثر حرصاً على التقاليد، فهي الأكثر ممارسة لها، وهي الأكثر اعتقاداً فيها (انظر مثلاً حديثه عن "الطالع")... إلخ. ولكنه كان يفسر ذلك بأن السبب فيه تدنى وضع المرأة وتخلفها الفكرى والاجتماعى فى ذلك العصر أو العصور السابقة عليه. والحقيقة أن دراسات علم الفولكلور الحديث قد علمتنا أن المرأة فى كل مجتمع هي الأمينة على التراث، الحافظة له، تمارسه وتؤمن به، وتنقله إلى الأجيال التالية. وهي ملاحظة بارعة من الأستاذ على أى حال، وإن كان يمكن الاختلاف قليلاً مع التفسير.

ولاشك أن القراءة الموضوعية لهذه الآراء تثبت فى التحليل النهائى أنها كانت صادرة عن رؤية موضوعية ثابتة وإدراك دقيق لواقع المرأة الثقافى الاجتماعى. وأشير بالذات إلى أنها كانت نظرة إيجابية، ترجع التخلف إلى أسبابه، وترى أن تحسن المناخ سوف يستتبعه ارتقاء هذا الكائن الذى كان وضيعاً أو منحط المكانة. ولكن هل يسير التاريخ فى اتجاه واحد؟

* * *

ملاحظات على اختيار مواد القاموس

هناك موضوعات من مواد هذا القاموس لا يملك القارئ إلا أن ينحنى أمامها تحية وإجلالاً للمؤلف على انتباهه إليها، أو على البراعة فى معالجتها، فأكد ريادته لهذا الميدان، وكتب لنفسه صفحة مشرفة فى تاريخ علم الفولكلور المصرى. ومصدر هذا التفوق إما شمول النظرة إلى الموضوع الذى يعالجه، أو الشواهد الحية التى يقدمها، أو المعلومات الجديدة المفيدة التى تتدفق على صفحات الكتاب.

ولا نستطيع أن ننسى أنه ضمن القاموس موضوعات لم يكن معاصروه يتصورون أنها تندرج ضمن ميدان العادات والتقاليد والتعابير، كالأكل وأصنافه وآدابه، والألوان، والنكتة، والعمارة الشعبية، والأزياء، والجماعات الطبقية. ولكننا نقدر بشكل خاص حديثه عن موضوعات تبدو لغير المتخصص - اليوم - بعيدة عن هذا الميدان كالشعور الوطنى، والضرائب... إلخ.

وفى مقابل هذه الدرجة العالية من الإجابة تناول الأستاذ المؤلف مواداً أخرى على عجل، أو باختصار لا يتسق وأهميتها، أو باقتضاب لا يتناسب وكم المعلومات التى كانت متاحة عن تلك الموضوعات آنذاك. وأشير هنا بشكل خاص إلى مواد:

إبليس، وابن دانيال، والاستخارة، والبدو، والبرابرة، والبلح، والتبني، والتشاؤب، وجحا، والحفاء، وحلب النجوم، والحماة، والدرأويش، والسفرجية، وضرب الرمل، وفتح الكتاب، والقهوة، وقياس الأثر... إلخ. ولعل الأستاذ لمس بتأقّب نظره أن المعلومات المتاحة عن تلك المواد كانت وفيرة بحيث لا يستدعى ذلك التوقف طويلاً عندها.

وهناك طائفة ثالثة من المواد كان حرياً بالأستاذ ألا يضمنها قاموسه، لأنها لا تندرج تحت ميدان الثقافة الشعبية، أو لأن معالجته لها جاءت بعيدة عن الاهتمام بجوانبها التراثية. ولكننا نفهم حديثه عن بعضها باعتبارها مكملة لصورة المجتمع المصري، حيث أننا أوضحنا فيما سبق أنه أراد لكتابه أن يكون موسوعة مصرية، فلم يجد حرجاً في تضمين القاموس موضوعات عن: أسلوب الكتابة، والأوقاف، والبرابي، وبنات الهوى، والبهاء زهير، والبوصيري، والقبارصة، والمحتسب، والمصاييف والمشاتي، والمفارقات، والملاهي، والنماذج... إلخ.

وبعض المواد التي ضربنا لها أمثلة هنا ذكرها بمناسبة التعبيرات الشعبية وشرحها. وواضح أن سبب إدراج بعض الموضوعات الأخرى، كالأحزاب مثلاً، أنها تكمل فهم صورة الثقافة المصرية والمجتمع المصري، كحديثه الطويل عن النيل (في الأصل من ص 404 إلى ص 406).

وبعد كل هذا الملاحظات والتحليلات والتحفظات يتعين أن نشير في النهاية إلى أن قائمة مواد القاموس الواردة في نهاية الكتاب لا تقدم لنا رؤية شاملة كاملة لمحتوياته. وأقصد بذلك أن المادة الواحدة قد تحوى معلومات عن أشياء كثيرة، أوردتها بالاستطراد (تقليد تلك الأيام) أو لصلتها بالمادة الأصلية.

فمواد القاموس في الحقيقة أكبر عدداً مما يحويه فهرس المحتويات، الذي يحصر رؤوس الموضوعات فقط، ففي حديثه عن المشروبات يتطرق إلى ذكر: الخمر، والقهوة، والقرفة، والشاي، والزنجبيل، واليانسون، والعرقسوس، والمغات، والحلبة، والشربات، والخروب، والتمر هندي، والليمون، والنيبيذ، وعصائر الفاكهة، والمياه الغازية، والقهوة باللبن، والكاكاو (وقد حصرتها حصراً لأوضح الفكرة توضيحاً دقيقاً). وفي مادة الكنايات إشارات إلى أنواع كثيرة من أصناف الطعام التي لم يرد لها ذكر في بقية القاموس. وفي مادة "المأكولات الخاصة" أورد حوالى عشرين مأكولاً بمناسبتها. وتضمن حديثه عن "المترد" حديثاً عن الطاجن، كما أشار في حديثه عن المارد إلى: المزيرة، وأم الشعور، والأسياذ، وأبورجل مسلوخة، والقرينة... إلخ. وفي مادة "المسحراتي" نجد بداخلها حديثاً عن النسبة في العامية المصرية مع أمثلة، وذلك بمناسبة تفسير اسم

المسحراتى وطريقة نسيته. وتضمنت مادة "مولد السيد" حديثاً عن مولد السيد البدوى نفسه، وموالد الأولياء المحليين فى أماكن أخرى، وعيد النيروز، وعيد 6 بابه، وعيد 28 بابه، وعيد الميلاد، وليلة الغطاس، ومولد النبى، ومولد الحسين... إلخ.

وهناك مواد لم يتوقف الأستاذ كثيراً عند عنوانها، أى لم يلتزم طويلاً بمعالجتها، ففى مادة "الزنا" لم يتوقف قليلاً أو كثيراً عند مفهوم الزنا فى الثقافة الشعبية، وأحكامه (إباحة وتحريماً)، والتخلص من آثاره... إلخ. ولكنه بدأ المادة بتعبير: "ابن الزنا إما قواس أو مكاس"، واستغرق المادة كلها فى شرح المفهومين: القواس والمكاس، مع إشارة خاطفة إلى الزنا فى خمسة أسطر فى نهاية المادة.

* * *

عن التوقف المفاجئ

يلفت النظر فى عدد غير قليل من الحالات أن يتوقف الأستاذ - لسبب غير معلوم - عن متابعة الموضوع الذى يكتب عنه، ويحجم عن تقديم المزيد من التفاصيل، ويقول عبارة تتكرر: "... ولهم فيها تعاليم كثيرة لا حاجة لذكرها". ربما كان أقرب التفسيرات أن نتصور أن رصيده من مادة الموضوع قد نفذ عند هذا الحد، ولكن تحليلنا لبقية مواد القاموس لا تجعلنا نفضل هذا التفسير.

ولكنى أميل إلى تفسير آخر، من واقع فهمى لشخصيته وقدراته التى تتجلى فى سائر المواد: وهو أن يكون هذا التوقف المفاجئ ثمرة شعور بالحرَج، أو الإحساس بأن مستوى الحديث سيهبط به، لو أنه استغرق فى التفاصيل. ففى مادة الزايرجة أو مادة الرقص تجده يتحرَج، أو يتبرم من الاستطراد فيها، رغم طبيعتها الشعبية الواضحة، وانتمائها إلى موضوع القاموس بكل معانى الكلمة. كذلك تلمس صحة هذا التفسير فى حديثه عن الرقص، رغم براعته فى المادة التى يعرضها.. ولكن العين لا يمكن أن تخطئ كثرة الأحكام القيمة خلال العرض.

وهناك أمور كان يعتقد أنه ليس من مهمته الإشارة إليها أصلاً، ومن باب أولى تفصيل الحديث فيها، كالأمراض وعلاجها. ولكنه فى الحقيقة عرض لعدد قليل جداً منها، وخاصة إذا كان العلاج يرتبط بممارسات خاصة أو قاسية أو غير عادية (مثل علاج القراع). المهم أنه يقول فى صدر هذه المادة "... ولم يكن لنا داع لذكره كسائر الأمراض، عوضاً عن هذا التوقف، مرجعاً أو مصدراً لمتابعة تلك التفاصيل فيه.

ولعل الأستاذ أراد لهذا القاموس أن يكون مؤلفاً منزلياً للأسرة ولعامّة

المتقنين، وليس للمتخصصين والباحثين. ولاشك أن شموله ودقته قد جعلته في نظرنا اليوم صالحاً كل الصلاحية لخدمة الغرضين معاً: التثقيف العام الذي يخدم رسالة الانتماء الوطني للثقافة المصرية وللتراث المصري، وخدمة الباحث المتخصص في علم الفولكلور.

ولاشك أن ظاهرة التوقف المفاجئ أحياناً أو الاقتضاب في الحديث أحياناً أخرى تلفت النظر في ضوء ظاهرة مناقضة لها هي الاستطراد^(*). فالاستطراد سمة من سمات الكتابة الموسوعية التي تتردد على امتداد الكتاب. ونحن نقول الآن أنه من حسن الحظ أن اتسمت المعالجة في بعض المواضع بالاستطراد، فقد كانت تلك السمة ميزة حقيقية لهذا العمل ولم تمثل أي عيب، حيث تحولت إلى سبيل لإثراء مادة القاموس.

* * *

وبعد

فهذا هو نص كتاب قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية أتركه يتحدث عن نفسه وعن مؤلفه خيراً من أي متحدث^(**). وقد أودعه المؤلف جزءاً عزيزاً من حياته وقراءاته ومشاهداته، فإن من يقرأ كتاب حياتي لأحمد أمين سوف يجد جزءاً مهماً من مادة هذا القاموس – بروحه أو بنصه أحياناً قليلة – مما يعنى لى أنه كان في القاموس يكتب عن قطعة حية من حياته. والنتيجة الطبيعية لذلك أن يلحظ فيه القارئ صدق الإنسان وأمانة العالم. وهو قبل ذلك وبعد ذلك أول "موسوعة" مصرية تتناول موضوعات التراث الشعبي بالدراسة. وظل على امتداد هذه الأعوام الخمسين زاداً لكل أسرة، ومنهلاً ثرياً لكل باحث في الدراسات الشعبية. وأعتقد أنه سيبطل كذلك في مستقبل الأيام بإذن الله.

(*) ففي سياق حديثه عن الحنا، حكى قصة ذات دلالة، عن الشيخ حسين المرصفي الذي دخل على طلابه في دار العلوم، في أول العام الدراسي، فسأل طالباً عن اسمه، فكان الحناوي: فابتدأ الكلام في الحناوما ورد فيها، واستعمالها، حتى انتهت الحصة. ثم سكت وقال: ذكروني في الحصة التالية. وما زال في الحنا أسبوعاً كاملاً. مما يدل على سعة الإطلاع وكثرة الاستطراد في الأدب العربي".

(**) كنت قد فرغت بالفعل من إعداد حوالى مائتين وخمسين حاشية تتضمن كل منها تعليقات على أغلب مواد القاموس، من حيث مستوى دراستها دراسة علمية، وأهم المراجع التي تتناولها ومتاحة الآن في العربية أو في اللغات الأجنبية. ولكنني أشفقت على القارئ، وعلى المؤلف، من أن أقل من بهاء العمل، فاختصرتها إلى أقل من مائة يجدها القارئ في نهاية القاموس من صفحة 487 إلى صفحة 536.

الأستاذ أحمد أمين فى سطور

- ❖ من مواليد أول أكتوبر 1886.
- ❖ ولد لأب أزهرى، كان يعمل مدرساً بالأزهر.
- ❖ جمع فى فجر حياته بين التعليم الدينى فى الكتاب، والتعليم الحديث بالمدرسة الابتدائية. وانتهى به المطاف إلى الالتحاق بالأزهر.
- ❖ التحق بأول دفعة بمدرسة القضاء الشرعى سنة 1907.
- ❖ أتم دراسته وتخرج فيها عام 1911، حيث عين بعد تخرجه معيداً بها لمدة عامين.
- ❖ اشتغل قاضياً لفترة قصيرة، عاد بعدها للتدريس بمدرسة القضاء الشرعى مرة أخرى، حتى عام 1922.
- ❖ عاد للقضاء مرة أخرى، وعمل به لمدة أربع سنوات.
- ❖ بناء على دعوة من طه حسين عين فى عام 1926 مدرساً بقسم اللغة العربية بكلية الآداب.
- ❖ بدأ العمل فى موسوعته للتأريخ للحياة العقلية والفكرية للإسلام، وأصدر فجر الإسلام عام 1928.
- ❖ وتوالت بعده ضحى الإسلام (فى ثلاثة أجزاء)، وظهر الإسلام (فى أربعة أجزاء) اكتملت سنة 1934).
- ❖ أنتجت رئيساً للجنة التأليف والترجمة والنشر منذ إنشائها عام 1914 وحتى وفاته (لمدة أربعين عاماً).
- ❖ رأس تحرير مجلة الثقافة (التي كانت تصدرها اللجنة) منذ بداية إصدارها عام 1939 وحتى صدور العدد الأخير فى 1953/1/5.
- ❖ رقى بمؤلفاته البارزة إلى أستاذ مساعد، كما رقى إلى مرتبة أستاذ بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن).
- ❖ فى أبريل 1939 انتخبه زملاؤه عميداً لكلية الآداب، إلى أن استقال من العمادة بعد حوالى عامين. وأطلق بعدها قولته المشهورة: "إننى أصغر من أستاذ وأكبر من عميد".
- ❖ اختير فى عام 1940 عضواً بمجمع اللغة العربية.
- ❖ انتدب فى عام 1945 مديراً للإدارة الثقافية بوزارة المعارف.

- ❖ أنشأ الجامعة الشعبية، ورأس مجلس إدارتها حتى عام 1946.
- ❖ عين في عام 1947 مديراً للإدارة الثقافية بالجامعة العربية (حيث أنشأ معهد المخطوطات العربية).
- ❖ منحه جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) الدكتوراه الفخرية في 1948/2/28.
- ❖ من أهم مؤلفاته عدا فجر الإسلام وضحاها وظهره: فيض الخاطر (10 أجزاء)، زعماء الإصلاح، الشرق والغرب، يوم الإسلام، النقد الأدبي، قصة الفلسفة اليونانية، قصة الفلسفة الحديثة.
- ❖ قال يصف نفسه (مع بعض التعديل):-

أنا أقرب إلى الواقعية، عالم يحكمه المنطق، أحب الاختفاء والهدوء، معتدل إذا أحببت أو كرهت، هادئ إذا صادقت أو عاديت، قلق مضطرب لست بغضوب، تاجر إن كسبت كسب قليلاً في بطن، وإن خسرت خسرت قليلاً في بطن، لا أحب السياسة ولا أحب المغامرة، أريد أن أعمل لا أن أسيطر....".

مراجع سيرة الأستاذ:

- ❖ أحمد أمين، حياتي، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، 1966.
- ❖ حافظ أحمد أمين، أحمد أمين. مفكر سبق عصره، مكتبة الشاب، الثقافة الجماهيرية، وزارة الثقافة، 1987.
- ❖ لمعى المطيعي، هذا الرجل من مصر، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص ص 9 - 15.

مقدمة

في نحو سنة 1938 طلب مني أن أكتب سلسلة مقالات في مجلة الإذاعة فاحترت في اختيار موضوع تتعاقب مقالاته. وبعد ذلك هداني تفكيرى إلى أن أكتب سلسلة مقالات في العادات والتقاليد المصرية بعنوان دائرة المعارف المصرية أرتبها حسب حروف الهجاء، فبدأت بحرف الألف، وبدأ من حرف الألف بالإبرة

أذكر على الأخص عقائد المصريين فيها والأمثال التي قيلت فيها، واستمرت على ذلك نحو أربع عشرة مقالة ولما ينته حرف الألف، ثم شاء القدر أن أختار عميداً لكلية الآداب سنة 1939 فنصحتي بعضهم ألا أستمّر في هذه المقالات، لأنها تتنافى ع جلال العمادة، مع أنها كانت في اعتقادي أجل من عميد.

ومضت السنون وتركت العمادة، وأخيراً في نحو سنة 1948 سألتني سائل: هل كتبت في مجموع مقالاتك هذه شيئاً عن أبي عليّ وأم عليّ وما معناهما؟ فأجبتّه. وهاجني ذلك إلى أن أتم ما بدأت فأخذت أجمع الماضي وأكمله، واستغرق مني ذلك نحو أربع سنين، ورأيت صعوبات كثيرة في هذا الموضوع فلم أكن أعتد إلا على الذاكرة غالباً، وساعدني أنى تربيته في حارة بلدية تكثرت فيها العادات والتقاليد. وقد منحني الله ذاكرة طيبة حفظت ما كان يجري أمامها حتى مع التقدم في السن، فأخذت أستذكر ما مضى، وكلما ذكرت عادة أو كلمة قيدتها من غير ترتيب حتى إذا تمت اجتهدت في ترتيبها. وعرفت إذ ذاك فضل الخليل ابن أحمد لما بدأ يجمع معجمه "العين" لا عن مثال يحتذيه وسلك في ذلك مسلكاً دقيقاً بوضع الكلمة حسب مخارج الحروف وحذف المهمل منها، ولكني لم أفعل ذلك بل اكتفيت بتقييد ما أذكره.

ثم رأيت أن كلمة "دائرة المعارف" كلمة فخمة لا تتناسب وهذا الكتاب فتواضعت وسميته "قاموس العادات والتقاليد المصرية".

وأخيراً كنت أجلس مع صديقي الأستاذ توفيق الحكيم فقص عليّ أن مستشرقاً فرنسياً أراد أن يترجم كتابه "يوميات نائب في الأرياف" فوقف عند ترجمة كلمة "كوز ذرة" وتساءل: ما معنى كلمة "كوز" هنا ثم ترجمها بكلمة "كوب من الذرة" وبذلك انحرف عن المعنى الأصلي، فلفت ذلك نظري إلى أن هؤلاء المستشرقين وأمثالهم في حاجة إلى شرح التعابير الشعبية، فأخذت أجمع هذه التعابير وأشرحها ولكني وجدتها كثيرة جداً تحتاج إلى سنين في جمعها فاكتفيت منها بعرض نماذج وتركت لمن يأتي بعدي حصرها والبحث في إرجاعها إلى أصلها الذي أخذت منه، ثم رتبته على حروف المعجم واضطرت من أجل جمعها إلى مطالعة في كتب كثيرة شعبية. هذا إلى ما وعته الذاكرة.

وفي الحق أني أعتقد أن المؤرخين قد قصرُوا فأهملوا الجوانب الشعبية عند كتابتهم التاريخ اعتزازاً بأرستقراطيتهم مع أن الأدب الشعبي - في نواح كثيرة - لا يقل شأناً عن اللغة الفصحى وأدبها، سواء من حيث فنها أو من حيث دلالتها على

حالة الشعوب.

ولم أستقص العادات والتقاليد المصرية فى جميع عصورها لأن هذا عمل شاق طويل بل اكتفيت بها فى العصر الحديث الذى عاصرته أو سبقتى بقليل.

وقد أقدمت عليه وأنا وجل لأنه موضوع جديد أظن أنى لم أسبق إليه، والجديد عادة غريب، وأنا أعتقد أنه فتح باب يكمله من يأتى بعدى. وقد دعانى إلى تأليفه ما رأيت من عادات وتقاليد وتعابير كانت حية فى زمنها ثم أخذت تندثر حتى إن أولادى قل أن يعرفوا منها شيئاً، فالمؤرخ فى حاجة شديدة إلى تدوينها والانتفاع بها.

نعم قد يؤخذ علىّ أن فى نشر هذه الأشياء تشهيراً بالمصريين وخطأ من شأنهم، لأن أكثرها خرافات وأوهام، وانتشار الثقافة بين المصريين وخصوصاً النساء أزال كثيراً منها ولكن عذرى فى ذلك أنه تسجيل لما كان وحمد الله على أخذها فى الزوال. والحق أحق أن يقال من غير اعتبار للوم لائم أو اتهام متهم، فإذا رأى راء أن فى هذا عيباً وتشهيراً، رأيت أن فى هذا لمفخرة للمصريين إذا نظرنا إلى أين كانوا، وإلى أين صاروا، وكيف قطعوا خطوات واسعة فى عهد قريب فى التقدم.

فهذا الكتاب يمثل مرحلة زالت أو هى على وشك الزوال، كما يمثل أمة طفرت إلى استعمال العقل بعد الإغراق فى الخيالات والأوهام. وقد كتبنا فى التعبيرات الهمزة قافاً، لأن اللغة الشعبية لا تنطق بها قافاً مطلقاً، وإنما تنطق بها همزة، لأن القاف أسهل فى الكتابة من الهمزة، وأدل على الأصل. فنحن إذا كتبنا قال آل، كنت نائية على النظر، مستكرهة على السمع. ولم أمعن فى كتابة العادات القديمة، أى ما كان عند قدماء المصريين، وأو عند المصريين فى العصور الوسطى، لأن الموضوع الأول أليق أن يكتب فيه علماء الآثار القديمة، والموضع الثانى أليق أن يكتب فيه المتخصصون فى تاريخ مصر فى ذلك العصر، وإنما اكتفيت بذكر العادات والتقاليد التى كانت فى زمنى أو قبل زمنى بعهد قليل.

وفكرة الكتاب فى حاجة إلى أن تدرس من نواح كثيرة: (1) من ناحية هذه العادات والتقاليد وأى منها كان موروثاً من عهد قدماء المصريين، وأى منها مستحدث. وهذا المستحدث، ما الأحوال الاجتماعية التى سببته؟ (2) دلالة هذه العادات والتقاليد على الطور الاجتماعى الذى كانت تعيش فيه البلاد، والتى انتقلت منه وسبب الانتقال. (3) هو فى حاجة إلى استكمال الناقص، وزيادة الشرح. (4)

من ناحية التعابير فهي في حاجة إلى أن تدرس دراسة لغوية لمعرفة أصولها: هل هي من أصل تركي مثلاً، أو إيطالي، أو فرنسي، أو عربي محرف. وهي أيضاً في حاجة إلى استكمال الناقص منها، فإنني رأيت الذين عُنوا باللغة الشعبية جمعوا مفردات لا تراكيب وأساليب، مع أن الناحيتين يكمل بعضهما بعضاً، فلما رأيتهم جمعوا الكلمات، عنيت بجمع التعابير والأساليب، ولم أستقص كل هذه التعابير والأساليب فهناك أضعاف لها في ثنايا الكلام الشعبي، اكتفيت بذكر نموذج منها. فهو يحتاج إلى من يكمله.

هذا إلى ما فاتني من العادات والتقاليد. وقد عودتنا الطبيعة أن الشيء يبدأ ناقصاً فإذا قُد له البقاء كمل على الزمان. وليس يعلم إلا الله ما لقيت من عناء في جمعه وترتيبه، فقد شغل به ذهني طويلاً. وأحياناً كنت أفكر فيه وأنا نائم، فتأتيني فكرة عادة من العادات أو تعبير من التعابير، فأستيقظ وأوقد المصباح وأكتب في مذكراتي ما تذكرت حتى لا أنساه في الصباح.

وقد ينظر إليه بعض الأرسقراطيين من العلماء نظراً شزرراً، ويعجبون كيف أن أستاذاً جامعياً ينتزل إلى قيد عادات وتعابير شعبية، يعني بها العوام، ولكن عذري أني أرى أن هذه ناحية تهمة المؤرخ الصادق كما يهمله أدق شئ وأصغره وأنى أعتقد أن في العادات والتقاليد دلالة على نوع الأخلاق ونوع العقلية للشعوب، وأن في التعابير الشعبية من أنواع البلاغة ما لا يقل شأناً عن بلاغة اللغة الفصحى، وأن هناك من أمثلة المصريين وتعبيراتهم وزجلهم ما يُعجب به عالم البلاغة، كما يُعجب بامرئ القيس وزهير. وشاء القدر أن أعني بالناحيتين في آن واحد، فقد كنت أحضر الجزء الثاني من ظهر الإسلام فأغرق في تاريخ الطبري وفلسفة إخوان الصفاء وابن سينا، وأخرج من ذلك، في كل خيراً ومنفعة. والله المسئول أن ينفع به كما نفع بإخوانه من قبل، فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقى إلا بالله.

أحمد أمين

القاهرة في 1953/1/10

نعم لفظ الجلالة "الله".

أهين: هي تثنية آه. فإذا زاد الوجد على العاشق، فبدل أن يقول آه يقول أهين. وأحياناً يجمعونها على آهات.

آه يا وعدى: تعبير يعنى ما أكثر ما ألقاه منك.

أبات أعلم فى المتبلم، يصبح ناسى: تعبير يقال للشخص الذى ينسى ما يذكر له، ولا يتعلم مما يجرى أمامه. والمتبلم تطلق على الأبله والساهى، وخصوصاً من يتعاطى المنزول.

أبات مهنى والحس مسنى: يقولون: إن فأراً فى الصحراء كان مع فقره حرأ، فأضافه فأر القرية، فلما أمسك ندم على ما فعل، وقال: إنه كان خيراً أن أبيت فقيراً متهنى، ولو اقتصررت على لحس مسنى.

أب له: إذا رئى ولد يفعل فعلاً جيداً أو رديئاً، وقد ورثه عن أبيه إذ كان معروفاً به: قالوا أب له. وقريب منه قولهم: هو ابن مين؟؟

إلى شمر: تعبير يقال لمن يغضب من أى كلمة ولو تافهة، فيقولون: يغضب من إلى شمر.

أدى آخرتها: تعبير يقال للنتيجة تعقب العمل السيئ.

أدى زمان البدنجان⁽¹⁾: يعتقدون أنه فى زمان البدنجان يكثر الجنون.

أدى الزير وأدى غطاه: تعبير يعنى أنهما متناسبان. أى إن البرهان حاضر، فإذا قلت إن الغطاء ليس على قدر الزير، أو الزير ليس على قدر الغطاء، فهذا هو الزير وهذا هو غطاه، يحكمان بيننا.

أدى اللى صار وأدى اللى كان: تعبير يعنى هذا ما حدث.

آه: تعبير يستعمل فى اللغة العربية استعمالات كثيرة، قصيرة وممتدة، فيقولها من يسمع المغنى استحساناً له، وهى بالمد. ويقولها المريض وهو يتأوه، ويمدها على حسب مرضه. ويقولها بالخطب من أى رأى منظرأ غريباً، خصوصاً إذا كان مرعباً، وتقال أيضاً بالمد بمعنى نعم. ومثلها فى هذه الاستعمالات ما عدا معنى

الإبرة: هي الأداة المعروفة. وقد أصبحت محوراً يدور عليها كثير من الاعتقادات المصرية، والأدب المصرى الشعبى - وقد أخذت هذه الاعتقادات تندثر تبعاً لرقى الأمة واستنارتها.

كان عامة المصريين يحرمون بيع الإبر بعد العصر. وكان على باب حارتنا "عطار" لو بذلت له عشرة قروش ثمن إبره بعد العصر لا يرضى أن يبيعها. وأساس ذلك عندهم خرافة شائعة، وهي أن الملائكة الموكلة بقسمة الأرزاق تنزل بعد العصر، فنقسم الأرزاق حسب الحالة التى يرون عليها الإنسان. فإذا كان فى سعة من العيش زادته سعة، وإن كان فى ضيق أعطته على قدره. وهم يعتقدون أن حرفة الخياطة من أبأس الحرف وأفقرها، فهم يكرهون أن تراهم الملائكة على هذا البؤس فترزقهم على قدر بؤسهم، فحرموا من أجل ذلك الخياطة وبيع الإبر بعد العصر.

وعند بعضهم اعتقاد بأن الخياطة بالليل تؤذى الأموات، فهم يكرهون أن يخطوا شيئاً بالليل. وفى بعض القرى يتشدد النساء فى ذلك فلا يعرن إبره لأى سبب بعد العصر، فإذا دعت الضرورة إلى ذلك وضعتها المعيرة فوق رغيغف من الخبز وأعطته لطالبة الإبرة فتأخذ الرغيغف وعليه الإبرة، ولكن لا تلمسها بيدها مباشرة.

وعندهم نوع من الإبر يسمى "الإبرة الغشيمة" وهي الإبرة التى لا عين لها. وهي فى الأصل إبره أخطأت الآلات التى

تصنعها فمرت عليها من غير أن تتقبحها، فلما كثر الطلب عليها كان تجار الإبر يستوردونها بتوصية منهم عليها. وكان السبب فى الإقبال عليها اعتقاد العجائز أنها تبطل عمل السحر، فهن يأخذنها ويلفننها فى خرقة ويضعنها فى حجاب من جلد فتمنع العين والسحر.

وقد دخلت الإبرة فى الأدب المصرى الشعبى كما دخلت فى الأدب العربى. فهي فى الأدب المصرى سبة للمرأة، فإذا رأت امرأة امرأة أخرى نحيفة جداً، وكانت جلدأ على عظم، عبرتها بأنها "إبرة". وكانت هذه سبة فظيعة يوم كان المثل الأعلى للجمال هو السمن، وكان الخاطب يوصى الخاطبة بأن تكون المخطوبة "بيضاء سمينه غنية وشعرها أصفر". فأما الآن فقد تغير هذا الذوق، وتغلب حب الرشاقة على حب السمن؛ ولذلك فقدت هذه السبة كثيراً من قيمتها.

ومن الأمثال العامية فى الإبرة "يفتى على الإبرة ويبلغ المِدرَة"، ومعنى يفتى على الإبرة أنه يفتى بتحريم الإبرة على غيره، ومعنى "المدرَة" المذاره وهي التى يذرى بها الحب. وهو مثل يضرب لمن يحرم على الناس صغار الأمور وهو مع ذلك فى نفسه يرتكب كبائرهما، فهو لغيره يحاسب على الإبرة وهو فى نفسه يبلع المدرَة.

ومن أمثالهم أيضاً "الإبرة اللى فيها خيطين ما تخيطش". وهو مثل يضرب

لتعدد الرؤساء والخوف من فساد العمل
بكثرة الأوامر المتناقضة، فهو أشبه بالمثل
الأخر: "المركب اللى فيها ريسين تغرق".

ومما يتصل بأمثال الإبر أنهم إذا عابوا
خياطة خانطة قالوا: "بين الغرزة والغرزة
ترقد المعزة". يعنون بذلك أن غرز الخياطة
ليست منسجمة ولا دقيقة، فبين كل غرزة
وأخرى فضاء كثير يتسع لرقاد العنزة.

ومن أمثالهم أيضاً "التركى يحفر البير
بإبرة". وهو يدل على عقيدتهم فى التركى
بأنه صبور على نيل غرضه يصل إليه فى
دؤوب وصبر. ولو لم يجد وسائله متوافرة
استطاع أن يتخذ أى وسيلة مهما صغرت
وكمثل نقصها بصبره والثبات على قصده.

وفى القرآن الكريم: "ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل فى سم الخياط". وسم
الخياط هو ثقب الإبرة - أى لا يدخلون
الجنة حتى يدخل الجمل فى خرق الإبرة،
فهذا مستحيل وذاك مستحيل، وهذا تعبير
جميل عن الاستحالة.

ومن التعبيرات اللطيفة فى ذلك قول
الشاعر:

فلو أن ما بى من جوى وصبابة

على جمل لم يدخل النار كافر
أى لو أن ما به من وجد وهيام وضنى
وصبابة نزل بالجمل لهزله وجعله كالفتلة
تدخل فى الإبرة، وإذا دخل الجمل فى الإبرة
دخل الكافر الجنة.

والعرب جمعت الإبرة على إبر، وأحياناً
تجمعها على إبار ككتاب؛ ومن ذلك قول

القطامى:

وقول المرء ينفذ بعد حين

أماكن لا تجاوزها الإبار
وهو معنى ظريف، أى أن القول قد يصل
فى الحز والذع ونحوهما إلى حيث لا تنفذ
الإبر.

وشاع فى الأيام الحديثة التعبير بقولهم:
"سياسة وخز الإبر" ويعنون بذلك سياسة
العداء فى الخفاء تخر وخزاً من غير أن
تسيل دماً.

أبريق: الأبريق إناء من الأوانى التى
يستعملها المصريون، وله صنوبر يصب
منه الماء، ويد يمسك منها، وهو يستعمل
من الصُفر أو النحاس الأحمر. وفى
العصور الحديثة استعمل من الصاج،
واستغنى عن الصنوبر بشفة يصب منها
الماء، وإذا ذكر الأبريق ذكر الطشت. وكان
مثيراً ما يستعمل لتنظيف اليدين قبل الأكل
وبعده. فكان من يريد الأكل يصب على يديه
الخادم من الأبريق فى الطشت، فإذا فرغ
منه غسل يده أيضاً لتنظيفها.

وكان من الأشياء التى تلاحظ دائماً فى
جهاز العروس شراء الطشت والأبريق.
فلما غزتنا المدنية الحديثة استغنيا غالباً
بالحنفيات عن الطشت والأباريق إلا فى
القليل النادر.

أبزيم أو أبزين: هو فى لسان العامة اسم
لآلة من نحاس أو حديد مستطيلة، وفى
وسطها لسان رفيع، تستعمل فى السروج،

المصرية، فهم يقولون محمد بن علي وحسن بن فاطمة. وكذلك ينسبون الابن إلى شئ له به اتصال وإن لم يكن الثاني ابناً للأول. ولهم في هذا الباب ألفاظ كثيرة متعددة النواحي فيقولون مثلاً:

ابن فن لمن مهر في صناعة ما.

ابن روحه لمن كان عصامياً ربي نفسه.

ابن فتلة للمحتال النصاب.

ابن سبعة أى سبعة أشهر، أى أنه مكث في بطن أمه سبعة أشهر فقط بدل تسعة. يعتقدون أن من كان كذلك كان ضيق الخلق غضوباً، فهم يطلقون هذه الكنية على كل من كان سريع الغضب.

ابن سوق للبياع المتجول.

ابن غرام لمن سار على هواه ودار على حل شعره (كما يقولون).

ابن الليالي وهو يطلق على من كان من طائفة تحفظ القصائد الغزلية الصوفية، كقصائد ابن الفارض ينشدونها عند إقامة الأذكار.

ابن كلمة وهو يطلق بمعنيين، فأولاً يطلق على من كان سريع التصديق لكل ما يقال له - وثانياً - لمن كان سريع التأثر بما يقال فكلمة ترضيه وكلمة تغضبه.

ابن الحاكم وهي كلمة كانت تطلق في الزمن الماضي القريب في الأرياف على العسكري والقواس والحاجب الخفير والصيارفة في القرى. يعنون بذلك أنهم مكلفون من قبل الحكومة بأعمالهم، فيجب أن تحترم أوامرهم، ولا يلامون إذا

أو براذع الحمير. وفي كتاب الألفاظ الفارسية المعربة "الأبزيم جمعه أبازيم، معرب أبزين" وقد استعمل في العصر الحاضر استعمالات كثيرة، فوضعه لحزام الجلد، وفي البنطلونات، وعلى وجه أحذية النساء. وكانت امرأة في قرية من قرى الشرقية تخرن إبزيماً من هذا النوع وتزعم أنه يمنع النزيف من الحبل وتغيره لكل من أرادته لهذا الغرض من المستعيرات. والنساء المستعيرات له يعتقدن أن لولاه لاستمر النزيف وسقط الحمل. وكانت لا تغيره إلا لمن رهنه عندها حلياً يساوى عشرة دنائير على الأقل وبعد الحلف على المصحف بأنها ترده. فلما كثرت الأبازيم بطل سحرها.

أبلس: أبلس بمعنى تشيطان، يقول بلاش أبلسة أى لا تشيطان، وهو مأخوذ من إبليس، كما أن تشيطان مأخوذة من شيطان، وتمرد من مارد. وبعض الناس يستعمل بدل أبلس تأبلس.

ابن: أصل كلمة "ابن" للولد المذكر، فيقال ابن فلان وابن فلانة نسبة إلى أبيه وأمه. ولكن العرب أضافت الابن إلى شئ ليست العلاقة بينهما أبوة أو أمومة، فسمت اللص ابن الطريق أو ابن الغبراء؛ وذلك لن اللص يتصل بالطريق اتصال الابن بأبيه، وسمت الليل "ابن الكروان" وهكذا.

ونجد هذين الاستعمالين بعينهما في اللغة

وهو الآن على رأى وبعد ساعة على رأى آخر وهكذا.

ابن كَيْف يستعملونه للدلالة على من أصيب بكيف من الكيوف، ولكن لا يستعملونه فى الكيوف السهلة المألوفة كالشاي والقهوة والدخان؛ وإنما يستعملونه فى الكيوف الحادة كمن اعتاد الأفيون أو الحشيش وأخيراً "الكوكايين". وقد يطلقون على "الحشاش" وحده "ابن شداد" وسبب ذلك أنه يستعمل "الحشيش" فى "الجوزة" ثم يشد منها أنفاسه فهو ابن شداد من أجل ذلك.

ابن ناس للرجل الكريم الأصل ومثله "ابن الأصول" و"ابن السيادة" و"ابن بيت". وفى عكس ذلك يقولون **ابن اللى هو** ابنه يريدون بذلك أنه غير معروف النسب، فهو كقول العرب "زياد ابن أبيه".

ابن الضرة يقال للمكروه والممقوت لأن الضرة تكره ضررتها أشد الكراهية وتكره كل من ينتسب إليها، وخصوصاً ابنها لأنه يشارك أبناءها فى مال زوجها وعطفه وعنايته.

وهنا شتائم كثيرة بدئت بالابن. وقد كان حظ كلمة "الابن" فى السباب والشتائم أكثر من حظ غيرها. وكثرة السباب بالآباء والأمهات دليل على أن المصريين كانوا يعنون بقيمة الأب والأم عناية قد تفوق عنايتهم بتقويمهم للشخص فى نفسه أو بعبارة أخرى بقيمته الذاتية.

واستعملت كلمة "الابن" أيضاً كثيراً فى

استعملوا شيئاً من القسوة والعنف فى أثناء تأدية وظائفهم.

ابن الزمن وهى أيضاً تستعمل استعمالين: أحدهما أن تطلق على الخبير المجرب الذى رباه الزمان وأفاده حُكمة وخبرة. والثانى أن تطلق على الرجل ذى المروءة الذى يدخر عند الحاجة وعند حلول كوارث الزمان.

ابن درزى وتطلق على اللئيم الميال إلى الإضرار بالناس، وهى نسبة إلى الدرور تلك الطائفة التى تبعت الحاكم بأمر الله ولهم عقائد خاصة بهم - وعامة المصريين يعتقدون فيهم سوء العقيدة، ولذلك يتخذونهم علماً للسباب.

ابن مرّة وهى سبة عندهم يطلقونها على من لم تنجح تربيته وخرج فاسداً لا يصلح لشيء. وسبب هذه العقيدة أنهم كانوا يرون المرأة بطبعها رحيمة ضعيفة لا تقسو على ابنها ولا تعرف ما ينفع الولد وما يضره، وإذا عرفت وجه النفع والضرر منعتها الرحمة من تنفيذه بالشدة. إنما الذى يشتد ويقسو هو الرجل، فإذا لم يكن للولد أب أو عم أو أخ يربيه ويقسو عليه لا ينجح الولد. وقد دلتهم على ذلك التجارب فى زمنهم. ولست أدرى ما رأيهم فى المرأة الجديدة المتعلمة إذا وكل إليها أمر تربية الولد، فإنى لم أجد المثل تغير مع أن الأحوال كلها تغيرت.

ابن ساعته يطلقونه على من لا يستمر على حال، فهو الآن صديق وغداً عدو،

الأمثال، فقالوا "ابن الوز عوام" و"ابن العنزة يعلم أمه الرعية" و"ابنك حته من كبدك" و"ابن الحرام يطلع يا قواس يا مكاس" و"ابنه على كتفه وهو داير يدور عليه" ونحو ذلك مما لا يحصى.

مستوفية لشروط كثيرة، فيجب أن يكون نسيجها خفيفاً لطيفاً، أن يكون لون الجبة زاهياً كالأزرق الفيروزي أو الأخضر الفستقي أو الأحمر القرمزي، وأن يكون لون الجبة منسجماً تمام الانسجام مع لون القفطان وأن يكون لون الحزام منسجماً معهما.

ويجب أن يكون طربوش العمامة خفيف الوزن، وأن تكون العمامة قليلة وأن يكون شال العمامة مفتلاً، وأن تظهر هذه الفتل من الأمام على شكل دبائيس. ويجب أن يكون "المركوب" أحمر خفيف الجلد رقيق النعل صغير الوجه، ويلبس في يده خاتماً رفيعاً من الذهب فصه فيروز أو ياقوت أو زمرد، وأن يكون وجهه حليفاً كأنما خرج من عند الحلاق لساعته، وأن يكون مقصوص الأظفار دائماً.

ويجب أن يعنى العناية التامة بكل شئ في هندامه، فالجبة والقفطان مهندستان هندسة تامة لا يشذ أحدهما عن الآخر في شئ مهما قل، والعمامة موضوعة على الرأس بأناقة والمركوب في الرجل منسجم.

وهو في كل ذلك نظيف أنيق يتحرج من أى شئ يعلق بثيابه أو بأطرافه. وأكثر ما شاهدتهم من هذا القبيل كانا ضعاف البنية نحيلي الجسم عليهم آثار المرض، وذلك لسببين: (1) أن رقة عواطفهم ناشئة غالباً من ضعف مزاجهم. (2) أن نوع معيشتهم لا يبعث على حركة ولا نشاط، فيستلزم ذلك ضعفاً في صحتهم. يضاف إلى ذلك أن

ابن أرملة: هو كابن مرّة الذى تقدم. يكون به عن الشاب أو الرجل الذى لم يربيه رجل كأبيه، وإنما ربه امرأة كأمه.

ومن غريب العوائد أن المرأة فى واحة سيوة إذا مات عنها زوجها حبسوها فى غرفة مظلمة لا يراها أحد إلا خادمة تقدم لها الطعام وما تحتاج إليه حتى تنقضى عدتها. وهم يزعمون أن عيناً شريرة تلبسها فى أثناء تلك المدة فلا تنظر إلى أحد إلا أضرت به وأول ذلك ابنها الذى تربيته.

وأول شخص تراه عند خروجها من سجنها لا ينجو من الموت. ولذلك يرسلون المرأة إلى عين ماء آخر المدة تغتسل فيها، وفى أثناء اغتسالها ينادى مناد فى الأسواق يحذر الناس من الوقوف فى طريقها.

ابن البلد: نالت هذه الكلمة شهرة كبيرة بين الناس، وكان لها مدلول يختلف باختلاف العصور. وقد أدركتها منذ خمسين عاماً تطلق على الرجل الذى يجمع صفات مختلفة فى ملبسه وحديثه وهيئته وطريق سلوكه.

فهو يلبس جبة وقفطاناً وعمامة ويعنى بها كل العناية. ولا بد أن تكون هذه الملابس

الجالسون أو المتحدثون وفى نفوسهم الإعجاب "بابن البلد".

وقد يسمى "ابن البلد" أيضاً "الذوق" فيقولون فلان ذوق، وهو اختصار لذى ذوق وأحياناً يسمونه ابن ذوق. والفرق بين "ابن الذوق" و"ابن البلد" أن الأول يراعى فيه حسن التصرف أكثر مما يراعى حسن الشكل وما إلى ذلك، أما ابن البلد فيراعى فيه الأمران جميعاً.

وقد عرفَ المرحوم قاسم أمين الذوق السليم بأنه الشعاع اللطيف الذى يهدى صاحبه إلى أن يقول ويفعل ما يناسب المقام ويجتنب ما لا يناسبه. وعامة المصريين يعتقدون أن القاهرة أحسن البلاد ذوقاً، فكما أنها "أم الدنيا" فكذلك هي "أم الذوق".

ومن أقوالهم المأثورة "الذوق لم يخرج من مصر" ومصر فى قولهم هذا يعنون بها القاهرة لا القطر المصرى بأجمعه. ويروون فى هذا قصة طريفة وهى أن رجلاً كان اسمه "حسن الذوق" كان فى منتهى الظرف والكياسة واللباقة رقيق الحس والشعور فغاضبه قوم من المصريين فعزم على الرحلة من مصر، فلما وصل إلى "باب الفتوح" وهو أحد أبواب القاهرة مات هناك. وما يزال قبره فى هذا المكان إلى الآن، ويعرف ضريحه "بسيدي الذوق"، ومن أجل هذا قالوا إن الذوق لم يخرج من مصر. وكلمة الذوق فى هذا المثل تدل على المعنيين معاً، فالمراد بها مرة الشعور الرقيق ومرة سيدي حسن

كثيراً منهم كانوا يستعملون المعاجين و"حُق" العنبر ذلك من المكيفات وفى هذا كله إتلاف للصحة.

وأما فى سلوكه فهو خافض الصوت؛ إذا تكلم فى أناة ورقة وإذا ضحك فعلى قانون وإذا مشى فى تودة حتى لا تختل هندسة ملابسه، وإذا رأى أمامه أرضاً مرشوشة عمل لها ألف حساب كيف يتخطاها من غير أن ينال "مركوبه" أدى ومن غير أن ينال أذباله مكروه، وإذا أكل فالأناقة التامة من تصغير اللقمة والدقة فى نظافة أصابعه والمراعاة الدقيقة حتى لا ينال ثوبه شئ مما يأكل ونحو ذلك.

ولابن البلد اصطلاحات فى كلامه ولوازم يكثر من استعمالها، فهو بين كل كلمة وكلمة يقول: "بلا مؤاخذه" و"بلا قافية" و"يكرم من سمع" و"عن إذنك" و"اسمح لى" و"الأبعد" و"يا سيد" و"أعزك الله" و"أكرمك الله" ونحو ذلك من الكلمات الشائعة بينهم، الدائرة على ألسنتهم. وابن البلد - فى العادة - يكثر من التنكيت، ويستعمل فى حديثه الكناية والتورية ويعرف مناحى الكلام، ويستطيع أن يرد على النكتة بمثلها أو بأحسن منها ويجتهد أن يرضى محدثة كل الرضا، فلا يجرح إحساسه ولا يחדش عواطفه ولا يسمعه كلمة قاسية، وإذا رأى الحق يؤلم فلا بأس من الكذب، ويتحرى أن يجعل آخر الحديث نكتة ختامية تثير الضحك وتبعث الرضا فيمتلئ المكان بالسرور، ويتفرق

الذوق. والله أعلم.

أنا أنسى أنى نسيت فلا يخش

سميرى إذاعة الأسرار
وكان له نكت يتداولها المصريون
ويتضحكون منها شعراً ونثراً. من ذلك
قوله:

فسر لى عابراً مناماً
أحسن فى قوله وأجمل
وقال لا بد من طلوع

فكان ذلك الطلوع دمل
والمصريون يسمون الدمى والخراج
طلوعاً.

وربما عدته أول روائى مصرى، فقد
كان يؤلف الروايات تمثل فى خيال الظل
وبقى بعضها إلى اليوم.

ابن رابية أو أولاد رابية: كانوا أسرة
معروفة فى القاهرة. وكانوا يدعون فى
الأفراح. وتكون من لياليها ليلة يقال لها ليلة
أولاد رابية. وكان عملهم إرهاباً للثياترو
والتمثيل. فكانوا فى ليلة يمثلون رواية من
الروايات، ولكن مع الأسف كان تمثيلهم
مبتذلاً. فهم ينطقون بأفبح الألفاظ ويأتون
بأفحش الأعمال. ويشتمن من منظرهم
وكلامهم ذو الذوق السليم. وقد انقرض
هؤلاء وحل محلهم السينما والتمثيل. ومثلهم
فى ذلك أحمد الفار المشهور، فكان أيضاً
يأتى بأعمالهم.

ابن الكباية: الكباية الكوب التى تشرب فيها
الخمرة. وكثيراً ما يقال للتفاخر فيقول

ابن حظ: يقال للرجل الذى يطلب حظه
وشهوته من سكر ونساء ونحو ذلك. ويظهر
أن "ابن" هنا بمعنى ذو، ومثله "ابن ناس"
ويطلق على النسب الحسيب. ومثله أيضاً
"ابن حرام وابن حلال" فيقال للرجل الطيب
ابن حلال، وللخبث الماكر ابن حرام.

ابن دانيال(2): وإنما اخترناه من الأعلام
لأن له شخصية مصرية واضحة كالبهاء
زهير.

كان يفتح دكاناً داخل باب الفتوح، يكحل
فيه عيون الناس، ويدر ذلك عليه مالا قليلاً،
شكى كثيراً من قلته وبؤسه.
وفى ذلك يقول:

يا سائلى عن حرفتى فى الورى
وصنعتى فيهم وإفلاسى
ما حال من درهم إنفاقه
يأخذه من أعين الناس
ويظهر أنه كان يتعاطى المنزول، فله
قصيدة رفعها إلى القاضى يشكو زوجته:

بك أشكو زوجة صيرتنى
غائباً بين سائر الحضار
غيبتنى عنى بما أطمعتنى
فأنا الدهر مفكر فى انتظارى
غبت حتى لو أنهم صفعونى
قلت كفوا بالله عن صفع جارى

دار رأسى عن باب دارى فبالله
أخبرونى يا سادتى أين دارى

وقد اشتهر المصريون من قديم بالميل إلى الضحك وحب الهزل. فقد نقل المقریزی عن أبي الصلت "أن أخلاق المصريين يغلب عليها الانهماك في الملذات والاشتغال بالترهات. وفي أخلاقهم من الملق والبشاشة ما أربوا فيه على من تقدم ومن تأخر". ولا نريد أن نناقشه في قوله، فكل ما نريده هنا أنه يصف المصريين بالبشاشة وقد أداهم حب البشاشة هذا إلى حب النكتة.

وقد يتصل بهذا قول ابن خلدون، فإنه لما رأى المصريين قال: "أهل مصر كأنهم فرغوا من الحساب". يريد بذلك أنهم لا يطيلون النظر في العواقب. وتبعه في ذلك تلميذه المقریزی فقال: "من أخلاق أهل مصر الإعراض عن النظر في العواقب فلا تجدهم يدخرون عندهم زاداً كما هي عادة غيرهم من سكان البلاد، بل يتناولون أغذية كل يوم من الأسواق بكرة وعشياً". وعدم الإمعان في حساب العواقب يستتبع الفرح والمرح، لأن الإنسان إذا لم يفكر في العواقب لم يحمل همّاً فيكون مجال النكت عنده فسيحاً.

ومن غريب ما نلاحظه في هذا الباب أن أشد الناس بؤساً وأسوأهم عيشة وأقلهم مالاً وأخلاقهم يداً أكثر الناس نكتة. ففي القهاوى البلدية حيث يجلس الصناع والعمال ومن لا صنعة لهم ولا عمل. وفي المجتمعات الشعبية حيث يجتمع البؤساء والفقراء نجد النكتة بينهم تحلاً محلاً ممتازاً. ونجد ابن

الرجل أنا ابن كباية. وكثيراً ما يُدلون به على شدة الصداقة فيقولون نحنن أولاد كباية. أما ابن الحشيش والمعجون ونحو ذلك فيقال ابن كيف، وهو لذلك يتظاهر بالرقّة واللفظ.

وسواء ابن كيف أو ابن الكباية فهما يكرهان أن يجلس معهما أحد على غير كيفهم، ولذلك يتنادر أهل المجلس سواء في السكر أو في الحشيش على من لم يجارهم. فمثلاً يقولون لبعضهم تنكيتاً على من لم يفعل فعلهم، وفي أثناء الكلام ينظرون إليه "شال الحمام، حظ الحمام" تعريضاً له بالخروج. ويقولون "قالوا للجندى عزل رمى قاووقه" أو "دهده يا سيدي هي لازقة بغرا" أو "دستور يا سيادي".

ابن نكتة: أصل النكتة في اللغة العربية النقطة من بياض في سواد أو من سواد في بياض تقول هو كالنقطة البيضاء في الثوب الأسود. ثم استعملت على طريق المجاز فيما جاء في وسط الكلام من عبارة منقحة أو جملة طريفة صدرت عن دقة نظر ولمعان فكر، أو مسألة لطيفة تؤثر في النفس انبساطاً. يقولون جاء بنكتة في كلامه، وقد نكت في قوله، ورجل منكت، ونكات بهذا المعنى، ثم استعملت في النوادر الطريفة تستثير الضحك وتبعث السرور. وفي هذا المعنى الأخير يستعملها المصريون فيقولون للرجل الذي يأتي بالنوادر المضحكة "ابن نكتة".

فاكتفيت بالمقامة يسيرة فيما يتعلق بهذا الباب في العصر الحديث.

ولعل أجدرهم بالذكر مؤلف كتاب "هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف" وهو الشيخ يوسف بن محمد بن الجواد الشربيني. ومن الأسف أنى لم أعثر على ترجمة لهذا الرجل، ولكنى عثرت في أثناء الكتاب على أن المؤلف حج سنة 1107 هـ وأنه كان واعظاً فهو من علماء القرن الحادى عشر الهجرى.

ولهذا الكتاب الذى يستهزئ به الناس قيمة كبرى، فيه وصف اجتماعى دقيق لحالة الفلاحين فى عصره وبؤسهم وظلم الحكام لهم وأنواع عاداتهم فى المأكل والمشرب والزواج وغير ذلك - وفيه تدوين للغة الفلاحين كما ينطقونها وأغانيتهم - وفيه حكايات ظريفة مما سمعها أو شهدها لولا أنه لا يعفّ عن ألفاظ الفحش. ويخيل إلى أن المؤلف رأس المدرسة التى عنيت بالتنكيت عن طريق اللعب بالنحو والخروج من باب إلى باب من غير مناسبة والمفارقات ونحو ذلك⁽³⁾.

وقد اتبعت هذه الطريقة فيما بعد على لسان الشيخ حسن الآلاتى، وقد كان فكهاً لطيفاً، وكان يجتمع مع بعض أصحابه فى البيوت يتسامرون ويتنادرون ويتكلمون فى الجد والهزل. ثم تسامع بهم الأصحاب فكثروا وضاقت عليهم البيوت فاتخذوا قهوة لطيفة فى حى الخليفة بالقرب من السيدة سكينة وسموها "المضحكخانة الكبرى".

النكتة محبوباً مقدراً، يفتقد إذا غاب، ويبجل إذا حضر، كأن الطبيعة التى تداوى نفسها بنفسها رأت البؤس داء فعالجته بالنكتة دواء.

على كل حال شهر المصريون بالنكتة يعجبون بها ويتفننون فيها وتتناقل بينهم فى المجالس، وفيهم من يتحرى أخبار "آخر نكتة" كما يتحرى أخبار آخر ساعة وآخر سعر للقطن فى "البورصة". وقد شهرت القاهرة بذلك أكثر من غيرها من المدن والقرى، لأن "النكتة" تابعة للذوق، فإذا رقى الذوق رقيت النكتة.

ومما يؤسف له أن الأدباء والمؤلفين لم يعنوا بتدوين "النكت" عنايتهم بتدوين الأشعار والمقالات ترفعاً منهم عن ذلك واستصغاراً لشأن النكت وتحقيراً لها. وليسوا فى ذلك منصفين، وأقرب مثال لذلك النكت البديعة التى كانت للمرحومين عبده البابلى وحافظ إبراهيم وغيرهما، فإنها تموت تدريجياً بمرور الزمان لأنها لم تدون، مع أن بعض نكت حافظ قد تفوق بعض قصائده وتدل على حضور البديهة وحسن الذوق أكثر مما يدل عليها الشعر. فحبذا لو التفت الأدباء إلى قيمة النكتة وعنوا بها عنايتهم بالأدب "الكلاسيكى".

ولكن بحمد الله لم نعدم فى المصريين من عنوا بهذا الباب ودونوا فيه. وقد أردت أن أتتبع التأليف فى هذا الباب ومشاهير المضحكين فى مصر من عهد الفتح الإسلامى؛ ولكنى وجدت ذلك يطول،

"التنكييت والتبكييت" كما أنشأ مجلة أخرى اسمها "الأستاذ" وفي كلتا المجلتين كان يمزج الجد بالهزل والكلام السياسى وينقد الحياة الاجتماعية فى شكل فكاهى جذاب. وتتابع هذا الباب فأنشئت جريدة "حمار منيتى" وغيرها من المجلات إلى أن كان فى أيامنا الكشكول ثم آخر ساعة ... إلخ. كل هذه مدرسة واحدة بعدت عن الأدب الكلاسيكى واتصلت بالأدب الشعبى وعنيت بالنكت والتعبير اللاذع وبالنقد المخفف بالفكاهة⁽⁴⁾.

والنكتة أنواع، فمنها العقلية الذى يستخرج الإعجاب لما فيه من دلالة على ذكاء، ومنها اللفظى الذى قيمته فى التلاعب باللفظ. ومن خصائص النكت العقلية أنها عالمية يمكن ترجمتها إلى اللغات الأخرى من غير أن تفقد قيمتها، أما النكت اللفظية فمحلية تفقد قيمتها بترجمتها.

كذلك تنتوع النكت، فمنها ما يستخرج الضحك القوى العميق، ومنها ما يبعث على التبسّم فقط. ومنها ما يدعو إلى الإعجاب فقط من غير تبسّم ولا ضحك. وأكثر ما يثير الضحك هو النكت التى تبني على السخرية بالغير والاستهزاء به وتحقيره، أما النكت إلى لا تشتمل على نقد لاذع ولا على سخرية حادة فتبعث على التبسّم أو الإعجاب.

والأمم تختلف اختلافاً كبيراً فى مقدار حبها للنكات وإعجابها بها. فمنهم من شهر بها ومنهم من كان حظه منها قليلاً فاتراً،

وشاع صيتها فى القاهرة، وكان يأتيها الناس من كل ناحية بل كان يأتيها بعض الأمراء فى زى الفقراء ليروا هذه الأعجوبة.

وكان يدير هذه الجلسة فى القهوة جماعة من الظرفاء رئيسهم الشيخ حسن الآلاتى المذكور. فيفتحون موضوعاً ويتنادرون عليه، وينقلون من باب إلى باب حتى يتقدم الليل. ويتخلل أحاديثهم أحياناً زجل وأحياناً قصص وأحياناً سباب... إلخ.

وقد مات الشيخ حسن الآلاتى سنة 1889م وألف من ذلك كله كتاباً دوّن فيه بعض ما كان يجرى سماه: "ترويح النفوس ومضحك العبوس" طبع فى ثلاثة أجزاء.

وأظهر ما فى هذا الكتاب من فنون المضحكات فن "المفارقات" فقد ارتقى على يد الشيخ حسن الآلاتى واستخدمه استخداماً كبيراً، فيقول مثلاً فى مطلق خطاب له "إلى السيد المهاب والضبع الوثاب الصادق الكذاب عالم العصر ومصلى الظهر وتارك العصر الجاهل بصلاة القصر، لذى بنى على ظهره مائة قصر، أعز الإخوان ذى المجد الرفيع الشأن من تهابه الخرفان، ولا تحقّره "الشجعان" الضارب بالنقرزان قاهر ابن خلكان مولانا الشيخ رمضان". والكتاب مملوء بالقصص والتنكييت، وتهزئ النحو بالإعراب الماجن والعرضحالات على طريقة الدعابة... إلخ.

وكان يعاصر حسن الآلاتى ويجرى معه فى هذا المضمار عبدالله نديم المتوفى سنة 1896، فقد أنشأ مجلة أسبوعية اسمها

مقدار ثقافة الأوساط، فالجماعة المثقفة ثقافة عالية تعجبها النكت العقلية والنكت التي تثير التبسّم لا الضحك، والنكت التي تستدعي الإعجاب لا النكت المؤسسة على الهجاء. ومن هم أقل ثقافة تعجبهم النكت المبنية على اللعب بالألفاظ ويعجبهم التصريح ويعجبهم مرارة النكتة وهكذا. ثم إن النكت ركن أساسي في كل أدب، فمن قديم أولع الأدباء بالمضحكات يحلون بها كتابتهم، ويسترضون بها قراءهم ولا نعلم أديباً خلا من هذا الضرب من القول. فمن أشهر أنواع الأدب وأكثرها ذيوغاً روايات المهازل "الكوميديا" وأساسها ومحورها النكت المضحكة والنقد اللاذع. وكان لها حظ كبير في الأدب اليوناني، وسارت على نهج الآداب الأوروبية.

والأدب العربي غنى بال نوادر والنكت. ومنذ فجر الإسلام عنى الأدباء بتدوين النكت عنايتهم بتدوين المواعظ وترجموا لأشعب المضحك كما ترجموا لجرير والفرزدق والأخطل. فلما جاء عصر التأليف كان للجاحظ وابن قتيبة فضل كبير في توجيه المؤلفين إلى الناحية المضحكة في الأدب. فالجاحظ يؤلف ما يضحك كرسالة "التربيع والتدوير" ويروى ما يضحك في ثنايا كتبه، وينبه إلى أنه إنما يفعل ذلك ليزيل عن القارئ "السأم".

وابن قتيبة في أول كتابه "عيون الأخبار" يقول إنه حلاه بال نوادر الطريفة والكلمات المضحكة ليروح القارئ من كد

فأظن أن في العالم الشرقي أشهر أمة بالنكتة الأمة المصرية، وهي في ذلك تفضل الشام والعراق والحجاز. وكذلك في العالم الأوروبي تفوق أمة في هذا الباب.

والأمة الواحدة تختلف في تقويم النكت من حيث الكمية والكيفية. وحسبنا دليلاً على ذلك الأمة المصرية نفسها، فقد كانت منذ عهد ليس ببعيد تعجبها النكت اللاذعة وكما كانت النكتة أذع كانت أبداع. والذي يرجع إلى النكت التي كانت تنتشر في "حمارة منيتي" و"الصاعقة" و"المسامير" وما ينشر الآن في المجلات المشابهة لها يرى تقدماً محسوساً يستدعي الإعجاب. فقد كان ينشر في تلك المجلات نكت صارخة مكشوفة كل الانكشاف عارية كل العري، قد ذكر فيها بصراحة أسماء المهجوين ونسبت إليهم أشنع التهم مع سفاهة لفظ وقبح معنى. وكان الجمهور يتقبل ذلك قبولاً حسناً؛ أما اليوم فاكتفى في كثير من الأحيان بالتلميح مكان التصريح وباللذع الخفيف مكان اللذع السخيف وبالكناية بدل الحقيقة. وسيفعل الزمن فعله في استمرار الرقى.

وهذا تابع للذوق لأنه هو الذي ندرك به النكت، فكلمة رقى الذوق استتلف النكت الراقية واستسخف النكت العارية. ونظير ذلك الذوق في الملابس، فالقروية يعجبها اللون الأحمر القاني أو الأصفر الفاقع، والقروى يعجبه الألوان الزاهية على حين أن الممدن والممدنة تعجبها الألوان الباهتة. كما نلاحظ أن النكت تختلف باختلاف

الجد وتعب الحق، فالمزح إذا كان حقاً وكان في أحابيه وأوقاته فرّج عن النفوس وبعثها على النشاط.

ومما يؤسف له أن الذين كتبوا في تاريخ الأدب العربي على النمط الحديث لم يعنوا ببحث هذا الباب عنايتهم بغيره، فقد عقدوا أبواباً لدراسة الشعر ولدراسة المقامات والرسائل ولك يعقدوا باباً للفكاهات يدرسون فيه تطورها مع أنها جزء هام من الأدب كأهمية الشعر والخطابة.

وفي الحق أن تاريخ الفكاهة هو تاريخ الأدب وجد معه منذ نشأته وترقى أو انحط أيام رقيه وانحطاطه – وكانت عناية الفرنج بالفكاهة ودراستها في أدبهم وتاريخه أكثر من عنايتنا في أدبنا، وعرض لها النقاد عندهم كما عرضوا لكل أنواع الأدب وطبقوا علي النكت ما قالوه في الفن الجميل، فكما قالوا "الفن للفن" قالوا "النكتة للنكتة" – والذي يدرس الذوق في الأمة ويريد أن يتعرف مقدار رقيه وانحطاطه يجب أن يدرسه في الفنون وفي الملابس وفي الأزياء وفي النكت.

وفي المصريين من يحترفون قول النكت واختراعها وروايتها. ومن هؤلاء من يدعون للحفلات يملؤها سروراً وضحكاً، ومنهم من يقتصر في ذلك على صحبه وأصدقائه يؤنسهم في مجالسهم الخاصة ويروى لهم كل ما اخترع من النكت. ومنهم من يحترفه من ناحية التحرير في الصحف والمجلات الفكاهية. وقد وصف المرحوم

قاسم أمين رجلاً من هذا الطراز فقال: "أتعرف حسين بك؟؟ لا. رجل خفيف ولطيف. لا تغيب البشاشة عن وجهه ولم يره أحد قط غير مبتسم. إذ قال لك نهارك سعيد ضحك وإذا أخبرته أن الهواء طيب ضحك وإذا سمع أن زيدا مات ضحك. زينة المجالس وأنيب النوادي يرى نفسه مكافئاً بوظيفة السرور فيها ومنوطاً بنشر التفریح حوله. يستخدم كل شئ لتسلية نفسه وأصحابه فيجد في أهم الحوادث موضوعاً للتكيت وفي أحسن الرجال محلاً للسخرية. لو ضحيت حياتك في أشرف الأعمال فلا بد أن يفتش فيها عن الجهة التي يتخذها واسطة للاستهزاء وجعلها أضحوكة للناس".

ولم يعجبه هذا الشكل فقال (بين هذا الهذيان القبيح والانتقاد الهزلي الصحيح فرق عظيم، فالانتقاد الصحيح يصدر عن علم وشعور وذوق سليم ينظر إلى مواضع العيوب في الإنسان وجهات الضعف في الحوادث، فيبتسم بالسكون واللطف، وإذا علا صوته للضحك فليس لأن الضحك غاية في نفسه، بل يعده وسيلة للفت النظر إلى شئ يحزنه وأمر يبيكه) ... إلخ.

ولعل هذه الكلمة من المرحوم قاسم أمين كتبت في ظروف قاسية؛ إذ كان هناك هازلون يوجهون إليه نقداً لاذعاً لموقفه في تحرير المرأة وآخرون يوجهون مثل ذلك للمرحوم الشيخ محمد عبده، وكانوا في نقدهم يسبون أفحش السباب وينقدون ألدع النقد.

ولأولاد البلد طرق فى التنكيت، فأحياناً يدعى شخصان للمبارزة فى النكت وأيهما غلب حكم عليه، ويستعملان فى ذلك طرقاً مختلفة ويسمى ما تدور عليه النكت بالقافية. ومن أشهر هذه الطرق أن يقول أحدهما جملة ويرد الآخر "إيش معنى" ثم يرد الأول. مثال ذلك:

(الأول) عمر الأبعد:

(الثانى) إيش معنى

(الأول) فص ملح وداب.

(الأول) الأبعد بين الناس:

(الثانى) إيش معنى.

(الأول) كماله عدد ... إلخ.

وقد تتخذ المباراة شكلاً آخر فيقول الأول مثلاً "الأبعد غراب ونشف" فيقول الثانى "الأبعد يعطى ملامح للنعجة" فيقول الأول "سلام بيت الأبعد اتنين والباقى سلبه" فيقول الثانى "سقف بين الأبعد ملاية". وأحياناً تدور القافية على شئ يختارانه منها كأن تكون القافية "جنينة" أو "قرافة" أو نحو ذلك. فمن عجز أخيراً عن المتابعة حكم عليه، ومن غلب عزى كما يعزى على المصيبة. وقد تكون المباراة شعراً لا نثراً، ومن خير الأمثلة على ذلك ما وقع لعبدالله نديم، فقد جمعه عظيم من عظماء طنطا مع جماعة من الأدبائية فى محفل عام وجعل جعلاً لمن يغلب وعقوبة لمن يُغلب، وتباروا بالشعر حتى غلبهم "عبدالله نديم". وقد حكى هذه القصة بطولها فى بعض كتبه ودون كل ما قيل فيها فكانت مثلاً من الأمثلة على ما

كان يجرى إلى عهد قريب فى هذا الباب.

أبو: الأب فى اللغة الوالد. وقد استعمله العرب كنية عن بعض الأشياء، فكنوا الأسد "أبا الحارث" والثعلب "أبا الحصين" والهرم "أبا مالك". قال الشاعر: "أبا مالك إن الغوانى هجرنى" وقالوا للرجل الكريم أبا الأضياف. وقالوا للفتاة إنها بنت أبيها أى مثله فى صفاته. روى عن عائشة أنها وصفت حفصة بنت عمر فقالت: "كانت بنت أبيها" أى شبيهة به فى قوة النفس وحدة الخلق والمبادرة إلى الأشياء. أما إذا قالوا ابن أبيه فمعناه أنه غير معروف الأب.

وعلى العكس من ذلك لا أب له ولا أم له، فإذا قالوا لا أباً له، فأكثر ما يستعمل فى المدح، أى ليس له أب يتكل عليه؛ وإنما هو يكفى نفسه. وأما لا أم له فيستعملونها فى الذم، لأنهم يقولونها للقيط ولمن ليس له أم حرة، بل إن أمه من الإماء.

أما فى اللغة المصرية فيستعملونها استعمالاً مختلفة، فأحياناً يستعملونها بمعنى ابن فيقولون أبو يوسف لمن كان اسم أبيه يوسف وأبو محمد لمن كان اسم أبيه محمداً. وأحياناً لا يستعملونها بمعنى والد فيقولون أبو محمد لمن كان له ولد واسمه محمد.

وهناك كنى مشهورة لأسماء خاصة فيقولون: أبو عوف لمن اسمه عبدالرحمن، وأبو على لمن اسمه حسن، وأبو درش أو أبو درويش لمن اسمه مصطفى، وأبو حنفى

نصفه الأعلى كالإنسان ونصفه الأسفل كالحمار، وله ذنب وبفخذه سلوخ فى الجلد يظهر منه لحمه الأحمر.

أبو قردان: وهو ذلك الطائر الأبيض المعروف وكان يرى فى العهد الماضى أسراباً كثيرة يتبع الأرض المروية يلتقط ما فيها من الديدان والحشرات الصغيرة. وقد كان الفلاح يحرم إيذاءه لما يرى من منفعة ثم كثر صيده فقلّ. وتنبهت الحكومة إلى منفعة فحرمت صيده. والعانة تقول فى أمثالها "زى أبو قردان هايف ونظيف". لأن أبو قردان لا يهمل نفسه، فإذا ناله شئ من قدر اجتهد فى إزالته فيحكه بمنقاره حتى يزيله، فهو دائماً نظيف. وعدوه "هايفاً" لقلة غنائه. وللعامّة أغنية فى أبى قردان وهى: أبو قردان، زرع فدان، ملوخية وبانجان. فحت فى الطين، لقى سكين، دبح أولاده وطلع مسكين. وقد اجتهدت أن أفهم معناها فلم يتيسر لى ذلك.

أبو حديد: وهو لقب لشيخ اسمه الشيخ صالح أبو حديد، له مسجد بالقاهرة بشارع الحفنى. يقول على باشا مبارك فى خطبه. إنه كان أول أمره قاطع طريق، وكان له صاحبان أحدهما الشيخ يوسف المدفون فى شارع القصر العينى ثم قبض عليهم. فأما الشيخ يوسف فكان يلوذ بلاط أو إلى فأفرج عنه، وأما الشيخ أبو حديد فاحتمى بمغنية وادعت أنه مجنون واعتقل لسانه من الخوف، ثم شاع عنه أن له كرامات. وقد علق على باشا مبارك على هذه القصة

لمن اسمه محمود وأبو داود لمن اسمه سليمان وهكذا.

وتستعمل كناية عن الشجاعة، فيقولون للشجاع أبو الفوارس وأبو زيد، ويقولون للأسود أبو سمرة وللحشاش أبو شداد. وهناك طائفة من الأولياء لهم كناية من هذا القبيل فيقولون للسيد البدوى أبو طنطا نسبة لاسم البلدة طنطا، ويسمونه أيضاً أبا فراج، ويسمون الرفاعى أبا العلمين، والشيخ الشعرانى أبا المواهب.

ولهم اصطلاحات خاصة فى هذه الكلمة فيقولون:

أبو على: للرجل اللطيف الكثير الإنفاق السمع الكريم. وهو إما مأخوذ من الحسن بن على أو من السلطان حسن سلطان بنى هلال فإنهم يلقبونه دواماً بأبى على.

أبو جيبين: لمن ينفق ما معه ولا يبالي، كأنهم يريدون أن له بدل الجيب جيبين حتى إذا نفذ ما فى أحدهما أنفق مما فى الآخر ويستعملون قريباً من ذلك "أبو جيب مخروق" للسفيه المبذر المتلاف.

أبو طويلة: للمفرط فى الطول مع بلاهة وغفلة. وأبو الروس للكبير الرأس المقسم رأسه إلى أقسام.

أبو عين نائمة: للذى يعتاد الصمت مكرراً وخداعاً، وأحياناً يطلق على الخجول الحيى، وفى عكسه يقولون: **أبو عين قارحة** أو **فاجرة**.

أبو رجل مسلوخة: وهو اسم للعفريت يخوف به الأطفال ويصفونه بأنه مخلوق

الهوائية. ويتحلى بكسوة ظريفة الشكل فتكون له أجنحة كاللؤلؤ والمرجان، ويصير غذاؤه من نسيم الهواء.

ويكون فى أول أمره خالياً من الأجنحة ثم تخلق له ويطير. فمن نظر فى تطوره أذعن بربوبية خالقه، وأعجب بما تحلى به من جمال أجنحة وجمال شكل. ويقول العامة فى أمثالهم "يا أبو الدقيق يا أبو النخال، اركب يا عم انزل يا خال". يقال فى تطور الحال من فقر إلى غنى، ومن ترف إلى بؤس.

أبو زيد الهلالي: أبو زيد الهلالي شخصية غريبة غامضة لم يذكر لنا المؤرخون شيئاً تفصيلاً واضحاً عنها، ولكن فى ثنايا الكتب بعض نتف قليلة هنا وهناك. كان أبو زيد هذا فى القرن الخامس عشر الهجرى وهو من قبيلة "هلال" ونسب إليها فليل هلالى. وهلال هذه كانت قبيلة كبيرة بدوية تسكن نجداً، يجاورهم فى مسكنهم قبيلة أخرى اسمها سليم. وكانت هلال وسليم جفاة سلايين نهايين يخرجون من ديارهم فيغيرون على أطراف الشام والعراق حتى ضجت منهم الدولة العباسية، وأرسلت فى أيام الواثق سنة 230 حملة بأمر القائد التركى (بغا الكبير) لتأديبهم على ما ارتكبوا من فساد فى المدينة.

وهاجر قوم من "هلال" و"سليم" إلى مصر ونزلوا أولاً فى الوجه البحرى ولكنهم ساروا سيرتهم الأولى من سلب ونهب حتى

بقوله: "وجامعه عظيم لم يبين لغيره من أهل الفضل والمعرفة والعلم، ولكن هذه عادة قديمة ألفها المصريون من قديم الزمان وطالما نبه عليها كثير من المؤلفين فى كتبهم".

أبو فروة: وهو اسم أطلقه المصريون على ذلك الثمر المعروف بشاه بلوط، وقد سموه بهذا الاسم لما فى داخل قشرته من الوبر والزغب الشبيه بفروة الحيوان.

وهناك أسماء وكنيات كثيرة بدئت بأبو فى التعبير المصرى لا يمكننا هنا إثباتها جميعها. ومن الأمثلة المصرية التى استعملت فيها كلمة أب قولهم: "أبوك ما هو أبوك وأخوك ما هو أخوك" يقولونها عند الشدائد التى ينسى فيها الابن أباه والأخ أخاه، وفى هذا المثل نظر إلى قوله تعالى "يوم يفر المرء من أخيه وأمة وأبيه". وقولهم: "الللى يترك صنعة أبوه وجده يلقي وعده" يريدون بذلك الحض على احترام حرفة الآباء والأجداد، فإن ذلك أجدى وأنفع وأضمن للنجاح. ومن باب "أبو" أبو زيد الهلالي وسيأتى.

أبو دقيق: حشرة صغيرة تنتقل من صورة إلى صورة. فيخلق أولاً فى صورة ثم ينقلب إلى صورة أخرى. ثم إلى الثالثة. وهو فى تغير الصور تتغير طباعه. فهو فى أول أمره كدودة القز، راسب فى قاع البحر، ثم ينخرط فى سلك آخر، ثم يعلو على سطح الماء. ثم ينخرط فى سلك الحيوانات

الفتن والحروب بين بعض العرب وبعض، وبعض البربر، وكان ذلك فيما بين سنة 440 وسنة 460هـ. واشتهر في هذه الحروب رجال كثيرون منهم دياب بن غانم وأبو زيد الهلالي. هذه الحروب وهذه الوقائع في القرن الخامس الهجري في بلاد المغرب هي ميدان لسيرة أبي زيد.

وهذه القصة ثلاثة أقسام: القسم الأول منها يصف تاريخ بنى هلال في بلاد السرو (وهي منازل حمير بأرض اليمن). وكان من أعيان الهلالية جابر وجبير ابنا المنذر الهلالي. وقد رحل جبير بأمه إلى نجد وصار فيما بعد سلطانها.

وكان أن أتى من نسل جابر الأمير حازم والأمير رزق وكانا يحكما في بلاد السرو. وقد تزوج الأمير رزق "خضراء" بنت شريف مكة، وولدت منه ولداً أسمر اللون اسمه بركات، وهو الذى لقب فيما بعد بأبي زيد. وقد تعاون أبو زيد وابن عمه حسن بن سرحان ابن حازم على فتح الهند فى حديث يطول. أما القسم الثانى فتدور حوادثه حول رحلة بنى هلال إلى نجد، وقد ألجأهم إلى هذه الرحلة من السرو إلى نجد مجاعة عظيمة فى بلاد السرو باليمن.

وقد استقبل الهلاليون فى نجد استقبالاً حسناً من الملك غانم وابنه دياب (وكان دياب من فرع جببير) ومن بنى زغبة. وقد وقعت الحرب بين دياب ابن غانم وأبى زيد الهلالي لأسباب نسائية يطول شرحها، وانتهت بانتصار أبى زيد وخضوع دياب.

ضحج منهم الناس. فأمر الخليفة الفاطمى العزيز بالله (365-386) بطردهم إلى الصعيد. ولكنهم فعلوا فى الصعيد كما فعلوا فى كل مكان من سلب ونهب وتخريب. وكان من بنى هلال هؤلاء فروع مختلفة منهم زغبة وربيعة وعدى. فعم ضررهم واستغاث أهل البلاد من شرهم. وفى خلافة المستنصر الفاطمى ثارت بلاد المغرب عليه فنصح بعض مشيريه أن يبعث إلى المغرب هؤلاء العرب من هلال وسليم، فإن ظفروا بالثائرين، فقد كسب تلك البلاد وأخضع الثورة وظفر بالخصوم، وإن انهزموا وقى الله مصر شرهم، فأرسلهم سنة 441 وأعطى لكل واحد منهم بعيراً ودينارين، وقال لهم قد أعطيتكم المغرب. ففرحوا بذلك وجازوا النيل إلى برقة ببلاد المغرب ونزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها، وكتبوا لإخوانهم فى مصر يدعونهم إلى السفر إليهم ويصفون لهم ما هم فيه من خير ونعيم، فأرادوا الرحيل فمنعهم المستنصر حتى يأخذ من كل واحد دينارين فعوض بذلك ما دفعه لمن قبلهم. وسارت سليم وفروع هلال من دياب وزغب إلى تونس كالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إلى تونس، وقسموا البلاد بينهم وبين قبيلة سليم. فأخذت سليم شرق تونس وهلال الغرب. ووقعت بين العرب وبين سكان البلاد الأصليين من البربر كقبيلة زناتة وصنهاجة حروب يطول ذكرها. كما وقعت

والقسم الثالث تدور حوادثه حول رحلة الهلالية إلى المغرب، فإن أبا زيد ذهب مع أتباعه إلى تونس ليبحث عن أرض خصبة لما حلت المجاعة بنجد، فلما حلوا بتونس واتصلوا بالبربر حدث أن وقعت "سعدة" بنت الزناني خليفة وهي من البربر في حب "مرعى" أحد أصحاب أبي زيد، وقد وقعت حروب بين الهلالية والزنانية بسبب ذلك انتهت بقتل الزناني خليفة، ثم اختلف الهلاليون فيما بينهم على قسمة أملاك الزناني خليفة. وثار الحروب بين أبي زيد ودياب وانتهت بقتل دياب لأبي زيد، فاجتمع قوم للأخذ بثأر أبي زيد منهم بريقع والجازية بنت الحسن وانتقموا من دياب وقتلوه. وقد قتلت الجازية أيضاً في هذه المعارك.

هذا موجز مختصر جداً لقصة طويلة تقرأ في أيام. نتبين منها أن حوادث القصة حدثت بين البدو من الأعراب وأن أرضها كانت بين بلاد العرب (من السرو في اليمن إلى نجد في الحجاز) وبين بلاد المغرب من تونس وما حولها. ولم تدخل مصر في هذه الحوادث إلا من ناحية أن الهلاليين أقام بعضهم فيها سنين ثم رحل أكثرهم إلى المغرب.

ولكن القصة كان لها شأن كبير في مصر، فقد أعجب بها الشعب المصرية لأنها مكتوبة بلغة شعبية، ولأن حوادثها بدوية ساذجة، ولأنه تشمل بطولة من نوع خيالي أشبه ببطولة الجن، ولأن فيها حبا لطيفاً

بسيطاً تضحى في سبيله الأفراد والقبائل. لهذا كله كانت القصة محبوبة إلى الشعب المصري. فإلى القريب كان في كل حي رج يطلقون عليه اسم (الشاعر). وكان في حارتنا بالمنشية رجل اسمه "أحمد الشاعر" كان يخرج بعد العشاء إلى القهوة من داره فتتخذ له منصة عالية يجلس عليها وحلوه المستمعون، ويخرج القصة من منديل لهما به، ويأخذ فنجان القهوة، ويبدأ في قراءة قصة أبي زيد، والناس يصغون إلى الحوادث باهتمام. وكثير منهم يدخن "التنباك" في الجوزة وصبي القهوة يجيء ويذهب للمستمعين؛ هذا بتعميره وهذا بقهوة "سادة" وهذا بقهوة بسكر. والمستمعون يختلفون في ميولهم، فمنهم من يتعصب لأبي زيد ومنهم من يتعصب لدياب. وقد يقوم النزاع والسباب والضرب بين الفريقين. فإذا جاءت ليلة سينتصر فيها أبو زيد عمل أنصاره "فرحاً" في القهوة فزينوها واستعدوا لها، وإذا جاءت ليلة سينتصر فيها دياب فعل أنصاره كذلك. ولا يزال الشاعر يقرأ وهم يصغون إلى قرب الفجر ثم ينصرفون إلى بيوتهم وأنصار أبي زيد فرحون إذا انتصر، مهمومين إذا انكسر. وكذلك أنصار دياب.

فكانت هذه القصة تقوم مقام السينما والتمثيل في أيامنا هذه. وكان الشيخ أحمد الشاعر يلقي القصة إلقاء حسناً، فيتحمس في مواقف الحماسة، ويترنم في القصائد. وظلت هذه القصص تتداول في مصر

قروناً طويلة. وقد قرأها ابن خلدون في القرن الثامن الهجرى وأعجب بها وببلاغتها، ونقد الناس الذين لا يرون البلاغة إلا فيما كان جارياً على قواعد النحو والصرف. فقال فى الجزء السادس من تاريخه بعد أن وصف بلاغتها وجودة أشعارها "إلا أن الخاصة من أهل العلم يزهدون فى روايتها ويستكفون منها لما فيها من خلل فى الإعراب، ويحسبون أن الإعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك". ولم يفت ابن خلدون أن القصة لها أصل تاريخى ولكنه زيد عليه وأدخل فيه كثير من الحوادث المصنوعة والأخبار التى لا يوثق فيها.

ومهما كان، فالقصة لها أثر حميد فى الأوساط الشعبية المصرية فى العصور السوداء التى اجتازوها. فقد كانت سمرأ لذيداً فى ليلهم وحديثاً طريفاً فى نهارهم. وكانت تبعث فيهم الغزل اللطيف والحماسة الحارة والعصبية للأبطال. وكانت سلوة لمن لا يحسنون القراءة فيستمعون لنوع من الثقافة طريف.

وأسف أشد الأسف لأن هذه العادة امّحت أو هى على وشك الامحاء. ولو رقيت وهذبت واستمر القراء يقرأون فى المقاهى قصة أبى زيد وغيرها من القصص لكانت ضرباً من نشر الثقافة جميلاً مفيداً⁽⁵⁾.

أبو لسان زفر: تعبير يعنى هجاء شرير كثير السب.

إبعد عن الشر وغنى له، قال وقئله: تعبير يعنى ابعد عن الشر وغنى له، حتى يبعد، قال ولا تكتف بذلك، بل اجعل بينك وبينه قناة.

أبو نضارة أو أبو نضارة زرقه: لقب لرجل يهودى كان يسمى "يعقوب صنوع" وقد أخرج مجلة فى عهد الخديوى إسماعيل اشتهرت بالجرأة ونقد الخديوى حين لم يكن أحد يجزؤ على هذا. فكان هو والشيخ جمال الدين الأفغانى من أجرأ الناس فى النقد. هذا فى جده وذلك فى هزله. وكان من أنصار تعيين البرنس سعيد حليم مكان إسماعيل ويدعو له. وقد أقفلت جريدته ونفى إلى فرنسا. فأخرجها باسم "أبو نضارة" حتى لا تصادر. واخرج لهذا الغرض أيضاً مجلة فرنسية هزلية لتكون داعية فى الأوساط الأوروبية. وعندى مجموعة منها اشتهرت بإتقان صورها وحسن دلالاتها.

أتارى: يقولونه للرجل يأتى بما ينتظر منه. فمثلاً إذا ظهر غنى رجل قالوا فيه أتاريه بيضيّع كثير، بمعنى لأنك غنى تنفق المال الكثير. وتقال أيضاً للشىء يتعجب منه فيعرف سببه يقول الرجل للضيف أتارى الدنيا نورت، أى كنت لا أعرف سبباً لهذا النور، ثم ظهر السبب. ويضيفون إليه الضمير أحياناً فيقولون: أتاريه وأتارينا.

الأتراك: كانوا عنصراً كبيراً يمثلون طبقة

متى كان الفلاحين يركب ذهبية جديدة؟
الغنى – مراحمكم وعدلكم ومراحم
أفندينا خديوى مصر وعدله، جعلتنا نستريح
ونظمنن ودا شئى يفرحكم ودا خير يسركم.
والدى – لكن كيف يجوز للفلاحين أن
يتشبهوا بأسيادهم ويركبوا الذهبيات؟
الفلاح – الحمد لله إحنا بنجرى ونلعب
على حسك وفى ظللكم وظل أفندينا. والعبد
وما ملكت يده لمولاه فأنا عبدكم وعبد
أفندينا. والذهبية ملككم وملك أفندينا.
والدى – أنا أقول لك كيف تجاسرت
وتشبهت بأسيادك وركبت ذهبية؟
الفلاح – استغفر الله العظيم أن أكون
أريد التشبه بكم.
والدى – إذا كنت لا تريد التشبه بنا فلماذا
اشتريت الذهبية، وركبتها فى البحر كأنك
من أسياد البلد؟ وتريد أن يشوفك الفلاحون
ويقولوا دا له شأن ومقام.
الفلاح – يا سيدى إن كان لى مقام فهو
بفضلكم أنتم وأفندينا.
والدى – الفلاح من نسل فرعون وفى
المثل "ليه يا فرعون اتفرعنت، قال: ما
لقيت أحد يردنى".
الفلاح – أستغفر الله. إن كنتم ترون أن
فى ذلك عيباً فإنى أشهد الله ورسوله أن لا
أعود لركوبها أبداً. وتبت إلى الله على يديك.
والدى – توبتك مقبولة. ولكن يلزمها
تفكير.
الفلاح – لا ورأسك ورأس أفندينا ما
أنساها أبداً.

الأرستقراطية من المصريين. وكانوا يأتون
من الأناضول أو استنبول أو غيرهما. ويعد
المصريون أذكى منهم، ولكنهم يمتازون
بالترفع والتكبر وحب السلطة والعناد. وهم
ينظرون إلى سائر المصريين نظرة فيها
احتقار على أنهم خلقوا من دم أقل من دمهم،
ولذلك يطلقون عليهم اسم "فلاحين" مقرونة
بالازدراء. وقد عرفوا بالنظافة فى بيوتهم
وملابسهم كما عرفوا بالترف والنعيم
والعيشة الواسعة. وساعد محمد على باشا
على إشراك المصريين فى الحكم وفى
الجنديّة. واشتهر التركى بتدينه، ولكن تديناً
شكلياً تنقصه روح الإسلام. فهو يعنى
بالأدب أمام تلاوة القرآن، وبإقامته الصلاة
أكثر مما يعنى بتحرى العدل ورفع المظالم
وعدم الرشوة. ويعتقد أنه إذا ارتكب هذه
الجرائم كلها، يرفعها عنه بناء مسجد أو
سبيل أو مدرسة. ومع الأسف لقى منهم
المصريون الأمرين. ومن أمثالهم المشهورة
"آخر خدمة الغز علقة" والغز طائفة من
الأتراك. وهو يمثل الإحساس الذى يحسه
المصرى إزاء التركى. وقد أخبرنى صديق
من أبناء الأتراك هؤلاء قال: "خرج والدى
ذات يوم بموكب كالمعتاد وأراد أن يرينى
سلطانه، فنظر إلى اليسار وكنا نسير على
النيل، فرأى أحد الفلاحين، يركب "ذهبية
جديدة" يجرها أربعة من الفلاحين بالحبال،
فصاح أبى فى الفلاحين أن قفوا، وأمرهم أن
يجروا الذهبية إلى البر ففعلوا، ورأى الغنى
هذا المنظر فنزل، وجاء لأبى. فقال له أبى:

بسمات خاصة. ومن صفاتهم: أنهم مغرورون يعتدون بأنفسهم وبقوتهم كثيراً. ولما علم أحد الفرنسيين بحملة نابليون على مصر، ذهب إلى مراد بك وأطلعته على هذه الحركة فضحك مراد بك ضحكاً طويلاً فحماً، يستخف به من قوة الفرنسيين وتفكيرهم في ذلك، وقالوا إنهم إذا حضروا سحقتهم سحقاً فكانت النتيجة أن دارت الدائرة على مراد بك واتباعه في وقعة الأهرام.

أثر النبي: هو حجر فيه صورة رجل بأصابعها، يزعمون أنه من أثر النبي في الحجر، وهم يتبركون به. وفي ضاحية القاهرة بلدة صغيرة تسمى "أثر النبي" من أجل ذلك.

وبعض هذه الأحجار يتخذها بعض المشايخ دعاية للولاية، ومقصداً للتبرك، فيضعها على رأسه.

أجرئه: أصلها من أجل أنه.

الأحجبة: الأحجبة جمع حجاب. وقد اشتهر بين العوام المصريين استعمال الأحجبة، وأشتهر من اشتهر بعملها المغاربة من أهالي تونس، والجزائر، ومراكش، ويليهم في ذلك السودانيون وبعض الفقهاء. والعادة أن يكتبوها بحبر أحمر وأخضر، ثم تطبق الورقة، وتوضع في جلد أحمر، ويلقها في رقبتهم من أراد، ويكون الحجاب تحت

والدى - لا لا. لا لابد من تفكيره ولو صغيرة... يل ولد. حضر الخدامون.

والدى - اربطوه من ذراعيه. وهاتوا النسوة اللى بيملأوا البلايص دول، وروحوا خليهم يرشوا الأرض حتى تصير وحلة، واسحبوه فوق الوحل ذهاباً وإياباً ليعرف أولاً قيمة الثياب التى يلبسها ففعلوا ذلك، وأمر بضربه علقه، حتى سال الدم من رجليه وركبتيه وظهره، وقال له والدى: إن شاء الله ما تنساش. مع أن هذا الفلاح كان غنياً كبيراً ولا أحب أن لذكر اسمه".

وكان التركى لا يطيق أن يترأس عليه مصرى. ومرة عين رجل تركى "أمير ياخور" أى مفتشاً على المواشى. وكان رئيساً عليه مفتش مصرى لزراعة الباشا. فأمره مرة أن يرسل بهيتمين من مزرعة إلى مزرعة. فأبى وادعى أنه هو الرئيس مع أن مرتبه كان ضعيفاً أى مبلغ 175 قرشاً. فأمر المفتش الكلايين أن يذهبوا بالماشيتين إلى المزرعة الأخرى ففعلوا. فذهب التركى معهم وأبى عليهم أن يستخدموا الماشيتين، وسحب بندقيته وأى إلا يأخذ أجره ويترك هذا العمل، ففعلوا معه ذلك. والحكايات على ألسنة الناس كثيرة فى غطرسة التركى وسوء معاملته للفلاح، وعناده، وضيق عقله وضربة العلقه للفلاح لأنفه سبب. حتى اشتهر عن فلان باشا أنه كان يأمر بضرب الفلاح أو الموظف ثم يأخذ فى صلاته.

ومن الأثر الك المماليك، وكانوا متميزين

الأحزاب: فى مصر أحزاب كثيرة، تقليدياً لأحزاب البلاد الأوروبية، ولكنها فى أوروبا مبنية على اختلاف البرامج، فكل حزب له برنامج خاص، ينتسب إليه من اعتنق مذهبه كحرية التجارة وتأمين المناجم. أما فى مصر، فتكاد تكون اختلافات أفراد، بعض الناس يتصلون برجل، فيكونون حزباً، وآخرون يتصلون بآخر، فيكونون حزباً. والأحزاب فى مصر قريية العهد بدأت تقريباً حوالى سنة 1906. وكانت فى مصر ثلاثة: الحزب الوطنى، وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية، وحزب الأمة.

فالحزب الوطنى أسسه مصطفى كامل باشا، ودعاه إلى ذلك ما شعر به من تأخر صحته. وكان برنامجاً واسعاً طموحاً، يجرى الشباب باعتناقه، وهو استقلال مصر وتكوين دستور البلاد، بحيث تكون الهيئة التنفيذية مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة واحترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية، بالنسبة لسداد الديون، والصراحة فى انتقاد الأعمال الضارة وتشجيع الأعمال النافعة والعمل لنشر التعليم على أساس وطنى صحيح، بحيث ينال الفقراء أوفى نصيب، وترقية التجارة والصناعة والزراعة، وبث الشعور الوطنى فى الشعب وإفهامه حقوقه الوطنية، ودعوته للتعاون، والعناية بالشؤون الصحية، وبث روح المحبة بين

الشباب. وبعض الناس يتعمد أن يكتب الحجاب بنجاسة حفظاً من العفارىت، ويقولون إن الجان أسرع فى إنجاز الأغراض من غيرهم.

وبعض الناس يقطعون لهذا العمل وبعضهم يغالى فيه. وبعضهم يتحجب بالمصحف الشريف؛ لذلك طبع فى حجم صغير جداً ليوضع فى الجيب الصغير. وبعض الأغنياء يضعه فى علبة صغيرة من الذهب أو الفضة للتبرك. وقد ألف بعض العلماء كتباً فى الأحجبة على اختلاف أنواعها: فحجاب لشفاء المريض، وحجاب لقضاء الحاجات وحجاب لتحبيب الزوج فى الزوجة وغير ذلك. ومن أشهرها كتاب "مجربات الديرى".

وأعرف رجلاً انقطع لعمل الأحجبة، وكان مكاراً خبيثاً تقصده النساء لعمل حجاب لتحبيب زوجها فيها. وتقصده أخرى لشفاء ابنها وغير ذلك، فما مضت عليه سنة من هذه الحرفة إلا وأصبح معتوهاً. وألزم نفسه بأن يقول كل ليلة يا لطيف خمسة آلاف مرة. ومن الغريب أنه يعتقد أن هذه الأحجبة وأمثالها ضلال فى ضلال، ولكنه لا يمكنه أن يتركها بعد أن تعودها وأصبحت جزءاً من حياته. وسيأتى أنواع من الأحجبة فى مواضعها. وأحياناً تكون هذه الأحجبة مؤسسة على الوهم، كالذى حكى له صديق أنه رأى حجاباً قد وقع من ضيف كان نازلاً عنده، ففتح فلم يجد إلا ورقة من قصاصات إحدى الجرائد⁽⁶⁾.

أحمد لطفى السيد باشا. وكان الخديوى يخشى أن يكون لسعد زغول باشا دخل فى هذا الحزب. وتلخص مبادئه فيما يلى: معاضدة حركة التعليم ونشره بكافة الطرق، وعله إجبارياً فى التعليم الأولى والابتدائى، والحصول على حق البلاد الطبيعى فى الاشتراك مع الحكومة فى وضع القوانين والمشروعات العامة، وتوسيع اختصاص مجالس المديرىات، ومجلس شورى القوانين تدرجاً إلى المجلس النيابى، وتوسيع نطاق لجمعية الزراعىة، توصلأ إلى تقدم البلاد الزراعى وعدم إهمال الصناعة والتجارة والعمل على ترقيتها. وقد ظهر فيما بعد أن سعد باشا وفتحى زغول باشا يعملان سراً على تأييد هذا الحزب. وقد علق عليه اللورد كرومر أملاً كبيراً فى مناهضة الخديوى عباس، ولكن ...

اشتدت المنازعات بين هذه الأحزاب الثلاثة وبلغت حد السباب والمهاترة. ثم جاء الوفد فاكتسح هذه الأحزاب كلها، ولم يسم نفسه حزباً، بل قال إنه نائب عن الأمة كلها. ولم يبق إلا الحزب الوطنى. ثم انقسم الوفد أقساماً، فخرج منه جماعة وتسموا الدستوريين أو الحزب الدستورى ورئيسهم اليوم الدكتور هيكل باشا، والسعديين وكان رئيسهم إبراهيم عبدالهادى باشا. ومن الأسف أنه عند الانتخاب لا تعرض البرامج. ولا يتم الانتخاب عليها وإنما تعرض الأشخاص. ومعنى الحزب الفلانى أنه ينتمى إلى الرئيس الفلانى، فإما لأنه

المصريين والأجانب، وتقوية العلاقة بين مصر والدولة العلية، والدعاية لمصر فى الخارج، ونفى كل شبهة عنها يلصقها بها خصومها. ويشترط لقبول الأعضاء فى الحزب الوطنى أن يكون الطالب مصرياً معروفاً بالأخلاق الفاضلة لم تصدر عليه أحكام تمس شرفه وسمعته، وألا يكون عضواً فى حزب آخر.

حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية
"بعد تأليف الحزب الوطنى رأى الشيخ على يوسف صاحب المؤيد إنشاء حزب آخر وسماه حزب لإصلاح على المبادئ الدستورية". وكان من أغراضه خدمة الخديوى عباس والدفاع عنه، وخصوصاً وأن الحزب الوطنى تخلى عن الخديوى وهاجمه. وكان برنامجه تأييد السلطة الخديوية، والمطالبة بتحقيق الوعود والتصريحات التى أعلنتها بريطانيا العظمى عند احتلالها لمصر والمطالبة بمجلس نيابى فى مصر ليكون تام السلطة، وأن يكون التعليم الابتدائى عاماً ومجاناً، وأن تكون اللغة العربية لغة التعليم فى البلاد، وأن تعطى الوظائف فى المصالح المصرية للوطنيين على حسب الكفاءة، وأن تكون محاكمة الأجانب جنائياً أمام المحاكم المختلطة. وقد كان رئيس هذا الحزب الشيخ على يوسف ووكيله أحمد باشا حشمت.

حزب الأمة ألفه المرحومان محمود سليمان باشا وحسن باشا عبدالرازق. وأنشأ جريدة له اسمها "الجريدة"، كان رئيس تحريرها

الأحزاب تفعل ذلك جدياً، وتستعد لمواجهة الأحوال الحاضرة، ونحن نكتب ذلك والأحزاب كلها قائمة قاعدة في تنفيذ هذه التعاليم.

أخلق شئبى لو حصل ده: خلق الشنب كناية عن أن يكون امرأة لا شنب لها، أى إذا حصل هذا فأنا امرأة لا رجل.

أخليك تمشى ع العجين ما اتلخبطوش: تعبير يعنى لأودبلك أدياً يجعلك تمشى مستقيماً.

إداله شلوت: تعبير يعنى رفسه بالرجل، واشتقوا منه فعلاً شلت له.

إداله قلم بعزم ما فيه: القلم: الصفع، أى صفعه بكل قوته.

الأدعية: يكثر المسلمون من قراءة الأدعية. وهى أنواع مختلفة: دعاء للشفاء مثل "حصنتك بالحق القيوم الذى لا يموت أبداً ودفعت عنك سوء بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" ومثل "اللهم رب الناس اذهب البأس، واشف أنت الشافى. لا شفاء إلا شفاؤك. شفاء لا يغادر سقماً. يارب العالمين ...".

ودعاء لقضاء الحاجات مثل الصلاة على النبى خمسمائة مرة. وقوله "أسأل الله الكريم الديان الحنان المنان الرحيم الرحمن ذا الجود والفضل والإحسان والخير

تربطه به رابطة ما، وإما لاتحاد أعضاء الحزب فى عقليات متشابهة.

ومن الغريب أن مجلس النواب لم يستطع فى المدة الطويلة أن يسقط وزارة لم يرضى عنها. وفى الأيام الأخيرة ظهرت هيئة الإخوان المسلمين تدعو إلى العمل بمبادئ الإسلام وتطبيقها على الأمة والتخلق بالأخلاق الفاضلة ونحو ذلك. وقد قتل أخيراً رئيس الهيئة وهو المرشد العام الشيخ "حسن البنا" لما اتهمت الهيئة بقتل "محمود فهمى النقراشى رئيس الحزب السعدى". وقد انتشر أتباعه انتشاراً كبيراً مما يدل على استعداد المصريين لتلبية الدعوة الدينية. ثم كان أيضاً الحزب الاشتراكي وهو يدعو إلى المبادئ الاشتراكية وأصبح له عضو واحد فى مجلس النواب يمثله، ويدعو لمبادئه. وعدده أقل من عدد أى حزب آخر. وقد تقسمت هذه الأحزاب طلبية الجامعات. أحياناً يتفقون وأحياناً يختلفون فيتضاربون. وإذا اختلفوا كانت هناك هتافات مختلفة تدل على رغباتهم.

ولما حدث الانقلاب الأخير⁽⁷⁾، وعزل الملك السابق، وقبض ضباط الجيش على ناصية الحال، انكشفت الأحزاب، وأصدرت الحكومة قراراً بضرورة تنظيم كل حزب نفسه، وتطهير من الأعضاء المتهمين بالرشوة، واغتصاب الأموال، واشترطت تنفيذ ذلك لتكون الانتخابات القادمة على أسس صحيحة، تبنى على مبادئ الحزب لا على الأشخاص. وقد بدأت

ومثل ذلك أيضاً **أكلان اليد**: فإذا كان فى اليد اليمنى كان إيذاناً بأنه سيضرب أحداً، وإذا كان فى اليسرى كان إيذاناً بأنه سيسلم على أحد أو سيقبض فلوساً، ومثل ذلك **خدر الرجل وتملها**(8).

أربعاء أيوب: هو يوم الأربعاء الذى قبل شم النسيم. وقد اعتادوا فيه أن يبيعوا نباتاً يقال له البرنوف. يدعون أنه إذا نقع فى الماء واغتسل به يوم الأربعاء شفى الضر وأنه هو النبات الذى شفى به أيوب. وفى ذلك اليوم ينادى على نبت آخر ذى رائحة طيبة بقولهم يا رعرع أيوب.

أردغانة: تعبير يستعملونه فى المائدة الكثيرة الأكل المشوشة.

الأرمن: توجد منهم طائفة لا بأس بها فى مصر. وقد اشتهروا بجودة الصنعة وإتقانها، والمهارة فى التجارة، وعدم المبالاة بالغرابة. ولذلك نجحوا حيث لم ينجح غيرهم، وكسبوا من الأموال ما تضخمت به ثرواتهم. وإذا ساقوا الوطنى فى الصناعة أو التجارة سبقوه.

الأروام: هم اليونانيون، وهم طائفة كبيرة فى مصر امتازت ببعض مهن، كفتح القهاوى والبارات ومحلات البقالة، والخمارات كما امتازوا بالنشاط وجمع المال. ولذلك جمع بعضهم ثروات هائلة،

والامتنان، بحق ذاته السمية وصفاته السنوية وبحق الأئمة والأعلام، نور لهدى ومصايح الظلام أن تقضى حوائجنا وأن تختم لنا ولأحبابنا ولكل من له حق علينا بالإيمان والإسلام، وأن تطهرنا وإياهم من الذنوب والآثام، وأن تجمع كلاً من الأشياخ والأحباب والآباء والأمهات فى دار السلام بسلام".

وبعض هذه الدعوات مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم وبعضه عن الصحابة أو التابعين، وبعضه عن الأولياء والصالحين...

إذا حضرت الملايكة ذهبت الشياطين: تعبير يعنى إن حضر رجال الخير، ذهب رجال الشر.

الأذن: إذا طنت الأذن اعتقد بعض المصريين أن أحداً يذكر من طنت أذنه فى تلك الساعة فيضع يده عليها. ثم لا يزال يذكر أسماء من يظن أنهم ذكروه بعد أن يسد أذنه بوضع يده عليها. فإذا ذكر الاسم الذى كان يذكره سكت الطن. ويقولون: "إذا طنت الودن اليمين عدو مبین، وإذا طنت الودن الشمال، حبيبي سأل". ومن المشهور فى كلامهم "يا وذن طنى. كل يوم خبر".

ومثل ذلك **رفّ العين**: فإذا رفت العين اليمنى تنبأ صاحبها بحدوث شر، وإذا رفت العين اليسرى تنبأ بحدوث خير. وقد أخرجوا فيلماً حديثاً بعنوان (عينى بترف).

العالم الإسلامي، وإنما يهمننا فى موضوعنا هذا عادات الأزهريين، واتصالها بعادات الشعب كله.

والأزهر بناء كبير، قسم إلى أروقة، فللصعيدة رواق، وللبحارة رواق، وللشوام رواق، وللأتراك رواق ... وهكذا. وكثيراً ما كنا نشاهد منازعات تحصل ويتبادل فيها الضرب وتثور فيها العصبية، فأحياناً تحدث المشاجرة بين البحارة والصعيدة والعكس، وأحياناً بين المغاربة والمصريين ... وهكذا.

وكل جماعة عليهم أوقاف خاصة بهم يأخذون من ريعها (الجرابية)، سواء فى ذلك الطلب أو العلماء، وهى فى القديم تتراوح بين ثلاثة أرغفة وعشرين رغيفاً. وكنت كثيراً ما ترى على أبواب الأزهر مجاورين يبيعون جرياتهم أو يستبدلون ببعضها إداماً. وفى الأزهر بجانب الأروقة، صحن كبير سماوى قد بلطت أرضه، يتشمس فيه المجاورون فى الشتاء، وينامون فيه فى ليل الصيف. وكثيراً ما ترى ملاية بيضاء، أو عباءة سوداء قد فرشت فى هذا الصحن ووضعت عليها الزوادة، وهى عبارة عن خبز أخضر للمجاور من بلده فيخشى عليه من التعفن فيضعه فى الشمس ثم يجمعه بالليل.

وكان العلماء ينصبون أنفسهم مدرسين فإذا سمعهم الطلبة فيما أن يقرروهم على تدريسيهم أو يقيمهم من أمكنتهم، ثم وضع لهم نظام الامتحان. ويجلس الشيخ إلى

وكان لهم من النشاط العجيب ما مكنهم من الانبثاات حتى فى القرى النائية وبين الفلاحين يبيعونهم الخمر ويبتزون أموالهم ويصبرون صبراً تاماً على معيشة تشبه معيشة الفلاحين.

ومنهم تجار أقطان وحبوب يستطيعون لذكايمهم وممارستهم أن يضحكوا على الفلاح المغفل، فيسلبونه ماله ويسخرونه فى مصالحهم. وربما كان احتلالهم أشد أثراً من الاحتلال الإنجليزي. وهم شديدي المعرفة بعادات الناس من فلاحين وغير فلاحين وتقاليدهم، فلذلك تكون مداخلمهم أعمق، وأساليبيهم أدق. ومما يؤهلهم لذلك أنهم سرعان ما يتخلقون بأخلاق أهل البلد ويتعودون عاداتهم ويتكلمون لغتهم ...

أروح فين وآخى أمنين: تعبير يعنى الرجل عندما يحار، وتسد أمامه المسالك.

أزرق: كثيراً ما يسمى المصريون الأزرق أخضر، تفاؤلاً بالخضرة، وكرهية للزرقة. ولذلك سموا العتبة الزرقاء بالعتبة الخضراء، وكانت عتبة زرقاء لبيت من بيوت أمراء هذا الحى. ويقولون، زرق المسمار فى الخشب. أى أدخله بسهولة، ويقولون "نابه أزرق" لمن كان خبيثاً مكاراً.

الأزهر: لا يهمننا فى كتابنا هذا تاريخ الأزهر وعمارته والدراسة فيه ومركزه من

يشتمل على خزانات، والطالب إذا تقدم في الطلب أعطى مفتاح خزانة وضع فيها كتبه وجرايته وما يحتاج إليه.

ومن عادة الصعايدة إذا أتوا من بلدهم أن يحضروا معهم مؤونة نصف السنة تقريباً من خبز وسمن وجبن وكشك وعدس وبصل. وأكثرهم يسكن مع بعض زملائه فى غرفة واحدة فى الوكالات التى حول الأزهر. وفيهم من يتزوج من بلده ثم يحضر إلى الأزهر ويترك زوجته وأولاده، ثم يذهبون إلى بلادهم فى أيام البطالة.

وغالبيهم يباشروا أعمالهم بنفسيهم من طبخ وغسل ثياب وترقيعها. وأكثرهم أكلهم وخصوصاً الفقراء منهم، المدمس والفلفل أو الطعمية والمخلل والكراوات والفجل والنابت. وكان الزى فى زمننا للجميع الجبة والقفطان أو الجلابية والعباية والعمامة. وكثيراً ما يستعملون فراء الغنم للجلوس عليه فى الدرس وقل أن يتعهدوا بيوتهم بالتنظيف. ومن الأمثلة التى كانت منتشرة بين الأزهريين قولهم "العلم زبال" يعنون به أن العلم لا يلائم المظاهر. وإنما يذهب إلى القذرين الذين يشبهون فى قذارتهم الزباليين. وشاع بين القاهريين أن من الأزهر ينتشر الجرب. وقد يحصل بين بعض الساكنين فى الحجرة الواحدة عناد على غسل الأطباق فيقول كل منهم "اغسله أنت" وتكون النتيجة عدم غسلها.

واشتهر أهل الأقطار الأخرى من هنود وشوام وأترك بالنظافة فى الثياب والسكنى.

جانب عمود إما فى الأرض أو على كرسى مجنح مرتفع، ويقرأ درسه فى كتاب، ويطيل ويعيد فى كل جملة ويفتتها تفتيتاً. والكتاب عادة عبارة عن متن وشرح وحاشية. وقد يزداد أيضاً على هذا كله تقارير. وفى كل كلمة تتوالى على الشيخ الأسئلة، فإذا كان حصيفاً استطاع أن يجيب عليها. ولهم اصطلاحات خاصة فى الأسئلة والأجوبة.

وفى جانب من جوانب الأزهر زاوية تسمى "زاوية العميان" ينتسب إليها عميان الأزهر، وقد عرفوا بالجبروت مصداقاً لقولهم: "كل ذى عاهة جبار".

والأزهريون كانوا يقرءون فى الفجر التفسير والحديث، وفى طلوع الشمس الفقه، وفى الظهر النحو، وفى العصر العلوم الدنيوية كالجغرافيا والرياضة.

وفى أركان الأزهر كتاتيب على الطريقة البدائية. وكان فى الأزهر ميضأة كبيرة يتوضأ منها الأزهريون فأبطلها الشيخ محمد عبده ووضع مكانها الحنفيات، فادعوا أنه أذهب البركة من الأزهر، وقاموا عليه وانتقدوه.

وفى الأزهر على يمين المحراب الكبير صندوق صغير يقال إن به طلسماً يمنع من سكنى العصافير وسائر الطيور.

وكان قبل الحنفيات صهاريج أربعة تحت الصحن تملأ بالماء ثم يستقى منها طول العام.

وفى جانب الأروقة دواليب كل دولاب

كثيرة منها ما يكون ضد الحكومة إذا أرادت التدخل ومنها ما يكون بين الأزهريين أنفسهم، ومنها ما يكون بين العلماء للتنازع على المشيخة والوظائف الرئيسية وهكذا... ومثال هذه الحوادث أن أحد مماليك محمد على باشا وكان مجاوراً في الأزهر ضربه بعض الطلبة بسكين فقطع أصابعه من أجل مرتب الجراية فقطعت جرابته وأخذ وسجن ثم نفى إلى بلاده وكان تركياً.

وقد كان العلماء في القديم واسطة جيدة بين الحكومة أو على الأذق الوالى وبين الناس، فإذا شكوا الجمهور من شئ وسطوا العلماء في التظلم منه. وكان منهم أعضاء في المجلس الذى ألفه نابليون بونابرت عند دخول الفرنسيين مصر.

وللأزهريين أثر كبير فى الحياة المصرية من حيث عاداتهم وتقاليدهم حتى فى الأمور السياسية إلى يومنا هذا، فقد كان للأزهر دخل كبير فى ثورة مصر سنة 1919. ويظهر أكبر تأثيرهم فيمن يتعلمون فى الأزهر من أهل القرى فى الأرياف، ثم يعودون إلى بلادهم بعد أن يتموا دراستهم أو قبل إتمامها. وقد يكونون مآذونين أو فقهاء كتاتيب أو نحو ذلك. ولبعضهم أثر كبير سيئ، فإصلاح الأزهر ليس أثره قاصراً عليه بل يتعداه إلى سائر البلاد فى العالم الإسلامى.

هذه هى صورة الأزهر أيام كنت طالباً به، أى من نحو خمسين عاماً، ولكنه تغير ككل شئ كما تقول الأغنية البلدية:

وإذا ختموا كتاباً كان من عادة الكلبة أن يأتوا فى حلقة الدرس بالمباخر والقماقم والعطريات فيرشون ماء الورد وينثرون اللوز والتمر ويقبلون يد الشيخ.

وكانت العادة أيضاً عند بعض المجاورين أن يطلبوا الإجازات (البراءات) من المشايخ فيكتبوا لهم الإجازات بخطوطهم وهى تتضمن الإقرار بتحصيل الطالب ومهارته فى الفنون.

وكان الطلبة يحترمون مشايخهم احتراماً زائداً ولو كانوا أغنياء والمشايخ فقراء، فيقبلون أيديهم ويجرون وراء حمارهم وينظفون بيوتهم إذا لم يكونوا متزوجين ويمتثلون أمرهم. والمشايخ يلبسون الفرجيات، وهى ذات كمين واسعين تتخذ من جوخ أو تبيت.

والمجاورون يحترمون فى بلادهم فلا يشغلون فى السخرة، ولا يجندون فى الجيش، ويمكن أن يكون هذا هو السبب فى كثرتهم. والغالب أن يتبع الطالب مذهب أبيه فإن كان حنفياً فهو حنفى أو شافياً فشافعى وهكذا.

ولما انحصرت الفتوى والقضاء فى مذهب الحنفية تحول كثيرا إليه للتعيش. وقد كان الطلبة والمشايخ لا يأخذون ماهية إلا الجراية فكانوا يتكسبون من أوجه أخرى كإمامة مسجد وأذانه، ودروس خصوصية وخصوصاً للمستشرقين.

ولكل رواق عصبية يتعصبها بعضهم ضد غيرهم. وتحدث فى الأزهر حوادث

"كل شئ في الدنيا اتحول"

وحبنا مش زى الأول"

والحق أن للأزهر ميزات: منها أنه رفع راية الثقافة، يوم حوربت الثقافات حتى انكششت، وأنه كان قبلة المسلمين في الأقطار الإسلامية كلها، وأن منهجه في التدريس يعلم طلبته الصبر والدقة. فلا يقبلون من العبارات إلا ما كان دقيقاً منطقياً، مركزاً. ولهم صبر طويل على تفنيها وشرحها.

الأزياء: من أكثر ما يلفت النظر إلى المصريين تنوع أزيائهم، وخصوصاً الرجال، وهذا ما يدهش الأجنبي إذا زار مصر لأول مرة فهم يجدون العجب من اختلاف هذه الملابس فجة وقفطان وعمة – وجبة وقفطان وطربوش – وجلابية وطربوش – وجلابية وطاقيّة – وبدلة أفرنجية وغير ذلك مما لا تجد له نظيراً في اللبس الأوروبي. وكذلك المرأة – ملاء لف – وحبيرة وغير ذلك.

والذى يلاحظ الآن التغير السريع فى الأزياء. فالنساء تغيرت أزياءهن بعد السفر تغيراً كبيراً. وقبل السفر كانت تتغير عادة الأزياء من حين إلى آخر. فمثلاً كانت ثياب النساء فى الطبقة العليا والوسطى فى عهد محمد على قميصاً من حرير مختلف الألوان إما أبيض أو وردياً أو بنفسجياً أو أصفر أو أزرق ويزركش غالباً بالحرير أو أسلاك من ذهب، ويكون واسعاً جداً وعريض الأكمام

وقصيراً، ثم (شنتيان) يلف به الخصر بواسطة تكة تمر فى باكية بأعلاه ويربط من أسفل بالساق ثم يسبل إلى القدمين. ثم (يلك) وهو ثوب يلتصق بالقامة وينسدل إلى القدمين ويلف الجسم بإزار من أمامه من فوق إلى تحت، ويكون مفتوحاً من الجانبين وحزام يحيط بالوسط من حرير أو كشمير أو نحو ذلك. ويلبس السيدات فوق اليلك جبة من الجوخ فى فصل الشتاء مقورة من الأعلى وتكون مفتوحة.

أما غطاء الرأس فطاقيّة حمراء صغيرة يلف حولها منديل من حرير مزركش وتضع فى مقدمة الطاقيّة صفيحة مستديرة ويسميها النساء (قرصاً) والأغنياء منهن يصنعنها من ذهب ويرصعنها بالأحجار الكريمة.

وهن لا يقصصن شعورهن بل يتركنها، أو يضفرنّها ضفائر فى النهار أو فى الليل. وفى السهرات يتحلين بالحلى الكثيرة كالأقراط والعقود والخواتم والأساور.

ثم دخل على ذلك تغيير كبير فى عهد الخديوى إسماعيل، فكن يلبسن كذلك الشنتيان وهو سراويل واسعة تمكن السيدة من الجلوس على الشلطة، وفوق الشنتيان صديرى بدون أكمام وفوقه اليلك وهو رداء طويل. وعند الخروج يلبسن الفرجية وهى أشبه بالعباءة الواسعة، ويضعن على رؤوسهن العزيرية وهى غطاء للرأس مغطى من الداخل بقماش وفوقه ورد صناعى وتحتة اليشمك يغطى الوجه وهو من القماش الشفاف.

كانوا يستحضرون الجن. وقد شاهدت مجلساً لاستحضار الأرواح هذا. رأيتهم قد أطفأوا الأنوار، وأداروا أسطوانة على الفونوغراف، تبعث الهدوء والسكينة، ثم استحضر رئيس المجلس شخصاً ونومه تنويماً مغناطيسياً. وأغرب ما شاهدته رجل قالوا إنه غير مثقف، وإن أصله مبيض، فلما نومه كان يتكلم بالإنجليزية بلهجة هندية، وهو يداوى الحاضرين ويخبر كلاً منهم بمرضه وطريقة علاجه.

ولكن طريقة علاجه والحق يقال، لك تنجح معي. وقد زعموا أنهم يشاهدون في سقف البيت مناظر أرواح لأشخاص يعرفونهم ولكنى لم أر... وحكوا لى أشياء كثيرة من هذا القبيل، وطلبوا منى أن أجلس فى حجرة وحدى فى الظلام فى ليلة جمعة لأنهم يرسلون الأرواح، ولكنى لم أفعل.

ومرة أخرى وإن لم تكن من هذا القبيل بل من قبيل الإخبار بالمغيبات زارنى رجل تونسى يزعم أنه يقرأ البخت وكان معى صديق. وقد طلب منا هذا المغربى أن تكتب أوراقاً لما نحب أن نسأله فيه، ثم نضعها فى مصحف أماننا وهو يخبرنا بالأسئلة والأجوبة من غير أن يقرأها.

وقد ذهب إلى الحمام، وظل يأتى بحركات غريبة. ثم عاد إلينا وقرأ بعض الآيات، وقال إن فلاناً يسألنى فى ورقة عن اسم أبيه وأمه، ولم يكن أحد فى البيت يعرف اسمهما ولا أنا، واسم أبيه كذا واسم أمه كذا، وأخبرنى صاحبى أنه صدق فى

أما الرجال فكانوا فى الغالب يلبسون العمامة سواء فى ذلك الأغنياء أو غيرهم والجبّة والقفطان والحزام. ثم دخل التغيير على لباس الرجال والنساء جميعاً، فالنساء أصبحن يخرجن بالفساتين التى يلبسها فى البيت على شكل أجمل، والرجال فشئ فيهم اللبس الأفرنجى من جاكته وبنطلون حتى بين رجال الأزهر ودار العلوم... وفشئ لبس الطربوش أخذاً من الأتراك.

أما الفلاحون فهم كعادتهم يلبسون الجلابيب الزرقاء، وقليل منهم يلبسون الزعابيب. وهم يحتفظون بالعمامة على الرأس، وأكثرهم يسير حافياً من غير جزمة ولا مركوب. والنساء يلبسن الجلابيب السود الطويلة ويغطين رؤوسهن عند الخروج بمنديل ووجوهن بالطرح ويتحلين بالحلق، وأحياناً بالخلخال وأحياناً بالأساور.

وكل أمة تريد الإصلاح عادة، توحد زيها كما فعل الأتراك فى ثورتهم. فلم يُستثن منهم فى لبسهم إلا رجال الدين الرسميين، فقد سمح لهم بالعمامة. أما سائر الشعب فقد فرض عليهم لبس البدل الأفرنجية والقبعات، حتى المؤذنين. وذلك شعوراً بأن توحيد اللبس أول عمليات التجديد، لأنها تبعث فى النفوس نشاطاً، وقد بدأ المصلحون فى مصر يفكرون أيضاً فى توحيد الزي.

استحضار الأرواح: من عادة بعض المصريين استحضار الأرواح، بعد أن

لمن بعده فيكلمه مع الاسترسال ... وذلك ناشئ من ضعف العقلية ... ومن الغريب أن نرى ذلك بين المتعلمين، فقل أن نرى مثلاً رجلاً يتحدث عن موضوع واحد ثم يتم الحاضرون الكلام فيه وحده. ويأخذك العجب إذا قارنت بين مفتاح الكلام ومختتمه. وذلك أخذاً من كتب الأدب عندهم. وهناك نوع من البلاغة يسمى "الاستطراد" وهو في معنى الاسترسال، كالذي يفعله الجاحظ وابن عبدربه وابن قتيبة وأمثالهم حتى في الكتب، فترى كتاب الفقه كابن عابدين يغرق في موضوع فقهي وإذا به يتحدث في إعراب (حاشا لله) وهكذا. ولذلك لا تخلو كتاباتهم من مفارقات طويلة قد تكون لها علاقة بالموضوع بعيدة. وربما كان الرقى العقلي كفيلاً بذهاب هذا العيب.

الاستغاثة: يكثر المصريون من الاستغاثة بالأولياء. وهم يختلفون قوة وضعفاً. فأهل القرى يستغيثون بأوليائهم في قراهم. وأهل المدن بمشايخهم ومنهم من يعتقدون لهم سلطة عامة كالسيد البدوي وسيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة. ولهم في ذلك أناشيد ونذور، وربما بلغ ما يدخل في صندوق النذور للسيد البدوي في ثلاثة أشهر ما يزيد عن ألف جنيه، يدفعها الفقراء المحتاجون لمشايخ المسجد الأغنياء. ولهم في كل شيخ قصائد وابتهالات مثل ما قيل في السيد البدوي.

ذلك. ثم سأله عن اسم ابنه فأخبره بصدق - ثم قال له إنك سألت عن سعر القطن وسيرتفع، وكنت أنا كتبت أسئلة في ورقة؛ منها سؤال عن مرضى فأخبرني، وذكر دواء لم ينفعني، وكان مما كتبت في الأسئلة: "هل ستقوم الحرب العالمية الثالثة؟ ومتى؟" فقال إنها ستكون في نوفمبر القادم ولم يحدث. فظهر لي من جميع ذلك أن الرجل بالحركات التي عملها في الحمام قد نوم نفسه تنوياً مغناطيسياً، وبذلك استطاع أن يقرأ أفكارنا. أما الإخبار بالمستقبل فكان مجرد تخمين. أي أنه كان يقرأ من أفكارنا ما نعلمه، شأن كل المنومين المغناطيسيين، عندهم من الموهبة ما يستطيعون به أن يقرأوا أفكار الناس. أما قراءة المستقبل فدعوى لم يقم عليها برهان - والله أعلم.

الاستخارة: الاستخارة ضرب من قراءة الغيب، فيستخبرون بالسبحة، تؤخذ مجموعة من الحبات اعتباطاً، وآخر حبة هي القول الفصل في أن يفعل أو لا يفعل. وأحياناً يستخبرون بالمصحف يفتحونه حيثما اتفق، ويستخبرون بوق يقطعونه، ورقة فيها نعم، وورقة فيها لا. ويستخبرون بأول قادم يطلع عليهم، إن كان مليح الوجه أو رديئه. وهي شائعة عند المصريين.

الاسترسال: هو خلق من أخلاق العامة أو قاعدة من قواعدهم في المحادثة. يفتتح الواحد منهم حديثاً فيترك الحديث

الحاضرين "الفاحة" للسيد. فاستنكر الرجل
فعلمهم فقاموا عليه يضربونه حتى كاد يهلك
وما نجا منهم إلا بادعاء بعض أصحابه أنه
مجنون. ولكل شيخ من هؤلاء الأولياء مولد
تقام فيه الأفراح والليالي الملاح. وتختلف
فى عدد الأيام وفى عظم الزينات وفى
الطوى التى تباع على الأبواب. وربما كان
أعظم مولد للسيد البدوى ولسيدنا الحسين،
ويقصد إليهما من كل البلاد وتكثر فيهما
الاستغاثات والدعوات.

الاستفهام: يعتمد الشعبيون فى استفهام عى
الصيغة واللهجة أكثر مما يعتمدون على
حروف الاستفهام أو أسمائها. فتستطيع
بالمران أن تفهم إذا كانوا يستفهمون أو
يخبرون. وكذلك الاستنكار حتى أن الكلمة
الواحدة مثل كلمة "الله" تستعمل استعمالات
كثيرة تدل على معناها لهجتها. فقد تكون
للتعجب، وقد تكون للاستنكار وقد تكون
للإعجاب، حسب النغمات، ونحو ذلك.

استئجابنا: كلمة دخلت فى اللغة العامية
حديثاً بمعنى الجنون يقولون فلان استجابنا
أى بعقله خبل.

الأسرة: ويسمونها "العيلة". وهى عادة
وحدة الأمة. وكانت كل جملة من الأسر
تضمها حارة. والحارات يضمها شارع.
والشوارع تضمها المدينة أو القرية.
وقد كان للأسرة نظام معروف، فكان يضم

يا سيد كم لك من مدد
يسمو عن وصف أو عدد
وبكم طنطا أعلى بلد
بوسيع رحابك يا سيد
كم جاءك مسكين يبكى
وعليل من ألم يشكى
وفقير من حال ضنك
فأخذت بيده يا سيد ...
أهل التصريف لهم شأن
فى الكون رجال شجعان
والقوم جميعاً فتیان
وأبو الفتيان هو السيد
حتى فى الحج مع المركب
تسعى بالجسم مع القلب
وتكون دواماً فى الدرب
نحو المختار أيا سيد
للشدة أنت أبو فراج
سند للعاجز والمحتاج
وسبيل للفضل بكم قد راج
وازداد بسرك يا سيد
وقع القنديل من الأعلى
للأرض فلم يكسر أصلاً
نورت بنورك ما أظلم
من لاذ بك لا يظلم
وألنت حديد الباب إذا
جندى جاء يريد أذى
فنجاً من لاذ بكم وكذا
ينجو من جاء إلى السيد
وأعرف صاحباً لى ركب القطار مع
الركاب، فلما وصلوا إلى طنطا قال بعض

والمرأة فى أسرة الفلاحين أحسن منها فى المدن. فهى تعين زوجها فى زراعته فتحلب جاموسته وتصنع سماده وتأتيه بغذائه فى الغيط وتعينه فى الدرس والجمع وتفهم فى الزراعة مثل ما يفهم على عكس المدينة. فالفرق بين معلوماتها ومعلومات زوجها كبير؛ ولذلك يتفاهم الزوجان الفلاحان فى كل شئونهما. وقل أن يكون ذلك فى المدن. فقد كانت الزوجة إلى عهد قريب خادمة نظيفة والزوج فى وظيفته أو قراءته أو حساباته المالية منعزلاً عن زوجته لا يستطيع إشراكها معه.

وقد شاهدنا فى عصرنا تحول الأسرة من سيطرة الأب إلى سيطرة الأم ومن استبداد الرجل إلى استبداد المرأة. وشاهدنا فى عصرنا أيضاً أن حجاب المرأة يتحول إلى سفورها، وجهلها إلى تعلمها، وتفريطها فى حقوقها إلى الغلو فى طلبها، حتى لتريد أن تشارك فى السياسة فتتخب وتنتخب. وشاهدنا مزاحمتها للرجل فى العمل والتوظيف، وشاهدنا كثيراً من البيوت يكون فيها الزوج موظفاً والزوجة موظفة ويسلمان أولادهما للمربيات.

ولما فشا تعليم المرأة قل الاعتقاد بالخرافات والأوهام. ولما سفرت المرأة عرفت كثيراً من أحوال الرجال وشاركت فى إدارة الأموال وزاد حظها فى كل شأن من شئون الحياة. ومع ذلك بقيت الأسرة قديماً وحديثاً خير مرب للأطفال. ولم يوجد ما يستعاض به عن الأسرة.

الرجل الكبير والزوجة والأبناء والبنات وقد تضم أيضاً الأقارب، كالأبن وزوجته وولده والأخت المطلقة الحماة وغير ذلك. وقد يضم البيت زوجتين "ضرتين". ومن أجل كبر الأسرة كانت تكثر فيها المشاحنات والخصومات. وقد ينقضى الليل فى الحكم بين المتخاصمين والمتخاصمات، وقد ينتهى بالضرب أو الطلاق.

والأسرة إلى عهد قريب كانت محكومة بالسلطة الأبوية فكل السلطة فى يد الأب، والزوجة لا تجرؤ أن تأكل معه، والأولاد يحترمونهم، فلا يصح أن يدخنوا أمامه، ولا أن يتكلموا بصوت يعلو على صوته. ولا يصح أن يتزوجوا إلا برضاه. والأم لا يصح أن تخرج إلا بإذنه، وبيده ميزانية البيت. وهو الذى يتحكم فيما يؤكل وما لا يؤكل.

والأسرة أيضاً وحدة اقتصادية كما أنها وحدة اجتماعية. فلكل حارة سوقها القريب منها، تشتري منه الضروريات ولا تحتاج إلى غيره إلا فى الكماليات. وهى أيضاً وحدة دينية. فالولد يتعلم منها شعائر الدين. وقريب من الحارة المسجد، يصلون فيه صلاة الجماعة وصلاة الجمعة، والمسجد أيضاً يقوم بوظيفة اجتماعية بجانب الوظيفة الدينية فمكان الحارات يتعارفون فى المسجد، ويعرضون فيه مشاكلهم الاجتماعية، وفى الأرياف يتحدثون عن حالة الزراعة من قطن وقمح ودودة وما فعل الحر بالزراعة وما فعل البرد وغير ذلك.

أباؤهم وأمهاتهم من الأموال كلما طلبوا... وهكذا، حتى إذا انفصل الولد أو البنت وكونا لأنفسهما بيوتاً خاصة ظل الاتصال الشديد بينهما وبين الأسرة. ولا بد من أن يرسلوا إليهم كعكاً في العيد الصغير، ولحماً في العيد الكبير، وهدايا متتالية. وهذا عكس ما نشاهده في الأسر الأوروبية. أعرف أسرة أمريكية مات واحداً في الحرب فنشرت عنه الجرائد، فلما ذهب بعض الأصدقاء للعزاء شكوا في أن يكونوا هم المقصودين لأنهم لم يشاهدوا عليهم أثراً من آثار الحزن. نعم إنهم يحزنون ولكن في حدود ضيقة ويحزنون في أنفسهم ويبشون للناس.

وتجد كثيراً من الأغنياء في أوروبا وأمهاتهم أو أبائهم في أشد حالات البؤس. وقل أن ينفق إنجليزى أو أمريكي على ابنه في التعليم الجامعى ولكنه إذا أراد الولد عمل بنفسه ليكتسب ويصرف على نفسه، كأن يشتغل صبى لبنان أو بائع جرائد أو موزع بريد في جامعة أو كناساً للجامعة أو طباحاً. ثم من مظاهر الأسرة المصرية أيضاً الاتصال والاعتزاز بالأقارب حتى الأبعدين، فهذا ابن ابن عمه، وهذه بنت بنت خالته، وهكذا حتى ليبلغ ببعضهم الاعتزاز بحارته أو قريته.

والأسرة المصرية كما يدل عليها ماضيها وحاضرها سائرة إلى السفور وإلى توحد الزوجات وإلى التعلم وإلى السلطة النسائية، وإلى مشاركة المرأة فى الأعمال

وقد كان فى القديم تتعارف الأسر وترتبط برباط متين خصوصاً من كان منها فى حارة واحدة أو شارع واحد. ولكن لما غزتنا المدنية الحديثة قل اختلاط الأسر. فكثيراً ما ترى أسرة فى شقة من عمارة لا تعرف شيئاً عمن يسكن بجوارها، تقليداً للأفرنج فى معيشتهم. ومن أجل هذا أيضاً كان من أكبر مظاهر الأسر فى الزمن القديم الاشتراك العام فى المآتم والأفراح، ومساعدة الأسرة البائسة، وعيادة المريض إذا مرض فى الحارة، والمشى فى جنازته، وسؤال كل فرد فى الحارة عمن يسكنه. فزال كل ذلك بحكم اعتزال الأسرة.

والأسرة المصرية كثيرة العطف على أفرادها، وهى تصغى إلى العاطفة أكثر مما تصغى إلى العقل. ومن مظاهر ذلك كثرة الاتصال بموتاتها فى زيارتهم فى كل موسم والطلوع عليهم بالخصوص والفاكهة والفطير وقراءة القرآن الكريم والترحم عليهم وغير ذلك. ثم مساعدة الأولاد مهما كبروا واستطاعوا أن يقفوا على أرجلهم. ثم الخوف الشديد من سفرهم والبعد عنهم ولو إلى مسافة قصيرة.

ومن هذه العلاقات احتفالات كبيرة بمظاهر الزواج والمآتم حتى تقع الأسرة من جراء ذلك فى فقر شديد. وقد تضطر الأسرة إزاء عطفها الشديد إلى ارتكاب ما يضره فأعرف أسرة لم ترض أن ترسل أولادها إلى المدارس خوفاً عليهم. وأعرف أفراداً من أسرة أخرى فسدوا لكثرة ما يمدهم به

كرفاعة الطهطاوى وعبدالله أبو السعود،
ومحمد أنس وميخائيل عبدالسيد صاحب
جريدة الوطن فكانوا يمثلون الخصائص
القديمة التي ذكرناها.

وكان من أكبر ما ساعد على الانطلاق
فى الكتابة والتدفق وغزارة المعانى
الصحافة المصرية، واقتباس الأدباء
المحدثين من الأدب الغربى، كما كانوا
يقتبسون من الأدب العربى. وكان المثل
الأعلى للكتابة مثلاً إنشاء العطار وما كتبه
من سجع وجناس وبديع. ثم صار المثل
الأعلى حديث عيسى ابن هشام لمحمد
المويلحى، والنظرات للمنفلوطى، وكلاهما
لم يتحرر من السجع بتاتاً، ولم ينطلق
صاحبه انطلاقاً تاماً، فظلاً يحثان إلى
السجع حيناً، وينطلقان حيناً، حتى استوى
للأدباء الحديث المرسل، والتحرر من
السجع. وحتى بعد تقليد الأدب الغربى ظلت
فى مصر مدرستان، مدرسة تقلد الأدب
العربى القديم فى سجعه ونمط بلاغته،
ومدرسة تقلد الأدب الغربى فى استرساله
وعنايته بالمعانى. ومن الملاحظ أن النثر
العربى فى مصر نجح فى تقليده الأدب
العربى أكثر من نجاح الشعرا،
فقد ظل الشعرا مقيداً بالبجور القديمة
والقوافى والموضوعات غالباً، ولم يتحرر
تحرر النثر.

اسم التفضيل: للمصريين ولع باسم

التجارية والسياسية وإلى التزوج من غير
أقاربها وإلى تحديد النسل وعدم الإكثار
منه، وإلى ضياع الفروق الكبيرة بين الرجل
والمرأة فى الترام والقطارات ونحو ذلك،
وإلى ضيق نطاق الأسرة والاهتمام فقط
بالأزواج والبنين والبنات وإلى الاستقلال
المالى.

وأخشى أن يرجع الأمر إلى ما قاله
هيرودوت عن المصريين (أن النساء يعملن
فى الأسواق والرجال يعملون فى البيوت).

أسلوب الكتابة: يختلف أسلوب الكتابة
اليوم عن الأسلوب فى الأيام الماضية، فقد
كان من خصائص الأسلوب الماضى قلة
المعانى والعناية بالألفاظ والتزام السجع،
حتى فى أسماء الكتب وعنوان المقالات،
والإمعان فى الجناس والفرح به، وتضمين
الكتابة الشعرا.

ولم تكن الكتابة طيبة فى أيدى الكثيرين.
بل كان الكاتب كأنه ينحت من الصخر،
وكانت الكتابة ممزوجة فيها اللغة العامية
باللغة الفصحى، كما يرى فى كتاب بدائع
الزهور وتاريخ الجبرتى. وكان عبدالله نديم
فى مجلة الأستاذ ينشر بعض مقالاته باللغة
الفصحى وبعضها باللغة العامية.

ثم رزق الله الأمة من تحرر من سجع
وتحرر من الزينة اللفظية وأطلق لقلمه
العنان. وربما كان من طلائع هؤلاء،
إبراهيم المويلحى وعبدالله نديم، والشيخ
محمد عبده فى عهده الأخير. أما من قبلهم

التفضيل. ولهم فى ذلك تعبيرات لطيفة وتشبيهات بليغة أعرض للقراء أهمها. فهم يقولون: "أبرد من مية طوبة" يقولونه للسمح الثقيل الروح. وإنما اختاروا طوبة لأنه أكثر الشهور برداً. وأهل الجزائر يقولون فى مثله "أبرد من الثلج"، والعرب الجاهليون يقولون "أبرد من عضرار" والعضرارس البرد أو حب الغمام، والمولدون يقولون "أبرد من استعمال النحو فى الحساب"، ويقولون أيضاً "أبرد من شيخ يتصابى وصبى يتمشيخ". ويقولون "أبغض من وش التاجر يوم كساد السوق". وأصله مثل عربى وهو "أبغض من وجوه التجار يوم الكساد". وفى مثله يقولون "أبغض من ريح السدب للحيات" والسدب محرفة عن "السداب" وهو نبت زهره أصفر ورائحته ليست قوية، وهم يدعون أن رائحته تطرد الحيات والثعابين. ولذلك نجد فى كثير من البيوت نبات السدب مزروعاً فى "القصارى". وعلماء النبات والحيوان هم الذين يستطيعون أن يذكروا لنا الرأى الصحيح فى ذلك. ويقولون: "أبخل من كلبة يزيد" ولم أدر من يزيد هذا؟ هل هو يزيد بن معاوية أم غيره؟ وربما كان أصل المثل أبخل من كلبة ميت يزيد. وميت يزيد هذه قرية من قرى المنوفية "مشهورة بالبخل" وكلابها أبخل منها حتى يحكوا عن بخلهم وبخلها حكايات كثيرة.

والعرب من قديم تصف الكلاب بالبخل فتقول "أفبح من قرد، وأبخل من كلب".

وفى ذلك يقول الشاعر:
وأفبح من قرد وأبخل بالقرى
من الكلب أمسى وهو غرثان جائع
والعرب القدماء يقولون "أبخل من مادر". ومادر هذا رجل من بنى هلال، بلغ من بخله أنه سقى إبله فبقى فى أسفل الحوض ما قليل، فبال فيه حتى لا ينتفع به أحد من بعده. ويقولون: "أثقل من جبل الجبوشى". وهو جبل بالقاهرة قرب القلعة وتشبيهه الثقل المعنوى بالجبل معروف مشهور. فأهل الجزائر يقولون "أثقل من جبل"، والعرب تقول "أثقل من أحد"، ويقولون "أثقل من الكانون". قال الحطيئة يهجو أمه:
أغربالاً إذا استودعت سراً
وكانوناً على المتحدثينا
وقد اختلف الشراح فى تفسير هذا البيت فقال قوم إنه يريد بالكانون الموقد، وهو ثقيل لأن العرب كانت تضع حجرين على الجبل وتوقد بينهما النار، فالجبل أحد دعائم الكانون، ومن أجل هذا سموه ثالثة الأثافي. وقال بعضهم إنه يريد بالكانون شهر كانون لأنه فى قلب الشتاء.

وللمصريين تعبيرات كثيرة فى الثقل فيقولون "أثقل من آخر يوم فى رمضان"، و"أثقل من المطالب بالدين"، والموظف يقول "أثقل من آخر يوم فى الشهر"، والمرأة تقول "أثقل من الحماة"، و"أثقل من أخت الزوج".

وإذا شكت امرأة لأخرى قالت الأخرى

لها "تشكين ولا حما ولا أخت زوج". ويقول العامة أيضاً "ليس أثقل من الإنسان على الإنسان" وهم ينظرون في ذلك إلى قول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطيّر
ويقول شاعر في وصف ثقيل:
وثقيل قال صفني

أنت في الوصف جليل
قلت قولاً باختصار

كل ما فيك ثقيل
ويقولون أيضاً في هذا المعنى "أثقل من الهم على القلب"، وهو تعبير ظريف وبعضهم ينطقه "أكثر من الهم ع القلب".

وفي عكس ذلك يقولون: "أخف من ريش النعام" يقولونه في الخفة واللطافة، يعبرون به عن الإنسان وعن الكلام وعن كل شيء ظريف. ويقولون: "أجوع من كلب العرب" لأن أغلب العرب الذين يسكنون على حدود المدن المصرية فقراء فكيف بكلاهم. وأهل الجزائر يقولون: "أزلط من فار الجامع" ومعنى أزلط منتوف الشعر، ومنه قول المصريين رأسه زلط، أي لا شعر فيها. ومثل قول أهل الجزائر قول الفرنسيين "أفقر من فأر الكنيسة". والعرب تقول في ذلك "أجوع من كلبة حومل". وحومل هذه امرأة من العرب كانت تجيع كلبه تحرسها، فكانت تربطها بالليل لحراستها وتطردها نهاراً وتقول لها التمسى لنفسك لا ملتمس لك، فلما طال ذلك على الكلبة أكلت ذنبها.

ويقولون:
"أقل موال ينزه صاحبه" يعنون بذلك أن الإنسان إذا حفظ موالاً ولو كان تافهاً وأحبه كان سبباً في سروره إذا غناه. ويقولون:
"أمر من الصبر وأمر من الحنضل" وأمر هنا من المرارة، والصبر مادة مرة. وفي ذلك يقولون: "أمر من الصبر سؤال للنيم"، و"أمر من الصبر سؤالك لغير مولاك".
ويقولون: "أمسخ من الطبخ الشايط" والطبخ الشايط هو الطعام الذي يحترق على النار فيسوء طعمه وتفسد رائحته، يضر بونه مثلاً لكل شيء كريبه لا طعم له ولا معنى له.

وعلى الجملة فقد أولع المصريون والعرب من قبلهم باسم التفضيل جرياً وراء المبالغة.

اسم النبي حارسك: تعبير يقال لدفع العين. ويقال أيضاً لمن أشرف على مكروه.

الأسماء والألقاب: لبعض المصريين أسماء وألقاب غريبة وخصوصاً عند الفلاحين. أما أهل المدن، وخصوصاً الطبقة الراقية فتعتنى باختيار الأسماء. وكثيراً ما يستعملون الأسماء التركية كثروت وبهجت وحكمت إلخ. وفي العصور الحديثة قلد الأقباط الإنجليز في أسمائهم، كولين وجورج. أما الفلاحون والطبقة السفلى من القاهريين فلهم أسماء وألقاب وكنى غريبة مثل أبو سنة، أبو سبعة، أبو هبل، أبو

"بت الودن"، ويؤبؤ العين "الننى"،
والشارب "الشنب"، والفم "الحنك"،
والمرئ "الزور"، واللحية "الذقن"،
والترقوة "الجوزة"، والثدى "البز"، والبطن
"الكرش"، ومفاصل الأصابع "العقد"،
والإصبع الكبير "الكبير"، والسبابة
"الشاهد".

الأسبياد: يستعمل فى الغالب للأولياء من
أهل عالم الغيب أو الجان. وأحياناً يكون
الأسبياد من أشكال مختلفة: هذه عليها أسبياد
سودانية، وهذه حجازية، وهذه مغربية،
وهكذا. ويتضح ذلك فى حفلات الزار،
فربات الزار تضرب نغمات مختلفة على
الدف، لكل نوع من الأسبياد ضربة خاصة
ولا تفقر السيدة إلا إذا دقت دقات مناسبة
لهذا النوع من الأسبياد التى عليها⁽¹⁰⁾.

وتستعمل كلمة الأسبياد فى لسان الشعب
المصرى بمعنى العفاريث والأولياء التى
تركب الإنسان وخصوصاً السيدات،
وتتقمص أجسامهم وأجسامهن. ولهم فى هذا
تعبيرات مختلفة فيقولون - مثلاً - "جنته
مش خالصة"، أى جسمه مشغول بالأولياء
أو العفاريث. ويقولون "ركبه عفريت"
و"عليه أسبياد"، وإنما كانت الأسبياد تألف
النساء أكثر من الرجال لضعف أعصابهن
ورقة مزاجهن واستعدادهن لسلطة الأوهام
عليهن.

ولكل سيد من هؤلاء الأسبياد ملابس
تناسب جنسه وأغان تناسب لغته ورقصات

خربوش، الأعور، الأسود، الأعسر،
الأعرج، أبو طبيخ، برغوث، بلاص،
جمل، بعور، حلوف، حتوت، جحش،
جندى، دبور، غراب، سمسار، عجل، فار،
شرباش، شرباص، شلتوت، عفن، قط،
كرارة، كشك، وزه.

ومن النكت اللطيفة أن رجلاً كان من بلدة
اسمها الزربية بجوار بلبس وكان اسمه
الحاج على الفحل فاستدعى مرة للشهادة
بمحكمة الزقازيق، فلما سأله القاضى عن
اسمه واسم بلده قال "على الفحل من
الزربية" فضحك القاضى.

ومن أسماء النساء وألقابهن: بعرورة،
جنديّة، عساكر، ستهم، ست الكل، ست
الدار، ست الأهل، ست أبوها، ست البلد،
زعبوطه، بطة، هندية، هاتم، هنومة، مكية،
سيده، مسعدة، مسعودة، سيسبان، ست
إخواتها، أم الخير، زحفة، طربوشة، شعلة،
شعلانة⁽⁹⁾.

ولهم فى أسماء الشهور بعض
اصطلاحات، فيسمون المحرم "عاشوراء"،
وربيعاً الأول مولد النبى، وربيعاً الثانى
مولد الحسين، وجمادى الأول وجمادى
الثانى الجمادين، وشوالاً شهر العيد
الصغير، وذا القعدة بنات الأعياد، وذا
الحجة العيد الكبير.

ويسمون الجسم كله البدن والجتة،
ويسمون الجمجمة النافورة، والشعر النبات
على أم رأس شوشة، والأذن "الودن"،
وطبلة الأذن "صرصور الودن"، والصماخ

تناسب أمته ودقات على الدف تناسب رقصته.

فإذا كان الشيخ الذى على الست عربياً لبست فى الزار لباساً عربياً، ورقصت رقصة عربية، وغنت لها جوقة الزار غناء بلهجة عربية. وإذا حضر الشيخ على لسان الست تكلم بلهجة عربية. ونظير ذلك إذا كان مغربياً أو سودانياً أو حبشياً.

ومن أجل هذا يكون للست التى عليها الأسياد ملابس خاصة للزار وحلى خاصة بحفلات الزار، تتناسب والشيخ الذى عليها. وإذا كان الشيخ لم يعرف بعد، فإن الكدية والمغنيات تدق لها سبع دقات كل دقة على طريقة خاصة. وعند كل دقة وكل طريقة تلبس السيدة لباساً من جنسها، فالنغمة التى تعجبها فترقص لها تكون هى الطريقة التى تعرف بها الست، ويعرف بها نوع الأسياد الذين يلبسون جسمها.

فإذا كانت الأسياد من نجد كان من ضمن الأغنية: يا سيد نجد، يا لابس سيفك، يا محيي ضيفك، يا مدلع فى الميدان، يا لابس العباية فى الميدان، مكحل عيونه، وراخى شعوره.

وإذا كان سودانياً، فمن أغانيه: يا أبو العباس يا سلطان الرجال، يا حامى الرجال، يا مرحباً بك يا مرحباً، يا لابس الياقة والكوفية على العمامة.

وإذا كانت السيدة سودانية ضُربت لها الدلوكة وقالوا: دلكتك يا دلوكة، يا مرحباً يا دلوكة، عدى البحر على دراعه، طلع النخلة

بدماعه، يا فارس بين إخوانه.

وإذا كانت مغربية سموها عويشة، وقالوا: يا عويشة لله يا مغربية، يا عويشة على الخد نادى، حزام عويشة على الخصر ليّ، خلخال عويشة رنة برنة. يا عويشة لله يا مغربية، يا عويشة لله ارضى على، يا عويشة لله من المغرب جيه، يا عويشة لله ارضى على. من تونس جيه، من مكة جيه وست عظيمة... وهكذا.

ولهم نشيد عند البخور، منه قوله: اتكلنا على الله والنبي، الفاتحة لعم وعثمان وعلى، والعشرة الكرام المتدركين بكل ولي.. وملوك السما وملوك الأرض، والشهدا والصالحين، واللى انقفل عليهم الدرب، وملوك البر وملوك البحر وإخواننا، يجعلهم راضيين عنا .. الفاتحة لستى سكينه وسيدي محمد الخواص. الفاتحة لستى سكينه، صاحبة الليلة العظيمة؛ الفاتحة لسكان المغرب عويشة لله، والسادات البكرية والخضر وإلياس، سلام لهم وعليهم. وكمان الفاتحة لسلطان الحبش، كبير مع صغير شئ لله، ولهم الفاتحة.

وللأسياد نظام متسلسل الحلقات، من حفلات بخور، ومن حفلات زار. وسيأتى الكلام على ذلك فى مادة "بخور"، ومادة "زار"، انظرهما فى حرف الباء وحرف الزاى.

الأشايير: يطلقونها على أدوات الذكر التى تتقدمه من رايات وبيارق وطبل ودف ونحو ذلك. وتستعمل عادة فى المحافل كمولد النبى

ومولد الحسين وإقامة أذكار خصوصية.

الأشلا: اسم يطلقونه على ما يطلق عليه اليوم (المستشفى). وهو اسم كرية يقابل بالفزع إذ يظهر أن التمورجية والأطباء كانوا يعاملون فيه المرضى معاملة قاسية. وبقي من آثاره إلى اليوم كراهية إرسال المريض إلى المستشفيات. ويظهر أنه اسم تركي كان يطلق على الثكنة. وكان المستشفى يكاد يقصر على جرحى الجنود. ولذلك كان من مفهوم الأشلا أيضاً الدماء والجروح وما إلى ذلك.

الأشياء المقدسة: يقدس المصريون أشياء كثيرة، كحذاء الجلشنى، والنعل القديم يعلقونه على رأس الخيل أو على باب دكان، أو يعلقونه تحت إبط الأطفال، يعتقدون أنه يمنع من تأثير العين.

ويشترط في مثل هذا النعل أن يكون ملقى فى الطريق، لا يعرف له صاحب، وأن توجد إحدى الفردتين فقط. ويعتقدون أكثر وأكثر فى بوابة المتولى، ومعنى المتولى أحد الأقطاب الذين يحكمون الدنيا. وترى بوابة المتولى مربوطاً على مساميرها فتل كثيرة أو شعور أو قطعة من منديل، ويعتقدون فى الأضرحة ويتبركون بالمحمل.

ومما يقدس أيضاً فى مصر شجرة الحنفى وشجرة العذراء فى المطرية وشجرة الشراكسة ونحوها. ويقدمون أيضاً الخبز فيحرمون المشى عليه ويلتقطونه من

الطريق ليضعوه بجانب الحائط، ويقولون استغفر الله العظيم. كما يقدمون الورقة المكتوبة ولو كانت قطعة من جريدة لعل فيها آية من القرآن أو اسماً من أسماء الله إلى غير ذلك ..

أصبح حاله عَدَم: تعبير يعنى صار يائساً، فَعَدَم كل شئ وخصوصاً الصحة.

أصحاب العاهات: الاعتقاد الشائع أن أصحاب العاهات جبارون، أخذاً من قولهم: كل ذى عاهة جبار، وذلك كالأعمى والأعرج. ويظهر أن ذلك طبيعى، لأن الطبيعة تريد أن تعوض النقص، فصاحب العاهة إذا رأى نقصاً فيه اشرب إلى القوة ليستر نقصه، فكان جباراً ليُتحدث عن جبروته فيستر آفته.

وقد اشتهر بعض أصحاب العاهات ببعض الحرف. فقد رأيت مثلاً أن السقائين عموماً فى الواحات الخارجة عميان، ويسيروا فرقاً فرقاً. وكثيراً من العرج يبيعون الجرائد والمجلات. ومنهم من يستغل عاهته لعطف الناس عليه كبعض الشحاذين، يُرى الناس ذراعه المقطوعة أو برصه لاستدرا الإحسان منهم.

وعلى العموم فالعاهات كثيرة فى مصر نسبتها فيهم أكثر من غيرها من الأمم بسبب القذارة والغبار والاعتماد على طب الركة وعدم الإيمان بالأطباء أو الكسل فى المعالجة.

والعقارب فى هذه الكهوف كثيرة جداً وقد شهد كثيرون ومنهم أطباء بنفع هذا الفص فى لدغة العقرب. فمن لدغته عقرب دهن من هذا الفص عقب لدغه وربط جيداً فيقف سمها فى مكانه ويتجمد حتى يصير كتلة واحدة ولا يسرى فى الجسم. وبعد أربع وعشرين ساعة يفك الرباط ويشترط المكان المتجمد فيه السم فيبرأ المريض.

أطلق مُنادى: إذا ضاع شئ وأجروا بعض أشخاص مخصصين للنداء يقولون: أطلق عليه منادى.

الأعراب: يسكن مصر، وبالأخص على تخومها قوم من البدو، يسمون الأعراب. وقد كانت سيرتهم فى الزمان الأول سيرة غير حميدة لاشتغالهم بالسلب والنهب، وتلك عادة قديمة. حتى ذكرها ابن خلدون فى مقدمته، ووصفهم فيها أوصافاً كثيرة.

واستمر شئ من هذا الحال إلى يومنا هذا. فالأطيان التى يسكنها بدو أو حولها بدو تكون ضعيفة الثمن والإيجار، لن البدو ينهبون محاصيلها، وإذا استأجروا لا يدفعون إيجارها ولهم مع ذلك فضائل من كرم وبساطة عيش. وكان عددهم كبيراً أيام الحملة الفرنسية، فقد بلغ أيامها نحو مائة ألف نفس تقريباً. منها ثمانية عشر ألفاً إلى عشرين ألفاً فوارس. وهم يحبون الصحراء، ولا يسرون من سكنى الحضر، لأنهم كما يقولون يفقدون فيها خشونتهم وبساطتهم وشجاعتهم، وتضعف فيها عصبيتهم. وهم

إصطبل عنتر: هو كهف منقور فى الجبل بأسسيوط على بعد ساعة بالمشى العادى. وأصله من مقابر قدماء المصريين على دهليزه كتابة هيروغليفية، فيها اسم كاهن من كهنة العائلة الثالثة عشرة. وهذه العائلة على قول الحفائر تولت من سنة 2151 إلى 2398 ق.ب. وقد اتخذ هذا الكهف وأمثاله ملجأ للمسيحيين الذين كانوا يفرون من الاضطهاد فى مبدأ انتشار النصرانية على عهد الملوك الوثنيين.

أما لم سمي هذا اصطبل عنتر فلم أقف عليه. ولعله مجرد وهم وتخريف كما سما مصطبة عالية فى حى الخضيرى، بمصطبة فرعون. ويقصده بعض الناس أحياناً هو وأمثاله من الكهوف لاصطياد العقارب، لأن بها عقارب كثيرة. وبعضها يكون فيها فص بقدر الحمصة، مادته عظيمة. فإذا عثر على عقربة بها فص من هذا اصطيبت العقربة، ونزع منها هذا الفص، ويعتقدون أنه نافع للدغة العقرب.

وطريقة صيد العقارب أن يلبس الصائد ثوباً مخصوصاً لهذا الغرض مصنوعاً من الجلد قطعة واحدة، يلبسه من الصدر، ومع الصائد عصا فى طرفها قطعة حديد محددة ولها رأس كراس السنارة يدخلها الصائد فى العقرب، ويخرج بها فى النور، فإذا وجد فى ظهرها هذا الفص استخرجه فى الحال بملقاط من حديد قبل أن تموت. وقل أن يوجد هذا الفص لأنه نادر.

أعانوهم بكل ما يستطيعون. والحكومة تحاول من عهد محمد على كسر شوكتهم وتقليل أظافرهم وتحضيرهم. حتى أن محمد على فى أحد حروبه مع الأعراب اشتراط فى الصلح معهم أن يسكن كبار زعمائهم وشيوخهم مدينة القاهرة ليكونوا رهناً عنده على طاعتهم.

وقد أراد على بك الكبير أحد أمراء المماليك فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر أن يببدهم ولكن كانت هذه السياسة خاطئة، فمن الخير الانتفاع بهم والاحتفاظ بشجاعتهم وصد عدوانهم. ومن الأمثال المشهورة على لسان المصريين "ظلم الترك ولا عدل العرب". وهذا يدل على أن ما لقيه المصريون من هؤلاء البدو أسوأ مما لقوه على يد الأتراك مع شدتهم.

أعزؤه: أصلها: أعزؤه، ثم استعملت بمعنى أفرض.

أفندى: لقب كان يطلق على الحكام الذين يلبسون الطربوش والبدلة. فإذا كان يلبس جلباباً وطربوشاً قالوا إنه أفندى بظرميط، ومعنى بظرميط أنه ملخبط، فهو أفندى لللبسه الطربوش، وابن بلد لللبسه الجلباب. وكذلك يسمون الولد يأتى من أبوين أحجها مصرى والآخر سودانى بظرميط. ويسمون أيضاً الفراخ التى تأتى من ديك هندى وفرخة بلدية أو بالعكس بظرميط، ويقولون "بلاش بظرمه". أى كلام فارغ.

يتأثرون بالعواطف أكثر من تأثرهم بالعقل، ويعشقون الحرية والاستقلال، ويعتزون بنسبهم، ولا يخضعون لنظام. وإذا خاطبوا أميراً خاطبوه بجرأة. وإذا جد الجد اكتفوا بالقليل من لبن النياق أو بعض التمر. كما اشتهرت نساؤهم بالشجاعة وبالجمال. وفى ذلك يقول المتنبى:

حُسْنُ الحضارة مجلوب بتطرية

وفى البداوة حُسْنٌ غير مجلوب
ويقيم البدو عادة فى الخيام، وهى تصنع من الأوبار السوداء أو السمراء أو من جلود المعز، وتمتاز خيمة الرئيس ببياضها. ويقسمون الخيام عادة إلى قسمين، قسم للنساء وقسم للرجال.

وقد اقتسموا الصحراء المصرية لكل قبيلة نصيب منها، وكثيراً ما يختلفون فيتحاربون. ولا يزالون يحبون من الرجل أن يكون فصيحاً. ويحبون التشبيهات فى الكلام، ونقل بينهم الأمراض لاستنشاقهم هواء الصحراء، واعتيادهم الرياضات البدنية. ومن هؤلاء التراجمة والأدلاء وهم قوم أصلهم من هؤلاء القبائل، تعلموا اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وهم يلازمون السياح إذا حضروا إلى مصر فى الشتاء ويعرفون مسالك الصحراء. ولهم صدق نظر فى تقدير المسافات ومعرفة جهات الماء. ومنهم مع الأسف قطاع طريق ومهربوا حشيش وإن كان قد قل ذلك اليوم. ومع الأسف أيضاً قد انتفع بهم الإنكليز فى ثورة عرابى، فاستهووهم بالمال حتى

فاعتبروا أنفسهم أصحاب مصر الشرعيين وسادتها الحقيقيين، وأن المسلمين في نظرهم كانوا فاتحين غاصبين. ويستريح كثير من المسلمين المصريين إلى استخدامهم في الأعمال الحسائية لاشتهارهم بالطاعة، ويلبسون كما يلبس المسلمون سواء في المدن أو في الريف، وهم أميل إلى اللون الأسود أو الأزرق.

وهم من أكثر الناس تحمساً لدينهم، وذهابهم للكنيسة، ويهتمون بالحج إلى بيت المقدس اهتمام المسلمين بالحج إلى الكعبة، ورجال الدين منهم يلبسون فرجيه سوداء تشبه فرجية العلماء المسلمين، ولهم عمامة خاصة سوداء، ولا يتزوجون إلا من أنفسهم، بينما قليل من المسلمين يتزوجون منهم.

وهم يحتقرون المرأة إذا عقلت، ويجهلون اليوم لغتهم القديمة. وقد كثروا في الوظائف ومهروا في صياغة الحلى. وفي الفيوم يستقظرون ماء الورد، وفي أسيوط ينسجون الكتان، وهم مع ذلك يشاركون في الأعمال الأخرى التي يزاولها المصريون.

ومن الأسف أن أقيم مؤتمر اتسعت فيه هوة الخلاف بين المسلمين والأقباط وألقين الخطب تمجد الأقباط، وتندد بالمسلمين، سمي "مؤتمر الأقباط". فرد عليهم المسلمون في مؤتمر آخر رأسه مصطفى باشا رياض. ولكن تدارك الله هذه الحركة بالتوفيق بين المسلمين والأقباط في الثورة المصرية. فكانت ترى في العربة الواحدة أو

وأصل اسم الأفندي كان محصوراً في العائلة المالكة في الأستانة، يقابل برنس الأفرنجية. وكان يطلق على السيدة المحترمة أم الأفندي. والآن برطشت الكلمة فصارت تطلق حتى على الفراشين الذين يلبسون البدلة، ويخدمون في الأفراح والمآتم، تمييزاً لهم عن الفراشين ذوى العم.

الأفيون: يستعمل أحياناً للتدخين في مصر. وهو يناسب من غلب عليه السكون والميل إلى التأمل. وأحياناً يخلطونه بغيره ويسمى المنزول. ويستعمله غالباً من يريد التخذر عند اتصالهم الجنسي. وهو محرم، وهو عادة فاشية في بعض العوام وقع في أضرارها كثير من الناس. وهو يخدر الأعصاب ويدير الدماغ ويثقل اللسان حتى ليعرف الشخص من كلامه وحركاته بأنه أفيونجي، ومن يستعمله يسمى أفيونجياً.

الأقباط: الأقباط هم العنصر المصرى الأصيل، وهم الذين يصح أن يقال حقاً، إنهم من قدماء المصريين. وهم عنصر له صفات خاصة أظهرها الانكماش والوجوم والحزن. وربما كان سبب ذلك ما عوملوا به في أيام اليونان والرومان والعرب من العنف. ومن قديم شهرروا بالحساب وإدارة الأموال خصوصاً حساب الفدان. ولما تمكنوا من هذه المناصب ومن المال مالوا إلى الأخذ بالثأر من جراء ما لحق بهم من المظالم والاضطهاد وخصوصاً لما عهد إليهم مساحة الأراضي.

فى البيوت لمجرد حادثة حدثت لأول مرة،
مصادفة إن خيراً وإن شراً...

إكفى على الخبر ماجور: تعبير يعنى
احفظ هذا السر ولا تُدعُه.

الأكل: اعتاد المصريون أن يتناولوا كثيراً
من أنواع الأطعمة. وسكان المدن منهم
يكثر من أكل اللحوم وخاصة اللحم
الضأن، وخاصة فى عيد الأضحى. أما
القرويون فيأكلون لحم الجاموس ولحم البقر
ولحم الجمل إذا تيسر لهم.

والفقراء منهم لا يأكلون لحماً. وقد يبلغ
الفقر ببعضهم ألا يأكلوا لحماً إلا فى العيد
الكبير. وهم لا يأكلون لحم الخنزير لتحريمه
ويأكلون الطيور الداجنة كالفراخ والحمام
ويأكلون السمك واللبن والبيض. وهم
ينوعون الخضراوات، فيأكلون الخبازى
والقلقاس والبامية والملوخية والباذنجان
والطماطم والقرع والكرنب والفاصوليا. كما
يأكلون البقول كالعدس والفاصوليا والتمرس
والبصل. وانتشر بينهم فى الأيام الأخيرة
أكل البطاطس تقليداً للأوروبيين. وهم
يطهون الأطعمة بالزبدة والمسلى والزيت.
وهم يختصون بكثرة البهارات كالفلفل
والشطة والقرفة والقرنفل، ويكثر من
الليمون وعصره على الأطعمة وخصوصاً
البامية والباذنجان. وأساس الغذاء عند
المدنيين الخبز من القمح وعند الريفيين
الخبز من الذرة وقد يضعون عليها الحلبة.

فى الشوارع عالماً مسلماً وقسيساً وهما
يتعانقان، واشترك فى الحركة الوطنية
المسلمون والأقباط على السواء.

وقد اعتادت الوزارة المصرية أن يكون
أحد وزرائها قبطياً على الأقل، ومن عهد أن
قتل بطرس باشا غالى وكان قبطياً ورئيس
وزارة مال أولو الأمر إلى أن يكون رئيس
الوزارة مسلماً إلا فى القليل النادر.

أقدام وأعتاب ونواص: يقصدون أن
التفاؤل والتشاؤم يكونان فى هذه الأمور
الثلاثة. الأقدام وهى الدواب، والأعتاب
وهى مدخل المساكن، والنواصي وهى
الخيول. ويعنون أن هذه الأمور الثلاثة إما
مبخنة وتكون مصدر سعد، وإما منحوسة
وتكون مصدر شقاء.

ويعتقدون أن الدابة إذا أكثرت من هز
رأسها وهى مربوطة، فتلك علامة على
قرب موت صاحبها، الدابة التى تكون شفتها
السفلى أطول من العليا دليل الخير والبركة.
ويعتقدون أيضاً أن اللون الأحمر القاتم فى
الدابة دليل الحرون، واللون الأبيض الذى
يخالطه شعر أسود دليل القوة والنشاط. وإذا
كان الشعر الأسود فى بعض الجسم فقط فهو
أحسن ما يختار، ويسمونه القروشى.

وأما المسكن فالباب الذى يفتح إلى
الشمال دليل السعادة والخير، والباب الذى
يفتح إلى الغرب دليل السيادة والرياسة،
والباب الذى يفتح إلى الشرق دليل الصحة
والعافية، والذى يفتح إلى الجنوب دليل الفقر
والعوز وسوء المصير.

وكثير من الناس يتوهمون الخير أو الشر

ومما مهروا فيه شواء اللحم. وقد يشوون خروفاً بأكمله، ولذاك شهروا بصنع الكباب. وهو عبارة عن قطع صغيرة من اللحم توضع فى أسياخ صغيرة، واشتهر صانعها باسم "الحاتى". ويبتدىء المصريون الأكل بالشوربة ثم بصنوف اللحوم والطيور وحدها أو مع الخضر. ثم بالأرز ويطهونه بالزبدة أو بعصير اللحم أو بهما معاً. وأحياناً يكون حشواً بورق العنب أو نحو ذلك، وأحياناً يخلطونه باللحم المفروم. وهم يكثرن أيضاً من الفطائر المحشوة بالجبن أو اللحم المفروم أو مسقية بالشربات. ومن أطباقهم التى يعتزون بها "الكنافة" والقطايف والبول المدمس. وهم لا يهتمون كثيراً بما يفتح الشهية قبل الأكل ويسميه الأفرنجة (الأوردوفر) وإن كانوا يكثرن من السلطات المختلفة، كسلطة الطحينة والقوطة واللبن والخيار المخلل. ويختمون الطعام عادة بالحلويات كالفطائر الحلوة والمهلبية ونحوهما، ثم بالفواكه فى مواسمها كالبطيخ والخوخ والمشمش والعنب والبلح والموز.

وهم يأكلون الأصناف تباعاً ولا يقدمونها دفعة واحدة، ولما يستعملون قائمة الطعام قبل الأكل، وإنما يأكلون حسب ما قدم لهم مع جهلهم بما يأتى. وكانوا فى القديم يأكلون بأيديهم، ولذلك يجتهدون فى غسلها قبل الأكل وبعده، فلما انتشرت المدنية الحديثة أكلوا بالشوكة والملقعة والسكين. وهم يستحسنون الحديث على الأكل حتى تطول

مدته وتكثر لذته.

وكان الأكل فى أيامنا الأولى مرتين: مرة عند الضحى، ومرة عقب صلاة العصر. ثم تغيرت هذه الحالة فى الأيام الأخيرة، فأكلوا صباحاً أكلاً خفيفاً من جبن وزيتون ولبن وقهوة ثم أكلوا ظهراً ثم أكلوا عشاء. وإذا بدأوا الأكل قالوا "بسم الله الرحمن الرحيم". وإذا ختموه قالوا "الحمد لله رب العالمين". وكان الفقراء ومتوسطو الحال يجلسون إذا أكلوا على السجاد أو البساط وأمامهم الطبيلة المستديرة، ثم أدخلوا نظام المائدة المرتفعة يأكلون عليها.

ومن عادات المصريين أن يكثرن من الحلف على الضيف أن يأكل ولو تظاهراً حتى يختم. وأن يكثرن من ألوان الطعام، ويعتبروها علامة كرم ولو لم يأكل.

وفى الأفراح يقام الناس حسب مراتبهم، ويجلسونهم على المائدة ولو لم يكونوا متعارفين من قبل فتكون أكلة ثقيلة. وبعض الأغنياء يقيمون الموائد ظهراً وعشاء لكل قادم عليهم أو زائر لهم ولو لم يكن معروفاً أنه سيحضر. ثم اندثرت هذه العادة. وأخيراً انتشرت فيهم عادة عمل البوفيه، وهو طعام مختلف الأنواع من لحم وفاكهة وحلوى، يدعون إليه الضيوف، ثم يتركونهم وشأنهم، يأكلون حسبما تيسر لهم⁽¹¹⁾.

أكل فى المسمط لسان: المسمط محل بيع حوائج الخروف ونحوه من لسان وفئته وكوارع ورأس.

عام كالنرد والشطرنج والدومينو، وبعضها خاص مثل ما يلعبه الأطفال من الكورة، وهى على غير النمط الأفرنجى المعروف، إذ يكببون كيساً ويضعون حجراً يسمونه الميس. ويلعبون ألعاباً مختلفة كل لعبة ثلاث مرات حتى يأتوا على آخرها. ومثل الاستغماية وهى أن يختبئ أحد الأطفال ليبحث الآخرون عنه، ومثل الكبة وهى حجارة صغيرة يلعبونها على أشكال مختلفة، ومثل الطاب إلى غير ذلك.

ومن الألعاب الألعاب الرياضية، وكانوا يلعبونها قبل تعودهم الرياضة البدنية الأفرنجية، مثل المصارعة. فيتجردون من ثيابهم إلا ما ستر عورتهم، ويتعرون من نصف أبدانهم، ويتصارعون كل اثنين مع بعضهما حتى يغلب أحدهما. وأحياناً يلبس المصارعون لباس جلد نصفياً، ويمسكون بأيديهم ما يسمى بالزخمة من الجلد. وكانت الزفات قديماً تشتمل على المصارعين يمشون أمام الزفة. ومن أشرف أنواع الرياضة ركوب الخيل، وهى أثر من آثار عهد الفروسية. والمتفنون منهم يقومون بحركات كثيرة عليها.

وربما كان للمماليك أثر كبير فيها لتمرنهم عليها. وقد خلف ذلك البرجاس وهو أيضاً معروف فى مصر وهى لعبة مؤداها أن يركض فارسان من جانبيين مختلفين، حتى إذا التقيا قذف أحد الفارسين الآخر بأقصى ما فى ساعده من القوة والشدة بعضاً من جريدة النخل. وقد يحدث به

أكل النار: هى عادة منتشرة بين بعض الصوفية فيدعون أنهم يستطيعون أكل النار من غير أن يصيبهم أذى. ويدعون أيضاً أن الولي الذى ينتسبون إليه يحول بينهم وبين الأذى من أكل النار، مع أنه قد يكون السبب فى عدم الأذى استخدام مواد كيميائية تمنع أثر النار حتى لتخلط بعجينة الورق فتمنعه من الاحتراق. ومثل ذلك أكل الزجاج ونحوه.

إكمنه: تعبير يستعملونه كثيراً بمعنى لأن، فيقولون: إكمنه أبوه غنى ببيض كثير، واكمنه أبوه غنى جايب له عربية. وأحياناً يستعملونها مفردة، ويستغنون عما بعدها. فيقولون إذا رأوا أحداً يفعل شيئاً فى إعجاب ودلال: اكمنه.

الإ: تستعمل للاستثناء، وهو العادة المألوفة، ولكن الغريب أنها تستعمل بمعنى "بهذه المناسبة"، يقولون "الإ فلان سافر؟؟" و"الإ فلان تزوج؟؟" أى بهذه المناسبة هل سافر فلان، وهل تزوج...؟ ويظهر أن أصلها فى هذا المعنى: هلاً.

السطة: كلمة إيطالية معناها (مستعد، متهى) يقولون (جاء السطة) أى على آخر استعداد فى الزينة.

الألعاب: للمصريين ألعاب كثيرة بعضها

المصريون قيمته حتى تنبئه إليه المستشرقون فترجموه إلى لغاتهم واستوحوه وقلدوه، فقلدهم العرب وأخذوا يقومونه. وأكثر قصصه مبنى على كيد النساء والإيمان بالقضاء والقدر، والإيمان بالحظ. وقد ألف في أزمنة مختلفة وأصله فارسي، والعامية تسهر به في البيوت والقهاوى. وقد أحسوا بما ينتج عن العكوف عليه من الكسل فنسبوا إليه الشؤم وقالوا إن قراءة الكتاب كله على ليال متوالية فى بيت أو قهوة لا بد أن تنتهى بحادث مؤلم خصوصاً خراب البيت أو القهوة. ومما يدل على تأليفه فى عصور مختلفة وزيادة النساخ فيه أن فى بعض نسخه ذكر القهوة من البن، ولم يعم استعمالها إلا فى سنة 1500م. وكذلك ذكر التبغ ولم يعرف استعماله إلا بعد اكتشاف أمريكا. وهو يفيد الأطفال والسيدات عند قراءته فى البيوت للتسلية وتوسيع الخيال ولذة القصص. ويشبهه فى ذلك قصة أبى زيد والظاهر بيبرس وأمثالهما⁽¹³⁾.

ألفاظ الملق والنفاق: هى كثيرة فى اللغة الشعبية، مثل: رب البيت، وسعادتك، وعزتك، وخادمكم المطيع، وعبدكم، ومحسوبكم، يرفع هذا إلى عتبة بابكم، ويقبل الأرض بين أيديكم، ويستجدى من نعمكم، ويدعو لكم بطول العمر والبقاء إلخ إلخ من مئات الكلمات. وكان من نعم العهد الجديد إلغاء الرتب والنياشين وما يتبعها من ألقاب، ولكن أنى هذا، والنفوس مرنت على هذا

جرحاً بليغاً، وقد يموت. ومهارة اللاعب أن يتقى وقع هذه العصا عليه.

ومن الألاعيب المعروفة لعبة الحاوى فيرمز الحاوى زمارة إذا أراد اللعب، فيأتى المتفرجون من الأطفال والرجال والنساء يتحلقون حوله. وفى كل لعبة يجمع ما جاد به المتفرجون. وهى ألعاب متنوعة كأن يغرس الحاوى فى جسمه نصلاً أو رمحاً. وفى الواقع أنه لا يغرسه فى جسمه وإنما يغيب فى قرابه، ومثل الأكواب التى يحولون فيها البيض إلى كناكيت ويصبغون الأوراق البيضاء بألوان مختلفة، ولعبة إخفاء النقود وبلع النار وبلع شلات من الصوف الخام ثم يخرجونها منسوجة. وهم ينصبون هذه النصبه عادة فى المواسم والأعياد. وقد يجتمع اللعاب فيمثلون رواية هزلية أو يلاعبون قرداً فيعلمونه حركات مختلفة يأتى بها، كالعجوز إذا عجنت، والسكران إذا مشى، والشايب لما يدلغ، ونحو ذلك.

وقد قرأت قديماً أن رجلاً كان يلاعب القرود فى الدولة العباسية فيقول صاحب القرد للقرد: هل تود أن تكون تاجراً؟ فيهز رأسه أن نعم وصانعاً فكذلك. ثم يسأله: هل تريد أن تكون وزيراً؟ فيشير لا، لما كان عليه الخلفاء مع الوزراء من قتل ومصادرة⁽¹²⁾.

ألف ليلة وليلة: كتاب قصص مشهور، مرت عليه مئات السنين. ولم يعرف

سنين وسنين. فلا بد من جيل جديد يمرّ من جديد على خطاب المساواة.

اللى: يستعمل المصريون كلمة "اللى" اسم موصول ويكتفون بها عن كل اسم موصول آخر فهي للمفرد المذكر والمفرد المؤنث والمثنى المؤنث وجمع الذكور وجمع الإناث والعاقل وغير العاقل. فلو عقدنا باباً لاسم الموصول فى اللغة العامية لم نجد غير "اللى".

وقد كثر استعمال هذه الكلمة فى اللغة المصرية وكثر ورود الأمثال التى بدئت بها. ولنقص عليك طرفاً منها، من ذلك قولهم: "اللى أوله شرط آخره نور" يقال للحض على حصول الاتفاق قبل البدء فى العمل حتى لا يحصل خلاف بعد. "اللى أكل لحمها ياكل عضمتها" يقال بمعنى أن من له فائدة الشيء عليه أن يتحمل متاعه. ومثل ذلك قول أهل الجزائر: "اللى يحلب الغنم عليه يسرحها" "اللى اختشوا ماتوا" يقال للدلالة على فساد الزمان وأنه لم يبق من الناس إلا من قل حياؤه. "اللى تزرعه بإيدك تحصده بإيدك" يعنون أن نتيجة عملك من جنس عملك إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وهذا المعنى كثير الاستعمال، من ذلك قول الشاعر:

كل امرئ - يا عمرو - حاصدُ زرعه
والزرع شئ لا محالة يحصد
وقوله:
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه
ندامة، ولحصد الزرع إبان
"اللى تسكر به افطر به" يقال تبيكيتاً للرجل

ينفق ماله فى الترف والفخفة وما يضر، على أنه محتاج إلى ما هو ضرورى.

"اللى تصاحبه ما تقابحه" يقال للحث على حسن السلوك مع من تكون الضرورة داعية إلى معاشرته كجار فى المسكن أو شريك فى العمل أو نحو ذلك.

"اللى تشوفه راكب على عصا قول له مبارك الحصان" يراد به مجارة كل إنسان على قدر عقله ومسايرة كل أحد على هواه.

"اللى تجمع النملة فى سنة يأخذ الجمل فى خفه" يضرب للفقير المقتصد قليلاً قليلاً ثم يأتى عليه من يذهب بما يقتصده دفعة واحدة، كغنى ظالم يسلبه ماله أو ابن مسرف يبذر ما جمعه أبوه فى الزمن القصير.

"اللى تملكه اليد تزهد النفس" يقال للدلالة على أن النفس تزهد ما ألفت وملكته وتطمع فيما منعت كما قال الشاعر:

"أحب شئ إلى الإنسان ما منعا"

"اللى تغلب به العب به" يقال للحض على استعمال وسائل الغلبة أياً كانت شريفة أو غير شريفة.

"اللى حطيته فى الطاقة تلقاه فى الطاقة" أى ما أدخرته ينفكك يوم تحتاج إليه فإن لم تدخر لم تجد.

"اللى عاوز يسرق جمل يحضر له كمامة" أى من أراد شيئاً وجب أن يعد له عدته ومثل ذلك قول أهل الجزائر "اللى عاوز يسرق صومعة يحضر لها بير".

"اللى فلوسه حرام يعرف باب المحكمة" يمثل عقيدة الناس فى المحاكم

والقاضي وأن الدخول فى القضايا
يفقر... إلخ. إلخ.
الألوان: تختلف الأمم اختلافاً كبيراً فى
الألوان من حيث التفاؤل والتشاؤم منها،
ومن حيث حبها أو بغضها، ومن حيث
استعمالها فى المناسبات وفى المواقف
الرسمية ونحو ذلك.

فقد اعتاد أكثر الناس (مثلاً) لبس السواد
عند الحزن. وقد ذكروا أن أهل الأندلس
كانوا يتخذون البياض لباس الحزن. وفى
ذلك يقول الشاعر:
يقولون البياض لباس حزن
بأندلس فقلت من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى
لأنى قد حزنت على الشباب

والمصريون عادة يتفاءلون بالأخضر
والأبيض، ويتشاءمون من الأسود
والأزرق. فتراهم يقولون "نهارك أسود أو
أزرق" إذا أرادوا التعبير عن يوم مملوء
بالبشر، وفى عكس ذلك يقولون "نهارك
أبيض" أى مملوء بالخير. وقد يكونون عن
البركة بشىء شديد البياض فيقولون "نهارك
لين أو نهارك زى الفل". ومن تشاؤمهم من
الأسود أيضاً ينادون الرجل الأسود بقولهم
"يا أبيض" تفاؤلاً ونفوراً من السواد. ومن
تفاؤلهم بالأخضر تسميتهم "العتبة
الخضراء".

ويغلب على أهل الوقار والرزانة
والمتقدمين فى السن والطبقة الأرستقراطية
ومن يحذو حذوهم لبس البديل السوداء أو
والأوكسجين.
والمصريون يقولون "قلبه أسود"، كناية
عن أن قلبه مملوء بالحقد والحسد. وفى
عكسه يقولون "قلبه أبيض" أى صريح لا
غش فيه. والعرب تستعمل فى مكان "أسود
القلب" أسود الكبد. قال الشاعر:
فما جثمت من إتيان قوم
هم الأعداء فالأكباد سود
وتقول العرب سويداء القلب أى حبته
ويقولون "رمىته فأصببت سواد قلبه" أى القلب
نفسه. وكثيراً ما يصغرون سواداء فيقولون
سويداء ويقولون أصابه فى سويدائه.
وكان أهل المدينة يطلقون على الحرة
(وهى المكان الذى علا سطحه حجارة
سوداء كأنها شيطت بالنار) وعلى الليل
الأسودين. ومنه حديث عائشة رضى الله

عنها "لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا الأسودان" وقد فسره بعضهم بالتمر والماء، ولكن التفسير الصحيح أنها الحرة واللبلب لأنها أرادت أن تبلغ في شدة الحال وأن ليس معها إلا الحرة واللبلب.

والعرب أيضاً تسمى شخص كل شئ سواداً، فسواد الإنسان متاعه، والسواد الأعظم العدد الكثير من الناس. وقال بعضهم "إنما السؤود فى السواد" أى أن السيادة الحقّة أن يكون الشخص سيّداً عند عامة الناس لا عند خاصتهم، لأن الخاصة عدد قليل والسيادة فيهم محدودة المدى بخلاف السيادة على العامة.

والمصريون يكونون عن الإنسان أحياناً بأسود الشعر. ومن الأمثال فى ذلك "أسود رأس ما تأمن له" أى لا تأمن شر الإنسان. وفى أمثالهم أيضاً وهو يوضح المثال السابق "ربى أسود الرأس يقلعك" و"ربى أزون المال ينفعك" والمراد بأزون المال أقل حيوان كالكلب والقط، أى أن إسداء الخير للإنسان يعود بالوبال على من أحسن إليه وخير من ذلك الإحسان إلى أحقر الحيوان.

ولون الخضرة محبوب عند المصريين يتفاءلون به، لأن أكثر لون المزروعات الخضرة، والزرع عماد حياتهم، ولذلك قد يسمون اللون الأزرق أحياناً أخضر، ويطلقون الأخضر على كل شئ رطب ندى. فيسمون الثوب المبلول الذى لم يجف

أخضر، والأرض إذا كانت مرشوشة خضراء. ويظهر لى أن هذا الاستعمال الأخير تحريف عن الأخضر باللام لا بالراء، فالعرب تقول خضل الشئ أى ندى، والشئ أخضل أى ندى مبتل. ومنه قولهم "عيش خضل" أى طيب ناعم وشباب خضل أى ناعم مترف. ومنه قول الطويرانى فى لاميته:

نعم الألى علمونا من مكارمهم

غر الخصال وصانونا عن الخطل

سرنا على إثرهم فى كل ناحية

سير النسيم على ذى نضرة خضل

فجاء العامة وحرفوا اللام راء وسموا

الشئ الرطب أخضر بدل أخضل. وقد

يجوز أن يكون هذا الوصف من الخضرة أيضاً، لأن العرب استعملت الخضرة وصفاً للغض الناعم.

ومما يدل على تفاؤل المصريين بالخضرة قولهم "ربنا يجعل قدمك علينا صلق أخضر" لأن الصلق لطيف الخضرة، فهم يتمنون أن يكون قدمه أو أثره أخضر حسن العاقبة.

ولعل هذا كان من الأسباب فى اختيار العَلَم المصرى أخضر لأنه من جهة يدل على أن الأرض المصرية زراعية عمادها الاقتصادى الزراعة، ومن جهة أخرى يدل على التفاؤل بهذا اللون الجميل.

والعرب كالمصريين لم يستعملوا الألوان بدقّة، فخلطوا بين الأسود والأزرق والأخضر فسموا مثلاً السماء خضراء مع

ذلك قالوا "أخضر زرعى" أى كلون
الزرع، فإذا كان أفتح من ذلك قالوا "أخضر
فستقى" أى كلون الفستق.

وقد اتخذ العباسيون السواد شعار الدولة
الرسمى ولذلك غلا فى أيامهم سعر الثياب
السود. وكان شعار الثوار البياض فيقولون
"إن جماعة خرجوا عليهم وبيضوا"
واشتهر على لسانهم اللون الأصفر، وقالوا
فى ذلك كثيراً. وقد شرحنا هذا فى كتابنا
فيض الخاطر. والله اعلم ...

أما غريبة: تستعمل أما هنا بمعنى هذه أو تلك
وكذلك تأكيد الغرابة. وتستعمل أما بهذه
المعانى فى مواضع كثيرة، فيقولون: أما
حاجة كويسة، وأما حاجة وحشة، وهكذا.

الأمثال (14): الأمثال نوع من أنواع الأدب،
يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف
التشبيه وجودة الكناية. ولا تكاد تخلو منها
أمة من الأمم. ومزية الأمثال أنها تتبع من
كل طبقات الشعب، وليست فى ذلك كالشعر
والنثر الفنى فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة
الأرستقراطية فى الأدب. فالعجائز فى
البيوت تؤلف الأمثال وطبقة الفلاحين ينبع
منها أمثال وكذلك طبقات الصناع والتجار
وغيرهم.

وأمثال كل أمة مصدر هام جداً للمؤرخ
والأخلاقى والاجتماعى يستطيعون منها أن
يعرفوا كثيراً من أخلاق الأمة عاداتها
وعقليتها ونظرتها إلى الحياة. لأن الأمثال

أنها زرقاء. وفى الحديث "ما أضلت
الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من
أبى ذر"، فالخضراء السماء، والغبراء
الأرض، وسما سمررة الجلدة خضرة. فقال
شاعرهم:

"أخضر الجلدة فى بيت العرب"

وسماو الكتبية خضراء إذا كان رجالها
يلبسون الدروع السوداء. وفى الحديث "إن
الحارث بن الحكم تزوج امرأة فرأها
خضراء" فطلقها أى سوداء. وقالوا فى
عكس ذلك "سواد العراق" وهو أرضه
الخصبة التى تكثر فيها الأشجار الخضراء
والزرورع الخضراء. وهكذا خلطوا بين
الأسود والأخضر والأزرق.

والمصريون يعبرون عن اللون إذا اشتد
بأنه غامق وإذا خف بأنه فاتح، فيقولون
أسود غامق وأحمر غامق وأحمر فاتح
وأخضر غامق وأخضر فاتح. وهم يرتبون
الأزرق رتباً فإذا كان زاهياً قالوا أزرق
صينى، ولعله تشبيهه بألوان الأطباق
والفناجين لأنها تسمى كلها "صينى"، فإذا
كان أفتح من ذلك قالوا "صافى" كلون
الجلابيب التى يلبسها العامة. فإذا كان أفتح
من ذلك قالوا "سماوى" أى كلون السماء،
فإذا كان أفتح من ذلك قالوا "لبنى" أى كلون
اللبن لأن فى لونه زرقه خفيفة.

وأحياناً يقولون "أحمر إنجليزى" إذا كان
شديد الحمرة كلون لباسهم الذى كانوا
يلبسون من أعوام، فإنه كان شديد الحمرة.
ويقولون أخضر غامق، فإذا كان أفتح من

عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها، فالعربي البدوي في الصحراء نجد أمثاله مشتقة من عيشته من جمال وخيام وأرض وجدب وخصب ومطر ونحو ذلك، والذين يسكنون السواحل يشفقون أمثالهم من البحر والسفن والصيد والسمك ونحو ذلك.

كما نستطيع أن نفهم من الأمثال مبلغ إدراك الأمة للأشياء، وما تثيره في أنفسهم من معانٍ، ومبلغ ذوقهم في التشبيه واقتدارهم على انتزاع وجوه الشبه بين المشبه والمشبه به.

كما أنها تدل على ما يستحسنه الشعب وما يستقبحه أو على الأقل ما تستحسنه الطبقة التي نبع منها المثل وما تستقبحه، فيستطيع الباحث في أمثال أمة أن يعرف ما الذي تكرهه وما الذي تحبه وما الذي تكبره وما الذي تحتقره، كما يستطيع أن يعرف منها مقدار تقديرها للأخلاق من كرم وبخل واقتصاد وإسراف وخيانة وأمانة وغدر ووفاء وحرية وعبودية.

كما يستطيع أن يعرف منها مقدار تدينها وعدم تدينها. وما هي الروابط التي بين الشخص وبين أسرته وبينه وبين أصدقائه وبينه وبين أمته... إلخ.

فإذا جمعنا - مثلاً - الأمثال المصرية التي قيلت في المرأة أمكننا أن نعرف منها نظرتهم إلى المرأة. وإذا جمعنا الأمثال المالية أمكننا أن نعرف منها نظرتهم الاقتصادية وهكذا.

ولكن يعترض الباحث في الأمثال

صعوبات كثيرة منها: أن الأمثال لا يعرف قائلها حتى نستطيع أن نعرف من أي وسط نبعث، هل قائلها ريفي أو حضري وهل قائلها سوقى أو أرسنقراطي؟ والناس - عادة - يهتمون بقائل الشعر، فكثير من الشعر يمكننا معرفة قائله، أما المثل فلا؛ فقد تقوله عجوز في بيتها أو فلاح في حقلها، أو صانع في مصنعه، ثم يسير القول في الناس من غير اهتمام بقائله.

كما أنه يصعب تحديد تاريخ المثل في أي عصر قيل. وقد يكون هذا هاماً جداً لأننا كثيراً ما نجد أمثالاً متضاربة. فهم يقولون - مثلاً - "القرش الأبيض ينفحك في اليوم الأسود" ويقولون "اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب" فهذا مثلان متناقضان ينصح أولهما بالتدبير والثاني بالتبذير، فعل نبعا من وسطين مختلفين، أو قبلا في وقتين أو حالتين مختلفين. ومثل قولهم "ابن الوز عوام"، وقولهم "باب النجار مخلع". فبن هن المثلين شبه تناقض.

نعم إن بعض الأمثال يمكن معرفة تاريخها بدلائل مختلفة، فقد جمع لنا - مثلاً - الأبشيهي في كتابه "المستطرف من كل مستطرف" طائفة من الأمثال العامية المستعملة في زمنه، وقد كان مؤلفه في القرن الثامن الهجري.

وأحياناً يدل المثل نفسه على التاريخ الذي قيل فيه مثل "آخر خدمة الغز علقة" فإن المثل يدل على أنه قيل في مدة حكم الأتراك لمصر.

الفرنسية أو الإنجليزي الذى لا يتزوج إلا واحدة. وإذا قال الشرقى "إن اشتريت الحمار حضر له المنخسة" فلا يقوله الغربى الذى ليس فى بلده حمير. وإن قال الفرنسى "أفقر من فأر الكنيسة" فالمسلم لا يشتق أمثاله من الكنائس وهكذا ...

هذه مقدمة صغيرة لدراسة الأمثال. وللمصريين أمثال كثيرة منها ما شاركوا فيه الأمم الأخرى لأنها نتائج تجارب إنسانية عامة، كما قلنا، ومنها ما هى خاصة بهم لأنها نتيجة بيئتهم ونوع معيشتهم، ومنها ما هى خاصة بطائفة من الطوائف دون عامة المصريين لأنها نبعث من وسطهم وقيلت فى شأن من شؤونهم. وبعض هذه الأمثال فى منتهى الحكمة والدقة وبعضها نتيجة نظر قاصر وتجربة ناقصة وعقل سخيّف.

والآن نعرض لبعض الأمثال مرتبة حسب الموضوعات لا كما يفعل المؤلفون فى ترتيبها حسب الحروف الأبجدية:

"حمارتك العرجاء ولا سؤال اللئيم"
وكرّرت فى الأيام الأخيرة الأمثال الدالة على الاستعباد والخضوع للحكام، مثل قولهم "إن ابتليت بظالم جاريه"، "حاكمك سيدك" "يا بخت من كان النقيب خاله"، "اللى تشوفه راكب على العصا قوله له مبارك الحصان".

ويقول أهل الجزائر فى هذا المعنى:
"إذا قال سيدك ديب قل ما أعتاه"
ويرون أن سيداً رأى فى مزرعته حيواناً

كما أن بعض الأمثال يدل على نوع الوسط الذى نبعث منه مثل "النوتى فى حساب والرئيس فى حساب" فإنه يدل على أنه نبع من وسط المراكبية، ومثل قولهم "إيش عرف الفلاح بأكل التفاح" فإنه يدل على أنه نبع من وسط الحضريين، ومثل قولهم "اللى مالوش شيخه الشيطان" فإنه نبع من وسط مشايخ الطرق، وهكذا. ولكن هذا قليل. وأكثر الأمثال لا يعرف قائلها ولا تاريخها ولا منبعها.

ومما يفيد الباحث فى الأمثال مقارنة أمثال الأمم بعضها ببعض كالموازنة بين أمثال الإنجليز والفرنسيين والألمان والمصريين والشاميين والمغاربة ونحو ذلك. وهذه المقارنات تدل على أن بعض الأمثال يكاد يكون عاماً بين الأمم، وهو ما اتصل بالإنسان كإنسان، وما اشترك فيه الناس من تجارب الحياة مثل تقدير المال ووجوب التدبير ومثل (معظم النار من مستصغر الشرر) ومثل (إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب) ومثل القول بأن الورد يظهر بين أشواك ونحو ذلك من المعانى التى تكاد تتفق فيها الأمم لأنها نتيجة تجارب مشتركة أدت إلى نتائج متحدة.

وهناك - على العكس - من ذلك - أمثال تختلف فيها الأمم إما من حيث اختلاف التعبير وإما من حيث اختلاف البيئة وإما من حيث اختلاف الظروف الاجتماعية. فإذا قال المصرى "إن اصطلحت الضراير يخرب البيت" فهذا مثل لا يمكن أن يقوله

فنادى خادمه احذر الذئب، فقال الخادم إنه ثعلب، فقال السيد إنه ذئب، فقال الخادم إنه ثعلب، فرفع السيد عصاه وضرب بها رأس الخادم بعد أن ذهب الثعلب، فقال الخادم ما دمت تقول إنه ذئب فهو ذئب ما اعتاه. فقيل هذا المثل إلخ.

ومثل قولهم "عن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه".

وقولهم "أنا أول من أطاع وآخر من عصى" "إن كنت فى بلد يعبدوا الجحش حش وادى له" "إن كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدى" إلخ.

ومن الأمثال التى تدل على علاقة الحاكم بالمحكوم قولهم: "آخر خدمة الغز علقه". وهو مثل وضع أيام كان المصريون تحت حكم الأتراك والغز طائفة منهم، وهو يدل على أن المصريين قد لاقوا العنت من حكم الترك.

وقولهم "ظلم الترك ولا عدل العرب"، وهو يدل على أنهم قد لقوا من بدو العرب أكثر مما لقوا من ظلم الأتراك.

وقولهم "أكمن أبوك سنجق داير على حل شعرك" يدل على أن من ينتسبون إلى السناجق وهم ضباط الأتراك كان يعيشون فى الأرض فساداً، ويسيروا تبع هواهم.

وقولهم "ارقص للقرد فى دولته" يد على خضوع المصريين لكل حاكم فى أيامه مهما ظلم.

وقولهم "رايح فين يا صعلوك بين الملوك" يدل على احتقارهم أنفسهم أمام

العظماء كأنهم من طينة أخرى.

وقولهم "راحت من الغز هاربة قابلوها المغاربة". والمغاربة قوم من الجنود كانوا يجندون من المغاربة للغزو، أى أنهم هربوا من شر فوجدوا أشر منه.

وقولهم "ضرب الحاكم شرف"

وقولهم "جند الكرا ما يحاربوش" أى أن الجنود الذين يجندون بالكرام لا يصدقون فى الحرب.

وقولهم "يا فرعون من فرعنك قال مالقيتش حد يردنى".

وقولهم "لا تلابط البدوى ولا تجاربه" (الملابطة المصارعة) أى أنك إن لابطته فقد يغلبك ولا تجاربه لأن البدو مشهورون بسرعة العدو.

"لا تدم ولا تشكر إلا بعد سنة وست أشهر" "زى التركى المرفوت يصلى لحد ما يستخدم".

"ما حدش يقول يا جندى غطى دقنك" (الجندى الأمير التركى) أى لا يستطيع أحد أن يشير عليه بالخير إذا أراد الشر.

"الولد ولد ولو حكم بلد"

"حاكمك سيدك" وهو يدل على الاستسلام للحاكم المستبد.

ومن الأمثال الدالة على حالة المرأة قولهم "الأصيلة ما تتناقلش بمال".

وقولهم "تحت البراقع سم نافع"

"تاخذى جوزى وتغيرى، ما تخيلى"،

"تبقى عورة وبننت عبد ودخلتها يوم الحد".

قالوا هذا لأن العادة أن يكون الزواج ليلة

فنادى خادمه احذر الذئب، فقال الخادم إنه ثعلب، فقال السيد إنه ذئب، فقال الخادم إنه ثعلب، فرفع السيد عصاه وضرب بها رأس الخادم بعد أن ذهب الثعلب، فقال الخادم ما دمت تقول إنه ذئب فهو ذئب ما اعتاه. فقيل هذا المثل إلخ.

ومثل قولهم "عن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه".

وقولهم "أنا أول من أطاع وآخر من عصى" "إن كنت فى بلد يعبدوا الجحش حش وادى له" "إن كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدى" إلخ.

ومن الأمثال التى تدل على علاقة الحاكم بالمحكوم قولهم: "آخر خدمة الغز علقه". وهو مثل وضع أيام كان المصريون تحت حكم الأتراك والغز طائفة منهم، وهو يدل على أن المصريين قد لاقوا العنت من حكم الترك.

وقولهم "ظلم الترك ولا عدل العرب"، وهو يدل على أنهم قد لقوا من بدو العرب أكثر مما لقوا من ظلم الأتراك.

وقولهم "أكمن أبوك سنجق داير على حل شعرك" يدل على أن من ينتسبون إلى السناجق وهم ضباط الأتراك كان يعيشون فى الأرض فساداً، ويسيروا تبع هواهم.

وقولهم "ارقص للقرد فى دولته" يد على خضوع المصريين لكل حاكم فى أيامه مهما ظلم.

وقولهم "رايح فين يا صعلوك بين الملوك" يدل على احتقارهم أنفسهم أمام

"بنت الدار عورة" والمراد أنها غير مستحسنة لأنها فى اليد.
 "بنت الفارة حفارة".
 "بنت الحرافة تطلع دراسة".
 "البنات بسبع وجوه".
 "بره وردة وجوه قردة".
 "جوزوا مشكاح لريمة ما على الاثنتين قيمة".
 ومن الأمثال الدالة على الحالة الاجتماعية والأخلاقية:
 "زى بعجر أغا ما فيه إلا شنابه"
 "زى ساعى اليهود لا يودى خبر ولا يجيب خبر".
 "الدنيا بدل يوم غسل ويوم بصل".
 "الدنيا زى الغزيرة ترقص لكل واحد شوية".
 "الوش وش حاج والطبع ما يتغيرش".
 "لا شجرة إلا وهزها ريح".
 "خد لك كم كل بلد صاحب ولا تأخذ من كل إقليم عدو".
 "خدوا من فقرهم وخطوا على غناهم"
 "يضرِب للغنى يستنزف ما عند الفقير ومثله:
 "عاز الغنى شفقة، كسر الفقير زيره؛ جت الفقير وكسه، ما اقل تدبيره".
 "الخسارة اللى تعلم مكسب".
 "الخشب اللين ماينكسرش".
 "خفف أحمالها تطول أعمارها"
 "خفها تعوم"، والضمير على السفينة.
 "خلق ناس وتحفهم وكبب الناس وحدفهم".
 "خلى بينك وبين الجرب غيط".

الجمعة أو الاثنين، فأن يكون الزواج ليلة الأحد نكبة أخرى.
 "الغزالة تغزل برجل حمار" ومثله "لبس الخنفساء تبقى ست النساء".
 "زى أم العروسة فاضية ومشبوكة".
 "وفرى نفسك يا حماتى مالى إلا مراتى". "لبس البوصة تبقى عروسة" (البوصة: القصبه من غاب أو نحوه) فإذا ما وضع عليها ما يصنع من فضة أو ذهب ولبس فيها سميت عروسة.
 "الغجرية ست جيرانها".
 "خد من الزرايب ولا تأخذ القرابيب".
 "خد المليح واستريح".
 "قالوا خدوا جوز الخرسة اتكلمت".
 "الخنفسا عند أمها عروسة"، ومثله "القرد فى عين أمه غزال".
 "الراجل ابن الراجل اللى عمره ما يشاور مرة".
 "الراجل ومراته زى القبر وأفعاله" أى أن السر الذى بينهما لا يذاع.
 "الحما حمة، وأخت الجوز عقربة صمة".
 "قالوا يا جحا مرارة أبوك بتحبك، قال يمكن اتجننت".
 "قعاد الخزانة ولا جواز الندامة" الخزانة الحجره الصغيره.
 "فاتت ابنها يعيط وراحت تسكت ابن الجيران".
 "الفاجرة داربها والحره عادبها".
 "البابرة لبيت أبوها".
 "بوس إيد حماتك ولا تبوس إيد مراتك".

"قال له نام لما أذبحك، قال دا شئ يطير النوم".
"كذب مساوى ولا صدق مبعزق".
"كل بير قصاها بلاعة".
"كل شى عن العطار، إلا حبتى غصب".
"اعط العيش لخبازه".
"أقل شئ يرضى خاطر".
"أقل موال ينزه صاحبه".
"تبدل الوردة ورائحتها فيها".
"لا إنسان ولا حلاوة لسان".
"راحت الناس وفضل النسناس". أى أن الخيرين ذهبوا ولم يبق إلا الأشرار.
مثل قولهم: "ما بقى على المداود إلا شر البقر" "ياكل ويشرب ووقت الحاجة يهرب" "يا مأمنة للرجال يا مأمنة للمية فى الغربال" "يا مستكثر الزمان أكثر" "يا حامل هم الناس، خليت همك لمين" – "يا بانى فى غير ملك يا مربى فى غير ولدك" – "زبال فى إيده وردة" يضرب لمن يتجمل بما لا يتفق وحالته.
"الزمار ما يغطيش دقنه" "زبله ويقاوح التيار" "زرعت لو كان، وسقيته يا ريت، طرحت ما يجيش منه" يضرب للمتمنى ولا يعمل، ويتكل على أمانيه. "زى الخروب، قنطار خشب على درهم سكر" "زى روايح أمشير، كل ساعة فى حال" (الروايح: الرياح) "زى الطبل، صوت على وجوف خالى" "زى فقراء اليهود، لا دنيا ولا دين" "زى المشى كل ساعة فى الوش" "داهية تخفى الشرط" (الشرك: المشاركة).

"خبطتين فى الرأس توجع".
"خلّ المية مية وارذب" أى احتط بالزيادة
"من شاف بلوة غيره هانت عليه بلوته".
"التنا ولا الغنى" التنا: التنا: التنا: السمعة.
"ثوب غيركما يليقتش عليك".
"غاب القط العب يا فار".
"الغايب مالوش نايب".
"الغربة تعلم".
"غشيم ومتعافى".
"الغضبان خى المجنون" خى: أخ.
"ضبة خشب تحفظ العتب" (الضبة: القفل الذى يركب على الباب ويقفل به) يقولون إنها تمنع من السرقة.
"الضحك على الشفاتير والقلب يصبغ مناديل" الشفاتير: الشفاه. والمعنى (الضحك فى الظاهر والقلب يبكى).
"الضرب فى الميت حرام".
"ضعيف وياكل ميت رغيف".
"ضلالى وعامل إمام – والله حرام".
"ضيع سوقك ولا تضيع فلوسك". أى لا تشتتر إلا إذا وثقت بالربح، فإذا لم تثق فاحفظ فلوسك.
"اسأل مجرب ولا تسأل طبيب".
"أصحاب العقول فى راحة".
"ياللى بترقص فى الظلام من حاسس بيك".
"يا فاحت البيومغطية، لا بد من وقوعك فيه".
"يا معزى بعد سنة يا مجدد الأحران".
"زى الإبرة تكسى الناس وهى عريانة".

"من حبه ربه واختاره جاب له رزقه
على باب داره".
"ساعة لقلبك وساعة لربك".
"ساعة الحظ ما تتعوضش".
"الساهى تحت راسه دواهى".
"اللى مالهوش قرابة مالهوش عداوة".
"شابت لحاهم والعقل لسه ماجاهم".
"الشحاتة طبع".
"شخشيخ يتلموا عليك" يريدون الدلالة
على طمع الناس فى المال.
"النشرا يعلم البيع".
"شرارة تحرق الحارة".
"الشرط عند الحرت، ولا الخناق فى
الجرن" وهو يدل على أنه من وضع
الفلاحين.
"الشكك يفسل التاجر الألفى" أى صاحب
الألوف.
"شايلى وأنا أشيلك".
"الردا طويل اللى جواه عويل".
"الرقص نقص".
"الحيطة الواطية كل الناس تنط عليها".
"قالوا: أبو فصادة بيعجن القشطة
برجليه، قالوا: كان بان عليه".
"قالوا: الله يلعن اللى يسب الناس، قال:
الله يلعن اللى يحوج الناس لسبه".
"ناموسة وعاملة جاموسة".
"قالوا للأعور: العمى صعب، قال نصف
الخبر عندى".
"قالوا للغراب: ليه بتسرق الصابونة قال:
الأذية فى طبع".

"الدخان القريب يعمى" يعنون أن المصايب
لا تأتى إلا من الأقارب.
"دور الزير على غطاه لم التقاه" يجل
على اتصال الإنسان بما يناسبه.
"واحد شايلى دقنه والتانى تعبان ليه"
"الوسخة تفرح ليوم الحزن".
"اربط الحمار جنب رفيقه، إن ما تعلم
من شهيقة، يتعلم من نهيقه" "أسيادى وأسياد
اسيادى، اللى يعرفوا همى وهم أولاددى".
"النحس مالوش إلا أنحس منه".
"النهاردة دنيا وبكرة آخرة".
"النواة تسند الزير".
"لقمة جارى ما تشبعنى وعارها
متبعنى" "لما اتفرقت العقول كل واحد
عجبه عقله، ولما اتفرقت الأرزاق ما حدش
عجبه رزقه".
"لو شاف الجمل حدبته وقع واكسرت
رقبته".
"ما تتم الحيلة إلا على الشاطر".
"ما تيجى المصايب إلا من الحبايب".
"ما تعرجش قدام مكسحين".
"ما شتمك إلا من بلغك".
"ماقدرش على الحمار اشطر على
البردعة".
"مالقوش فى الورد عيب قالوا يا أحمر
الخدین".
"ماتعملش كيس حرير من وذن خنزير".
"ما يعجبك البيت وتزويقه، دا اللى جوّه
نشفان ريقه".
"من جاور الحداد ينحرق بنااره".

"البهيمة العِشْرَى ما تناطحش".
 "صاحب الحق عينه قوية".
 "صباح القروود ولا صباح الأجرود".
 "صبرى على نفسى ولا صبر الناس على".
 "صلح خسران ولا قضاء كسبان".
 "إذا كان اللى بيتكلم مجنون يكون اللى بيسمع عاقل".
 "ومن الأمثال الدالة على اعتقادهم فى القضاء والقدر والحظ قولهم:
 "إذا حل القضا لا ينفع طب ولا دوا".
 "ومثله قولهم: "وقت القضا يعمى البصر".
 "تحوش الوحوش، غير رزقك ما تحوش".
 "تبات نار تصبح رماد، لها رب يدبرها".
 "السعد ماهوش بالشطارة".
 "قيراط بخت، ولا فدان شطارة".
 "ومن الأمثال التى تدل على الاقتصاد:
 "الدراهم مراهم، تخلى للعويل مقدار، وبعد ما كان كبير، سموه الحاج كبير".
 "هاتى يا مدره ودى يا سدره". السدره: إناء من نحاس يشبه القدر يغسلون فيه أوانى القهوة.
 "هز فلوسك ولا تهز ذقنك" أى عرض فلوسك للمطالب ولا تعرض عرضك.
 "مال تجيبه الريح تاخده الزوابع".
 "مال الكنزى للنزهى".
 "مال الوقف يهد السقف".
 "من حف فى غموسه أكل عيشه حاف"
 "أى من أفرط فى إدامه أول الأكل اضطر

"قالوا للمشنوق: غطى رجلك، قال: إن رجعت ابقوا عاتبونى".
 "قالوا: يا جما عدّ موج البحر، قال: الجايات أكثر من الرايحات".
 "قالوا: يا جما فى مراتك؟ قال: بتطحن بالكرا، قالوا: فىن طحينك؟ قال: كريت عليه! قالوا: كنت خلى مراتك تطحنه!".
 "قالوا: يا كنيسة اسلمى، قالت اللى فى القلب فى القلب".
 "قبل ما أقول يا أهلى يكونوا جيرانى غاثونى".
 "القص المزوق ما يطعمش الطير".
 "القفه اللى لها ودينين يشيلوها اثنين".
 "قول له وشه ولا تغشه".
 "الفار وقع من السقف قال له القط اسم الله عليك".
 "فى الوش مراية وفى القفا سلاية".
 "افتع بالحاضر لغاية ما ييجى الغايب".
 "اقطع العرق يسيح دمه".
 "أعمى ويسرق من المفتح".
 "الأصل الرد يردى على صاحبه".
 "العيب من أهل العيب مش عيب".
 "العيان ما حد يعرف بابيه، والعفى ما أكثر أصحابه".
 "عيوبى لا أراها، وعيوب الناس أجرى وراها".
 "الظن السوء يودى جهنم".
 "البيت بيت أبونا، والغرب يضربونا".
 "بيت العنكبوت كثير على من يموت".
 "بيت النناش ما يعلاش".

آخر أكله أن يأكل خبزه من غير إدام. والمعنى من أفرط في الصرف من غير حساب ندم على ما فات.

"معاك مال: ابنك ينشال، معاكشى ابنك ما ينشالشى" "خد من التل يختل".

ونظيره: "جبال الكحل تفنيها المراد".

"الفلوس زى العصافير تروح وتيجى"

"يقطع الطشت الذهب، اللي تطرش فيه الدم".

والمتمأل فى هذه الأمثال يستخرج منها أخلاق المصريين فى العهد الماضى. فهم يمجدون حكاهم، ويطيعون أوامرهم، ولا يثورون لمظلمة. وهم يعظمون من انتسب إليهم. ثم إن تجاربهم دلتهم على كثير من أنواع المعاملة والاعتقاد، كعدم ثقتهم بالإنسان، واحترام الغنى واحتقار الفقير. ثم إن علاقتهم بالمرأة علاقة مبنية على سوء الظن، فالأخت تأخذ زوجها من حجر أختها. وهم يعتقدون فى الأصالة أكثر مما يعتقدون فى الجمال.

ثم هم يؤمنون بالقضاء والقدر والحظ، حتى إن مقداراً من الحظ خير من مقدار كبير من المهارة. ثم هم يقومون المال تقويماً كبيراً، فالقرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود. وإذا لم كان مع الإنسان مال عز وعز بنوه، وإذا لم يكن معه مال نلّ ودلّ بنوه.

كما أنه مما يلاحظ أن الروح المصرى المرح ظاهر فى الأمثال بما فيها من سخرية لاذعة وتشبيهات مضحكة. ويستطيع المتمأل يستخرج بدقة نظره أكثر من هذا.

الأمراض: يشترك المصريون مع غيرهم فى

ومنها الأمراض السرطانية وهى الحمد لله قليلة فى مصر، وكذلك الأمراض كالسل فإنها قليلة فى مصر، بالنسبة لغيرها وكذلك الأمراض العقلية.

ومن الأمراض المتوطنة حمى التيفوس والتيفود ولكن من فضل الله أن الطب الحديث بدأ يتغلب عليهما.

إلى الخرائب.

أنا أحبه حُبَّ يفوق الوصف: تعبير يعنى أنه لا يوصف لشدته.

أنا بدى: تعبير يعنى بوذى، أى أحب كذا، فأنا بدى أتزوج، أى بوذى أتزوج.

أنا فى حالى وأنت فى حالك: تعبير يعنى أنا فى شأنى وأنت فى شأنك، ومثلها روح فى حالك، ومثله راح الأقيها منين واللا أمنين، أى لا أدرى من أى جهة تأتى المصائب، من هنا أو من هنا.

إن - وإذا: يستعمل المصريون كلمتى إن وإذا فى معنى واحد تقريباً، ولا يفرق بينهما الفرق الدقيق المعروف فى النحو. واستعمالهم "إن" أكثر من استعمالهم "إذا"، ولذلك كثرت فى لسانهم الأمثال المبدوءة بإن، وقلت المبدوءة بإذا، وأحياناً يروى المثل بالوجهين، فبعضهم يرويه بإن وبعضهم يرويه بإذا.

ومن أشهر أمثالهم فى هذا الباب قولهم: "إن كنت فى بلد يعبدوا الجحش حش وارمى له". وهو مثل يدل على حب الاستسلام والميل إلى الخضوع والطاعة ولو كان الأمر باطلاً وكره الثورة والمجاهرة بالحق. وقد وردت أقوال كثيرة فى هذا المعنى مرّ بعضها. ومثل قول المعرى: ولما رأيت الجهل فى الناس فاشياً

ويكثر بين المصريين - مع الأسف - مرض البول السكرى، ولكنه أخف نوعاً من المرض السكرى فى الأقطار الأخرى⁽¹⁵⁾.

أم: يستعملها المصريون بمعنى الوالدة، كأم حسن، وأم حسين، وأم خليل. ويستعملونها ككلمة الأب، بمعنى صاحبة كأم الخخال، وأم العباية، وأم الشال، وأم الجلايية الحمراء. واشتهر عنهم تكنية امرأة كانت فى عهد الخديوى إسماعيل بأم الشعور، وكانت ماهرة فى اللعب على الحبل والإتيان بحركات بهلوانية غريبة. وكانت تستدعى فى أفراح الأغنياء، كما اشتهرت الطعمية بأم الفلافل، نسبة إلى الفلفل، لأنه يوضع فيها؛ وكما اشتهرت السيدة الزينب بأم هاشم وأم العجايز، ومن ذلك أم على وأم قويق.

أم على: أم على طعام مشهور لذيق الطعم، يصنع من الرقاق الرفيع واللبن والسمن، فإذا فردت راقات منه وضع فى منتصف "الصينية" جوز ولوز وزبيب وبنديق مكسر ثم أكملت الصينية مع إضافة اللبن والسمن أيضاً - ثم تدخل الفرن فتكون أكلة لذيذة.

أم قويق: هى البومة، ويتشاءم منها العامة كثيراً فإذا صاحت فى بيت فذلك إنذار بمصيبة تحل بأهله فيخرب، ويقولون لمن كان سئ الطالع: "وش البومة" وربما كان السبب أنها طائر ليلى ليس فيه ميل للاستئناس ويميل إلى العزلة، وكذلك يذهب

وتريد منهم نصافه

كن بينهم نسناس

إوع تبين حصافة

وهذه الأقوال وأمثالها أثر من آثار
عصور الاستبداد والظلم، فطلبوا من الناس
أن يكونوا آلات صماء وأحجاراً جامدة،
تطيع ولو ظلمت، وترضى ولو نكبت،
وتقبل الحاكم ولو كان قرداً، وتطيع الأمر
ولو كان فاسداً؛ فلما انتبه الناس وقررت
قواعد الحرية وجب أن يتغير مثل هذه
الأمثال ويطلب من الناس ألا يقبلوا الظلم
ولو أكرهوا عليه، وأن يقولوا الحق ولو
أوذوا في سبيله، وأصبحت هذه الأمثال
أثرية تفيد المؤرخ ولا تفيد الأخلاقى.

ومن الأمثال المبدوءة بإن قولهم: "إن
شفته يبسب إعرف إنه بيحب".

وهو قول حكيم مبنى على دراسة نفسية
عميقة، فقد يظهر الناس غير ما يضم
خصوصاً في الحب. وقد سبق مدنون ليلى
في هذا المعنى فقال:

كلانا مظهر للناس بغضاً

وكل عند صاحبه مكين

وقريب من هذا المعنى وإن لم يكن منه
تماماً قول البهاء زهير:

سميت غيرك محبوبى مغالطة

لمعشر فيك قد فاهوا بما فاهوا

أقول زيد وزيد لست أعرفه

وإنما هو لفظ أنت معناه

ومن قولهم:

"إن جار عليك الزمن جور علي ذراعك"

تجاهلت حتى ظن أنى جاهل

ومن أمثال "التلمود" "إذا كان الثعلب

ملكاً فنحن له". وفي أمثال أهل الجزائر:

"إذا وجدت الناس يعبدون العجل فعليك
بالحشيش". وقال الشاعر:

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم

ولا قهموا بالجهل، فعل ذوى الجهل

وخلط إذا لاقيت يوماً مخلصاً

يخلط فى قول صحيح وفى هزل

فإنى لقيت المرء يشقى بعقله

كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

ومن طريف ما يحكى فى ذلك أنه لما

ولى جلال الدين الزينى الوزارة دخل عليه

شاعر اسمه أبو الفضل والمجلس حافل

بأعيان الرؤساء والوجهاء، فوقف بين يديه

وأظهر السرور والفرح ورقص، فقال

الوزير لمن يفضى إليه بسره: قبح الله هذا

الشاعر! إنه يشير إلى ما تقوله العامة فى

أمثالها "ارقص للقرد فى زمانه".

وفى هذا المعنى يقول الشاعر:

إذا رأيت أمراً وضيعاً

قد رفع الدهر من مكانه

فكن سميعاً له مطيعاً

معظماً من عظيم شأنه

فقد سمعنا بأن كسرى

قال قديماً لترجمانه:

إذا زمان السباع ولى

ارقص إلى القرد فى زمانه

ومن الأمثال العامية فى ذلك:

يا اللى تعاشر الناس

عشقت إتشق قمر". أى إمار كبار الأمور
وإلا فلا؛ وقريب من هذا المعنى قول
الشاعر:

"لنا الصدر دون العالمين أو القبر"
ويقولون:

"إن جابوا للمجنون ألف عقل على عقله ما
يعجبوش إلا عقله". أى أن الضعيف العقل لا
يعترف بضعف عقله، بل يعده من أحسن
العقول وبعد أحكامه من أحسن الأحكام. ومن
أحسن ما قيل فى ذلك: إن كل إنسان راض عن
عقله وساخط على حظه. يقولون:

"إن كانت الدعوة تجوز ما كان بقى صبى
ولا عجوز". أى أن الله لا يستجيب كل
دعوة ولو كان يستجيبها لما بقى أحد، لأن
كل إنسان لا يسلم من غضب يدعو عليه.
ويقولون: "إن لبست خيشة برضه
عيشة" تقوله الجميلة التى تستغنى بجمالها
الطبيعى عن جمالها الصناعى،
وأخيراً: "عن كان حبيبك عسل
ماتلحسوش كله".

إنت مروع ليه؟ تعبير يعنى متكبر
متعنظز ليه.

إنت اللى فيهم؟ تعبير يعنى الشخص
البارز لذى يعتمد عليه من بين أصحابه.
إن شاء الله: تعبير يكثر على ألسنة
المصريين، فهم إذا وعدوا بعمل شئ شفوه
غالباً بقولهم: إن شاء الله، اعتماداً على قوله
تعالى: "ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً
إلا أن يشاء الله" وهو يعتذر إذا لم يفعل

وهو مثل لطيف، ومعناه إن اشدت عليك الزمان
فأصابك بالفقر وقلة الرزق، فاشدت أنت على
نراعتك وأكثر من العمل بيديك والجد فى طلب
الرزق لتغلب بجدك جد الزمان فى حربك.
وفى هذا المثل قوة رائعة.

ومن قولهم:

"إن أقبلت باض الحمام على الودت

وإن أدبرت بال الحمار على الأسد"
ومعناه إن أقبلت الدنيا وحسن الحظ سهل
العسير وحصل البعيد، كأن يبيض الحمام
على الودت، وإن ساء الحظ حصل ما لم يكن
فى الحسبان فيذلّ العزيز حتى يبول الحمار
على الأسد. فعند إقبال الدنيا يسهل كل
عسير وينقلب التراب ذهباً. وعند إدبارها
يتعقد كل سهل وينقلب الذهب تراباً ويتحكم
الحمار فى الأسد. وهو من الأمثال الكثيرة
فى اللغة العامية التى تدل على إيمان شديد
بالقدر والحظ.

ويقولون: "إن اصطلحت الضراير يخرّب
البيت". وذلك لأن عداوة الضراير أمر
محتّم وأمر طبيعى، لأن كل واحدة ترى أن
الأخرى سلبتها حقها فى الزوج، فإذا
اصطلحتا واتفقتا فلا بد أن يكون هناك سبب
غير طبيعى. فقد تتفقان على الإضرار
بالزوج لأنه عدوهما المشترك، فقد أغضب
كلاً بزواجه عليها، وقد تتفقان على الانتقام
من حماتهما، لأنها كذلك عدوهما المشترك،
وقد تتفقان على غير ذلك. وفى كل هذا هدم
للبيت وعمل على خرابه.

ويقولون: "إن سرقت أسرق جمل وإن

الشيء، بأن الله لم يشأ، وقد علق الأمر على المشيئة، وهي كما ترى لا تقال إلا للشيء، ينوى عمله في المستقبل. ولذلك يستسخفون جحا عندما سئل أين حمارك؟ فقال: ضاع إن شاء الله، لأنه تعبير عن الماضي ويعبرون بها أيضاً عند الأمل في الشيء، فيقولون: سأغتنى إن شاء الله، وستتزوجين زوجاً حسناً إن شاء الله وهكذا.

إن عامت قرقشت، وإن غرقت قرقشت: تعبير يعنى إنهم لا يهتم ما يحدث، فإن لديهم من الرزق وهدوء البال، ما يجعلهم يضرّبون صفحاً عن كل ما يحدث. وهو دليل على الأنانية البحتة.

إن كان اللى بيتكلم مجنون، خلى السامع يبقى عاقل: تعبير يعنى أنه لا يصح أن يجارى السامع المتكلم فى كل ما يقول، فإن تكلم أحد بالكلام الفارغ، فلا يصح للسامع أن يجاريه.

أته: تستعمل بمعنى أنا، فيستخفون الوقف على الهواء الساكنة بدلاً من الألف. وقريب منها: إنهُ بمعنى أيها، فيقول أحدهم "إنهُ الأحسن من دول" أى أيهم الأحسن من هؤلاء.

انتقال الجبل: أسطورة من أساطير الأقباط، وقصة مخترعة من أفاصيصهم، خلاصتها: أنه كان لبعض سلاطين مصر وزير يهودى أسلم، والعداوة بين اليهود والنصارى معروفة. فأراد الوزير أن يوقع الملك بالنصارى، فقال له: "إن إنجيلهم يقول: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل: انتقل من هنا إلى هنا، فينتقل". فاستصوب الملك هذا الرأى، وأمر فاستحضر البطريك وكبار الأقباط من رجال الدين، وسألهم عن هذه الآية، وهل هى واردة فى الإنجيل فقالوا له: نعم. فقال الملك: إذا لابد من تحريك الجبل عما كان، وإلا محوت أترككم. فاستمهلهو ثلاثة أيام. ولما خرجوا دعوا القسوس جميعهم فى مكان واحد، وصاموا لله، وواظبوا على الصلوات. وطلبوا من الله، ومن السيدة مريم، رفع هذه العشاوة عنهم. وفى صبيحة اليوم الثالث نام البطريك وهو واقف فكلمته السيدة مريم وقال له: إذا دخل الكنيسة إنسان وعلى كتفه جرّة ماء، وهو بعين واحدة فأمسكه، فإن خلاص الشعب على يديه، وإياك أن يهرب منك؛ فلما انتبه من نومه، تربص لهذا الأعور، حتى إذا سار أمامه أمسكه البطريك؛ وكان هذا الرجل إسكافياً اشتهى امرأة كشفت عن ساقها، ليقبس لهذا حذاء، ثم ندم على ما وقع منه، وقلع عينه بالمتقاب الحديد. وترك تلك الحرفة، وصار سقاءً. وبينما البطريك والإسكافى يتكلمان، وقد رُسل الملك عليهما، فذهبا إلى القصر، فأخذهما الملك إلى جبل الجيوشى وقال: أريد أن تنقلا هذا الجبل من مكانه فقال له البطريك: إننا

الشيء، بأن الله لم يشأ، وقد علق الأمر على المشيئة، وهي كما ترى لا تقال إلا للشيء، ينوى عمله في المستقبل. ولذلك يستسخفون جحا عندما سئل أين حمارك؟ فقال: ضاع إن شاء الله، لأنه تعبير عن الماضي ويعبرون بها أيضاً عند الأمل في الشيء، فيقولون: سأغتنى إن شاء الله، وستتزوجين زوجاً حسناً إن شاء الله وهكذا.

إن عامت قرقشت، وإن غرقت قرقشت: تعبير يعنى إنهم لا يهتم ما يحدث، فإن لديهم من الرزق وهدوء البال، ما يجعلهم يضرّبون صفحاً عن كل ما يحدث. وهو دليل على الأنانية البحتة.

إن كان اللى بيتكلم مجنون، خلى السامع يبقى عاقل: تعبير يعنى أنه لا يصح أن يجارى السامع المتكلم فى كل ما يقول، فإن تكلم أحد بالكلام الفارغ، فلا يصح للسامع أن يجاريه.

أته: تستعمل بمعنى أنا، فيستخفون الوقف على الهواء الساكنة بدلاً من الألف. وقريب منها: إنهُ بمعنى أيها، فيقول أحدهم "إنهُ الأحسن من دول" أى أيهم الأحسن من هؤلاء.

انتقال الجبل: أسطورة من أساطير الأقباط، وقصة مخترعة من أفاصيصهم، خلاصتها: أنه كان لبعض سلاطين مصر

صفة الأجواد الخيرين. ومن الظريف مما يحكى أن أحد المغنين كان يغنى: أهل السماح الملاح فين أراضيهم. فأجابه محمد البابلي: محجوز عليهم فى البنك العقارى. أى لجودهم وسماحتهم، خربت بيوتهم.

أوراد: الأوراد جمع ورد. والورد عادة دعاء طويل بعض الشيء يتلى فى وقت معين. وكان لكل شيخ طريقة عادة ورد أو أوراد تتلى فى أوقات معينة، مثل ورد السحر، وورد يقرأ عند الخوف من الأمواج يسمى ورد البحر. والناس عادة يحفظون هذه الأوراد، خصوصاً الأوراد التى تنسب لشيخهم الصوفى. وهم يتلون مراراً. ومن أضرارها اعتماد الناس عليها فى قضاء حوائجهم، وبسط رزقهم، ولذلك يتركون العمل اعتماداً عليها. كما اعتمدوا عليها فى تكفير الذنوب، والاستكثار من الحسنات، بدلاً من أن يعتمدوا على الأعمال الصالحة.

الأوقاف: الأوقاف كثيرة فى مصر؛ وهى نوعان: أوقاف أهلية، كأن يقف الرجل على أولاده وأقاربه، ويخصصها أخيراً عند انقراضهم إلى جهة بر لا تنقطع، وأوقاف خيرية، كالوقف على المساجد، والفقراء والمساكين والأسبلة. وهى كثيرة فى مصر كما ذكرنا. ولولا أن الملوك الظلمة كانوا يلجأون إلى الأوقاف السابقة ويحلونها، لكانت مصر كلها تقريباً وقفاً على مرور الزمن.

ويلاحظ أن الأوقاف عادة تهمل ولا

نريد أن يطلب المسلمون من الله نقل الجبل قبلنا، لنرى أيقدر على ذلك أم لا؟ فاستصوب الملك رأيهم، ودعا المشايخ، والقضاة المسلمين، فتوضأوا وصلوا وصرخوا بالأذان، فلم يتحرك الجبل، وطلب البطيريك أن يمتحن اليهود كذلك، ففعلوا فلم يتحرك الجبل. وأخيراً جاءت جموع النصارى والبطيريك والإسكافى، فأمرهم البطريق أن يصرخوا بصوت واحد مرتفع، صرخة واحدة: إننا نأمرك أيها الجبل بحق من ارساك وتبتك فى هذا المكان أن تنتقل من موضعك وتجئ إلينا، ولا تؤذى أحداً من خلق الله، فتحرك الجبل من موضعه، وجاء إليهم، وصرخ الملك يطلب من البطريق أن يقفه فى مكانه. فلما انصرف الناس استحضر الملك البطريق إليه سرأ، وصرخ جميع مماليكه، ومن كان عنده، وقبل يد البطريق، واعترف بأحقية المسيحية وتنصر، وذهب إلى الكنيسة سرأ، واعتنق المسيحية وتعمد. وخزى المسلمون خزياً كبيراً. ولما علم بذلك بعض عقلاء المسلمين تنصروا أيضاً. وقد صنع المسلمون قصة على هذا النمط يرفعون فيها شأن الإسلام والمسلمين، وكلتا القصتين خرافة ظاهرة.

إهئ مهئ: إهئ حكاية صوت المرأة الخليفة عند الضحك، مهئ لإتباع إهئ.

أهل السماح الملاح: تكثر هذه الكلمة فى

والتانية آه والتالته آه، ثم يعودون إلى الأولة آه، ويزيدون عليها كلمة، وهكذا إلى الثالثة. ثم يعودون إلى الأولة، ويزيدون على الكلمة الثانية كلمة تالته، وهكذا إلى الثالثة. وهى طريقة مشهورة عند المصريين.

أول ما نبدى نصلّى ع النبى: تعبير يقوله القاصون فى أول قصصهم.

أونطة: كلمة يونانية بمعنى (حيلة) "أفئنا". يقولون (دا شغل أونطة) و(بلاش أونطة) و(سينما أونطة هاتوا فلوسنا) و(فلان أونطجى) أى صاحب حيل وخدع.

إيده خفيفة: تعبير يقال للص الماهر.

إيه بسّ ذنبى: تعبير يقوله الرجل أو المرأة عند وقوع عقوبة عليه بنذب لا يعلمه.

إيه ياخذ الريح من البلاط: تعبير يعنى إذا حدثت كارثة لشخص فقير، فماذا تأخذ الكارثة منه.

أيوه: هى كلمة كثيرة على لسان المصريين، بمعنى نعم. وتساءل أحدهم: هل فعلت كذا، أو هل ستفعل كذا، فيقول أيوه، أى نعم. ولعلها اختصار من أى والله، بدليل أن بعضهم ينطق بها كاملة، فيقول: أى والله.

يعتنى بها اعتناء الملاك لأملاكهم، فإذا مررت بالشوارع ورأيت بيوتاً مهملة، وأرضاً خربة، فاعلم أن ذلك وقف. ولذلك كان حافظ إبراهيم يقول: "مثل الأوقاف والمبانى المملوكة للأفراد كالجدرى فى وجه المدينة". حتى الأوقاف التى تديرها وزارة الأوقاف كانت تستغل استغلالاً سيئاً. وكثيراً ما يصرف ريعها على موظفى الوزارة، فلا يبقى للمستحقين إلا القليل، أو لا يبقى شئ. وكثيراً ما كانت الأوقاف نهياً للملوك والفقراء، وكبار المزارعين، ومطعماً لذوى الجاه والسلطان، يستولون عليها، أو يستأجرونها بأرخص الإيجار. وأعرف أن دار الكتب مثلاً وقف عليها نحو ألف ومائتى فدان، ولا تغلّ إلا القليل. كما أن هذه الأوقاف من ناحية أخرى سببت العطل لمن وقفت عليهم اعتماداً عليها فأسرفوا فى شهواتهم، وعاشوا عيشة عاطلة من غير عمل وكانت الأوقاف ضرراً عليهم وعلى الأمة. ولو تركوا وشأنهم، لاعتمدوا على أنفسهم، وبحثوا لهم عن عمل يرتزقون منه. وكثير من المستحقين يلجأون إلى اليهود، يستدينون منهم على أوقافهم، بأرباح فاحشة. فلما رأّت الحكومة التركية مثلاً هذه الأضرار، ألغتها على يد مصطفى كمال. وتبعه المصريون فى إلغاء الأوقاف الأهلية، ففعلوا بذلك فعلاً مجيداً.

الأولة آه والتانية آه والتالته آه: قوله مشهورة فى الأغانى، يقولون فيها: الأولة آه

ب

الطباخ: طعام لذيذ: ومن صفاته كذا وكذا، وأخذ يمدحه؛ فقال له السيد: ولكنه ثقيل الهضم؛ فأخذ الطباخ يذمه؛ فقال السيد: ولكن كنت تمدحه قبل الآن. قال له الطباخ: هل أنا عبدك أو عبد الباذنجان؟ إذا كرهته كرهته، وإذا مدحته مدحته. يروونها للدلالة على عدم الاستقرار على رأى واحد.

باشا: هو لقب من الألقاب، التى كان يمنحها الملك أو الخديوى أو السلطان، تبعاً لوظيفة أو تبعاً لتبرع كبير لعمل خيري، أو اعتباراً أو نحو ذلك. ولها أثر كبير خصوصاً فى بلاد الأرياف. فمن كان باشا كان عظيم الجاه، مسموع الكلمة. ولذلك يتنازلون عن كثير من أموالهم فى سبيل رتبة.

أعرف رجلاً فلاحاً ورث بعض فدادين عن أبيه، قم اقتصد وجدّ حتى اشترى غيرها، فادّعى أنه من الذوات. ثم باع بعض أطيانه واشترى بها لقب "بيك" وصار يتكلم مقلداً الترك، فيبدأ حديثه بقوله أه. أه. أه. مفخمة. انت عاوزه إيه يا رجل! أنا موش يعرف. متظاهراً بأنه تركى وليس فلاحاً.

ثم باع كثيراً من أملاكه، وحصل على لقب باشا، فزادت وجاهته واستطاع بها أن يظلم من حوله من الفلاحين وأن يسترد منهم ما دفع فى الرتبة. وكان فى الأزمنة الماضية لقب أفندى أكبر من بيك وباشا، ثم

يزداد حرف الباء فى بعض الكلمات دلالة على الشروع فى الفعل فى الحال، فيقال: أنا باكتب، وأنا بروح... أى أكتب فى الحال.

الباب اللى يجى منه الريح، سدّه واستريح: تعبير يعنى الناحية التى يأتى منها الشر، سدّها واسترح.

الباذنجان: هو نوعان: أبيض وأسود. وعند العامة المصريين أنه من مواد المشاهرات. ومعنى ذلك أن النفساء إذا دخل عليها أحد بالباذنجان، ينقطع لبنها، فتسمى مشاهرة. وبذلك تحتاط النساء بأن تضع منه بجوارها، أو تعلق منه بمخدعها، حتى يمنع المشاهرة.

وفى اعتقادهم أن ذلك يمنعها، وإذا أحضر لها تخرج من مخدعها إلى ناحية بعيدة، ويضعونه على الأرض ثم تدخل هى وتخطيه سبع مرات، ويكون دائماً بجوارها، وكذلك الشأن فى مريض العينين.

واشتهرت عند المصريين قصة عن الباذنجان، وقد نظمها شوقى بك فى جملة قصصه، وخلصتها أن سيداً سأل طباخه، ماذا سيطبخ؟ فقال الطباخ ما يعجبك. فقال له السيد: ما رأيك فى الباذنجان؟ فقال

البخور: طريقته أن توقد المباخر أو الدفائيات وتوضع فيها مادة أو مواد ذات رائحة عطرية إذا احترقت من غير لهب، وأحياناً يكتفى بذلك.

ويستعمل البخور فى البيوت والمساجد وكثيراً ما نرى فى الشارع حملة المباخر يطوفون بها على الأسواق ويأخذون من كيس معلق فى أكتفاهم بعض البخور، ويضعونه فى النار، فتهدب منها رائحة عطرية تبقى زمناً طويلاً. ولهم على بعض الدكاكين راتب شهري أو أسبوعي نظير تبخيرهم الداكن، وأحياناً يتلون مع البخور بعض العزائم التي يزعمون أنها تقي العين. وقد يضيفون إلى البخور بعض الشب وبعض حبات حمر يسمونها عين عفريت. ومن عادة الشب أنها إذا احترقت تكيفت بشكل خاص، ويدعون أنها تتكيف بشكل الحاسد، ويدعون أنها تشبه فلاناً أو فلانة ممن كان قد حسد، فيفقؤون عينها، ويزعمون أن فى ذلك فقاً لعين الحاسد.

وفى الحق أن البخور مهدئ للأعصاب، يشعر من بخر أنه قد هدأت أعصابه. وإذا اجتمع البخور وترتيل القرآن فى المسجد أو البخور والدعوات فى الكنيسة تسبب عنهما تهدئة الأعصاب.

ولذلك يكثر استعمال البخور أيضاً فى الزار مع الطبل والغناء على نغمات خاصة، فيعمل البخور إذ ذاك عمل السحر.

وهم يكثر من استعمال البخور فى الأيام العشرة الأولى من المحرم.

نزلت رتبته اليوم وصار كل ذى طربوش أفندياً.

وكانت هذه الرتب مكملة لسلطة الملوك، يستدلون بها الشعب، ويجعلون الناس تشرئب إليهم. وهو نظام يتمشى مع نظام الطبقات. فنظام الترتب والألقاب، والفروق الكبيرة بين الأغنياء والفقراء، وهكذا. ولذلك لما جاء عهد الإصلاح سنة 1952 كان من أول أعماله إلغاء نظام الطبقات بإبطال الرتب والألقاب، وتحديد الملكية الزراعية.

باطه والنحم: تعبير يعنى لا يملك شيئاً.

الباع: هو مقياس من طرف أصابع اليد إلى طرف أصابع الأخرى بفرد اليدين. وهو قياس طبيعى بدائى، استعمل قبل استعمال المقاييس الجديدة. وتقول العامة فى أمثالها: "فلان باعه طويل" كناية عن الكرم. وباعه طويل فى الحكومة، يعنى أن له جاهاً. وفلان باعه قصير، أى لا يستطيع أن ينهى الأعمال وليس له كلمة مسموعة. ويقولون: أخذ الشئء بالباع والذراع، أى بقوة سلطته.

باين مش ناوى يجيبها البر: تعبير يعنى لا يريد أن يسكت.

بجملة دول: وأحياناً بناقص دول. تعبير يعنى أن هؤلاء لا يؤبه بهم ولا يلتفت إليهم.

بخته نادى: تعبير يعنى طيب.

خاتمه. وأصل هذه الكلمة أن كثيراً من المسلمين يعتقدون في الخواتم والطوالع. من ذلك خاتم يسمى خاتم أبي سعيد. كان يكتب على رق غزال أو ورق يعلق تميمة. وشكله هكذا:

4	9	2
3		7
8	1	6

وبعضهم يكتبه حرفياً هكذا:

و	ر	ب
أ	هـ	ط
ح	ج	د

وميزة هذا الخاتم أنط لو جمعت كل سطر طولاً أو عرضاً وجدت المجموع خمسة عشر. ويجعلون لهذا الخاتم سرّاً عظيماً في بلوغ المآرب و جلب الخير، ودفع الشر. وأنت إذا قرأت الأركان الأربعة، كانت ب د و ح. ويعتقدون أن من حملها إذا كان مسافراً لم يجد أن في سفره تعباً، وإذا كتبت على رسالة وصلت سالمة. وتكتب أيضاً للمحبة وتبخّر وتتلّى عليها هذه العزيمة:

"يا بدوح يا بدوح يا بدوح، ألف بين الروح والروح وبحق القلم واللوح، وأدم وحواء ونوح". ثم تعلق على العنق، أو تحمل على الرأس.

وكان في عهدنا كثيراً ما تكتب على الخطابات بدوح بدوح.

ويدور بعض الناس في الشوارع والحارات بأنواع من البخور مختلفة قد وضعت على أوراق ملونة بألوان مختلفة وينادون به. ولهم عند البخور عزيمة يتلون سناً في موضعها.

واشتهرت في مصر سيدات يقصد إليهن النساء وبعض الرجال للتبخير. وإذا كانت أمراضهن كثيراً ما تكون أمراضاً وهمية أو عصبية كان البخور نافعاً لهن. ويظهر أن عادة التبخير موروثية من عهد قدماء المصريين، فقد عثر في المقابر القديمة على بعض المباخر.

البدو: على حدود البلاد المصرية والقرى يسكن البدو. وهم كما قال ابن خلدون: إذا سكنوا بلدة أسرع إليها الخراب، فهم من حين لآخر يغيرون على القرى والمدن فيلبسون وينهبون. وقد امتازوا حتى في الجسم بأن وجوههم ورؤوسهم أقرب إلى الإستطالة منها إلى الإستدارة كما هي الحال في الفلاحين. وهم نحاف الأجسام لنوع أكلهم وكثرة حركتهم. وينظرون إلى الفلاحين أيضاً كالأتراك نظر احتقار. ولذلك يظلمونهم كثيراً. ويأنفون من تزويج بناتهم لأهل الريف ويقصرون زواجهم على أنفسهم. (انظر: الأعراب)

بدوح: كلمة تكتب على الخطابات لتصل إلى المكتوب إليه سليمة. وغلا بعضهم فكان يكتبها على السلع التجارية، وعلى فص

السودانيات، وكن يختلطن بالعائلة كأنهن أحد أفرادها.

وتجد في القاهرة اليوم طوائف من البربريات زوجات البرابرة يسرن جماعة ويتكلمن لغة بربرية.

البرابري: هي آثار قدماء المصريين وموميائهم وهم يتبركون بها، وهي منتشرة في القطر المصري خصوصاً الصعيد. وقد كانت الكتابة الهيروغليفية التي عليها مجهولة إلى عهد شامبليون حين اكتشف حجر رشيد. ومع ذلك قبل أن يكتشف هذا الخط كانوا يدعون أن بعضهم قد ترجم ما عليها. فيزعمون أن ذا النون المصري الصوفي المشهور كان يحسن قراءتها وترجم ما عليها. وكذلك نجد في كتب التاريخ القديمة بعض أنماط من ترجمتها. وإنما هي دلت القراءة الحديثة على عدم صحتها.

البراغيث: كانت البراغيث آفة من الآفات المصرية ومن أكبر المصائب في زمن الشتاء، وخصوصاً في بلاد الريف حيث تكثر الوسائخ. وقد قلت بالنظافة واستعمال الأدوية المطهرة القاتلة للحشرات. ومن الأمثال المنتشرة "زى براغيث القنطرة، قلة وزنطرة". أى أن البراغيث قليلة الجسم، ولكنها تنط. ومن أقوال الشدياق:

يا ليلة ما أسفرت عن صباح
من البراغيث السراع الكفاح

البرابرة: هم جيل منتشر على ضفاف النيل من جزيرة أنس الوجود إلى الشلال الثاني للنيل على مسافة تبلغ مائتي فرسخ تقريباً. ويمتازون بالسمر الشديدة التي تشبه خشب الجوز، وهم أفتح من السودانيين. وقد امتازوا بالخدمة في المقاهي والفنادق والبيوت وعرفوا بالإخلاص والأمانة والنظافة، كما اشتهروا بسرعة الغضب وقلة الفهم، حتى لو أتى أحد منهم من المصريين بما يدل على غباوته قالوا: "برابرة يا رسول الله". وإذا اغتنوا قليلاً من عملهم في الفنادق والمقاهي رجعوا إلى أوطانهم من حين لآخر، فأمدوا أهلهم بالأموال، كما يفعل المهاجرون إلى أمريكا من اللبنانيين، مع الفرق الواسع في الغنى والثروة. ومن أشهر أعمالهم الخدمة في البيوت سفرجية أو طباخين أو فراشين أو بوابين، والخدمة في القهاوى والفنادق. ويغلب أن يكون عليهم رئيس رومى، فهم يحصرون القهوة أو القازوزة، والرومى هو الذى يأخذ الثمن والبقيشيش. وقد اصطنعوا الآن حرفة جديدة، وهي أن يققوا أمام الفنادق أو البنوك أو المحلات أو البيوت إذا كان فيها ولائم، ويحفظون السيارات من أن تسرق أو يسرق منها، ويهدون سائق السيارة كيف يخرج من وسط الزحام نظير قرش يدفع لهم من كل صاحب عربة. ومنهم من احترفوا حرفة سائقى السيارات. وقبل إلغاء الرقيق كانت البيوت مملوءة بالجوارى السود من البرابرة أو من

بت بها أغزى وأغزو وما
لدىّ إلا حدّ ظفري سلاح
من كل ذى ناب يكاد إذا
جن الدجى ينشبه فى السفاح
ما إن يرى بدا عن الفتك بى
ولو ملأت الفراش لحما وراح
وهناك نوع من الحلوى صغير أقل من
الحمصة ملون ألواناً مختلفة يسمى
"براغيت الست" لأنه فى حجم صغير جداً
يشبه البرغوث، وقد قل هذه الأيام.

برج: هى فى لسان الفلكيين أمكنة فى
السماء تنتقل فيها الشمس. وكل برج من
الأبراج يدل على معان، وعندهم أن لكل
كوكب أبراجه وطبيعته، وكل يوم من أيام
الأسبوع سلطنة كوكب، فى يوم الأحد كوكبه
الشمس، طبعه حار يابس، معدنه الذهب،
ملكه العلوى رفاييل، والسفلى "ميمون".
ويوم الاثنين كوكبه القمر، طبعه بارد
رطب، معدنه الفضة، ملكه العلوى جبريل.
يوم الثلاثاء كوكبه المريخ، طبعه حار
يابس، معدنه النحاس، ملكه العلوى
ميخائيل. يوم الأربعاء كوكبه عطارد، طبعه
ممتزج، معدنه الزئبق، ملكه العلوم ميكائيل.
يوم الخميس كوكبه المشتري، طبعه حار
رطب معدنه القصدير، ملكه العلوى
إسرافيل، والسفلى شمهورش. يوم الجمعة
كوكبه الزهرة، طبعه بارد يابس، معدنه
الحديد، ملكه العلوى عينائيل، والسفلى
زوبعة. يوم السبت كوكبه زحل، طبعه بارد

رطب، معدنه الرصاص، ملكه العلوى
كسفيائيل. ولهم حسابات طويلة فى البروج
وطالع الإنسان، فمثلاً يوم السبت الساعة
الأولى لزحل، الأحد الساعة الأولى
لعطارد، الاثنين الساعة الأولى للمشتري،
الثلاثاء الساعة الأولى للزهرة، وهكذا.
ولكل برج طبع وطالع، فإذا أردت معرفة
الطالع فاحسب اسم المطلوب وأمه بحساب
الجمل الكبير واسقط من المجموع 12-12،
فالباقى برجه وطالعه وطبعه.

ولهم فى ذلك قصائد كثيرة. وإذا عرف
الطالع يمكن أن يكتب الحجاب على
مقتضاه. ولهم فى ذلك كلام طول وحساب
أطول.

ويطلق البرج على برج الحمام، وسيأتى
الكلام عليه فى الحمام. وللأبنية من العرب.
وإذا سئل كم كان عددكم فى هذا المجلس؟
قال: ثلاثة ومصرى، أو أربعة ومصرى،
لأن المصرى غير محسوب.

البرقع: البرقع هو غطاء يغطى وجه
المرأة. وكان يلبسه بنات البلد. ويكون من
الكريشة أو الحرير السود المكرش. وكان
يصنع بالمحلة الكبرى ضمن ما يصنع.
ويعلقن فيه قصبه، وهى تتلف باختلاف
الغنى والفقر. فقد تكون القصبه من الذهب
أو من الفضة المطلية بالذهب، أو من
النحاس كذلك. ومنه نوع يسمى المشخلع.
وهو برقع مخرق خروفاً واسعة أو ضيقة،
مرتبة على أشكال هندسية: من مثلث أو

على الدعوة إلى السفور. ومصيره على ما يظهر دار الآثار. وليس للبرقع علاقة بالعهر، فقد تجبر المحجبة وتعف السافرة⁽¹⁶⁾.

البركة: هي سر الله والأنبياء والأولياء في الأشياء، فمتى حلت البركة في شئ كفى الحاجة وربما ونما؛ فمثلاً إذا كانت البركة في المال سد مطالب كثيرة، ولذلك قالوا عند ذلك "حصلت البركة" وإذا لم يكن فيه بركة تشتت من غير أن يقضى الحاجات، وقالوا فيه قلت بركته. وكذلك في الأعمار فهم يقولون: إن العمر إذا كان مباركاً أنفق في كثير من وجوه الخير، وإذا قلت بركته أنفق في غير طائل. وكذلك في الأشخاص، فالرجل المبارك هو الذى يكون مصدر سعادة لمن حوله، وغير المبارك من لم تكن منه هذه السعادة، وهكذا فى كثير من الأشياء.

وسموا نوعاً من البذور حبة البركة تيمناً بها. فهى فى اعتقادهم تشفى كثيراً من الأمراض، وزيتها كذلك ينفع خصوصاً فى أمراض الصدر وسموا بركة ومبروك وبركات؛ وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والتحيات المباركات، وبارك الله فيك... إلخ. ويقولون عند الزواج والتهنئة بالشئ "مبروك". ومن دعائهم "بارك الله فيه". ويستعملون الكلمة فى الفرحة بالاستغناء عن شئ فيقولون: والله بركة؛ فى شئ يستغنى عنه فى سرور. وإذا وجدوا

مربع أو مخمس، وغير ذلك. ونساء الشرقية تضع على البرقع قطعاً من الذهب تسمى "غازى أو بندفى". والفتيات منهن يرتين تلك القطع صفوفاً من أول البرقع إلى آخره. ويضعن تحت القصبه مرجاناً. وتلبسه الفتاة فى الشرقية مثلاً بعد العاشرة.

وأما نساء البحيرة فلا يضعن قطع الذهب على البرقع. وبعض النساء لا يضع قصبه، وبعضهن يلبسه من النوع الأبيض. وبعض الفقيرات يتبرقعن بقطعة قماش من النسيج السخيف من القطن أو الكتان ويعلقن بدل القصبه عقلة غاب.

وكان البرقع فى أول أمره أبيض أو أسود من النوع السميك. وكان عربياً حتى يدارى صدغى المرأة إلى أذنيها. وقصبته قطعة قماش منه. وكان البرقع يثير فى نفوس الرجال حب الاستطلاع ويثير الخيالات. فهو يستر وجه المرأة إلا العينين.

ومن أمثلة العامة فى ذلك "ياما تحت البراقع سم ناقع"، ومن الأمثلة أيضاً التى تتعلق بهذا "لبس البوصة تبقى عروسة" وأصله أن عروسة البرقع عبارة عن قطعة من القصب أو الغابة لبست بقطعة من الذهب أو الفضة أو النحاس، فإذا ركبت على الغاب، سميت عروسة ولم تكن قبل ذلك إلا غابة. وكنوا بهذا عن أن الفتاة أو المرأة إذا حليت بالثياب كانت عروسة جميلة.

وقد أخذ البرقع فى الزوال شيئاً فشيئاً بناء

المسجد مغلقاً قالوا: "بركة يا جامع اللي جات منك وماجتش منا".

بركة اللي جات منك واللا جاتش منا:

تعبير يعنى أحمد الله على أن هذا الأمر الذى أريده، قد أتى منك ولم يأت منى.

برمكى وبرامكة: فى لسان المصريين

تطلق كلمة "برمكى وبرامكة" على الذين فقدوا الغيرة وأتوا بأعمال جنسية مشينة، مع أن البرامكة فى عهد الرشيد كانوا من خيار الناس وكانوا أبعد عن هذا المعنى. ولكن يظهر أن الرشيد لما نكل بهم كان أتباعهم يخفقون ويتبرءون منهم، ومازالوا كذلك يتناسلون حتى سقطوا فى الرذائل. وسبب آخر، وهو أن البرامكة كان لهم مغنون ومغنيات أيام عزهم، فلما نكبوا تسكع رجالهم ونساؤهم على البيوت للإيجار فسقطوا من أعين الناس ورموا بهذه الشنائع. وفى التاريخ بعض الأمثلة على هذا. فمن القبائل التى نزلت الفسطاط فى عهد الفتح قبيلة تسمى "بالعتقاء" ولكن يظهر أن القبيلة سقطت بعد ذلك فى البؤس والفقر، فأطلق على مُصلح النعال القديمة "عتقى". وكذلك "حرام" كانت قبيلة مشهورة بالشدة والبأس، تنازعها الشدة قبيلة أخرى مثلها تسمى "سعد". فمزال الت "حرام" تنحط حتى قيل لكل لص حرامى.

بُرِيه منك بُرِيه: تعبير يقال للتأفف من

شخص، وربما كانت للاستغاثة. وكثيراً ما تصحب بمسك الملابس، كأنه يريد أن يمزقها.

بسّ: يقولون بسّ بمعنى فقط. وبالكسر زجر للقط. ومن هذه المادة بسبسة. وهى كلمة تستعملها العامة للكلام الخفى غير المفهوم يقولون لن فعل ذلك: بلاش بسبسة، أو ماتبسبشش. وفى اللغة بثبث، يقال فلا يثبت المتاع، أى يقلبه ويحركه. ومن الغريب أن بس لزجر القط، وبسبس لمؤانسته. ويستعملون بس استعمالاً غريباً يصعب ترجمته مثل قولهم فى إحدى الأغنيات:

يا عطارين دلونى

عالصبر فين أراضيه

ولو طلبتو عيونى

خدوها يسّ الأقيه.

بشرقة: يقولون "إن صح العيش، يبقى الباقي بشرقة"، أى يكون ترفاً. ويقول الطفل "هات قرش أتبشرق به"، أى أنتزه، ويسمون اللب الذى يقزقزونه للتسلية أو الفستق أو ما مائل ذلك "بشرقة".

بصاص: يقال للجاسوس "بصاص" من بص بمعنى نظر.

البصبصة: لنا فى تخريجها رايان: الأول أنها مأخوذة من بص بمعنى نظر، تكررت

فصارت بصبص. ورأى آخر وهو أن أصلها وصوص، الوصوصة نوع من النظر بالعين، يقال وصوص الكلب إذا نظر. وللمصريين خصوصاً فى العهد الماضى شهرة فى البصبصة هذه قد اعتادوها فى النساء واعتادها النساء من الرجال. ولذلك تتزين المرأة وتتجمل كأقصى ما يكون، وتتخلع فى المشى خصوصاً أما الرجال، وتمعن النظر فى المرأة حتى تتأكد من أن زينتها وهيأتها على ما ترغب. ثم تمشى فى الشارع، أو قل تتعمد المشى فى الشوارع المملوءة بالحوانيت والمقاهى، فيتعرض لها السوقة بألفاظ تدل على الاستجمال والاستحسان والاستلطاف. فيقول الرجل مثلاً: الله الله، يا عينى يل عينى؛ يا حافظ يا أمين، إيه دا الجمال ده؛ والله ما فيش كدا أبداً؛ والله ما فيش غيرك؛ قتلتنا والنبي ترجمى؛ آدى الغزال؛ آدى الجمال؛ هز ياوز؛ ماشاء الله؛ يا ست؛ يا باشا؛ يا روحى يا قلبى؛ يا بخت الللى قانى.. وإذا كانت سمينة قالوا لها: يا تخت؛ يا جمل؛ يا مبررب؛ فنزيد هى فى خلاعتها. وإذا لم تسمع مثل هذه الكلمات رجعت إلى بيتها حزينة ونظرت فى المرأة لترى ما جعل الرجال يعرضون عنها. وكل هذا دليل على غلبة الشهوة على هؤلاء وهؤلاء.

وللهذه الشهوات كثر العشق والغرام والتغنى بهما، فلا تكاد ترى أغنية لم يصف فيها العاشق رغبته فى الوصال، وألمه للهجران. ولذلك ألف السيوطى وهو عنوان المصريين كتباً كثيرة فى هذا الباب أستحى من ذكر أسمائها، وهو معذور فى ذلك لأنه كان فى وسط مملوء بهذه الشهوات. وربما اكتسحت المدنية كثيراً من هذه العادات، واخترعت أساليب أخرى كصور النساء العاريات، وحسن الحديث الخاص، والتلميح البعيد فى التغنى بجمال المرأة ورشاققتها وحسن حديثها إلى غير ذلك.

بصل: إنما أذكره لأذكر شيئاً من عادات المصريين فى البصل، أن الجن إذا صحبت إنساناً وأرادت أن تهدي إليه شيئاً أهدت إليه قشر بصل، فإذا طلعت الشمس انقلب ذهباً. ومن فوائده عندهم أنهم يعصرون البصل وينقطون نقطاً منه فى العين إذا كانت مقرحة، فنشفى بإذن الله. وأحياناً يضعون من قطرة البصل هذه فى عين الأرمد بعد أن يضاف إليها قليل من الشيح، ويداؤون من هذه القطرة المغمى عليه بوضع شئ فى أنفه.

فصارت بصبص. ورأى آخر وهو أن أصلها وصوص، الوصوصة نوع من النظر بالعين، يقال وصوص الكلب إذا نظر. وللمصريين خصوصاً فى العهد الماضى شهرة فى البصبصة هذه قد اعتادوها فى النساء واعتادها النساء من الرجال. ولذلك تتزين المرأة وتتجمل كأقصى ما يكون، وتتخلع فى المشى خصوصاً أما الرجال، وتمعن النظر فى المرأة حتى تتأكد من أن زينتها وهيأتها على ما ترغب. ثم تمشى فى الشارع، أو قل تتعمد المشى فى الشوارع المملوءة بالحوانيت والمقاهى، فيتعرض لها السوقة بألفاظ تدل على الاستجمال والاستحسان والاستلطاف. فيقول الرجل مثلاً: الله الله، يا عينى يل عينى؛ يا حافظ يا أمين، إيه دا الجمال ده؛ والله ما فيش كدا أبداً؛ والله ما فيش غيرك؛ قتلتنا والنبي ترجمى؛ آدى الغزال؛ آدى الجمال؛ هز ياوز؛ ماشاء الله؛ يا ست؛ يا باشا؛ يا روحى يا قلبى؛ يا بخت الللى قانى.. وإذا كانت سمينة قالوا لها: يا تخت؛ يا جمل؛ يا مبررب؛ فنزيد هى فى خلاعتها. وإذا لم تسمع مثل هذه الكلمات رجعت إلى بيتها حزينة ونظرت فى المرأة لترى ما جعل الرجال يعرضون عنها. وكل هذا دليل على غلبة الشهوة على هؤلاء وهؤلاء.

ومن النساء من تبصص للنساء، فإذا رأت المرأة امرأة جميلة غازلتها أيضاً ولافت عليها وقد تحتك بها. ويعجبني قول

بالشلل وخصوصاً أكل كبده.

البطاطة: هي أشبه ما تكون بالبطاطس إلا أنها أطول منه وأحلى. والمصريون يكثرون من أكلها من غير خبز، مشوية، ومسلوقة. وهي طعام كثير من الفقراء، يأكلونها فيستغنون بها عن الخبز - وكثيراً ما ترى في شارع القاهرة عربات محملة بالبطاطة ينادون عليها. وقد يضع بعض الباعة على عرباتهم فرناً صغيراً فيبيعونها ساخنة، لأنها خير ما تؤكل ساخنة.

وقد اشتهرت بطاطة سيدي جابر لأنها على ما يظهر تجود في الأراضي التي حوله في الإسكندرية. وقد اشتهر جابر بشيئين: (1) هذه البطاطة (2) ولحم الرأس، إلا أنهم في المنادة على لحم الرأس يقولون: يا جابر فقط من غير سيدي، أما البطاطة فينسبونها إلى سيدي جابر.

وكثيراً ما تنسب المأكولات إلى المشايخ كنسبة الترمس إلى سيدي الامبابي، والبطاطة إلى سيدي جابر، والخص إلى المليجي والحلاوة للسيد. وهكذا.

بطلوا ده واسمعوا ده: تعبير يقال عند التعجب.

بطن: يقولون في شتائمهم: جاه البطن: أي الإسهال، وفلان مريض بالبطن، أي الدسنتاريا، أي الإسهال المزمن. ويقولون هذا الشيء بالبطن إذا كان رديئاً. ويقولون للنبات إذا قطع ونبت من جديد: إن هذه هي

وفي زمن الأوبئة يكثر من أكل البصل وشمه. ويعتقدون أن الإنسان إذا دخل بلداً جديداً كان أول ما يأكله البصل. ومن أمثلتهم في ذلك قولهم "بصلة المحب خروف". ومن الأمثال أيضاً "بصل بخمسة وبخمسة بصل". تقوله إذا ذكرت كلاماً طويلاً لا يخرج عن هذا المعنى. أي: إن معنى هذا الكلام هو معنى ذلك. ويقول أهل الجزائر "الحج موسى، موسى الحاج" ويقول الأتراك: "يا على يا ولي يا ولي يا على" ويستعمل البصل كثيراً في ليلة شم النسيم ويعلق على أبواب البيوت وعلى السرير وعلى الغرفة اعتقاداً بأن الأرواح الشريرة إذا حضرت وشمت البصل ذهبت ولم تعد⁽¹⁷⁾.

بصلة المحب خروف: تعبير يعنى القليل من المحب كالكثير من غيره.

بصّ له عاوز يفصل منه بدله: تعبير يعنى نظر إليه نظراً دقيقاً، حتى وكأنه يريد أن يفصل منه بدلة، كالخياط.

بضلة: يطلقونها على الرجل البليد الجامد المغفل، وهي تركية الأصل - أصلها بودالا.

بط: البط معروف، فيقولون: بط الفطير أو بطبطه أو بططه، إذا قطعه وخبطه بيده ليساويه قطعاً قطعاً قبل خبزه. ويسمون المرأة القصيرة الممتلئة "بطة". وربما كانت محرفة عن بضّة. والبط طائر معروف بمصر يستخدم في الأكل كثيراً. ولهم في طهيه تفننات كثيرة وخصوصاً أهل دمياط. ويصفون الأسود منه للمرضى

سماً، فيكون فيها دود صغير؛ ولكن إذا وضع فى قلب البطيخة سكين لا يقربها الثعبان، وخير من ذلك اليوم وضعه فى الفريجيدير أو التلاجة فيكون مثلجاً لطيفاً. وإنما وجد الدود من الذباب يعف عليه لا من الثعبان.. وإذا قشر البطيخ وجفف فى الشمس كان منه دقيق يضعونه للدجاج أو الوز، ولب البطيخ يجمعونه ويحمسونه فى القرن أو على وابور الجاز ويضيفون إليه ملحاً ويقزقزونه للتسلية، وهى عادة مشهورة. واللب أنواع: لب البطيخ هذا ويسمونه لب أسمر، ولب القرع الاسطمبولى ويسمونه لب أبيض، وقد يعملون من اللب البيض هذا مربى، ويضعونه لمن ازداد عنده الضغط الدموى. وهم يستعملونه كثيراً عند السم فى الليل، أو الجلوس على القهاوى.

وفى مصر دكاكين كثيرة خصصت لبيع اللب الأسمر والأبيض والحمص والذرة المحمصّة، وتسمى "فيشار". ومن أقوالهم "حط فى بطنه بطيخة صيفى". بمعنى أنه لم يكثر ولم يهتم.

البطيخة قرعة: تعبير يقال للبطيخة التى باطنها أبيض للدلالة على رداءتها.

بعبع: البعبع فى لسان المصريين مخلوق غريب مخيف، يخوف به الأطفال. وزعموا أن هذا الاسم من اللغة المصرية القديمة وأنه عندهم اسم لعفريت مصرى قديم. وهو

البطن الثانية أو ثانى بطن. ويقولون خلاها بطن حمار - إذا أفسدها بسوء تدبيره. ويقولون لمن لم يغضب إن عند بطناً كبطن السيد، كأن بطن السيد فى زعمهم واسعة واسعة. ويروون أنه فتح فمه لأحد الذين اعترضوا عليه وأمره أن ينظر إلى حلقه فوجد فى بطن السيد دنيا أخرى، فيها المدن والقرى والمزارع والأنهر والبحار والجزائر والأسماك والطيور والوحوش والملوك والأمراء. ويقولون على الطبقة الأولى من الموقوف عليهم البطن الأولى، وعلى من بعدهم البطن الثانية ويقولون فى وقفيتهم بطناً من بطن، أى جيلاً بعد جيل.

وقبل أن ينتقف الشعب كان لا يخصص المريض عضواً من الأعضاء، فيقول الرجل بطنى توجعنى، سواء أكان الذى يوجعه معدته أو مصارينه أو كبده أو كلاه. فلما تقدم الناس فى الثقافة الصحية اختفت هذه الكلمة فصار الرجل يقول: معدته تؤلمه، أو كبده، أو نحو ذلك.

ويقولون بطن الوادى لما ليس بعلاء.
بطيخ: البطيخ معروف. وأجود ما يكون من يافا. ولذلك يقولون بطيخ يافاوى. ثم استجلبوا اللب من شلى وزرعوه وسموه شيلين، فكان خيراً من اليافاوى. ويزرع من غير سقى. ويسمى ما يزرع كذلك بعلياً. وهو أجود مما يسقى بالماء. وإذا كانت البطيخة طرية قالوا لها بطيخة ماوى، يشربونها كما يشرب الماء. ويعتقد النساء أن البطيخة المشقوقة إذا شمها ثعبان بخ فيها

فقيراً، واستيقظ وظل إلى قرب الفجر، فخرج يريد المسجد فوجد الشارع كله مملوءاً سلعاً، وتقدم أحد الجن فقال له لا تخف، وملاً له حجره فشر بصل وشر ثوم، فلما وصل إلى بيته رمى هذا القشر، فلما طلعت الشمس وجده ذهباً وفضة.

وحدث شيخ هرم قال: كنت جالساً مع ثلاثة من زملائي في دار صديق لنا على قارعة الطريق، في الليلة التي تظهر فيها بغلة العشر، وقد عزمنا على تمضية الليل كله سهراً وفي الثلث الأخير من الليل سمعنا وقع حوافر، فقلنا لعلها بغلة العشر! وما خاب ظننا، فقد وجدنا بغلة سوداء تحمل زكية، فأدخلناها الدار وأمرنا بإحضار شئ كبير من القمح للبغلة، ووجدنا الزكية محشوة ذهباً، ثم طلع علينا عبد أسود، وسألنا: ألم تروا بغلة ضلت عن الطريق فقلنا: لا.. فذهب بعد أن ملأنا الخوف.

ومن الاعتقادات الشائعة "أن البغلة إذا حملت وولدت فهذا دليل على انتهاء عمر الدنيا".

وكان العلماء المطمطمون يفضلون ركوب البغلة على الحمار والفرس لسهولة سيرها، وكانت في ذلك تقوم مقام السيارة اليوم. وكان العلماء والعظماء يختصون لذلك بركوب البغال. ومن الأمثال المشهورة "أقول له بغلة، يقول لي حمار"، يقال لمن لا يفهم. ومن الأمثال للفرس: من أبوك قالت البغل خالي. ووصف ظريف بغلة بطيئة السير فقال فيها:

من الأشياء التي تخلع قلوب الأطفال من الصغر، وتنشئهم جبناء. ومن أجل ذلك وأمثاله اشتهر المصريون بالجبن، فكلما بكى الطفل خوف بالبيع أو أبو رجل مسلوخة "والمزيرة". ونحمد الله أن زالت هذه الخرافات، واختفى البيع فكان النسل الجديد أشجع.

البغدة: هي صفة من صفات الرقة واللفظ والطرف. فيقال للمرأة تبغدت إذا رقت، وظرفت في معاملاتها. وكان عندنا خادمة سوداء تسمى مَبَغْدَة.

بغلة: يقال للمرأة إذا عقت "بغلت" لأن البغلة عقيم، ويقولون للرجل الغبي "بغل". ومما كان يدور على ألسنة العامة كثيراً حكاية "بغلة العشر" وهي بغلة كانت تظهر - فيما يقولون - في العشر الأولى من المحرم، وبعضهم يطلقها على العشر الأخيرة من رمضان، وتدور في شوارع القاهرة بعد منتصف الليل، وعليها خرج مملوء ذهباً، وفوق الخرج رأس قتيل. فمن كان جيد الحظ عثر عليها، يأخذ ما في الخرج ويملؤه فشر بصل أحمر، وإذا أسعده الحظ وأدخلها إلى بيته، ربما اعتادت ذلك كل سنة. وقد تذهب البغلة إلى باب المحظوظ من نفسها وتدقه برأسها، فيفتحون لها فتدخل وتلقى ما عليها. وادعى قوم أنهم رأوها، ولذلك كثير ممن كانوا فقراء اغتنوا بلقياهم "بغلة العشر". ويحكون أن فلاناً كان

لك يا صديقي بغلة

ليست تساوى خردلة

تهتز وهي مقيمة

فكأنما هي زلزلة

البق: البق حشرة صغيرة حمراء اللون، مفرطحة، تقرص، وخصوصاً النائم، فلا يستطيع معها نوماً، وهي أخبث من الناموس ومن البرغوث، وتنتشر في الحجرة القذرة خصوصاً إذا كانت فيها أخشاب، فإنها تلبد في ألواح الخشب. وقد قلَّ البق باستعمال المطهرات والتزام النظافة، وهو كثير الولادة. ويقول العامة في أمثالهم "زى البقة تولد مية وتقول يا قلة الذرية".

ويعتقدون أنه يمكن التغلب عليه بالتعويدة الآتية: تكتب أربع ورقات وتلصق على أركان الغرفة "يس والقرآن - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - لنن لم تنتهوا لنرجمنكم ولیمسنکم منا عذاب أليم" إذهب أيها البق والبرغوث والنمل بإذن الملك الحق وبألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويختر الورق بعد كتابته بحصا ولبان ذكر.

بُقّه بينقط شَهْدُ: بقه بمعنى فمه، تعبير يعنى أن فمه يخرج منه كلام لطيف، أشبه بالشهد.

بقر من غير قرون: يقولونها لمن كان جهولاً شديد الغباوة، كأنه لا فرق بينه وبين البقر في عقله إلا القرون، فإن البقر بقرون

وهو بغيرها.

بقشيش: هو بمعنى منحة صغيرة تمنح لمن خدمك خدمة صغيرة. كأن يقدم لك قهوة أو يدلك على طريق أو يحضر لك عربة أو نحو ذلك. وأحياناً يسمون البقشيش حق الدخان. واعتاد الإنجليز عادة حسنة بأن يضعوا البقشيش في طبق أو نحوه، ويغطوه بورقة ونحو ذلك حتى لا حرج إحساس أخذه. وقد غالى فيه المصريون فكثرت عندهم من يتطلب البقشيش، فإذا زرت أحداً وخرجت إلى الشارع لتركب سيارتك وجدت من ينتظر البقشيش، وهكذا في كل خطوة. وقد وضع أحمد فارس الشدياق في كتابه "الساق على الساق" مقالة لطيفة في البقشيش فإن زوجته في أول يوم طلبت منه بقشيشاً لأن جاراً له تزوج. فلما كان اليوم الثانى ولد لبعض جيرانه ولد فطلبت البقشيش. ولما كان اليوم الرابع قالت إن أحد جيراننا ولد له ولد. فلما كان اليوم الخامس قالت إن أحد أولاد الجيران قد ختم القرآن فلا بد من البقشيش. ولما كان اليوم السادس قالت إن أخاه قد أحرز في المكتب درجة ولا بد من البقشيش. ولما كان اليوم السابع قالت إن جارتنا فلانة ذهبت إلى الحمام بعد نفس ولا بد من البقشيش. ولما كان اليوم الثامن قالت إن إحدى جاراتنا ليلة الحناء لها ولا بد من البقشيش. ولما كان اليوم التاسع قالت إن أحد جيراننا قد قدم من الحج ولا بد من البقشيش. ولما كان اليوم العاشر قالت

الوردى:
والروح فيك وديعة أودعتها
ستردها بالرغم عنك وتسلب

البلا: يطلق عادة على مرض الزهري،
وكان اعتمادهم فى مداواته على شرب
الزيت الحار النقى. وقد يعالجونه بأن يوضع
شئ من الملح الجريش فى خرقة، ويغلى
الزيت الحار فى إناء ويغطس فيه الملح، ثم
يخرج وهو ساخن حار وتكوى به القرحة.
وأحياناً يملأون مجمرة من الفحم حتى
يحترق، ويصير ناراً، فيدخلونها إلى قاعة
سدت كل نوافذها، ويأتون بنرجيلة (أى
شيشة) ويدخنون التبناك بالزرنىخ، ويأمرون
المريض أن يدخلها حتى تنتهى، فيشعر
بارتخاء فى المفاصل.

بلاش: أصلها بلا شئ، ولكنهم جعلوها
كلمة واحدة. مثل قولهم "البلاش كتر منه".
ويستعملونها كثيراً فى معنى النهى. فيقولون
"بلاش هيصة" أى لا تهيص. وبلاش
خبص. وبلاش جرسة. وبلاش جرسة.
وبلاش فضيحة. وبلاش لؤم. وبلاش بهدلة.
وبلاش بهللة... الخ.

بلاش أفش: تعبير يعنى الشئ الذى لا
تدفع فيه ثمنأ أكثر منه.

بلاش هُتْك: ومثله هتايك، ومثله بلاش
جرسة وهتيكة، تعبير يعنى لا تعمل ما

إن أحد جيراننا قدم من سفر ولا بد من
البقشيش. فلما ضاقت به الحال قال: أيتها
المرأة ارشدى وأنصفى واقصدى إما أن
تكفى عن هذا الإنفاق وعن تكلفى ما لا
يطاق، وإلا فالفراق والطلاق. والبقشيش
إحدى المصانب الثلاثة المصرية وهى
البقشيش ومعلش وأنا مالى.

بكرة: تستعمل فى لسانهم بمعنى غداً، والذى
يريد أن يعد ولا يفى يقول بكرة. ومن
أمثالهم: بكرة نقتل الغراب. تقال مثلاً لمن
يقول ولا يفى. وأصل المثل أن الضفادع
تجتمع فى الماء ليلاً وتتنق، ويزعمون أنها
فى نقيقها تقول: بكرة نقتل الغراب. وقد
استوحوا هذه الجملة من صوت نقيق
الضفادع لأن الغرب إذا رأى ضفدعة
اختطفها. ويزعمون أن الضفادع تختفى
بالنهار خوفاً منه ولا تعمل شيئاً، فيطلقون
المثل على من يقول شيئاً ولا يفعله، ويسمون
هذا أيضاً "جخ". ومن أمثالهم أيضاً: "بكره
نسمع وبعده نشوف" وهو أشبه بالمثل
العربى القديم "عش رجباً تر عجباً". ومن
أمثالهم أيضاً: "بكرة عد على الفرش
وننفس" يضر بونه فى موضع أنهم سوف
يتلاقون غداً، ويظهر فيه كذب المدعى. ومن
أمثالهم أيضاً: "بكرة يفتح السوق وبيان
الطار من البيطار". يعنون بذلك "ستبدى
لك الأيام ما كنت جاهلاً". ومن أمثالهم
أيضاً: "بكرة العيرة ترجع لأصحابها" يعنون
بذلك أن العارية لا تثبات لها وهى كقول ابن

يسبب الفضيحة.

البلاص: والأصح البلاصى، لأنه نسبة إلى بلد فى الصعيد، يقال لها البلاص. وهو يلعب دوراً كبيراً فى الأرياف، خصوصاً لأنهم يملأون به الماء من الترعرع والأنهار كل يوم. وللفلاحة مهارة كبيرة فى كيفية وضع البلايص على الرءوس. وكثيراً ما تغزل الفلاحون فى النساء يحملن البلايص، ويعدن إلى بيوتهن تغنين.

بلانة: البلانة امرأة تغشى البيوت، ويكون عملها مساعدة ربة البيت أو بناتها فيما يلزمها فى الحمام، من نزع الشعر من على الوجه والعانة بحلاوة السكر المعقود أو نحوها. وهى التى تتولى شئون الفتاة عند زواجها، فهى التى تدخل مع العروس فى الحمام، وتهينها وتنظفها. وهى التى تحنى الفتاة فى ليلة الحناء، وتجعلها فى ليلة الزفاف.

وقد تكون واسطة إذا كانت هناك علاقة حب وغرام. وهى لا تكون عادة إلا فى بيوت الأغنياء، والطبقة الوسطى الشبيهة بها.

البلح: هو فى مصر أنواع كثيرة: من أشهرها البلح الأمهات، والبلح الحيانى، والبلح الزغلول، والبلح السمانى، وبلح ابن عيشة. ولأن البلح الحيانى كبير غليظ قالوا أحياناً فى المرأة "إنها صوتت صوتاً حيانى". وأحياناً يستخرجون منه الخمر.

ويأكله كثير من المصريين، وهو غذاء طيب لطبقة كبيرة من الفقراء بأنواعه المختلفة. وقد ذهبت مرة إلى الواحات الخارجية، فوجدت أكثر طعامهم البلح والأرز. ومن أشهر أنواع البلح ذلك الذى يأتى من الحجاز، فأكثر الحجاج تكون هديته عبارة عن كمية من البلح الحجازى الناشف، وكمية من ماء زمزم معبأة فى أوان من الصفيح. وكثيراً ما يضعون البلح فى فتلة ويعلقونها فى رقبة الطفل طلباً للبركة.

البلغة: البلغة حذاء من جلد أصفر واسع يلبسه بعض الرجال خصوصاً معلمى الصنائع، كالبناء الكبير والمبيض الكبير وخصوصاً المغاربة أيضاً. ويظهر أن أصله من فاس فى المغرب، لأنهم ينادون عليها "البلغة الفاسى". وكثيراً ما كنا نرى فى الشوارع وعلى القهوات منادين ينادون عليها، ويعلنون عن جودتها، بخبط أحد النعلين على الآخر.

والأحذية أيضاً فوضى كسائر أنواع الملابس، فمنهم من يلبس البلغة هذه، ومنهم من يلبس المركوب الأحمر المحنى مقدمه شبه المركب، ومنهم من يلبس المركوب المستقيم، والمحدثون يلبسون الجزمة. وعلى كل حال تعددت نعال الرجال بحسب أذواق لابسها وحكم صناعتهم.

وفى القاهرة مكان يسمى التربيعة تباع فيه البضاعات المغربية من بلغ وبطاطين،

وحرامات ونحو ذلك.

ومن غريب الأمر أنه كان في هذه التربيعة تاجر يبيع البلغ والبطاطين المغربية، فعثر على نسخة مخطوطة من كتاب أمالي القالي، طبعها لأول مرة في مطبعة دار الكتب.

بلطجة⁽¹⁸⁾: يطلقونها على عدم الاكتراث وأكل حقوق الناس بالباطل. يقال فلان يبلطج إذا كان مثلاً عليه دين فلم يؤده، وبلطجى للشخص القوى الذى يأكل مال الناس ويستهتر ويعيش عيشة بوهيمية غير مكترث بأحد. وذا الاسم مستعمل فى القاهرة، وفى هذا المعنى يستعمل الإسكندرانيون كلمة "أبوأحمد" وهى نظير الكلمة القديمة التى كانت تستعمل فى هذا المعنى وهى "الفتوة".

بلكى: يستعملونها بمعنى ربما أو لعل، فيقولون بلكى كذا، وهى فارسية الأصل للدلالة على الشك.

بلها واشرب ميتها: يقولونها فى الورقة أو الوثيقة لا يريد الرجل أن يتقيد بها.

بليلة: هى قمح أو ذرة، تغلى حتى تنتضج، والمترفون يضيفون إليها لبناً حليبياً وسكراً، وقد يضيفون إليها أيضاً زبدة.

وهناك بليلة شركسية، وهى أن تسلق الذرة بكيسانها قبل أن تجف، فتكون لذيدة الطعم. وكنت فى صباى أمر فى الشوارع

فأجد بائع البليلة جالساً على كرسى وأمامه النار وعليها طشت كبير فيه بليلة ساخنة، إما من القمح وإما من الذرة، وبجانبه مقطف فيه سكر، فأشتري منه بمليمين، وهذا يكفينى. أما إذا كنت غنياً فإنى أعاف البليلة وأفطر فطيرة بسمن بقرش. وقد اندثرت هذه العادة إلا فى القليل النادر.

بنات الهوى: هو اسم يطلقه المصريون على العاهرات، وهو إطلاق لطيف، لأنهن أصبحن أسيرات الهوى والضلال. والمراد بالهوى هنا العشق والغرام وما يلزمها. وقد اطلعت على رسالة لمؤلف يهودى مصرى سماها: "باريس وملاهيها، وبنات الهوى فيها" يقصد منها تعريف المصريين عن كيفية العشق والغرام، فى أزهر مدينة أوروبية، ويحثهم على عدم إهمال الحظوظ فى الحياة والمبادرة إلى الانغماس فى المدينة الأوروبية، ويصف محلات أولئك النساء وطريقة مخادنتهن.

بندر: تطلق على المدينة فيها أسواق تجارية وموظفو حكومة. وهى على ما يظهر كلمة فارسية، بمعنى مركز تجارى. ولذلك يسمون رئيس التجار "شاه بندر". ويقولون: شاه بندر التجار، أى رئيسهم، فكان كلمة بندر رئيس القرى.

بندقى: هو نوع من النقود يظهر أنه كان يضرب فى البندقية، فالعامية تسميه بندقى. ولا

فكأنه طائر يطير، وما هو طير. أصله: ياله من طير.

بنى: نوع من السك يقال له سمك بنى، ذنبه أحمر، وشكه الذى بجانبه أحمر. وقد وضعت عليه العامة أغنيات من أشهرها: بنى يا سمك بنى

منتقرش ومنتحنى

طول الليل وانا داير

وسمكى معى باير

طول الليل وانا بموت

حاطط راسى على الزعبوط

مستنى الحليوة تفوت

يزول الوجع منى

بنى يا سمك بنى

البهاء زهير: إنما أوردناه مع إقلالنا من الأعلام لأنه كان شاعراً مصرياً تغلب فيه الروح المصرية والعبارة المصرية فى أشعاره. ولذلك لا ينتظر القارئ منى تاريخاً لحياته، وإنما توضيحاً لرقته ورقة أسلوبه كقوله:

أرحنى منك حتى

لا أرى منظر ك الوعرا

فقد صرت أرى بع

دك عنى الراحة الكبرى

فما تنفع فى الدن

يا ولا تنفع فى الأخرى

لقد خاب الذى كند

ت له فى شدة ذخرا

أدرى لماذا اعتقد فيه العوام أنه من أسباب المشاهرات؛ فإذا دخل أحد ومعه بندقى أصيبت المرأة بالمشاهرة، أعنى بالعقم.

ولهذا تعتاد الوالدة أن يكون معها (بندقى)، حتى إذا دخل أحد ومعه بندقى لم يضرها. وكذلك كان يعلقه فى رقبته من به مرض بعينه استشفاء به. وكذلك المرأة عند طهرها من الحيض تضع البندقى فى وعاء وتصب عليه الماء سبع مرات لئلا تعاق عن الحمل.

ويزعم بعض الناس أن من فوائده أنه تحلب عليه النجوم، وذلك أن بعض من يدعون السحر يضعون بنادقة فى الماء ويجلسون فوق السطوح ليلاً ومعهم الإناء الذى فيه البندق والماء، وعند طلوع نجم مخصوص يزعمونه يتلون العزائم ويشيرون إلى ذلك النجم، فيدعون أنه ينزل ماء فى ذلك الإناء فيحافظون عليه جداً، ويدعون بأنه دواء لكل الأمراض الجلدية، تشفى منه دهنة واحدة من هذا الماء، من جرب وزهرى وخراجات ونحو ذلك. (انظر: حلب النجوم)

بنديرة: قطعة من الرق تشد على وعاء من النحاس، سعة أنبية الطعام، المسماة "سلطانية" يضربون عليها بقطع من الجلد فى الأذكار ضربات متنوعة.

بنى آدم طير، ما هو طير: تعبير يقال للرجل ينتقل فى أماكن مختلفة بسرعة.

لعن الله حاجة	فكلمة منظرک الوعر، وفلان لا ینفع فی
ألجأتنی إلیکم	الدنیا ولا فی الأخری، وبعدم راحة، کلها
وزماناً أحالنی	تعبیرات مصریة ظریفة. وقوله:
فی أموری علیکم	أوحشنی والله یا مالکی
فعیسی الله أن	قطعت یومی کله لم أرك
یخلصنی من یدیکم	هذا جفاء منک ما اعتدته
فجملة: لعن الله حاجة ألجأتنی إلیکم،	ولیتنی أعرف ما غیرک
وربنا یخلصنا منکم، كذلك تعبیرات	فكلمة أوحشنتی، وأعرف ما غیرک،
مصریة. وقوله:	تعبیرات مصریة ظریفة. وقوله:
أنا أدری بأننی	إن شکا القلب هجرکم
قل قسمی لیدیکم	مهد الحب عندکم
فإلی کم تطلعی	لو علمتم محلکم
والتفاتی إلیکم	بفؤادی لسرکم
من رآنی یرق لی	قصروا عمر ذا الجفا
ضائعاً فی یدیکم	طول الله عمرکم
کان ما کان بیننا	شرفونی بزورة
وسلام علیکم	شرف الله قدرکم
فكلمة ضائعاً فی یدیکم، وکان ما کان،	فنسیتم وإنما
تعبیرات أيضاً مصریة، وقوله:	أنا لم أنس ذکرکم
أصبح عند سمكة	وصبرتم فلیتنی
وکسرة مدرمكة	كنت أعطیت صبرکم
أردت أن أحضرها	ورأیتم تجلدى
على سبیل البركة	فی هواکم فغرکم
فكلمة على سبیل البركة، تعبیر مصری.	لو وصلتکم محبکم
وقوله:	ما الذی کان ضرکم
یا حسن بعض الناس مهلاً	مات فی الحب صبوة
صیرت کل الناس قتلی	عظم الله أجرکم
أسرت جنونک بالهوى	فكلمة طول الله عمرکم، وشرف الله
من کان یعرفه ومن لا	قدرکم، وعظم الله أجرکم، کلها تعبیرات
یا هاجری لا عن قلی	مصریة صمیمة. وقوله:

وما مهز الغصن من عطفه
تبارك الله الذى عدلك
مولاي حاشاك ترى غادرا
ما أفبح الغدر وما أجملك
مالك فى فعلك من مشبه
ما تم للعالم ما تم لك
فكلمة أما قلت لك وملكته روى،
وتشرب من قلبى، وتبارك الله الذى عدلك
كلها تعبيرات مصرية. وقوله:
حبيبي عينه قالوا تشكت
وذلك لو دروا عين المحال
أتشكو عينه ألما وفيها
يقال أصح من عين الغزال
ولكن أشبهت لون الحميا
كما قد أشبهتها فى الفعال
فكلمة عينه قالوا تشكت، وتقديم عينه كما
يقولون مثلاً: الرجل قال راح، والبيت قال
باعوه، تعبيرات مصرية. وقوله:
وخلائق كالروض رق نسميها
فسرى وذيل قميصه مبلول
فالجملة الأخيرة مصرية. وقوله:
وردوا نسيماً جاء منكم يزروني
فإني عليل والنسيم عليل
وقوله:
رقت شمائله فقلت شمول
وحوى الجمال فقلت ثم جميل
وقسا، فما للين منه مطمع
ونهى، فما للقرب منه سبيل
أهواه: أما خصره فمخفف
طاو وأما ردفه فتثقل

هجر ابنة المهري طفلاً
لم تلق غير حشاشة
من مهجتي وأخاف أن لا
ورسوم جسم لم يدع
منه الهوى إلا الأفلا
وبمهجتي من لا أسمى
له وأكتمته لنلا
عاقت منع الغصن فى
حركاته قدأ وشكلاً
وكشفت فضل قناعة
بيدى عن قمر تجلى
فلثمته فى خده
تسعين أو تسعين إلا
واها لها من ساعة
ما كان أطيبها وأحلى
فكلمة: أخاف ألا، ولنلا، من الاكتفاء فى
التعبير شائع عند المصريين، وكذلك قوله
تسعين إلا، فكلها تعبيرات مصرية. وقوله:
ويحك يا قلب أما قلت لك
إياك أن تهلك فيمن هلك
حركت من نار الهوى ساكنا
ما كان أغناك وما أشغلك
ولى حبيب لم يدع مسلكا
يشمت بى العذال إلا سلك
ملكته روى وياليتها
رق أو أحسن لما ملك
بأنه أحمر خديه من
عضك أو أدماك أو أخجلك
وأنت يا نرجس عينيه كم
تشرب من قلبى وما أنبلك

ريان من ماء الجمال مهفف	قد صح عذرك في الهوى
أرأيت غصن البان كيف يميل	لكننى أتعلل
حلو التثنى والتنايا لم يزل	نفت معاذيرى التى
لى منهما العسال والمعسول	ألقى بها من يسأل
أحبابنا إن الوشاة كثيرة	حتام أكذب للورى
فيكم، وإن تصبرى لقليل	وإلى متى أتجمل
أيخاف قلبى غدركم مع أنه	قل للعذول لقد أطلـ
جار أقام لديكم ونزير	ت لمن تطول وتعذل
سأصد حتى لا يقال متيم	اعتبت من لا يرعوى
وأزور حتى لا يقال ملول	وعذلت من لا يقبل
وقوله:	غضب العذول أخف من
بأنه قل لى يا رسول	غضب الحبيب وأسهل
ما ذلك العتب الطويل	وقوله:
بأنه قل لى ثانيا	وقد طاب لنا الوقت
فلقد طربت لما تقول	صفا من غير تكدير
كرر لسمعى ذكرها	فقم يا ألف مولاي
ودع الحديث بها يطول	أدرها غير مأمور
بأنه لما جنتها	وخذا كالذنانير
هل كان رد أم قبول	على رغم الذنانير
إن عاد لى ذلك الرضا	أدرها من سنا الصبح
فلك البشارة يا رسول	تزد نوراً على نور
وقوله:	عقارا أصبحت مثـ
أنت الحبيب الأول	ل هباء غير منثور
عندى لك الود الذى	فسابقنا إلى اللهو
هو ما عهدت وأكمل	وفينا رب محراب
القلب منك مقيد	وفينا رب ماخور
يا من يهدد بالسجـ	ومن قوم مساكير
ون تعم تقول وتفعل	ومن قوم مساخير
	ومن جد ومن هزل

بهرجة: بهرجة الثياب حسننها ولمعانها، ويقال للمرأة التى تغالى فى الزينة متبهرجة. وتستعمل أيضا فى الكلام المزوق، وخصوصاً المكذوب، وهو أقرب إلى المعنى الأصلي للكلمة. فالدرهم المبهرج: المزيف.

بهلوان: البهلوانية طائفة معروفة يمشون على حبال تشد على عمد أو نحوها، مرتفعة على الأرض بنحو خمسة أمتار، ويمسكون فى يدهم عصا من الذهب تكون عادة ثقيلة، لضبط موازنتهم. وقد بلغ بعضهم فى ذلك حداً بعيداً من الإتقان، فهم يأتون بحركات غريب على الحبال؛ بل قد يذبجون الخروف والشاه وهم واقفون عليها. وعادة تستدعى هذه الطبقة فى الأفراح الكبيرة كفرح أنجال إسماعيل باشا.

بوز: يطلقونها على فم بعض الحيوانات فيقولون بوز الكلب، وبوز القرد، وأحياناً يطلقونها على فم الإنسان لتحقيره. ومن عاداتهم إذا غضب أحدهم أن يمد فمه، فيقال بوز، ويقولون "مالك مبوز".

البوصيرى: هو صاحب البردة المشهورة والهمزية المشهورة أيضاً. وكان كبير الكتاب ببعض المحاكم الشرعية. وقد وصف وصفاً بديعاً الكتاب والقضاة فى زمنه، وأخذهم الرشوة فيقول:

نقدت طوائف المستخدمينا

فلم أر فيهم رجلاً أميناً

ومن حق ومن زور

ورهبان كما تدرى

من القبط النحارير

وجوه كالتصاوير

تصلى للتصاوير

ومن تحت الزنائير

خصور كالزنائير

أتيناهم فما أبقوا

ولا ضنوا بمذخور

لقد مر لنا يوم

من الغر المشاهير

فقل ما شئت من قول

وقد كل تقدير

(انظر: ابن دانيال والبوصيرى).

بهدة: معناها عدم اكتراث الإنسان بالملابس التى يلبسها، حتى يظهر منظره غير منسجم. ويقال بهدله، يعنى أنبه وقرعه. ويقولون: هدومه مبهدة، وفلان بهدلى. ويقولون: الفقر حشمة، والعز بهدلة، يعنون أن الفقير تكون ثيابه ملمومة عليه ومنظمة، أما الغنى فلغناه يوسع ثيابه ويطيلها، فتسمى بهدلة.

وتقول المرأة لزوجها إذا شنع عليها وذكرها بما يشينها: "بلاش بهدلة" أى فضيحة. وشاع فى الأيام الأخيرة قولهم: "الحب بهدلة"، أى أن الحب يجعل المحب غير مكترث بنفسه ولا بملابسه، إذ كل تفكيره فيمن يهواه؛ فهول مبهدل الثياب.

الشعير فى الماء مدة، ثم يخرج ويجفف فى الظل، ثم يجفف فغى الشمس، فإذا جف يدق، ويضاف إليه الماء، ويترك فى المواجير حتى يختمر، وهو مسكر ثقيل، ويشربونه غالباً فى الأواني الفخار، وتسمى كل أنية قرعة، ويتخذ الشاربون لها مزة من اللحم المسلوق مع بعض الفلفل والملح.

وأهالى السودان يأكلون معها الكرشة والفتشة والقلب؛ تستخرج من الذبيحة عند ذبحها، وتنظف، وتدعك دعكاً جيداً بالملح والشطة، ويأكلونها نيئة مع البوظة. والعامّة تسمى موضع البوظة بوظة أيضاً. وهو مكان وخم، وجلاسه وخمون، يجلس أصحابه على حصر، مع جيوش الذباب، مما يعف على مواجير البوظة. ويتردد إليها بعض النساء الساقطات فيثرون الشهوات، وينطق الرجال إذ ذاك بألفاظ الفحش البذيئة. وتكاد تكون البيرة ضرباً خفيفاً منها استعمله المدمنون. والسوريون يسمون الداندرمة بوظة. وكثيراً ما حصلت من جراء ذلك مضحكات منشؤها جهل المصريين باستعمال السوريين، فهم لا يعرفون البوظة إلا هذا المشهور الذى وصفنا.

بولوتيكاً: كلمة فرنسية، بمعنى: (مصانعة، مداراة، سياسة). فيقولون: "أخذوا فى بولوتيكاً" و"عمل عليه بولوتيكاً".

بياكل سفلة: تعبير يعنى من غير أن يدفع ما يقابل أكله.

فقد عاشرتهم ولبثت فيهم
مع التجريب من عمرى سنينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا
بهم، فكأنهم سرقوا العيوننا
ولولا ذلك ذاك ما لبسوا حريرا
ولا شربوا خمور الأندرينا
وقد طلعت لبعضهم ذقون
ولكن بعد ما حلقوا ذقونا
تنسك معشر منهم وعدوا
من الزهاد والمتور عينا
وقيل لهم دعاء مستجاب
وقد ملأوا من السحت البطونا
تفقهت القضاة فخان كل
أمانته وسموه الأميना
وما أخشى على أموال مصر
سوى من معشر يتأولونا
يقول المسلمون لنا حقوق
بها. ولنحن أولى الأخذينا
وقال القبط نحن ملوك مصر
وأن سواهم م غاصبونا
وهى طويلة فى غاية الحسن. وكان له
أخت زوجة متزوجة تاجراً فى بحبوبة من
العيش، فكانت تعير أختها بزوجه الموظف
فى قصيدة لطيفة. وهو لذلك يطلب من
الرؤساء منح الموظفين علاوة.
وعلى كل حال، فقد وصف موظفى
زمانه وصفاً دقيقاً يدل على أن الناس هم
الناس وأكثرهم أنجاس.

بوظة: هى خم الشعير فى الغالب، فينتقع

بنى ليس به أحد.

بيحسن لله فى الله: تعبير يعنى لوجه الله، من غير رجاء فى شئ دنيوى.

بيرق: هو العلم، والبيرقدار، حامل البيرق. وكان العامة يعتقدون أن عند السلطان العثمانى بيرقا فى الأستانة إذا نشره وجب على كل مسلم الجهاد، وبيع الأرواح بيع السماح. فإذا تم ذلك كان النصر للمسلمين. ولعل هذه الفكرة كانت من تقاليع السلطان عبدالحميد، ويسمونه "بيرق السلطان". وكان فى القلعة فى مصر بيرق من هذا القبيل، يستخرج من القلعة عند الأزمات، ويحيط الناس به. وفى الثورة الفرنسية كان يخرج به المصريون، ينزعمهم السيد عمر مكرم.

بير يوسف: هو البئر المعروفة فى القلعة، وتزعم العامة بأنه البئر الذى سجن فيه يوسف عليه السلام، ويكثرون زيارته للتبرك، والنساء يكثرن من النزول فيه للحبل. ويغلب على ظنى أنه منسوب إلى يوسف صلاح الدين الأيوبي، لا يوسف النبى، لأن صلاح الدين هو الذى بنى قلعة الجبل؛ وربما كان مطموراً من عهد قدماء المصريين، ثم أزال عنها الرمال صلاح الدين.

البيير: كان بيوت المتوسطين والأغنياء فى

بيت يوسف بك: هو أمير كبير من أمراء محمد بك أبوالذهب بنى بيتاً كبيراً على بركة الفيل، وصرف عليه أموالاً عظيمة، وكان يبنى الجهة الكبيرة حتى يتمها بعد أن يبسطها ويرخمها بالرخام المزوق، ويسقفها بالأخشاب الجميلة، ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها، لأنها لم تعجبه.

وهكذا كان يعمل، وكان غنياً، فكانت تأتيه من بلاده بالوجه القبلى ثمانون ألف أردب من القمح يوزعها على أرباب المصانع فى بيته. وكان لا يستقر فى مجلسه، بل يقوم ويقعد ويصرخ، وأحياناً يهدأ.

وصادف مرة أن وجد بعض التعاويذ مكتوباً على عضو خفى من أعضاء زوجته، فسألها عنها، فقالت: إن عجوزاً دلتنى على شيخ يسمى الشيخ صادومة قد كتب التعاويذ ليحببنى إليك، فنزل فى الحال، وقبض على صادومة، وقتله وصار يشهر بالفقهاء والعلماء والأولياء.

وهجم على بيت الشيخ صادومة، وصادر ما فيه، فوجد فيه أشياء شنيعة. وكان ذلك سنة 911هـ. وكان يصادق الشيخ صادومة هذا الشيخ حسن الكفراوى العالم المشهور، وكان الشيخ الكفراوى داعيه له، فشهر به أيضاً من أجل هذه المصادقة.

بيتكلم باللاوندى: تعبير يعنى يتكلم بكلام لا يفهم.

البيت مافيهش ديار، ولا نافخ نار: تعبير

كل منها بئر. وعليها بكرة ودلو، يستعمل
ماؤها للحموم ولغسل الأواني ونحو ذلك.
وقلما يستعمل للشرب. وإذا كان البيت
يحتوى أيضاً على مجرور تخزن فيه
القاذورات ومواد البراز، والبول، وكان
القاعان عميقين، كان يرشح أحدهما على
الأخر، فيتلوث ماء البئر من هذا المجرور.
فيصاب أهل البيت بضرر كبير أو صغير.
وقد استغنى عن كل ذلك بالحنفيات
والمجارى.

بيسارة: (انظر: فول).

بيسوق الدلال: تعبير يعنى يتدلل. ومثله:
بيتقل عليه.

بيشكوا فى حاله: تعبير يعنى أنه يحتضر.

بيضة ثورة عرابي: فى أثناء الحروب بين
عرابى والإنجليز شاعت شائعة ملأت مصر
بأجمعها وهى أن دجاجة وضعت بيضة
مكتوب عليها "نصر من الله وفتح قريب".
واعتقد فيها المصريون. وقريب ن ذلك أن
جماعة أهدوا لعرابى أثناء حربه ثلاثة مدافع:
مدفعاً سموه مدفع السيد البدوى، ومدفعاً سموه
مدفع سيدى إبراهيم الدسوقى، ومدفعاً سموه
مدفع السيد عبدالعال.

ولكن لم تنفع البيضة ولا المدفع؛ فمحال
أن تصد المدافع القوية الأوهام الخفية.

بيض شم النسيم: فى يوم السبت الذى قبل
يوم شم النسيم ويسمى سبت النور، اعتاد
المصريون أن يأكلوا البيض مصبوغاً
صبغاً أحمر أو أصفر أو أزرق وهكذا...
ويلعب بعض العامة مع بعضهم بخبط
البيض بعضه مع بعض فن كسرت بيضته
يأخذها صاحب التى لم تكسر. وبعضهم
يتخذ بضة من الحجر مخروطة كخرط
البيض، ويصبغها صباغاً مثلها. ومن ذلك
قولهم: فلان يلعب بالبيضة والحجر، كناية
عن الغشاش القادر على إخفاء غشه بحيله،
فهو يلعب بالحجر مكان البيضة يوهم أنه
بيضة؛ وربما أخذت عادة الاحتفال بالبيض
وصبغه من الأقباط.

بيضحك ع الفاضى: تعبير يعنى يضحك
على ما لا يضحك منه.

بيضوها: الضمير يرجع إلى سراية
المجانيب. وأحياناً يقولون: روح على
السراى الصفرة. وكلاهما معناها الطعن فى
عقليته وأنه يستحق سراى المجانيب.

بيقول من الهوى دبنا: تعبير يعنى أنه
يكاد يتلف.

بيلم سبارس: أى أعقاب السجاير.

بينامش ها نخلص: تعبير يعنى يظهر
أننا سنستمر.

العاديين، ولا يفتح الباب الكبير إلا عند الضرورة.

وعادة كانوا يبنون جداراً أمام الباب حتى إذا فتح الباب لم ير المرء ما فى داخل البيت، وكان الباب فيه ضبة ومفتاح، على عادة القرون الوسطى، لا قفل ومفتاح كما هو الشأن اليوم.

والضبة فيها مسامير تسقط، ولا تفتح إلا إذا رفعت بمفاتيح فيها مسامير تقابل الأولى وترفعها وتفتحها.

ووجهة المنزل عليها شبابيك ركبت فيها قضب حديدية خوفاً من اللصوص، وهذه القضب متشابكة ضيقة المنافذ لا تمنع الضوء والهواء من الدخول، وتمنع الجار من رؤية ما يجرى فى البيت.

وإذا أنشئ دور ثان فوق الطبقة الأولى، أخرجت منه خارجه حملت على كتل خشبية عمل حسابها فى السقف، قد تكون متراً وقد تكون متراً ونصفاً.

وفى العادة يجعل فيها مشربية، ويظهر أنها سميت بذلك لأن بروزها كان يكثر هواءها فتوضع فيها قفل للشرب، وهم يصنعون المشربيات من خرط دقيق من الخشب وربما صنعوها صنعةً فنياً رائعاً. وسطوح المنازل مسطحة، ولذلك سميت بالسطوح، وليست جمالونية كسطوح الفرنجة، لقلة الأمطار فى مصر وتتخذ مناشر للغسيل، وتسور عادة بسور نحو القامة. وقد يستخدم لجلوس الرجل وزوجته وأولاده فى الليل صيفاً.

ببنى وبينه ما بين القط والفار: تعبير يعنى أن بينى وبينه عداً شديداً.

ببنى وبينه ما صنع الحداد: تعبير يعنى أن بينهما عداً يبلغ حد السيف، لأن الذى يصنعه الحداد هو السيف.

البيوت: كان للمصريين قبل أن يتفرنجوا نظام خاص فى بيوتهم، يلائم معيشتهم الاجتماعية ويلائم جوهم الحار. فكان عادة منزل فسيح للأغنياء يبنى أساسه بالحجر والجير من الجبال المجاورة ثم من الأجر المطبوخ بالنار. وكانت هذه المنازل لا تتعدى الدور الأول إلا بالدور الثانى؛ ولم تكن هناك ناطحات السحاب التى نشاهدها الآن تقليداً لأمريكا، ولأن البيت كان لا يسكنه إلا أسرة واحدة تقريباً، قد يكون منها الابن وزوجته والبنات وزوجها. وكان البيت أعز شئ عند الناس، يقضون فيه أسعد أوقاتهم، لا يعرفون القهاوى ولا الخمرات، فكانوا يتفننون فى تزيين البيوت لأذواقهم الخاصة، وفى زخرفتها زخرفة توفر الهناء. وأكثر البيوت داخله خير من خارجه. وربما كان ذلك من أثر الاستبداد، فيتظاهرون أن البيت حقير، ولبسهم حقير، لأن الغنى مظنة جشع الولاة، وضرب الضرائب. وعلى البيت باب يفتح غالباً إلى الداخل، وأحياناً إذا كان الباب كبيراً عمل فى وسطه باب صغير للدخول والخروج

عبارة عن حوانيت سققت. وهناك وخصوصاً فى القاهرة والإسكندرية وكالات، وهى بنايات كبيرة للتجارة حول فناء مربع، وفى وسطه حوض ماء، وفقها غرف كان ينزل فيها بالليل الغرباء من التجار.

وكانت البيوت مظهرًا للسلطة الأبوية، وفى البيت رجل كبير هو صاحب السلطة على زوجته وأولاده يأترون بأمره، وينتهون بنهيه، ويرجعون إليه فى مشاكلهم، وهو الذى بيده الإذن فى الدخول والخروج، وبيده ميزانية البيت، وله الخيار فيما يأتى به وما لا يأتى؛ وعلى الجملة كان ملكاً مستبدًا. والأولاد تقبل يده، وزوجته لا تجرؤ أن تأكل معه، ولا يسمح لولد أن يدخن أمامه، ويجب أن يجلس الولد أمامه فى أدب واحترام وهو الذى يزوجه إن شاء، ويتركه إن لم يشأ وهكذا كان البيت مملكة صغيرة ملكها الأب، ثم زال كل ذلك وانهار، وحلت سلطة الأمومة، محل سلطة الأبوة، وهى أيضاً لها مزاياها وعيوبها.

وفى داخل الدار صحن يمد البيت بالضوء والهواء وحوله غرف يتخذ بعضها للخدم وبعضها للحيوانات كالدجاج والحمير ومنظرة للرجال. ولكن الدور العلوى للنساء خاصة، ويسمى الحريم. فزوار الرجال فى المنظرة من تحت، وزوار النساء فى بهو كبير من فوق. وإذا كانت الهيئات الاجتماعية تفضل الرجال عن النساء كان نظام البيت مبنياً على تحقيق هذا الغرض. وقد تختلف الدور ولكن لا تخرج عن هذا الوصف الأساسى.

وهندسة هذه البيوت توافق الذوق العربى، ويحس الناظر إليها بانسجامها مع شكل المساجد والأسبله ونحو ذلك. وفى الدور الأعلى عادة تفتح فتحة فى السقف تصنع من زجاج وتفتح لتمرير الهواء. وهناك أغنياء بالغوا فى تجميل منازلهم وأنفقوا عليها الألوفا، كبيت السحيمى. ثم دخل عليها تطور كبير فى الأيام الحديثة تقليدًا للأوروبين.

هذه بيوت المدن، أما بيوت الأرياف فتبنى عادة من طين نبيى، وهى فى الغالب عبارة عن قاعة ومكان للبهائم وفناء صغير. وقل أن يكون فيها شبابيك، وإذا كانت فلا تفتح، وفى بعضها أبراج للحمام⁽¹⁹⁾. وهناك شوارع كثيرة فى المدن مملوءة بالحوانيت، وهى عبارة عما يشبه الحجرة فى البيت لها باب يغلق عليها، وهناك قهاوى أخذت على نمط القهاوى الفرنسية، وقد يكون فى الشارع سوق أو أكثر، وكان فى القديم

ت

فى التأكيد: إن عملت هذا أخلق شنبى، أو أكون خارجاً عن ملة الإسلام، أو يحصل لى كذا أو نحو ذلك.

التبنى: التبنى اتخاذ المرأة أو الرجل غير ولده ولداً. ولذلك طرق كثيرة: منها أن القابلة قد تمكر مكرراً غريباً فتأخذ معها امرأة أخرى وتكون هذه المرأة حاملة سقطاً جديداً ملفوفاً فى ثوب، فإذا ولدت المرأة، وخصوصاً إذا كانت فقيرة، أخذت القابلة الولد وكتمت نفسه حتى لا يبكى، وأعطته فى سرعة للمرأة التى معها وأخذت السقط ووضعته بدل الولد، وادعت أنها ولدت سقطاً. وباعت الولد الجديد لأسرة بثمن كبير، وهذه الأسرة تسميه باسمها وتربيه كابنها.

وثمة عادة أخرى وهى تبنى أولاد اللقطاء، يأخذونهم من ملجأ اللقطاء صغاراً ويربونهم ويسمونهم بأسمائهم، ويلقبونهم بألقابهم، فينشأون فى البيت وهى لا يعلمون. وقد لا يعلم هذا السر أحد إلا الرجل وزوجته، وهم يخصونه بقسم كبير من ثروتهم.

التشاوب والعطاس: يعتقدون أن التشاوب من أعمال الشيطان، فإذا تشاوب أحد قال أستغفر الله، كأنه ارتكب جريمة. وإذا عطس قال أشهد أن لا إله إلا الله، وقال له

التار: التار بمعنى أخذ التار، وهو أمر شائع فى قرى الأرياف وخصوصاً الصعيد، وهم يتربصون بمن عاداهم حتى ينتظروا الفرص ويقتلوه. ويقولون لمن تقاعس عن تأره: "الأحسن تلبس برقع" ويقولون: "من لم يأخذ تاره، النار أولى به". ويقولون لمن تجاوز عن التار؛ "النار ولا العار"⁽²⁰⁾.

التأكيد: للعوام أنواع من التأكيد منها إشارات ومنها ألفاظ، فمن الإشارات أن يحرك رأسه إلى الأمام مع تلفظ بمعنى التأكيد. ومن الألفاظ التكرار للتأكيد، فإذا سألت فلاناً هل سافر فلان؟ يقول نعم سافر وسافر. ويقولون للشىء: هو حلو حلو أو حامض حامض، أو حلو قوى، وأنا أحبك كثير كثير، وذكر العدد فيقولون اللهم صل على محمد ألف مرة، ومائة ألف مرة. ويستعملون فى التأكيد أيضاً الضغط على بعض الألفاظ عند النطق، أو بعض حروف اللفظ. ومن أنواع التأكيد أيضاً الحلف الكثير بالله وبالمشايخ. وعندهم أنهم إذا قالوا: والله (بكسر الهاء) كانت أشد. ولذلك يقولون والله بعقد الهاء. وقد يؤكدون المعنى أيضاً بالحلف بالطلاق مرة أو ثلاثاً. فما تشعر المرأة فى بيتها إلا وقد طلقت بسبب خارج عنها. وكذلك يقولون

الرسميون مع التجار الأروام. ويغشون في حاصل جمع الأقطان الواردة كأنهم أخطأوا سهواً.

وكذلك في استخراج صافى القطن فهم في عمليات الطرح يتعمدون الخطأ. وكذلك تجارة الحبوب، فبعض التجار المصريين يشترونها ويخزنونها ويحافظون عليها حتى تتحسن سوقها.

وكان أهم ساحل ترسو عليه السفن الآتية بالمحاصيل هو ساحل بولاق الذى حل محله فيما بعد روض الفرج.

ومن التجارة المنتشرة القماش، من بفتة، وشيت وقد كانت غالباً في يد الأرمن أو الأروام. وكذلك تجارة الدخان والصابون ويأتى الصابون فى الغالب من يافا، وطرابلس، ونابلس، وأغلب وسطائه من السوريين.

وأما البقالة فأغلبها فى يد الأروام إلا ما كان منها وضيعاً هزلياً. وقل أن ينجح فيها وطنى، لأن مصادرهما فى الغالب من اليونان أو إيطاليا، ويحسنها أيضاً بعض السوريين، ويبيعون منها ما يتصل ببلادهم. أما بعض أنواع البقالة فقد كان للمصريين نصيب كبير فيه، كالتجارة فى السمّن والزيت والجبنة البلدية. وهم يتاجرون أيضاً فى الأسماك والخزف والحلى والوراقة والخردوات والأحذية والأخشاب، والفحم والجزارة، والكتب العربية ونحو ذلك.

وقد كان سمعة المصريين رديئة فى التجارة من ناحيتين: الأولى المساومة فى

من بجانبه يرحمك الله، فيرد العاطس: "غفر الله لى ولك" أو غفر الله ذنبك. وهو يتعالمون بالعطاس، ويتشاءمون من التثاؤب. وبعضهم يستعمل حركة العطاس فى النطق بالشهادة فيقول أشهد.

التجارة: أكثر التجارة فى مصر، خصوصاً فى الأزمنة القديمة، كانت التجارة الداخلية. أما الخارجية فى يد الأجانب. وأحياناً يشتغل المصريون فى الأعمال الصغيرة للتجارة كبيع الأدوات الصغيرة، ويسمونها الخردوات. وأحياناً كانوا يتاجرون فى البقايا الصغيرة بعد أن يشتغل الأروام بالأعمال الكبيرة. فمثلاً يدور بحماره وعليه كيس ليشتري بقايا القطن، بعد أن يكون قد باع الفلاح المحصول للتجار الأجانب. وبعض المصريين كانوا يشاركون الأجانب فى شراء المحاصيل الكبيرة. ولهم أجرة القبانية والمخزنجية، وهم فى الغالب مغبونون يضحك عليهم الأروام والأرمن لجهلهم بالعدادات التجارية، ولجهلهم أيضاً بالحساب، خصوصاً إذا كان البائع فلاحاً جاهلاً، فإنهم يفرحون بالثمن العاجل ولو قليلاً. فكانت نتيجة هذا غنى الأروام وفقر الفلاحين.

هذا إلى جانب التلاعب فى الأوزان، والغش بالقبان. فلهم أساليب كثيرة متنوعة فى غش تلك الآلة. ومن أجل هذا عينت الحكومة قبانين رسميين رحمة بالفلاحين. وكانوا أيضاً مصيبة على الفلاح فى الغش والخداع. وأحياناً يتفق هؤلاء القبانين

الأثمان، فقد يكون ثمن الشيء خمسة فيقول التاجر عشرين أو خمسين، والثانية سوء المعاملة خصوصاً مع الأجانب، فقد يستوردون سلعاً ويماطلون في دفع ثمنها، حتى كف بعض التجار الكبار عن معاملتهم. وقد تحسنت الحال في هذه الأيام بعض الشيء لمخاطبتهم الأجانب وشربهم من مشربهم.

تحطه على الجرح يبرد: تعبير يستعمل في الرجل حسن الخلق، حسن المعاملة، لطيف الحديث، فيقولون دا فلان زى المرهم، حطه على الجرح يبرد.

لمن حلق ذقنه عند الحلاقة: "نعيماً" فيرد عليه: "أنعم الله عليك"، ويقولون لمن عولج: "بالشفا". فيرد: "شفاكم الله وعافاكم". ويقولون للمريض: "أجر وعافية" فيقول: "عافاكم الله". ويقولون للحاج: "بعودة" فيقول: "أعادهما الله عليكم بخير". ويقولون في العيد: "كل عام وأنتم بخير" فيرد عليهم بمثل ذلك. ويقولون لصاحب الجنازة: "عظم الله أجركم"؛ فيقول: "غفر الله ذنوبكم... إلخ.

تختروان: هو عبارة عن نوع من الأعمدة الخشبية مغطى بالقماش، يحمله بغيران. وهو عادة تركبه العروس يوم زفافها، للانتقال من بيتها إلى بيت عريسها. ويركب مع العروس في التختروان بعض صواحبها. وكان يستعمل قبلاً في السفر إلى الحج، وليس المحمل إلا صورة مصغرة منه.

تحفجى: كلمة يطلقها العامة على بائع المعاجين والمنازيل. وهي مواد يدخل فيها الحشيش والأفيون، ويحمل على تعاطيها تخدير الأعصاب عند الاتصال بالنساء. وكثيراً ما تكون هذه الأشياء سبباً في فساد كثير من الرجال.

التراجمة: واحدها ترجمان، وهم قوم أغلب ما يكونون من سكان الهرم، يصحبون السائحين ليروهم الآثار المصرية، ويحكوا عنها بعض تاريخها. ومنهم من يتكلم الإنجليزية، ومنهم من يتكلم الفرنسية، ومنهم من يتكلم الألمانية، وهكذا...

التحيات: في الحديث: "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم". والمصريون يقولون لمن عطس: يرحمك الله. فيقول العاطس: غفر الله لنا ولكم. ويقولون لمن سار في جنازة: "شكر الله سعيكم" فيرد: "عظم الله أجركم" ويقولون لمن يتوضأ: "من بير زمزم" فيقول: "جمعاً". ويقولون

وثقافتهم محدودة، فهم وإن كان لسانهم طلقاً، يتصفون بسرعة الكلام، وإن كان في كثير من الأحيان غير جار على قواعد اللغة. وكثيراً ما نراهم على باب الفنادق

الوضيعة يعلمون أبناءهم السب والقذف، ويسمحون لهم أن يضربوهم أو يشدوا ذقنهم أو يشتموهم، فيخرج الولد عديم التربية قليل الأدب⁽²¹⁾.

وفى الأسرات الكبيرة تحضر مربيات أجنبيات لتربية الولد، ويعلم الطفل آداب الاجتماع والمعاشرة.

وفى البيوت المتدنية يعلم الأطفال الصلاة والصوم حتى ينشؤوا على الدين.

وفى الطبقات الوضيعة يعلمون الأولاد الحرفة والكسب قبل الأوان، فتى طفلاً فى السادسة يبيع الصحف فى الشوارع أو ينوب عن أبيه فى التجارة فى الدكان أو نحو ذلك. وكلما زاد العلم حسنت التربية.

التربية: وهى أيضاً تمثل الحياة القاهرية فى قرونها الوسطى، فبياع فيها العنبر المحلول وطرورد، وطرورد الزهر، وأمثال ذلك. والبائعون أيضاً يمثلون البائعين فى القرون الوسطى، ففقطان من الشاهى من غير جبة، ومركوب وحزام فى الوسط، وتجد على وجهة دكاكينهم زجاجات مختلفة الأشكال والألوان مما أعدوه للبيع، وطريقة بيعهم أيضاً بالممارسة كأهل القرون الوسطى.

وربما كان هذا الحى من مبدأ المغربلين إلى سيدنا الحسين، مطبوعاً بالطابع الشرقى البحت، فمن أراد معرفة الناس قديماً فليبحث عنهم فى هذا الحى، فطائفة فى الكحكيين والفحامين تبيع البلغ، وطائفة تبيع العقاقير

التي يكثر بها السياح، وفى الأقصر وأسوان. وقد يتصلون بالساعات اتصالاً غير شريف ومنهم من يتزوج منهن.

وفى بعض القرى بجوار الأهرام تجد وجه أطفال يخرجون لأمهاتهم الأوروبيات فيكونون بيض البشرة، صفر الشعر، زرق العيون من جراء ذلك. ولما شعرت الحكومة بجهل هؤلاء الترجمة أنشأت مدرسة تتقف طلبتها بالتاريخ المصرى القديم وما يلزمه من لغة هيروغليفية وغير ذلك.

تربية الأطفال: يتربى الأطفال فى البيوت، ومن العادة الطبيعية أن يربى الطفل أول أمره أمه، وأبواه يفرحان به ويعتنيان به، ومن أجل ذلك نظر إلى المرأة العقيم نظرة سيئة، واعتقد أن الله غضب عليها.

وإذا تزوج الرجل امرأتين، كانت الولود أحب إليه من العقيم غالباً. وقد يكون من أسباب تعدد الزوجات عقم المرأة الأولى، وتربية الأم أبناءها ليست مبنية على أسس التربية، وإنما هى تربية حيثما اتفق. إن مرض عالجته بطب الركة وإن أراد الأكل أكلته وإن لم يكن وقته. والعادة أن تبالغ فى تدليله، وأن تطيل رضاعته، ثم يعينها الأب حتى يذهب الطفل إلى المدرسة، فيقل عبؤهما؛ وتحمل المدرسة أكثر عبئه. وقد يبالغ بعض الناس فى تدليل أولادهم، من ذلك أنى شاهدت طفلاً وعمره خمس سنوات، وبنناً ترقص رقصاً غريباً وعمرها تسع سنوات. وبعض الرجال من الطبقة

المختلفة الواردة من الهند وغيره وطائفة تبيع الغوايش والحلقان... إلخ.

التسالي: اعتاد المصريون أن يتسلوا بأشياء صغيرة بين الأكلات، مثل قرقرة لب البطيخ، واللبن الأبيض، وهو لب القرع الأسطبولي، والفشار، وهو حبوب الذرة المشوية، والترمس، والفول المقلبي، والفسق، وأنواع النُّقل، وخصوصاً فى ليالى رمضان كالجوز واللوز والبندق، ويسمونه فطرة. وكذلك يتسلون بكيزان الذرة، فتجد كثيراً من الباعة، وأمامهم النار يشوون عليها كيزان الذرة وبيعونها، وفى الأيام الأخيرة أصبح من التسالي أيضاً أبوفروة، يشوونه كما يشوون الذرة، ويشوونه فى الأسواق كما يشوونه فى البيوت. ومن التسالي أيضاً البطاطة، ومص قصب السكر.

تسخير الجان: للمصريين اعتقاد كبير فى العفاريت والجن وقدرة بعض الناس على تسخيرهم لمصلحة من أراد، سواء فى ذلك خواصها وعوامها، وأغنياؤها وفقراؤها، ومسلموها وأقباطها. ويرتزق كثير من الطوائف بهذه الدعوة. ويستغرب الزائر لدار الكتب من كثرة الكتب التى تحتويها فى هذا الموضوع وكثرة استعارة هذا النوع للمطالعة. ومن غريب الأمر أنهم يعتقدون فى الكتاب المخطوط أكثر مما يعتقدون فى الكتاب المطبوع، والمكتوب حديثاً أقل بركة وفائدة من المكتوب قديماً. ومن أشهر ما ألف فى قواعد هذا الفن القصيدة المشهورة

ترتررة: قطعة صغيرة من المعدن مخروقة من الوسط خرقاً صغيراً، يستعمل لتزيين ثياب المرأة إذ تضوى بالليل وتلمع. ويضرب مثلاً فى ضيق العين، فيقال: عينه زى الترتررة. ويوضع أيضاً على مناديل الرأس، ويكثر النساء من استعماله فى زينة العروس. ومما قيل من الفوازير فيه "قد النص وعينه بتبص".

ترمس: هو من النباتات التى تنبت فى الأراضى الرملية، وهو قديم العهد فى مصر، وينقع فى الماء حتى يطرا، وتزول مرارته. وأكثر ما يستعملونه للتسلية بعد العصر، كلب البطيخ واللبن الأبيض. ويستعمل أيضاً لغسل اليد كالصابون. ويدق ويدعك به الجسم مداواة للبتور التى تظهر فى زمن فيضان النيل، وتسمى حمو النيل، ومن أمثال العامة: الندل ميت وهو حى

ما حد حاسب حسابه

هو كالترمس النىّ

حضوره يشبه غيابه(22)

وقد يسمى ابن البحر لأنه يقع فيه. واشتهرت إمبابية بالترمس، فكثيراً ما يقولون: الترمس الإمبابى، وينسبونه إلى سيدى الإمبابى، فيقولون فى المنادة عليه: يا امبابى مدد!

إله إلا هو الآية. له معقبات من بين يديه
ومن خلفه الآية. الله لا إله إلا هو الحي
القيوم الآية. اللهم قنا سيناتنا وسينات أعمالنا
وسينات ما يمكرون، إنا نحن نزلنا وإنا له
لحافظون 11511 عوج واعوج يعاوج
ماعوج". وهكذا كثير من أنواع الأحجية
لقضاء المصالح المختلفة. وعندهم لوح
يسمى لوح الحياة ولوح يسمى لوح الممات
على هذه الصورة:

لوح الحياة

3	2	1
9	8	7
15	14	13
21	20	19
27	26	25

لوح الممات

6	5	4
12	11	10
18	17	16
24	23	22
30	29	28

ولحساب المريض أو الغائب أو الحاجة
تقضى أو لا:

يحسب اسم الطالب واسم أمه بالجمل
والحاجة ومن هي عندهم، ويزاد على
الحاصل اسم اليوم المسئول فيه. ويضاف
إلى المجموع ما مضى من الشهر العربى،
ويسقط من المجموع 30-30 وما بقى ينظر
فيه: هل هو من لوح الموت أو من لوح

المعروفة بالجلجوتية، ومنها:
بدأت باسم الله روى به اهتدت
إلى كشف أسرار بباطنه انطوت
وصليت فى الثانى على خير خلقه
محمد من أزاح الضلالة والغلث
سألتك بالاسم المعظم قدره
بأج أهوج جلجوت هلهت
بمصمام طمطام وبالنور والضيا
بمهراش مهراش به النار أخدمت
وصب على قلبى شأبيب رحمة
بحكمة مولانا العظيم فأنطقت
فسبحانك اللهم يا خير بارئ
ويا خير خلاق ويا خير من بعث
ألا واحجبنى من عدو وحاسد
بحق شماخ أشمخ سلمة سمت
ألا واحرسنى ياذا الجلال بكاف كن
بنص حكيم قاطع السر أسلبت... إلخ
وهم يعتقدون فى أن للحروف أسراراً
ويكتبونها صوراً مخالفة للحروف المألوفة
ويسمونها حروفاً روحانية أو علوية نظير
هذه العلوم التى فى العالم السفلى، ويزعمون
أن لكل حرف خداماً يحافظون عليه،
ويزعمون أن لكل يوم من أيام الأسبوع جنأ
تغلب عليه ويعرفها من هو أهل لها. فى
كل ساعة من ساعات الأيام برج مخصوص
له السلطان ولكل برج مواليد تتأثر به سعادة
أو شقاء وهم يعملون الأحجية على حساب
هذه الطوالع. وهذه صورة حجاب من
الأحجية:
"بسم الله الرحمن الرحيم، شهد الله أنه لا

الحياة، فإن كان فى لوح الحياة فهو خير، وإن كان فى لوح الممات فهو شر. ولهم فى ذلك حساب طويل.

ومن أراد أن تخدمه الجن فإنه يصوم أربعين يوماً فى خلوة لا يأكل إلا خبز الشعير والزبيب الأسود، ولا يأكل إلا كل أربع وعشرين ساعة، ثم يتلو العزائم ويستحضر بها الخدام، والخدام الأول عبد أسود فى يده حجر أحمر، وعزيمته يا بنوح دردموخ أجبيوا بحق سمعاط شموع برهوت برهين اسحيم. تقرأ ألف مرة وكذلك بقية الخدام الأربعين. ومنهم من له قدرة على إخراج الصوت من بطنه يزعم أن ذلك من عمل الجن، ولهم فى ذلك كتب مطبوعة فى الصلوات والدعوات، واشتهرت بذلك المغاربة على الخصوص.

وهم يعتقدون فى خاتم سليمان وهو على هذا الشكل:

A

وبواسطته تستخدم الجن، وهو الذى بواسطته استخدم سليمان الجن فحملت له البساط، وبنيت له البلاد، وقطعت له الأحجار وفجرت له الأنهار والآبار. ومن الكتب المشهورة فى هذا "السر الربانى فى العلم الروحانى"، "شموس الأنوار وكنوز الأسفار"، "البهجة للماعة فى تسخير ملوك الجن فى الوقت والساعة" و"الفتح الرحمانى فى العلم الروحانى" وهكذا.

وكلما أوغل الناس فى قراءة الكتب التى من هذا القبيل وسماع أحاديث العفاريت

قلت عقولهم وزادت خيالاتهم وأوهامهم. روى لى بعض من أعرفه أن أبه كان لا يؤمن بالزار ولا رؤية الجن ولا شئ من ذلك، ولكنه جلس ليلة وانقسم الحاضرون إلى فريقين فريق يؤيد رؤية الجن وفريق ينكره ومنهم أبى، واشتد الجدل إلى الساعة الواحدة بعد نصف الليل. قال: "فلما قام أبى لينام صحا فى الساعة الرابعة فوجد كأن أحداً ينبهه فانتبه فرأى عفاريت كثيرة فى أجسام صغيرة، ورأى من يكلمه ويحدثه فقام مذعوراً ونبه أهل بيته ليحيطوا به خوفاً مما رأى فى النوم. وهذا من غير شك نتيجة لما كان من أحاديث قبل النوم، وهذا يدل على أن المخ إذا شغل بهذه الأشياء تراءت له وانعكست له صورة الأحاديث فى نفسه. قال: ولذلك عزم أبى على ألا تذكر سيرة العفاريت أمامه وخصوصاً قبل نومه حتى لا يشغل ذهنه بها(23).

التسليم: إذا قابل مسلم مسلماً فالتحية بينهما أن يبدأ أحدهما: السلام عليكم، ويرد الآخر: عليكم السلام، إما برفع اليد إلى الرأس أو بدونها. والعادة أن يبدأ فى التسليم الراكب على الماشى والقائم على القاعد.

وإذا كانا قبطين أو أحدهما قبطياً فالتحية أن يقول أولهما: نهارك سعيد، أو ليلتك سعيدة فى المساء. ويقول الآخر: نهارك سعيد مبارك، أو ليلتك سعيدة، وبين النساء عادة تقول إحدهما: صباح الخير، وتكون الإجابة: يسعد صباحك. وفى المساء مساء

الخير، وتكون الإجابة مساء الخير عليك. أو يسعد مساك.

التسميم والتحريق: اعتاد الفلاحون إذا عادى بعضهم بعضاً أن يسمموا بهائم بعضهم بالزرنيخ، أو يحرقون محصوله بإشعال النار فيه. فيقبله الآخر بمثله أو يزيد، فيسمم أيضاً بهائمه أو يحرق زرعه. ويفضل أ يفعل ذلك على شكواه عند العمدة أو عند أحد كبير أو عند الحاكم. ولذلك لا يخلو يوم من أخبار فى الجرائد عن تسميم أو تحريق أو تقيع.

وفى السنة الماضية كان فى صديق ذو مقام كبير موظف فى الحكومة وظيفه كبيرة أبى أن يؤجر للفلاحين أطيانه المزروعة موزاً، فجاءه الخبر فى الصباح أنهم وجدوا زراعته مقلوعة، حتى الفسائل الصغيرة. فخرس بذلك آلاف الجنيهات.

تشارك بدوى، مين يحاسب لك تشارك جندى، مين يرطن لك: وهو مثل لطيف يستدل منه على ما كان عند البدو من سوء فهم، ومن قلة معرفة. فإذا عاملته لم تقدر على محاسبته لغبائه. كما أن التركى لا يعرف العربية، فإذا عاملته تعبت فى إفهامه، واحتجت إلى ترجمان يرطن بينك وبينه. وهو يدل على اعتزاز الأتراك بلغتهم وترفعهم عن تعلم اللغة العربية أو كما يقول اللغة المصرية، لأنهم ينظرون إلى المصريين نظر احتقار.

حكى لى صاحب تركى قال: تزوج شاب تركى من فتاة مصرية سنة 1910 أو 1911، ودخل عليها فى بيت أبيها المصرى، ثم أحبر أهله ورجاهم فى الانتقال هو وزوجته إليهم فرفضوا بعد مدة طويلة. وأخيراً أفردت له أمه جناحاً من البيت. فأخذ زوجته وأمها وأختها إلى بيته "مع الجهاز". قالت الأم: وفرشنا فرشنا، وبعد مدة طويلة جاءتنا امرأة شركسية عجوز، ونظرت إلى العروس وأختها وإلى نظرة استغراب كأنها لم تر طول حياتها مثل هذا المنظر. ثم تركتنا وخرجت ثم عادت هذه العجوز ومعها ابنتها، ووقفنا بلا سلام ولا تحية، ودعت العجوز ابنتها إلى أن تنظر إلى الزوجة وأقاربها كأنهن شئ عجيب ثم خرجتا. وعند الظهر جاءتنا جارية سوداء وفى يدها صينية وعليها طعام وخبز فوضعتها على المائدة وانصرفت، وكذلك فعلت وقت العشاء. وظل هذا الحال طويلاً، فلم تطق الزوجة ولا أمها هذه المعيشة، وخرجتا وعرفتنا من الزوج أن ليس أحد فى البيت يتكلم العربية.

التشبيهات: يستعمل المصريون كثيراً التشبيهات، وأداة التشبيه عندهم كلمة "زى". فيقولون مثلاً أحمر زى السبلح، أزرق زى النيل، أبيض زى اللبن، أخض زى البرسيم، أصفر زى الكركم. ويقولون فى وصف الرجل: طويل زى المارد، طويل زى المادنة؛ قصير زى العقلة، رفيع زى السنارة، تخين زى البرميل، ثقيل زى

الدستور، وهو "حجر معروف"؛ خفيف زى ريش النعام حلو زى الشهيد، مر زى العلقم، حادق زى المش، حراق زى الفلفل، شديد زى الحصان، حلو زى المملوك، حمل زى الجمل، يستحى زى البكر، تلم زى المزين، أحبه زى عيني، أكرهه زى الموت. زى اللى أنا أجوزت أمه، وشه زى القمر، وشه زى لىالى آخر الشهر. وقد يحذفون "زى" كما يفعل العرف فى الاستعارة، فيقولون: نهاره لبن، نهاره قشطة.

وقد انتقد الجبرتي أعمالهم، وكلما جاءت مناسبة شنع عليهم، فيقول مثلاً: "فى سنة 1250 فى عمارة مسجد زين العابدين، على يد عثمان أغا قال: فعمره وزخرفه، ونادى على أهل الطرق الشيطانية المعروفين بأرباب المشايخ، وهو ينسبون أنفسهم للأحمدية والرفاعية والقادرية. فاجتمعوا بأنواع الطبول والمزامير والبيارق والخرق الملونة، حتى ملأوا الأسواق، وساروا، ولهم صياح ونباح، وجلبة وصراخ، وهم يتجاوبون بالصلوات، والآيات يحرفونها، ونداء أشياخهم بأسمائهم كقولهم: يا هو يا هو، يا بدوى، يا دسوقى، يا بيومى، والأغا راكب معهم، والفقهاء المعممون؛ والطبول تضرب، والستر المصبوغ مركب على أعواد من الخشب وحوله الرجال والنساء والصبيان يتمسحون ويتبركون، ويرمون عليه الخرق والطرح لتحصيل البركة، ولم يزالوا سائرين على هذا النمط والخلائق يزدادون حتى وصلوا إلى ذلك المشهد".

وسمعت فى زماننا أن شيخاً كبيراً من مشايخ طرق الرفاعية أعطته وزارة الأوقاف أربعمئة جنيه ليصرفها على الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم، فحجز عليه لأن تاجراً مشهوراً حجز عليه بدين له ثمن صناديق مشروبات روحية. هذه طائفة كبيرة من المتصوفين. ولسنا

التصغير: للعامة طريقة فى التصغير والتلميح لا تعرفها العرب، فيقولون فى نفيسة نفوسة، وفى زينب زنوبة، وفى خديجة خدوجة؛ وأحياناً يقولون حبوب لحبيب، وشطورة، أى شاطرة. وأحياناً يستعملون صيغة المؤنث للمذكر فيقولون: حوشة فى حوش، أى حوش صغير، كباية فى كوب. وأحياناً يضيفون كلمة حتى فيقولون: حنة عيل، أى عيل صغير، وحنة قماش، أى قطعة صغيرة، وحتى أرض، أى أرض صغيرة.

التصوف: التصوف كان فى الأصل معناه لبس الصوف زهادة فى الدنيا، صم صار فى أغلب الأحيان، إلا فى القليل النادر، صناعة لكسب العيش. وتتطلب هذه الصناعة عمامة خضراء وسبحة طويلة غليظة، والتظاهر بذكر الله،

نذكر أن هناك طائفة قليلة صدقت نيتها، وزهدت في الدنيا، ولكنها لا تحب أن تعرف ولا تعلن عن نفسها بشيء من هذه الألاعيب، إنما قصرُوا علاقتهم على ربهم وأخلصوا له، وباشروا أمور الدنيا كما يباشرها رجال الدنيا، وقصروا تصوفهم على قلوبهم وقليل هم⁽²⁴⁾.

التعذيب: نذكر هنا أنواع التعذيب التي كان يستعملها الأتراك في عهد ولايتهم؛ فمنها الخازوق ولم أره، والشنق والضرب بالسيف، والصلب، والخنق، والضرب بالكرباج على الرجلين والظهر، وكان بعضهم يأمر بإذابة الملح ووضعه على مكان الضرب نكاية للمضروب.

ومما يروى أن تركياً اتهم أمة له فأنكرت، فأمر بوضع الجمر على كفيها وعمل القهوة على الجمر حتى تعترف.

وأحياناً يضعون يد المتهم في الفلقة ويأمرون بضربها بالكرابيج، وأحياناً يستمرون في ذلك حتى تقع أصابعه وكفوفه من الضرب. ومنهم من يضع بوقاً في فم المتهم ثم يأمر بسقاء ذي قربة فلا يزال يصب في البوق حتى تمتلئ بطنه ويقع، وبعضهم يغلّي الماء ويصبه على المتهم، ومنهم من يقطع أذن المتهم أو أنفه أو يقلع عينه. ومنهم من يغلّي "الزقت" ويصبه على رأس المتهم، ومنهم من يعرى المتهم ويربطه بجذع شجرة طول ليلة شاتية. وبعضهم يستعمل التخضيب، وهي قطع

ضخمة من الخشب يفصل بينهما، ويوضع المتهم بينهما ثم يطبقون القطعتين ويسمرونهما. وأكثرها تعذيباً الضرب بالكرابيج كما يأمر الحاكم التركي، من خمسمائة زوج أو الألف، أو ألف وخمسمائة. اشتهرت في ذلك الكرابيج الزعر، وهي القصيرة المقطوعة الطرف، ويصفون الرجل بأن كرابيجه زعر.

ومن ذلك الزخم الجلد. ومن المصريين من كانوا يقلدون الأتراك في هذه الأعمال ثم قضى عليهم. ومن التعذيب إركاب المتهم على حمار بالمقلوب، أي وجهه إلى وراء الحمار، وأمام الطبل والمزمار، والأطفال تصفق وراءه، ويوكل به من يلطشه. وهذا ما يسمونه "بالتجريس" ومن ذلك ربطه بالحبال وجره إلى مخزن القاذورات بالمساجد، وتنف الذقن شعرة شعرة، والتعريض للشمس طول النهار في أيام النهار في أيام الصيف.

التعصب: في بعض المصريين نوع من التعصب الشديد، كالتعصب لقومه أو لبلده أو دينه. ومن عهد قريب كانت كل قرية تنقسم إلى حزبين: سعد وحرام. وبينهما حروب ومشاجرات، حتى كان الفريق لا يستطيع أن يسكن بجوار الفريق الآخر، فأحياناً يفصل الحكام بينهما بشارع، وأحياناً ببلدة قد صارت خراباً من كثرة القتال.

وقد تبرأ قسم حرام من هذه التسمية، لأنه لما سقطت دولتهم سمي كل لص حرامياً،

عن غابتين ركبنا على جوزة من جوز الهند أو شبيهها، ثم يوضع على إحدى الغابتين قطعة من الفخار أو نحوه ملئت جمرأ ووضع على الجمر (تمباك) أو حشيش أو حسن كيف (انظر حسن كيف) فيأخذها الشارب ويتنفسها حتى تحترق المادة المذكور فى الجمر. وفى العادة خصوصاً فى الحشيش يتبادل الحرفيون الجوزة حتى تنتهى. وفى أمثالهم المشهورة "الكيف مناقلة". ثم للحشيش على الخصوص محلات خاصة يسمى كل منها "غرزة" يكون فيها الحشيش والجوزات والنار وكل ما يتصل بها، وأكثرها للعامّة وأشباهها. وهناك غرز أرسقراطية خاصة فرشت أحسن فرش، وهيئت أحسن تهيئة، يغشاها عليّة قوم الكيفون، وقد استترت عن الأعين بستار كثيف حتى لا يراها البوليس.

ومما يلاحظ دائماً أن هذه الجوزات تصحبها النكت البارعة والنوادر اللطيفة، لما اشتهر عن الحشيش من تجليته للذهن وتطريفه للحديث.

التغييرة: اصطلح أهل الأزهر على تسمية الملازم التى يستعيرونها من كتاب المطالعة ثم ردها "تغييرة". وأولاد البلد يسمون البلغة المستعملة أو المركوب المستعمل "تغييرة". وبعض أولاد البلد اعتاد ألا يلبس إلا البلغة الجديدة فإذا مضت عليها أيام غيرها ببلغة أخرى جديدة.

وهناك على العكس من ذلك من لا يلبس إلا "التغييرة"، وقد يدفع فى ثمنها أكثر من

فكانوا يسمون فى الشرقية النعامنة. ويحكى أن امرأة من النعامنة هؤلاء ذهبت إلى ساقية لتملاً جرتها فأراد أحد السعديين أن يعتدى عليها فصرخت، فجاء النعامنة وتجمهروا على الرجل حتى قتلوه، وقام السعديون لأخذ الثأر وهكذا. وكان هناك تعصب آخر يشبه هذا، وهو التعصب لأبى زيد الهلالي وزغبة، وكان هناك محدثون يطوفون بالبلاد، منهم من يحفظ سيرة أبى زيد، ومنهم من يحفظ سيرة زغبة، وتنصب للمحدث نصبة وتتلى فيها الأشعار، فإذا انتصر أبوزيد فى حروبه جمعت النقطة له ممن يتعصبون لأبى زيد. وأحياناً يقع الفريقان فى قتال من أجل تعصب كل فريق لصاحبه.

ولما جاءت المدنية الحديثة تعصب كل فريق لحزبه مع العداء الشديد بين سعدى ووفدى وحر ودستورى، من غير عداء بين المبادئ، وإنما هو تعصب بين الأشخاص من غير مهادنة ولا مسالمة.

ولما جاءت الحرب الأولى وحارب الإنكليز والفرنسيون والأمريكيون من ناحية، والألمان والإيطاليون من ناحية أخرى، تعصب أكثر المصريين للألمان، وذلك لأن الأتراك المسلمين كانوا بجانب الألمان⁽²⁵⁾. والتاريخ من عهد هيرودوت إلى الكندى إلى الجبرتى يصف مصر بأنها بلد العجائب والغرائب.

التعميرة: التعميرة فى لسان العامية عبارة

الجديدة، لأنها وقد قدمت وعاشت دلت بذلك على متانتها وجودتها.

فذلك نذير الخراب. ويكرهون أيضاً صوت الطاووس. ولا نطيل في ذلك، فلهم في التناول والتشاؤم أمور كثيرة.

التناول والتشاؤم: يكثر المصريون من التناول والتشاؤم، فيتفاءلون مثلاً بالأسماء كسعد وبخيت، ويتفاءلون باللون الأخضر، ويقولون في دعائهم لمن سكن بيتاً جديداً "جعل الله عليك سلقاً أخضر". ويجتهدون في أن يدخلوا أول ما يدخلون بشيء أخضر. ويتشاءمون من الأسماء القبيحة مثل "صعب" ويتشاءمون من الإناء الفارغ ويطلقون عليه (ملآن)، ويتشاءمون أيضاً من الكنس بعد الغروب ومن بيع الإبرة بعد العصر، ومن الأعور إذا اصطبح به، وهكذا.. ويعتقدون أن التشاؤم في ثلاثة وإن لم يقتصر عليها وهي مشهورة، كقولهم أعتاب وأقدام ونواص، كما ذكرنا. ويقصدون بالأعتاب الدور، وبالأقدام الماشية، فحمار سعد يجلب السعادة، وحمار شقى يجلب الشقاء. وكذلك الغنم، ويقصدون بالنواصي الخيل. وليس الأمر متعلقاً بالجمال والقبح، فقد يكون قبيحاً وبخته حسن. ويتفاءلون ويتشاءمون خصوصاً إذا رأوا القمر على وجه إنسان سعيد تفاعلوا أثناء الشهر، أما إن رأوه على وجه إنسان شقى شقوا به طول الشهر كذلك.

التقريفة: يصاب الإنسان أحياناً بميعان النفس، وميلها إلى القى، وذلك قد يكون لتحرك العفونة أو من النظر إلى شيء مستقبح، فهم يعالجون ذلك بالليمون الحامض أو يعلقون شيئاً أصفر على رأسه يتدلى أمام عينيه، ونحو ذلك.

تلاوة القرآن: اشتهر أبناء مصر بحفظ القرآن، فبدأ فقهاء الكتاتيب بعد تعليم القراءة والكتابة أن يحفظوا القرآن في اللوح، فيحفظ الطفل ما في استطاعته طوال الأسبوع. ثم لسيدنا يوم يسمع فيه للطفل الماضي. ولا يزال كذلك حتى يتمه. وبعض الناس يتخذ تلاوة القرآن حرفة؛ فيقرأ في البيوت كل يوم جزءاً، ويقرأ على المقابر أيام الأعياد ويقرأ في المآتم، وبعضهم إذا ساءت حاله يقرأ في الشوارع، وخصوصاً العميان منهم. وكثيراً ما ترى

الناس عندهم قسمان: وجوه سعيدة، ووجوه شقية؛ والأمثلة على ذلك كثيرة. ويتشاءمون أيضاً من صوت البوم بعكس صوت الحمام أو اليمام. فالبوم إذا تغنى

فى الشوارع بعض الفتىات الكفىفات يقران القرآن.

وىعتقد المصرىون أن قرأة القرآن من الفقهاء فى البىوت أو فى الدكاكىن ىجلب إىها البركة وىبعد الشىاطىن. والعلماء ىلجأون إى قرأة القرآن عند الحرب أو عند نزول كارثة بالبلد.

وتجد فى بعض المساجد والأضرحة طاولة عىها مصاحف القرآن قد وقفت على من ىرىد أن ىقرأ منها.

ولما انتشر الرادىو وكان من نظامه قرأة فقىه فىه فى الصبأ قلت عادة إحضار الفقهاء للقرأة فى البىوت.

وقد اعتاد الأغنىاء والمتوسطون أن ىحضروا فى رمضان فقهاء ىقرأون القرآن إى السحور كل لىلة.

وإذا مات مىت أحضر بعض النساء لقرأة القرآن على النساء صبأاً، وأحضر الفقهاء من الرجال لقرأته على الرجال عصرأ وبعد العشاء مدة ثلاث لىال. كما أن المىت قبل أن ىدفن ىستحضر بجانبه فقىه ىقرأ عنده القرآن إى أن ىدفن.

ومن أسباب حضور الفقىه أن النساء ىمتنعن عن الولولة والعوىل متى قرئ القرآن، ولذلك ىستعان على صدهن عن الولولة والصراخ بإحضار الفقىه. والفقىه أىضأ ىقرأ فى المسجد كل ىوم جمعة قبل صلاتها سورة الكهف. وفى الحفلات الكبىرة كثرأ ما ىدعى فقىه ىقرأ قبل الخطبة عشرأ من القرآن، كما ىقرأ فى آخر الحفل،

سواء كانت الحفلات حفلات فرح، أو تأبىن، أو حفلات سىاسىة، وكان العمىان ىكاد ىتحدد موقفهم ومستقبلهم بحفظ القرآن وقرأته، وإذا منح القارئ صوتأ جمىلاً كان ذلك باب رزق له كبىراً. وقد اشتهر بعض الفقهاء بحسن الصوت فاستدعوا للمآتم والأفراح والقرأة فى الرادىو، فدر عىهم ذلك مالأ وفىراً، وهم ىستدعون أىضأ للقرأة فى الأرىاف للمناسبات.

وقد اعتاد الفقهاء فى المآتم والأفراح أن ىقرأوا جزءأ من سورة البقرة عصرأ، وأن ىقرأوا سورة ىونس وهود وىوسف والرعد والحجر والنحل والإسراء بعد العشاء وىختموا بالسور القصار.

التمثىل: جاءت من الشام إى الإسكندرىة فرقة تمثىل عربىة برىاسة الشىخ خلىل القبانى، ومثلت بعض تمثىلىات منها روىة "نكران الجمىل" و"هارون الرشىد". وكان هذا التمثىل بدانىأ، فل ىسمح بظهور النساء على المسرح، فكان إذا اضطر الممثل لتمثىل امرأة اختار شبأاً من الشبان لىمئل المرأة.

وقد مثلت كذلك روىات كان قد عربها المرحوم محمد عثمان بك جلال من فولتىر وىغىره؛ وارتقى التمثىل بىنباء الخدىوى إسماعىل الأوبرا، ودعوة فرقة إىطالىة لتمثىل روىة وضعت لهذا الغرض، وهى التى تسمى "عابدة" كما ارتقى فىما بعد على ىد فرقة قومىة. ومن التمثىلىات ما اشتهر من تمثىلىات ابن دانىال الموصلى قدىماً.

المعروفة بهذا الاسم في السوق، وهي تمثل سوقاً كبيرة يدخل الممثلون فيها واحداً بعد واحد، يعرضون فيها بضائعهم.

والثالثة اسمها "المتيم" وهي تصور عشق المتيم هذا لليتيم. وفيها تحريش الديوك بعضها على بعض للقتال، ونطاح الكباش والثيران. وعلى كل حال تشهد لابن دانيال بالفضل وسعة الخيال، والقدرة على الفكاهة.

وفى التمثيلية الأولى يعرض المؤلف لعصره وما فيه من المفساد، وأمر السلطان بإزالة الفساد، فصور ذلك ابن دانيال بقتل الشيطان. وفى هذه التمثيلية أيضاً إشارة إلى ما حدث فى مصر من وصول الخليفة العباسى من بغداد وتنصيبه خليفة فى مصر؛ إلى آخر ما هنالك من إشارات إلى حوادث حصلت فى أيام الظاهر بيبرس. فابن دانيال يصور تصويراً دقيقاً الحياة المصرية الشعبية فى ذلك العصر، وهى ناحية أغفلها المؤرخون. وهو كما قلنا يعنى بالسجع، فيقول مثلاً: "إن الغريب مرحوم، والمرء يسعى والرزق مقسوم. والمفلس يجمع الدنانير، والصدقة بالحبه هينة على ذوى الأقدار. فاركبوا غوارب الإلحاح، يخاطب الشحاذين" والبسوا دروع الوجه الوقاح. وتعاموا مبصرين، وتطارشوا سامعين. وركبوا على جلودكم الجلود المسلوخة، واشربوا نقيع التين، لتصبح وجوهكم مصفرة، وبطونكم منفوخة... الخ. ولكن مع استعماله للغة الفصيحة لا

فقد امتاز ابن دانيال بفن طريف وهو التمثيليات المسرحية. ومما يؤسف له أن مؤرخى الأدب العربى لم يعنوا بتاريخ هذا الفن مع أنه أصل من أصول الأدب. وكانت تمثيليات ابن دانيال تمثل على خيال الظل، وكانت تسلية للطبقات السفلى، ولكن لم يمنع هذا من عرضها على الكبراء، تنتقل إليهم ولا ينتقلون إليها. فحكوا أن صلاح الدين كان يرى هذه التمثيليات ومعه وزيره القاضى الفاضل، وأن السلطان سليمان الأول كانت تمثل أمامه تمثيليات فى خيال الظل، وكذلك الخديوى توفيق.

وشاع أن خيال الظل كان سائداً منتشراً فى أيام المماليك، وروى الشىء الكثير عنه ابن إياس. وقد أخذ السلطان سليم أحد الممثلين لتمتيع ابنه به وهو الذى صار بعد ذلك سلطاناً وهو السلطان سليمان.

وقد وجد الباحثون بعض هذه التمثيليات فى بعض قرى النيل الصغيرة.

وكان ابن دانيال يؤلف تمثيلياته باللغة الفصيحة، ويميل إلى السجع - على نمط مقامات الحريري - وهى مملوءة أيضاً بالأشعار والزجل.

وقد أمضى بعض المستشرقين الألمان كالأستاذ جاكوب سنين طويلة فى دراسة تمثيليات ابن دانيال. وقد عثر له على تمثيليات ثلاث: الأولى اسمها "طيف الخيال" وهى تصور الحالة السياسية والثقافية بمصر على عهد السلطان بيبرس. والثانية رواية "عجيب وغريب" وهى غير

فارسية. وقالوا: تنبل، واشتقوا منها فعلاً، فقالوا: تنبل الرجل، أى تبلد.

تنميل الرجل: ورمش العين، وأكلان الكف هى حوادث طبيعية، ولكن العقل الخرافى يجعلها علامة لأشياء، فإذا رمشت العين اليمنى دل ذلك على خير يحدث، وإذا رمشت العين اليسرى، دلت على الشر، وإذا أحس الإنسان بأكلان فى كفه اليمنى زعم أنه سيسلم على أحد، وإذا أكلته يده اليسرى، دل على أنه سيقبض فلوساً من أحد، وهكذا.

تورينى حتاويك: ومثله تورينى وحايديك، تعبير يعنى الألاعيب التى تأتى بها وتضحك بها على الناس.

يتخرج أحياناً من ذكر كلمات شعبية. أما المتيم ففيها وصف للحب، وحيل المحبين، فيمثل شخصاً هيجه الغرام، وبكى فى انتحاب، ويقول:

أهل الغرام تجمعوا

وتوسلوا وتضرعوا

موتوا تعيشوا فى الهوى

وتمزقوا وتقطعوا

وخذوا حديث متيم

عمن سواه أو دعوا

صب سماء دموعه

من صبها لا تطلع

لم يبق إلا أضلع

من سقمه تتقعقع

وادی العقيق بجفنه

والدمع منه ينبع

ثم يقول: "أواه أواه.. وا حباه.. وا قلباه..! المتيم مسكين.. جرح من غير سكين.. من

أرسل ناظره.. أتعب خاطره.. والعاشق كل شئ يذكره.. لمعان البرق يؤرقه.. وإذا دنا الليل منه.. يهرب النوم عنه.. الخ.

وعلى كل حال وجد واضعون للروايات قبل ابن دانيال وبعده، وما أحقها بالتاريخ، فإنها تضيف باباً لطيفاً إلى أبواب الأدب المعروفة. (انظر: ابن دانيال)

تملا بنوره: تعبير يعنى تمتع به وبمنظره.

تنبل: يطلقونه على البلبد الكسلان. والكلمة

ث

التار اعتاد المصريون أن ينطقوا الناء تاء وأحياناً سيناً، فيقولون ثقيل في ثقيل، والتار في الثار، وكقولهم في ثواب، وهكذا.

ثوب مكشكش: تعبير يعنى ثوب تثيت بعض أجزائه على بعض.

ج

الجَبَا: يستعملها العامة بمعنى هدية، فإذا دخل القهوة رجل وكان فيها من يعرفه فإن ذلك الصاحب ينادى صاحبه القوة ويأمره بأن يعطى الداخل القهوة على حسابه، فيقدها صاحب القهوة ويضعها أمامه ويقول له بصوت مسموع: جبا من فلان! فيقول هذا فى الحال: عاش الجبا وصاحبه.

ويقولون: "أنا باطلب منك حقى. مش باطلب منك جبا"، ويقول الرجل لآخر: إنت جببيت على إمتة؟ مالكش جبا على... إلخ.

جبتك يا عبد المعين تعنى لقيتك يا عبد المعين تنعان: تعبير يقال لمن أتى ليستعان به فظهر أنه ليس أهلاً للاستعانة به، بل هو جدير بأن يعان. وتسميته هنا بعبد المعين تسمية لطيفة لأنه أتى به ليعين، فخير اسم له هو عبد المعين. كتسميتهم حسناً عند نداء الجميل.

جحا⁽²⁶⁾: ليس يهمننا إن كان جحا شخصاً تاريخياً أو خرافياً، تركيا أو مصرياً، فهو على كل حال شخصية فى أذهان المصريين، من أهم عناصرها أنها مضحكة حكيمة. ومن عهد قديم نسبوا إليها كل ما يصدر عن المصريين الفكهين المجريين من حكايات ونوادر. وكم ملاً جحا المجالس والمسامرات بحكاياته الرائعة ونكته

جابر: ينادى المصريون على لحم الرأس بيا جابر، وهم يحملون طبلية فيها لحم الرأس وخبز طرشى. وكل من سمع يا جابر، فهم أنهم يبيعون لحم الرأس. ولا أدرى سبب هذه التسمية، إلا أن رأيت فى نوادى أبى زيد أن الخبز اسمه جابر، وأنهم ينادون عليه يا جابر، فهل هذا هو السبب؟ و هو نداء باسم الصحابى المعروف؟ ولماذا؟ لا أدرى... وأما البطاطة فينادى عليها بسيدى جابر، لأنها تجود فى الأرض التى حوله.

جَاتْ عَلَى الْبَهْلَى: تعبير يعنى سافرة متزينة.

جات على الطبطاب: تعبير يعنى جاء الشئ حسب المأمول.

جَا عَلَى مَلَأَ وَشَّه: تعبير يعنى بسرعة.

جاه الحزين يفرح، مالقاش فى القلب مطرح: تعبير يعنى من كتب عليه الحزن والشقاء، يستطيع أن يفرح، فإذا جاء الفرح إلى قلبه، لم يجد مكاناً.

جَاهُ يَحْلَهَا عَمَاهَا: تعبير يقال لمن يريد أن يصلح شيئاً فأفسده.

اللاذعة. فإذا صادف أحدهم أن حكى حكاية من حكاياته أتبعه الآخر بحكاية أقدم منها وهكذا. وكل من جرّب تجربة في الحياة واستطاع أن يصوغها في قالب فكاهي وضعها وحكاها، ونسبها الناس إلى جحا وتناقلوها عنه فيما بعد.

ومن اللطيف أن حكاياته تؤثر في أعمال الناس، كما كان الشعر يؤثر في الحياة العربية، فمن تردد في أمر أيعمله أم لا يعمله ذكر حكاية من جحا فحمسته أو أقعدته. ولجحا كتاب منسوب إليه مملوء بالحكايات عنه. وقد طبع مراراً.

جحا أولى بلحم توره: تعبير يعنى أنه أولى باستغلال ماله من غيره، ولو كانوا أولاده أو أقاربه.

جدع: يقولون للشباب إذا كان ماهراً ذا مروءة: "جدع" وأصله: جدع. وهو من النوق.. ويجمعونه على جدعان.

وفي القاهرة طائفة ممن اشتهروا بالمهارة في الضرب وانقطعوا لحماية من استجار بهم يسمون "جدعان" مثل "الصعاليك" عند العرب. ويخشاهم البوليس وقد يغض النظر عنهم. ومنهم من يفتح قهاوى للحشيش. وفي الغالب يكونون أخل مروءة قد تحتمى بهم المومسات والحشاشون والأفرنج من أصحاب القهوات ونحو ذلك.

ويظهر أنهم كانوا طائفة كبيرة ذكرهم الجبرتي كثيراً في تاريخه؛ وذكرهم على

الخصوص عند ذكره "كفر الطماعين" و"كفر الزغاري" وقال إن سكانهما يميلون إلى التعصب والتخريب ويسمون "فتوات". ويتحالفون على المغالبة والمضاربة بالعصى، وكل طائفة منهم لها كبير يدعونه العم، ويناديه كل منهم "يا عمى" وهو يدعوههم بالمشاديد، يتبعونه إذا نازل خصومه. وعندهم أن الجب شرف ومروءة يتفاخرون به. وقد يوعز الجدع منهم إلى صديق له أن يفعل فعلة يسجن عليها ليستأنس به في السجن. ويتحاشون أن يغازلوا فتاة إذا عرفوا أنها صديقة أحدهم. حكم على واحد منهم بالسجن شهرين، فلما دخل السجن ورأى ما فيه من الراحة والنظام، ورأى كثيراً من أصحابه، تشاجر مع أحد السجناء رغبة في طول المدة. وقد قيل لرجل منهم وهو ذاهب إلى السجن: كيف فعلت هذا مع أنك فنى تستطيع الإنفاق على نفسك فى بحبوحة؟ فنظر إليه نظرة إزدراء وقال: إن الله أمدنى بالصحة والقوة، فكيف لا أستعمل مواهبى فيما خلقت لها وهى الضرب والعبث؟⁽²⁷⁾

جدورا: نبت يأتى من الهند، ويذكر كثيراً فى كتب الطب كتذكرة داود وابن البيطار. وهو مخدر كالحشيش، ويستعمل بدله إذا غاب، ولكنه أشد منه، فيصاب متعاطيه بالذهول والغيوبة.

الجديد: لعبة يلعبها الأطفال خصوصاً، وهى أن يوضع شئ فى إحدى اليدين

وفى سنة 1293 انتشر هذا المرض فى القاهرة بشكل وباء، ونسبوه أيضاً إلى الأزهر، وكان يعم كل من فى البيت أحياناً. وكان السودانيون إذا أصيبوا به، وظهرت قروح على أيديهم يأتون بشفقة فحار ويحكون جلدهم بقوة، حتى يسيل الدماء ويسلخ الجلد، ويأتون بملح ناعم ويزرونه عليه، ويربطونه بشاش، وبعد أيام يجف الملح، وتجف القروح.. وهو علاج فظيع.

الجرّة: اعتاد المصريون أن يكسروا جرّة أو قلة وراء الخارج من البيت أو المسافر إذا كان مكروهاً. ويقولون: "كسروا وراه قلة" ويعتقدون أنهم إذا فعلوا ذلك فلن يعود. واعتاد بائعو الترمس والبول "المقيلى" لمن يريد أن يشرب كأنها سبيل الله، كما اعتاد بائعو حب العزيز أن يبيعوه بزفة. وقد كان من عادة بعض الناس أن يصفقوا أمام بيوتهم قللاً نظيفة ملأى فى رمضان ليشرّب منها المارون وقت الإفطار. وشبهوا الكمثرى بقلل الشربات، فقالوا: "زى قلل الشربات يا كمثرى" كما شبهوا التين الشوكى بكيزان العسل، وجنبه البلح ببير العسل. واشتهرت قنا بالقلل إذا حرقت تكون ذات مسام واسعة، تساعد على تبريد الماء. وكان بعض الناس يبيع قلل سمونود على أنها القلل القناوى، فإذا ضبط ذلك المحتسب أوقع العقوبة على البائع.

ويحكون أن أحد الأتراك وهم من طبعهم حب السلطة، أحيل إلى المعاش، فأتى ببعض

بطريقة إخفاء، ثم يسأل عنها اللاعب الآخر، فإن عرفها أخذها ولعب بها، وإلا كان للاعب الحق فى أن يضربه. ويطلق على نوع صغير من العملة المصرية فيقال: ليس معه ولا جديد. ويظهر أن هذا الاسم أطلق عليه فى أول العهد بضربه، ثم بقى استعماله حتى بعد أن قدم.

الجرابية: هى خبز من القمح كان يوزع على مجاورى الأزهر وعلمائه، فبعض المجاورين والعلماء لهم مقدار معين من الخبز كل يوم، من ثلاثة إلى أكثر، يذهب كل يوم، ويتسلمها. وبعضهم بعد استلامها يقف على بعض أبواب الأزهر ليأتمم بثمنه أو يدخره.

وقد بطل هذا اليوم، وحل محله قليل من المال يعطى بدلها. وقد استعار بعض الناس هذه الكلمة فأطلقوها على كل مرتب معين، كالخباز يحضر راتب الخبز، والجزار يحضر راتب اللحم، وهكذا.

الجرب: مرض معلوم يداويه المصريون بالكبريت المسمى بكبريت العمود، يدقونه أحياناً ويضيفون عليه السكر ويتعاطونه. وبعضهم يجعل من مسحوقه مرهماً. ويصيب الجمال أيضاً ويسمونه "حك". وقد كان هذا المرض منتشراً فى القاهرة بسبب القذارة، وعدم الاحتياط فى الاختلاط. وكان شائعاً عندهم أن منشأ هذا المرض الجامع الأزهر لكثرة ما فيه من الأتربة والقمل والبق.

الجزّار: فى ليلة العيد الكبير، وفى صبحه بعد صلاة العيد تسمع منادين: جزّار، جزّار؛ ينادون الناس ليذبجوا ضحية العيد. وبعد ذلك بقليل تسمع منادين آخرين ينادون: فروة للبيع، جلد للبيع. فيشترون جلد الخروف المسلوخ وفروته بثمن بخس.

وقد جرت عادة لطيفة، وهى أن يتبرع المضحون بها لجمعية الإسعاف، وهم يبيعونها بأثمان معتدلة تضم إلى مالية الجمعية. وهذه الفراوى والجلود تدبغ فى المدابغ العامة فتستعمل الفراوى فى البيوت للجلوس عليها شتاء، أو تحت أرجل فتدبغ لاستعمالها فى النعال.

جزاك يا قلب: تستاهل كلام الناس وتعذيبك تظن الحب بالساهل وتمشى لى على كيفك: فى هذا جملة تعبيرات شعبية، فأولها جزاك، أى كما تقول جزاءً وفاقاً، وتستاهل أى تستحق، وهى عربية الأصل وكانت بالهمزة وسهّلت. وتظن الشىء بالساهل، وتمسى على كيفك، أى تبعاً لهواك.

الجزع: يستعملونها أحياناً بالمعنى اللغوى وهو شدة الحزن، وأحياناً يستعملونها استعمالاً آخر فيقولون: جزعت نفسى، أى جاشت. وهم يداوون هذا الجزع بليمونة، قد يضيفون قليلاً من الملح أو من غير الملح بها. ويداوونه أحياناً دواء خرافياً، وذلك أن يضعوا قشة فى طاقة ويأمرّون صاحبه

القلل يسقى بها الناس إحساناً. فإذا أراد رجل أن يشرب من قلة زجره وأمره أن يشرب من الأخرى، إظهاراً لسلطته ليس إلا. وأهل الشام يقولون: "زى قلل مصر لا كسم ولا خصر". وكان للمصريين عناية بالقلل تدعك كل يوم بالرمل، وتنظف وتوضع فى صينية الماء وتوضع الصينية فى المشربيات لتبرد. وكثيراً ما كانت تملأ من الأزيار لتزيد برودتها.

جرى العب: تعبير يعنى أنه لا يستحق أن يُهتم به.

جرى لعقلك إيه: تعبير يعنى ماذا أصابك؟

الجرسة: تستعمل فى اللغة العامية بمعنى الفضيحة. يقولون: "دى تبقى جرسه وهتيكة". وقد كانت فى الزمن الماضى إحدى العقوبات؛ فكان الحكام الأتراك إذا أرادوا التشهير بمذنب أركبوه ووجهه إلى ذيل الحمار، ويصيح الأطفال صيحات مناسبة، فإن كان لصاً جعلوه يمسك الحلى أو النقود التى سرقها ويقولون: "الرامى أهوه... ونحو ذلك... وإذا كانت الجريمة زناً، شهروه بكلمات تدل على عمله. ويظهر أن الكلمة مأخوذة من الجرس، وهو الصوت.

وقد انصرفت الكلمة فى هذه الأيام إلى التشهير بالمجرمين فى الجرائد الهزلية بذكر أسمائهم وأفعالهم.

بتحديد النظر إليه، يقصدون بذلك أن يحصر نفسه في النظر إليها من غير أن يفكر في هذا الجشيان.

وأما الجزع بالمعنى الأول فهو ظاهرة من ظواهر المصريين نتيجة للغلو في العاطفة، سواء في السرور أو الحزن، فإذا فرحوا (هَيَّصُوا) وأنفقوا كل ما لديهم. وقد يستدنيون لإظهار فرحهم.. وإذا حزنوا أفرطوا في حزنهم حتى بلغوا حد الجزع، وأقاموا المآتم وبالغوا في النواح. ولذلك قال بعضهم: "ثلاثة تشقى بها الدار: العرس، والمآتم، والزار".

جسمه معفرت: تعبير يعنى عليه عفريت.

الجعان يحلم أنه في سوق العيش: أى أن أحلام الرجل أو المرأة صورة لحال المرء في اليقظة.

جعيدى: الجعيدية، طائفة تطلق عليهم هذه الكلمة، ولا أدرى من أين جاءت. وهى طائفة سافلة حقيرة من الناس، صناعتهم غالباً الشحاعة. يسير اثنان مع بعضهما في الغالب، أحدهما يحمل دربغة صغيرة، والآخر يحمل "صاجات"، يلبسان ثوباً قصيراً لا يتجاوز الركب، حفاة بلا سراويل، وعلى الرأس إما طربوش قديم أو عمامة قديمة أو طاقية قديمة. ويعشيان المحلات، أحدهما يطبل على الدربة، والآخر على الصاجات، ويعنيان أغنيات

خاصة أكثرها بذى.

ومن هؤلاء طائفة تسمى الأدبائية، وهم يقولون زجلاً لطيفاً بعضه محفوظ وبعضه منشأً إنشأً يناسب المقام. وقد ينشئون زجلاً في موضوع خاص فيجيدون فيه.

وقد يلبسون طربوشاً وبحركون زره حركة دائرية ليثيروا الضحك. ومن أقوالهم المشهورة:

أنا الأديب الأدبائى

أحبّ العيش تحت بطاطى
وقد حدثت حادثة كبيرة مع السيد عبدالله نديم رواها فى مجلته "الأستاذ" وقال إنه نازلهم وتصدى لرؤسائهم وتحداهم، وقد كان جالساً فى المولد الأحمدي، فجاء بعض هؤلاء الأدبائية، فقال لهم النديم صارفاً لهم:

أقول لك امش ما تمشيشى

يطلع علىّ حشيشى
وما زال بهم حتى صرفهم. وبلغت القصة مدير الغربية فجمعهم فى حفل كبير وساجل بينهم، فغلبهم النديم حسبما روى. وأحياناً يستغفلون الناظر إليهم بألعابهم فيسرقون ما معه. قال لى صديق: إن شاباً يعرفه كان جالساً على القهوة فجاء بعض هؤلاء الأدبائية فلعبوا أمامه ألاعيبهم ثم استغفلوه وسرقوا كيس نقوده وفيه مائتا جنيه، فسقط الشاب مغشياً عليه، فراه رجل فسأله عن قصته فحكاها له، فطمأنه.

وكان الرجل صديقاً لشيخ الأدبائية فأخذ الشاب وذهب به إلى حى السيدة زينب وقصد معه إلى شيخ الأدبائية فوجداه فى

ومن غريب الأمر أنهم كانوا يبيعونها في القاهرة، يضعونها في جنبتين على الحمار وينادون عليها بالجلّة الصيفي، أيام كان الناس يعجزون بأنفسهم ويخبزون في أفرانهم الخاصة، قبل أن يطاف بالخبز على البيوت.

الجلجلوتية: هي قصيدة من العزائم الحرية، يعتقدون أن من قرأها قضيت حاجته. (انظر: تسخير الجان)

الجمال والغزاة: قصة مشهورة منظومة شائعة بين العامة في ذكر معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام. أولها:

في أول القول مدحك يا نبي استفتاح
يا من تسلم عليك الشمس كل صباح
نطق الجمال والغزاة وأسلم أبو مسعود على
يد ابن رامة صفوة المعبود

كان النبي والصحابة جالسين صفن
مجتمعين بابين رامة سيد الكونين
إلا أتاهاهم جمل يبكي بدمع العين
نطق وقال السلام منى عليك يا زين
قال له عليك السلام يا جمل مالك
لا بد ما جيت تشكى من عيا حالك.
إخ القصة.

جميالكم على راسي: الجميل الصنيع، وعلى راسي بمعنى أنه تُلقى بترحيب، ويستعملون أيضاً على راسي عند ما يطلب من أحد شيء فيرحّب ويعدُّ به، فيقول على

منزل ضخم، ودعاهما إلى الغذاء، وغداهما أصنافاً مختلفة من الطعام، حتى إذا جاء المغرب حضر أدبائية البلد فاستوضحهم وسألهم عن الكيس فأحضره له، فسلمه لصاحبه وأراد المسروق منه أن يعطى شيئاً للرئيس فمنعه صاحبه، وأفهمه أنه فعل ذلك مروءة على حسب عادته.

جلاب اليسير: لقب للسيد البدوي، يزعمون أن من خصائصه أنه يذهب إلى بلاد الكفار حيناً وبعد وفاته ويحيى بمن عندهم من أسرى المسلمين. ويصعد خدمته إلى منذنته صباحاً فيجدون هؤلاء الأسرى فوقها، وفي أيديهم وأرجلهم سلاسل الحديد. ولتأكيد ذلك يكون في مولد السيد عشرة أو أكثر لابسون البياض وفي أيديهم أو أرجلهم الأغلال، يدعون أنهم أسرى السيد. وإذا استعاث أحد بالسيد قال: يا باب النبي يا سيد يا جلاب اليسير يا سيد!

الجلبية الزرقاء: أكثر لبس العامة الجلابيب الزرقاء. وهي عبارة عن بفتة مصبوغة بالنيلة فتكون زرقاء. حتى يطلقها بعض الإفرنج على أهل الجلابيب الزرقاء. وأكثر من يلبسها الفلاحون الذين يعملون في الغيطان.

الجلّة: كانت الجلّة ولا زالت هي وقود الفلاحين يطبخون عليها وعلى عيدان الذرة ويحمون بها الأفران. وهي عبارة عن روث البهائم مخلوطاً بالتبن.

راسى حاضير.

الجنّازة: أحياناً تطلق هذه الكلمة على جمع من النساء يجتمعون فى بيت الميت للبقاء والعويل والولولة والصياح واللطم وخمش الوجوه، ويسمى المأتم. وأحياناً تطلق الكلمة على مجموع السائرين بالنعش فى الطريق، فقهاء ومعزين. ومن عادة المصريين وخصوصاً المصريات الغلوّ فى عواطف الفرح والحزن. فكان إذا مات رجل عظيم فكل نساء بيته يغطين رؤوسهن بالأسود وأوجههن بالوحدل أو بالنيلة، وهى عادة قديمة ذكرها هيردوت عن المصريين القدماء فى تاريخه.

فهن يكثرن من الدفوف والدق عليا بنغمات خاصة، والقرع على الصدور بالأيدى. وقد يضربن صدورهم بالأحجار، ولا يلبسن الملابس إلا إذا كانت سوداء.

وإذا كان الميت عزيزاً صبغن كل غطاءات الفرش والوسائد بالسواد، وقلبت البسط والسجاجيد، ووضع ووجهها على الأرض. والنجم والشمعيدات تلف بقماش أسود. وتستدعى طائفة من النساء تسمين المعدات وتغنين أغانى مخصوصة بنغمات حزينة. وتمتنع الزوجة إذا مات زوجها عن الحموم.

وإذا كان للميت فرس كان يركبها يقص ذنبها ويوضع الشعر على السرج، وتقاد أمام النعش.

ومن اعتقادهم أن روح الميت تبقى بجوار

الجثة وهى فى البيت قبل الدفن لا تفارقها ولا يصح إدخال السمك ولا الفاكهة فى بيت الحزن إلا بعد الأربعين، ولا يصح أن يوضع السكر على القهوة أيام المأتم، ولا بد من إضاءة السراج مدة ثلاثة أيام فى الحجرة التى مات فيها. ولا بد أن يفرش النعش تحت الميت بشيء كالحاف ونحوه. وإذا كان الميت من الأغنياء لف النعش بشال من الكشمير. ولا بد أن يكون ماء الغسل والصابونة والليفة التى يغسل بها الميت من خارج البيت. ويفرش فى المقبرة حيث يوضع الميت حناء، إذا كان الميت عزيزاً أو غنياً.

وإذا قورن ما نسمعه من ضبط بعض الإفرنج عواطفهم الحزينة أخذنا العجب! فقد حكى لى أن أستاذاً ألمانياً كبيراً كان يدرس فى مصر ثم ذهب إلى أجازة وأراد مرة أن يتسلق جبلاً مع أحد تلاميذه فزلقت رجله ومات. فلما أخبرت زوجته وكان عزيزاً عليها وصادف أن أباها زارها من الريف ليقضى عندها ليلة، صبرت وكتمت عنه الخبر لئلا ينزعج. وكانت تدخل الحجرة وتغلقها على نفسها وتبكي، فإذا خرجت إليه لم يشعر منها بشيء غير عادى حتى أتى الصباح فأخبرته، وخرجت إلى المستشفى وتسلمت زوجها لتدفنه.

وأخبرت أن عميد جامعة أمريكية فى بيروت قتل ابنه الوحيد فى الحرب العالمية الثانية، فلما ذهب بعض الأصدقاء ليعزوه هو وزوجته لم يلاحظوا عليها أى شيء غير عادى، فظنوا أن الاسم مغلوّط، وأبوا

أن يعزو هما، حتى لا يقعا فى خطأ، ثم تأكدوا من أن الخبر صحيح وأنهما هما المنكوبان، فعجبوا من ضبط عواطفهم. وكان لنا جارية ومات أحد أقاربنا وكان عزيزاً علينا فحلقت شعرها وظلت أربعين يوماً لا تأكل إلا الزيتون الأسود، ولا تنام إلا على حجر، ولا تشرب القهوة إلا سادة، وتدعى أن فى ذلك وفاء الميت. وقد زال كثير من تلك العوائد اليوم.

الجناس اللفظى: يولع المصريون فى كلامهم العامى بالجناس اللفظى يستعملونه فى نكتهم وفى أغانيهم كثيراً مثل قولهم فى الأغاني:

محبكم داب وانتم لم دريتو به

والنار بترعى فواده وانتم لم دريتو به
وهى متجانسة اللفظ. ومعنى الشطر الأول أن المحب ذاب من حبه، وأنتم لم تدروا به، ومعنى الشطر الثانى أن النار ترعى فواده، وثوبه لم يدر بالنار.. وأعرف صديقاً كان يسير فى الشارع فقابلته رجل يعرفه فسأله: ماذا فعل فلان فى الامتحان؟ قال له: مانجحش، فقال: ما أنا عارف. ولكن هو عمل إيه؟ فكانت نكتة، لأن كلمة مانجحش، فسرنا بمعنى أنا جحش.

جن: "جَنّ" يقال فلا جنّ، وجماعة جنّ، للفرد والجماعة، بمعنى أنه أو أنهم أشرار. ومثله لفظ عفریت، وعفاريت.

وقد أخذه المصريون من صورة الجن فى القرآن واعتقاد العرب فيهم، وقول كل

شاعر إن له شيطاناً.

يقول أبو النجم العجلى:

إنى وكل شاعر من البشر

شيطانه أنثى وشيطانى ذكر
ويزعم الفرزدق أن له شيطاناً اسمه
"عمرو"، ويزعم أعشى ميمون أن شيطانه
اسمه "مسحل" وهو يقول فى قصيدته:
دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له... إلخ.

ويروى لحسان بن ثابت:

ولى صاحب من بنى الشيصبان

فحيناً أقول وحيناً هُوّة

وأغلب المصريين وخصوصاً الأطفال والنساء يزعمون أن الجن تظهر بالليل فى صورة كلب أو قط، والأغلب فى صورة قط أسود، ولذلك يتحاشون ضرب القطط والكلاب بالليل. وإذا صادف وجود قط غريب بالليل فى بيت من البيوت، لم يشكوا فى أنه جن، وراقبوا حركاته وسكناته، وفسروا كل حركة بتفسير، وإذا تقدم القط إلى الأكل من أحد الأطباق فلا يطرد وإن خطف اللحم؛ ويعتقدون أنه إذا ضربوه آذاهم.

وهم يزعمون أن الجن تفعل كثيراً مما يفعله الناس. فمثلاً نسبوا إليها بنت "تدمر"، ويزعم القطامى أنها تغنى.

ويزعمون أيضاً أن للجن علاقة بالإنس، فقد يعشق الجنى امرأة، وقد تعشق المرأة رجلاً، والفقهاء فى بعض كتبهم فرضوا صحة ذلك. وكنت أعرف رجلاً شركسياً، كثير الصمت، قليل الكلام، تبدو عليه كثرة

التفكير، فكان يزعم أنه جنية تعشقه، وأنها لذلك منعته من التزوج، وأنه يختلى بها كل ليلة، وقد قضى حقه، رحمه الله، ساكناً متبتلاً معتزلاً للناس.

وذهبت العرب إلى أن الجن لا تأكل، ولكن المصريين يزعمون أنهم يأكلون ويشربون، ولذلك اعتاد بعضهم إذا توهم أن مرضه جاء من غضب الجن عليه، أن يذيب عنه من يصعد به إلى سطح البيت وهو ساكت لا يتكلم، ولا يلتفت وراءه وهو صاعد، ويقلب الإناء بما فيه على الأرض، ولا يذكر اسم الله وهو يريقه، ثم يترك الإناء وهو فى مكانه، وينزل كما صعد.. يزعمون بذلك أن الجن تشربه، ويكررون هذا الأمر ثلاثة أسابيع على الأقل، فقد يرضى عنه الجن فيشفى.

ويعض المصريين والمصريات يزعمون فى بعض البيوت أنها مسكونة، ومعنى أنها مسكونة أن الجن سكنوها، وخصوصاً إذا حدثت فى البيت حادثة قتل، فهم أحياناً يسمعون أنيناً، وأحياناً يضرب البيت بالحجارة، ونحو ذلك. وأعرف صاحباً لى اشترى بيتاً رخيصاً فى المعادى لأنه قتل فيه صاحبه، فسكنته العفاريت، فبيع بنصف ثمنه أو أقل.

ويتصل بذلك اعتقاد الناس وخصوصاً النساء بأن العفاريت تتقمص الرجال والنساء فإذا تقمصتهم نطق الجن على ألسنتهم بأصوات غريبة، ثم أخبروا على ألسنتهم بأخبار غريبة، وتنبأوا بتنبؤات مستقبلية. وكان فى زمننا يكاد يكون فى كل حارة أو

ويزعم المصريون أن الجن قد تتعرض للإنسان إذا سار وحده بالليل، وقد يتشكل الجنى بشكل حذاء قديم بال؛ وأن الإنسان إذا لقى الجنى وضربه بالسلاح أو رماه برصاصة فأصابته، يصير نعلأ قديماً. ولذلك يكثر استعمال النعل القديم تعويذة أو حجاباً يعقلونها على رأس الخيل أو الحمير أو الجمال؛ وكثيراً ما يعقلونه حذاءً قديماً فى رقبة الأطفال يزعمون أنه يمنع تأثير العين، ولا يصلح هذا النعل القديم لذلك إلا إذا وجد ملقى فى الطريق ولا يُعرف له صاحب، وأن يوجد أحد النعلين فقط.

وقد يعتقدون أن سبب المرض جنية سوداء لبست الرجل أو المرأة، فلا ترضى

حاله⁽²⁸⁾.

جنينة الأزبكية: هى حديقة فى حى الأزبكية، تبلغ نحو اثنى عشر فدناً. وهى الآن منتزه ينتزه فيه الناس خصوصاً بعد العصر. وتصدح فيها الموسيقى العسكرية يومين فى الأسبوع هما يوم الأحد والجمعة، ولكن لها تاريخ طويل، لا يهمننا منه إلا ما كان قبل عصرنا بقليل. فقد عاصرت الاحتلال الإنجليزي وتعود الناس الحرية. وصارت كلمة الحرية تجرى على كل لسان، فكانت جنينة الأزبكية مظهراً لتلك الحرية التى فهم الناس منها الفجور والخمر والحشيش والقمار.

وكانت جنينة الأزبكية مراد أصحاب الشهوات. فامتألت بحانات الخمر والمراقص والمغنين والمغنيات، وأماكن الحشيش والقمار والفساد، وأمها الناس من كل حدب، حتى كان اسم الأزبكية دالاً على الفسق والفجور بأنواعهما، فما تبلغ الساعة الرابعة بعد الظهر، حتى يتزاحم الناس على الأبواب للدخول شيباً وشباناً، ورجالاً ونساءً ييغون الحظ والانشراح، وتنتشر فى طرقاتها العاهرات. وبعد غروب الشمس يأخذ الأروام فى ترتيب حاناتهم، وترى أمام الحانات من يحمل زجاجات الخمر وجوقات المغنين والمغنيات ترد تباعاً؛ فإذا أظلمت الدنيا أضيئت الثريات والفوانيس، وتأخذ كل جوقة مكانها، وترص الكراسى رصاً، ويملاً بعض صفوفها النساء العاهرات، أمام

جملة حارات شيخ أو امرأة من هذا القبيل. وحدث هذا للشيخ يوسف صاحب المقام المشهور، فقد تنبأ مرات بأحد المغيبات أمام الوالى، وصدق فى تنبؤه، فادعيت له الولاية وبنى له مسجد كبير فى شارع القصر العينى، ودفن فيه، واعتقد فيه.

وحدث مرة أن ادعت امرأة أن الجن تقمصوها، وذلك فى عهد محمد على باشا، ففتنت الجنود، وكثر اعتقادهم فيها، حتى استقل أمرها، فخاف محمد على من ذلك فاستدعاها إلى صره، وكان الوقت ليلاً، فأمرت بإطفاء الأنوار وادعت أنها تحضر الجنى، فحضر، وتكلمت بكلام رجل كأنه الصوت يخرج من بطنها. فأطراها محمد على على فعلها وأمرها أن تقرب منه حتى يقبل يدها، فلما مدت يدها قبض عليها وأمر بإضاءة الشموع، فرأى أنها هى المرأة ولا جنى ولا غيره، ثم أمر بإلقائها فى النيل، فجزع الجند الحاضرون، وظنوا أنها ولية وأن هذا الأمر خارج عن الدين. فقال لهم محمد على: لا تجزعوا، لو كان الجن معها لأخرجوها من النيل، ولو كانت مدعية ادعاءً باطلاً فقد استرحنا منها. فلما ألقيت غرقت واستراح الناس منها.

وكان فى حارتنا رجل يسمى الشيخ أحمد الصبان كان يبيع الفحم على باب الحارة ثم عمى وافتقر، وسكن فى غرفة ضيقة فما لبثنا أن سمعنا أن جنّاً تقمصته، وأنه يبين المخبات، ويتكلم بصوت غير صوته الطبيعى فقصدته الناس من كل فج، وصلح

وخذنه، والرجل وغلماه. وهنا وهناك تحت
آلاتية يجلس فيه المغنى على شلثة مربعة
يتمايل يميناً وشمالاً، واشتهر من هذه
التخوت تحت شاب يهودى يسمى داود
اليهودى، لا يتجاوز العشرين إلا قليلاً،
جميل الوجه، بدين الجسم، وحوله جوقته،
ويغشى هذه الجنينة بعض الأتراك والألبان
بغوغائهم وصلفهم، ويكثر بين العشاق
وعشيقاتهم الرسل يحملون الأخبار. ثم
أزيلت هذه المساخر بعد أن تدفق فيها
الملايين من الجنيهات، وفسد منها كثير من
الشبان والشابات، وهدمت البركة، وتفرق
حول الجنينة الرواد. وبذلك لعبت جنينة
الأزبكية دوراً هاماً.

ومن ذكرياتها أن عبده الحمولى المغنى
المشهور، كان فى نشأته خريج إحدى تلك
التخشييات.

والله مغير الأحوال... فقد مضى عليها
زمن كانت مقابر، وأحياناً كانت مساخر،
وأحياناً كانت مسرحاً للعيد والعلمان،
ومعرضاً للغناء، ثم زالت كل تلك الأحوال.

جهاز العروس: اعتاد المصريون أن يغالوا
فى جهاز العروس، وأن يضعوه على
عربات مكشوفاً وكلما كانت العربات أكثر
كان الزهو بالجهاز أكبر. ولذلك يضعون
على العربة مرتبة ولحافاً فقط، أو بضع
مخدّات فقط، حباً فى التظاهر بالكثرة. وفى
أفراح الأنجال، أى أنجال إسماعيل، كان
جهاز كل من عرس البرنس حسين وحسن

كل واحدة مائدة، عليها ثياب خفيفة رقيقة
ينطن بألفاظ الفحش، ويتنن تننياً ملهياً
للشهووات، ويملن ذات اليمين وذات اليسار.
ولكل تخت فيه جمع من الآلاتية تتوسطه
امرأة تسمى عالمة، تظهر دلالتها وفجورها،
كل بحسب طريقتة، ويقصدها كل ليلة
الوارثون. وتتنظر إليهم العاهرة نظرة فيها
تنهد ليعرف أنه المراد، فيقع الواحد منهم
فى شركها. وأصحاب تلك القهوات غالباً
من الأروام، والباشوية وسعادتك، فيقول:
"بلهجة الأمر؛ "شوف الست" تشرب إيه؟
فتطلب الشمبانيا من الصنف الغالى الذى
كان فى وقتها يساوى عشرين فرنكاً، أى
ثمانين قرشاً، وتشرب منها كأساً ثم تتركها
وتطلب غيرها، باتفاق مع الرومى، وتصف
الزجاجات التى طلبت على المائدة؛ فإذا
امتألت وضعت الزجاجات تحتها. وكلما
برعت المرأة كثرت الزجاجات التى تفتح
لها؛ وإذا عجزت المائدة عن الزجاجات من
فوق ومن تحت صُفّت مائدة أخرى، وهكذا.
حتى ليبلغ عدد الزجاجات أحياناً مائة
زجاجة أو مائتين. فإذا فعل الرجل ذلك
أشارت إليه المرأة إشارة شكر. ولا يزال
كذلك حتى يفرغ جيبه. وهناك موائد القمار
لا ترى فيها كاسباً إلا الرومى صاحب
الحان. وكان فى الجنينة جبلاية وبركة.
وفوق الجبلاية قهوة ملئت بالنساء العاهرات
جلسن بجانبهن الشبان.

وفى مكان آخر جوقة من الموسيقى. وأما
البركة فكان فيها قوارب تحمل الرجل

منسَقاً في ثلاث غرف فسيحة بالقصر العالى
للعرض على الأنظار، من حلى مرصعة
بالجواهر والألماس. وقد عرض جهاز
العرائس الأربع محملاً على عربات تحت
حراسة جند، تتقدمها فرقة موسيقية
لإرسالها إلى بيوت العرسان.

**جَوَزُوا مَشْكَاحَ لِرَيْمَةَ قَال، مَا عَلَى
الْإِتْنَيْنِ قِيمَه:** جَوَزُوا أى زَوَّجُوا، تعبير
يقال لموافقة الشيء للشيء من غير أن
يكون لها قيمة تذكر.

الجوقة: يطلقونها على جماعة من الناس،
وعلى الأخص الجماعة يكونون مع المغنى.

جِبْنُهُ نَضِيفَ زَى الكف: تعبير يعنى أنه
ليس فيه شئ.

ح

ومن مشهيات أكل الكباب إتقان أنواع السلطات، فسلطة طحينة، وسلطة لبن وسلطة قوطة إلخ ...

وقد صار طعام الحاتى هذا مشهوراً عند المصريين، كالقول المدمس والطعمية، والبسارة. وإذا أتى أجنبى وأراد أن يعرف الأطعمة المصرية، كان فى مقدمتها الكباب الذى يصنعه الحاتى، والفول المدمس، والطعمية، والكنافة.

ومما يتظرف به بعض المصريين أن يجعلوا مائدتهم كلها من هذه الأطباق المصرية البحتة.

حادثتان: خصصتهما بالذكر لأنهما كانتا مؤثرتين فى نفسى وفى نفس معاصرى وفى رأى العام فى بعض النواحي دون بعض. الأولى حادثة زواج الشيخ على يوسف، وهى حادثة لو وقعت فى البلاد الأوروبية ما اهتمت بها، ولا التفت إليها الرأى العام أى التفات.. ولكنها كانت فى مصر كبيرة الشأن جداً، حتى أن الرأى العام اهتم بها أكثر مما اهتم بمصائب الاحتلال الإنجليزى، بل ربما كان الاحتلال قد وسّعها ليلهينا بها عن أعماله فىنا. وخلصتها أن الشيخ صاحب جريدة "المؤيد" تزوج بالسيدة صفية بنت الشيخ السادات. وهى حادثة تحدث كل يوم ولا تحرك ساكناً، ولا تلفت نظراً، ولكن هذه

الحاء: يقولونها مقصورة لزجر الحمير، والحث على السير، ويستعملونها أيضاً فى اللغة العامية المقصورة أو من غير ألف للدلالة على الفعل فى المستقبل القريب. فيقولون: حاقراً، وحاكتب، وحامشى، أى سأفعل ذلك سريعاً. وربما كان اختصاراً من كلمة حالاً، أى حالاً أكتب، وحالاً أقرأ، وحالاً أمشى.

الحاتى: أصلهم عائلة مصرية، والحاتى لقب لهم. وقد اشتهر من بعض هذه الأسرة جماعة عرفوا بصناعة اللحم المشوى، يسمى الكباب، يصنعونه فوراً عند الطلب، وينضجونه بسرعة. ومن عوامل نضجه بسرعة أنهم يضيفون عليه بعض المواد كملح النطرون. ومن غلبة هذه الصناعة عليهم أن صاروا يسمون كل من يصنع الكباب: "حاتى". حتى اشتقوا أيضاً من الكلمة أفعالاً، فقالوا: "حتاه"، و"يحتيه"، بمعنى أكل مخه، وضحك على عقله. وهذه إحدى الكلمات التى شاهدنا تطورها فى حياتنا، فانتقلت من اسم أسرة إلى اسم صناعة إلى الدلالة المعنوية.

ومن لذة الكباب، أن شبهوا الطعمية به إذا كانت لذيذة، فقالوا طعمية كباب. وكنت أعرف بانعاً للطعمية لا يرضى أن يقال هات طعمية، بل لابد أن يقال له: هات كباب، اعتزازاً بطعميته.

الحادثة أقامت مصر وأقعدتها، وملأت الصحف والمجلات، وحركت مشاعر الشعراء فشعروا فيها، والمتندرين فتنادروا عليها، حتى سموا عامها عام الكف، كما سموا عاماً قبلها عام الكف. وشغل بها الناس من الخديوى إلى البائع الجوال. ذلك أن الشيخ على يوسف، وهو رجل كهل، تزوج بنتاً بلغت سن الرشد، برضاها دون رضا أبيها، واعترض أبوها على هذا الزواج. فما أهمية هذا الحادث؟ ولكن لعبت الخصومات السياسية، فقد كان للشيخ على يوسف صاحب جريدة "المؤيد" أعداء كأصحاب جريدة "المقطم" وجريدة "اللواء" للحزب الوطنى، ومحافظة المصريين على حرمة الزواج وعدم التعدى على تقاليد المتبعة، وفراغ عقول الناس جعل هذه المسألة مسألة رأى عام.

وقد رفعت قضية الشيخ السادات لطلب فسخ عقد الزواج لعدم تساوى الزوجين فى الكفاءة، إذ هى شريفة من نسل نبى، وهو ليس شريفاً. واشترك فى هذه المعمة القضاء والسياسة والأدب والأخلاق. فجلسات المحاكم وما دار فيها من مرافعات تطلع على الناس فى الجرائد، والشعراء يضعون المقطوعات الطريفة، والجرائد الهزلية تنشر النكت اللاذعة، والباحثون يبحثون فى سلسلة نسب الشيخ يوسف، هل هو من الأشراف أو لا. والشيخ على يوسف يدعى الشرف، ويستخرج من نقابة الأشراف

سلسلة نسبه، فإذا أحد أجداده يلقب بالخواجه فلان، فيُبحث: هل الخواجه لا تطلق إلا على النصرانى أو لا؟ وهكذا من سخافات. وقد كانت هذه الحادثة سبباً فى انتشار الجرائد بين الناس ليروا فيها كل يوم طريفة. وكان ذلك أيضاً سبب اتصالى بالجرائد بعد أن كنت لا أقرأها.

والحادثة الثانية حادثة دنشواى. ودنشواى بلد فى المنوفية، وكان قد خرجت فرقة من جنود الإنجليز مع ضباطها من القاهرة إلى الإسكندرية، فلما وصلت إلى منوف انحرفت فى سيرها، وقصد خمسة ضباط منهم بلدة دنشواى، لعلمهم أن فيها حماماً يصاد، فبينما هم يصيدون، خرجت من يد أحدهم رصاصة أصابت امرأة فى الجرن، وأشعلت فيه النار، فهاج زوجها ولم يرد أكثر من أن يساق الجندى إلى المركز، فاجتمع حول الضابط زملاؤه وجاء الرجال من أهل البلدة لإنقاذ صاحبهم، فأطلق الضباط الإنجليز النار على الأهالى، فأصيب بعضهم، فهجم الأهالى على الضباط وجردهم من سلاحهم، وضربوهم بالعصى الغليظة، فأصيب ضابطان، وجرى ثالث وهو جريح. وعدا مسافة طويلة، ثم سقط على الأرض ميتاً. فلما علم الجنود الإنجليز بذلك حضروا وقبضوا على من حول القتل من الأهالى وفرّ أحدهم فأطلق الإنجليز عليه الرصاص وقتلوه، ومثلوا بجثته، وقامت الدنيا لهذه الحادثة وقعدت. وتوعد الإنجليز أهل دنشواى بأشد العقاب، وفعلاً أقيمت المشانق فى دنشواى، وقتل بعض الفلاحين وجلد

البعض. ونستخلص من الحادثة الأولى:

(1) أن الرأي العام المصرى فى ذلك الوقت كان يتحرك للتوافه من الأمور، ويغض النظر عن عظامها، كالاحتلال الإنجليزى، والظلم الذى يقع على رأس الرعية من حين إلى حين.

(2) أن مسألة الزواج عندهم مقدسة وخاضعة للتقاليد القديمة.

(3) تدخل السياسة فى الأشياء حتى البعيد عنها فتفسدها.

(4) غلبة المسائل الشخصية على المسائل العامة.

ونستطيع أن نستخلص من الحادثة الثانية:

(1) محافظة الفلاح محافظة تامة على حرمة الزواج، وحرم ملكيته الخاصة لا العامة. فلو ضاعت البلد بأكملها ما أهمته، ولكن لو حرق جرنه لسفك فيه الدماء.

(2) نجدة الفلاحين بعضهم لبعض عند نزول الكارثة بأحد.

(3) عسف الإنجليز وظلمهم.

(4) أن هذه الحادثة تغلغت فى أعماق نفوس المصريين حتى لم يزلها شئ. وكانت سبباً فى التفات الناس إلى الوطنية، وملء قلوبهم ناراً لم يطفئها شئ إلى اليوم، ومنهم كاتب هذه السطور وكثير من المصريين. وقد أطاحت هذه الحادثة باللورد كرومر عميد الإنجليز فى مصر وبغيره من المصريين والإنجليز.

ولكن كل ذلك لم يخفف لوعتها. ومن

أجل هذه النتائج ذكرنا الحادثتين.

واذكر أنى قرأت الجرائد يوم محاكمة بعض أهالى دنشواى، وكنت معزوماً فى الإسكندرية على العشاء، فبكى الحاضرون جميعاً وتركوا مكانهم من غير عشاء.

حادى بادى: هى غنوة مصرية يتغنون بها ... يقولون: حادى بادى: سيدى محمد البغدادى: شاله وحطه، وكله على دى ... وهم يقولونها عندما يلعب الولد مع الآخر أو مع بنت، ويكون اللاعب قد مدّ يديه مفرودين على الأرض، فنقال كلمة من هذه الغنوة على يد، والكلمة الأخرى على اليد الأخرى، حتى إذا وقعت القرعة وهى آخر كلمة على إحدى اليدين ضربت.

ونظير ذلك غنوة تقال فى أصابع اليد، فيقال على كل إصبع جملة من هذه أذى البيضة .. وادى اللى قشرها .. وادى اللى أكلها .. وادى اللى قال .. هات حته حنتيه .. أحسن أقول لأم ستيتيه.

الحارة⁽³⁰⁾: هى بقعة على يمين الشارع أو شماله، يسكنها قوم بينهم روابط، والشارع يشمل حارات أو دروباً، والحارة تشمل عطفات. وهى تكون الوحدة الاجتماعية بعد الأسرة. فالأسرة فى البيت والحارة تنتظم مجموعة من البيوت أو الأسر، والشارع يمد الحارة بالوسائل التجارية، وفيه الحمام الذى يلزم الحارة، والمسجد والمستوقد والسوق.

الدكان إذا مروا عليه، كما ينتشأمون من ذكر الموت.

الحب⁽³¹⁾: الحب والغزل شائعان بين المصريين، وهما كثيران فى زجلهم وشعرهم. وللعمامة منهم اعتقادات، ووصفات وأحجية، يزعمون أنها تحبب الأزواج فى الزوجات، والزوجات فى الأزواج. وللنساء على الخصوص أحرار وحجب ووصفات كثيرة؛ منها أن تأخذ المرأة قليلاً من شعر رأسها وتمزجه بقطعة من العجين تخبزها فطيراً، أو تعملها رغيفاً، ليأكل زوجها شعره. ومنها أن تأخذ من دم حيضها شيئاً قليلاً تضيفه على الماء الذى يشربه زوجها؛ ومن الأحجية أن يأخذ كاغداً أحمر، ويكتبن فيه "يا ودود يا ودود، يا عطوف يا رؤوف"، سبعين مرة ثم يكتب الخاتم الآتى:

4	و	د	و
د	6	4	د
6	د	و	4
و	4	6	د
د	و	د	و
6	6	6	6
و	د	و	د
6	4	6	4

ويجعل فيه تراب يؤخذ من تحت أقدام الزوج. وكان مشهوراً فى هذا الباب الشبشبة (وستأتى فى الشين). ومن ولع المصريين بالحب أكثروا من ذكره وذكر الوصال والهجر فى أغانيهم وأمثالهم.

حَبْرَة: ثوب أسود كانت تأتزر به المرأة، وكان منه مشجر ومقلم، وسادة ومخرق، وهو

وبين سكان البيوت فى الحارة الواحدة روابط متينة، فيشتركون فى المآتم والأفراح، ويتسامرون فى المنادر. وكل رجل فى الحارة يعرف بقية الرجال، وكان فى القديم على كل حارة بوابة كبيرة وعليها بواب، فى وسط الباب الكبير باب صغير يفتح إذا جاء رجل واحد بالليل فيكون فتح الباب الصغير اقتصادياً. وكان الداعى إلى هذا عدم انتظام الأمن والهجوم بالليل. فزيادة الأمن يغلق باب الحارة حتى لا يمكن للصوص الدخول. وبها يعتز أبنائها وإليها ينتسبون، فيقولون نحن أولاد الحارة الفلانية، كالعادة القديمة فى الافتخار بالقبيلة.

وعلى كل جملة حارات شيخ يسمى شيخ الحارة يزعمون أنه يعرف أهل الحارات التى فى اختصاصه، فيشهد لهم إذا اتهموا بتهمة فى نظير عشرة قروش أو نحو ذلك. وعليه التنبيه على من بلغ سن القرعة وضمان المشتبهين ونحو ذلك. وهو ليس له مرتب حكومى ولكنه يعيش على ما ينفحه به بعض أهل هذه الحارات عند اللزوم كالمأذون ليس له ماهية، ولكن ما يتقاضاه من المتزوجين والمطلقين.

حانوت: كلمة تقال على معنيين: على كل دكان، وأحياناً تطلق على دكان محضّر الميت، فهو الذى يغسله ويكفنه، ويحضر من الدكان الخشبة، ويحضر من يمشى أمام الميت وهكذا... ويسمى الرجل (حانوتى). ولعلها محرفة من "حنوط" والرجل "حنوطى". والناس ينتشأمون من هذا

حِتَّة: تستعمل في معنيين متناقضين اعتماداً في التفرقة بينهما على النغمة والقرائن. فيستعملونها في معنى الشيء الصغير، فيقولون: ما عندوش إلا حتة ولد، أو حتة بنت، أو حتة عزبة كحياته، ويقولون في ضدها دى حتة ولد عليه الكلام، وعنده حتة عزبة ما فيش كده ...

الحج: فريضة من فرائض الدين الإسلامي، ويحتفل به المصريون أكثر من غيرهم. فلهم المحمل الذي لا يساويه محمل آخر، وهم الذين يعدّون كسوة الكعبة كل عام. وكثير من الناس لا يحجون إلا ليقبوا بالحاج فلان أو الحاجة فلانة. وإذا عاد الحاج عادوا بالهدايا وخصوصاً ماء زمزم والبلح على شكل سبّح، والعنبر والدبل والخواتم الفضة والسبّح. وبعض العامة قبل حضور الحاج يبيّضون بيوتهم من الخارج ويرسمون عليها رسماً بدائياً شكل رجال راكب جملاً أو نحو ذلك، ثم يستقبلون الحاج بالزفة، ويقيمون الولائم، وينصبون نصبة كنصبة الأفراح. وكثيراً ما يؤثر الحج في الحاج أثراً حسناً، فيقلع عما كان يرتكبه من جرائم، ويعود صالحاً لاعتقاده أن الله يغفر الذنوب جميعاً بحجه ووقفته على عرفات. وكثير من الناس يحرص على أن يقب بالحاج دائماً، فيقال الحاج محمد، والحاج على.

وبعض الناس يبالغ في الحج فيحج سبع مرات أو أكثر، وبعضهم يبالغ أيضاً فيحج

يختلف في التفصيل، فمنه ضيق الوسط، واسع الذيل، ومنه تفصيل فاضح: يظهر كسّم المرأة، وقد يخيط بعضهن على الحبرة شرائط حرير سوداء يسمونها "خروفاً"، ويتخذها النساء الداعرات وسيلة لاجتذاب الرجال لحسن تفصيلها والتخلع فيها. وقد ذهب التمدن الحديث بهذه الحبرات وأشكالها وخلاعتها؛ فقد أصبحت المرأة سافرة تخرج بالفساتين العادية، وذهب جمال الحبرة وخلاعتها وفنها وصنعها.

حبّله وشايله ولد: تعبير يعنى أنها مصابة بكثرة الأولاد. وتقال مجازاً في كثرة المصائب.

حبّه غطى على الكل: تعبير يعنى أن حبه فاق كل حبّ. ومن أغانيهم: حُبّك يا سيدى غطى على الكل ارحم فؤادى كان ذلّ والنبي ترحم.

حبيبي خفه مقطط: خفه، أى خفيف الروح. ومقطط، صغير الأعضاء جميلها. ومن هذا القبيل يقولون: "البيت ده محندق" أى صغير على قدر الحاجة. وعكسه مبّهوق، أى كبير بلا معنى.

حبّيتك خالص: تستعمل خالص بمعنى كثير، فأحببته خالص، وكرهته خالص، ومش بيشوف خالص، أى أبداً، وتعبت خالص أى كثير.

نزيف الدم. ومنها حجر الحب. وتحمله النساء وخاصة السودانيات، وهو من نوع الزلطي، إلا أنه خفيف هش، لونه أحمر قاتم، إذا حك في ماء تحلل منه مادة بيضاء، وهن يزعمن أنه إذا أراد إنسان أن يحبب فيه آخر، يتحايل حتى يرش عليه ماء من الماء الذي حك فيه ذلك الحجر، وأن يتدهن هو أيضاً به⁽³³⁾.

وقد قرأت قصة بهذه المناسبة أن امرأة فرنسية كان زوجها يضربها كثيراً بعد أن يشرب كثيراً من الخمر حتى يسكر، فذهبت إلى عجوز وشكت إليها زوجها وطلبت منها أن تعمل لها شيئاً من السحر عساه أن يكف عن ضربها، فوعدها العجوز أن تعزم لها عزيمة حين تأتيها في الغد، فلما جاءت أعطتها زجاجة ماء، وأمرتها إذا جاء زوجها أن تملأ فمها من الماء وتعمل ما يأمرها به الزوج ولا تتكلم. وبعد أسبوع قابلتها وسألتها عن الحال فقالت إن سحرك نفع، فلم يعد يضربني. ثم تبين أن المرأة كانت ترثارة كثيرة الكلام، وكان زوجها يضربها لثرتتها، فلما أمرتها العجوز بإطاعة زوجها، وملء فمها بالماء، لم يعد هناك ما يدعو إلى الضرب.

حَدَّ يَبْقَى فِي إِيْدِهِ الْقَلَمُ وَيَكْتُبُ نَفْسَهُ شَقَى: تعبير يعنى أن من قدر على نفع نفسه فلينفعها.

الحدق يفهم: الحدق: معناها الحانق.

على رجليه ماشياً، وبعض المسلمين يحج عنه عدداً على قدر ماليته. ورأيت بعضهم يقف وفقاً على عشرة يحجون عنه كل عام. والحج يعلى عادة صاحبه بين أصحابه ومعارفه أكثر من الصلاة والصوم والزكاة. وبعض الفقراء يقتصد من القوت الضروري له ولأولاده ليتمكن من الحج. وكان الحج دائماً على جمال، ثم أصبح يحج الناس في السيارات، وبعضهم يحج بواسطة الطائرة⁽³²⁾.

حَجَّاجُ الْخُضْرَى: كان من طائفة الفتوات، طويل القامة، مهيباً، عظيم الهمة، وكان شيخاً لطائفة الخضرية، وله عليهم الصولة، مسموع الكلمة. وقد بنى البوابة المعروفة بالرملة "المنشية" وسميت بوابة حجاج؛ وقد زالت الآن. وقد شنقه الوالى مظلوماً ... قالوا إنه فعل به ذلك زجراً لغيره.

وشاهدت ابنته تسكن في حارتنا تسمى حجاجة، وكانت نحيفة القوام ولكنها غجرية، ذات لسان طويل، يخاف منها أهل الحارة.

حجر الكباس: هو من أحجار المشاهرة، يحگونه للوالدة في ماء يدهنون به جسمها، وخصوصاً صدرها وتدييها، منعاً للكبسة، وسيأتى تعريفها. وتوجد أنواع كثيرة من الأحجار للاستشفاء بها، منها حجر العقرب، وقد مر الكلام عليه في اصطبل عنتر. ومنها حجر الدم، وهو نوع من العقيق الأخضر فيه عروق حمراء، يحملونه لمنع

فاتها وطلع لشغله، جاتها العجوزة ومعها رقاق ناشف، حطته تحت فرشها، وصارت كل ما تتقلب يططق الرقاق، وتقول هي دى عظامى بتططق، وتنازع وتصرخ، استعجب السلطان وجاب لها الحكما، وهم ما يعرفولهاش دوا.

شوية وفات واحد من تحت الشباك وكان دا ابن العجوزة ومعلماه وهو ينادى ويقول عيان نداوى، مريض نداوى. قالت امرأة السلطان له: نادى الحكيم ده يمكن يعرف مرضى، دخل عليها وبص كده وكده وفتح الكتاب، وبعدين قال: يا ملك الزمان ووحيد العصر والأوان، دا مرض الملكة مش من الأرض، دا مرضها من الجان؛ قال له السلطان إذا كنت عرفت مرضها اعرف لنا دواها.

قام فتح الكتاب وقال: دواها ميجيش إلا على بلبل الصباح. قال السلطان: وفين بلبل الصباح؟ فقال له: فى البستان المسحور، ورا السبع بحور، ولا يجبوش إلا أولاد الملوك. قال السلطان: دا أمر سهل، وأنا عندى أولادى ما شاء الله مافيش أشجع من كده. وطلع وحكى لهم على ما قاله الطبيب قالوا له: يا أبونا احنا فى خدمتك، ومطرح ما تأمرنا احنا ما نتأخرش، وأخذوا الزاد، وركبوا خيولهم، واعتمدوا على خالقهم، وساروا على بركة الله، وصلوا على زين الملاح. ومشوا الثلاثة، بلد تشيلهم وبلد تحطهم، لما دخلوا فى وسط الجبال، انتهى بهم المسير إلى آخر الطريق، ثم وجدوه

حدوته: هي تحريف لكلمة أحدوثة فى اللغة الفصحى، ولا تطلق إلا على القصة باللغة العامية، وهى عادة يفرشون لها فرشاً صيغته: "كان ياما كان يا سعد يا إكرام، ولا يطيب الحديث إلا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام" ونسرد هنا بعض الحواديت على نمطهم:

1- كان فيه سلطان ولا سلطان إلا الله، ولا نبى بعد رسول الله، وكان للسلطان ثلاثة أولاد: الشاطر حسن، والشاطر محمد، والشاطر على؛ وكانوا فرسان شطار، ومتعلمين كل حاجة، ونافعين أبوهم ومريحينه، ومنظيمن أمور المملكة.

وبعدين أمهم ماتت، والسلطان تزوج بنت الوزير، وكان الوزير يكره أولاد السلطان لأنهم مضيقين عليه، ومش مخليين له كلام، فسلط بنته، وقال لها لازم تعملى حيلة تخلى السلطان يكره أولاده.

قامت البنيت احتارت تعمل إيه، إلا ودخلت عليها مربيبتها، وكانت عجوز نحس وإبليس يتعلم منها المكر، فقالت لها مالك زعلانة محتارة، فقالت لها يا أمى العجوز، الأمر فيه وفيه، وأنا مش عارفه أعمل إزاي؛ فقال لها: بس كده! دا شئ بسيط، وبكره الصبح ما تقوميش، ولما يسألك السلطان قولى له بس عيانه شويه، وبعدين يحلها ربنا، نهايته ولا أطولش عليكم فى لصبحية قعدت تنازع، قال لها السلطان مالك، قالت له بس عيانه شوية النهاردة،

رد، قام وسحبهم من شعورهم، ودخلهم أوده
وقفل الباب، قام الشاطر على وخرج فى
الجنية لقي العشر بنات مساكين، وقالوا له:
إنت إنس ولا جن؟ قال لهم: إنس، قالوا له:
إيش جابك هنا؟ فحكى لهم على اللى حصل،
فخرجوا يلقوا فى القصر، وبعدين لقوا
دولاب فتحوه، لقوا سلم فضلوا نازلين
أربعين سلمة، فضلوا ماشيين لقوا بحر
مالح، وقعدوا على البحر يستنوا مراكبى،
ولما فات مراكبى شاوروا له بمناديلهم،
قالوا له: إحنا فين؟ قال لهم: انتوا جايين
منين؟ وعزم المراكبى علشان يأتى بالغول،
ومسك سيف، ولما دخل الغول، قال: ابسم
الله يا عزم أبوى وجدى، وخبطه قسمه
نصفين، وبصوا لقوا دمه لهاليب نار، وسأل
الساحر الشاطر على، فحكى له حكاية بلبل
الصباح، وأخيراً وبعد عذاب طويل رجع
الشاطر لأبوه وحكى له الحكاية، فلما سمع
الملك هذه الحكاية شال الملكة من على
السريير، وفتش تحتها فلقى الرقاق، فسحب
عليها السيف وقال له: وحية رأس أبويه إن
ما قتلش على الحكاية اقطع رأسك، فحكى
له الحكاية فقال لها: سامحتك، وخرج على
الديوان وقطع رأس الوزير وجهاز مركب
عظيم وركب الشاطر على وقعدوه وأبوه
متهنى لآخر عمره. وتوته توته فرغت
الحدوته، حلوة ولا ملتوته، وإن كانت حلوة،
عليك غنوة، وإن كانت ملتوته، احكى لنا
حدوته.

2-أحدثك حدوته، بالزيت ملتوته، حلفت

ينقسم إلى ثلاثة شعب مكتوب على واحدة
منهم دى سكة السلامة، وعلى الثانية دى
سكة الندامة، وعلى الثالثة دى سكة اللى
يروح ما يرجعش. وأخيراً انتظروا على
أنهم يعملوا قرعة، وكل واحد يمشى فى
سكة، فأما الشاطر حسن فمشى مشى
وبعدين رجع لبلده، وحكى لأبوه على ما
كان؛ وأما الشاطر محمد فتاه فى الطريق
ومشى مشى ما لاقاش حاجة ورجع لبلده،
وأما الشاطر على ففضل ماشى طول
النهار، وأخيراً لقي جنية لا ليها أول يعرف
ولا آخر يوصف، وفيها كل أصناف الزهور
والفواكه، وفى وسطها قصر عظيم، دخل
جميع قاعات القصر ما عرفش حد،
فاستعجب، وفى أوضه من الأرض لقي
صفرة تامة من جميع الأصناف، والكراسى
مرصوفة حوالين الصفرة، وقعد يستنى ما
حدش جه.

فقال له عقله: قوم اتعشه، فأكل لما شبع،
وراح غسل إيده وقعد جنب الشباك يشم
الهوا، بص على باب الجنية لقي غول
داخل، فخاف وارتعش، قام جرى يدور
على مطرح يستخبى فيه، واحتار ورجع
تانى دخل الأوده اللى كان فيها، واستخبى
ورا الباب، فالغول ضرب الحيطه وخبط
بأيده عليها، انفتح فيها باب مسحور، وجلس
على السريير وقال: اطلعوا، طلعت عشرة
بنات زى النجف، وقعد الجميع على
السفرة، وقعدوا ياكلوا، ثم قال الغول: مين
اللى رايحة تكون عروستى الليلة؟ ما حدش

ماكلها، حتى يبجى تاجرها، تاجرها فوق السطوح، والسطوح من غير سلم، والسلم عند النجار، والنجار عاوز مسمار، والمسمار عند الحداد، والحداد عاوز بيضة، والبيضة فى بطن الفرخة، والفرخة عاوزة قمحة، والقمحة عند التاجر، والتاجر عاوز فلوس، والفلوس عند الصريف، والصريف عاوز حنة، والحنة فى أيديهم، ضربة تكور عينهم. وهى حدوته لطيفة تدل على مبلغ اتصال الأعمال بعضها ببعض، وهى فى معنى قول المتنبي:

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً وقد سمعها رجل صوفى فشرحها شرحاً صوفياً قال: أحدثك حدوته، بالزيت ملتوتة، يعنى السر الإلهى، حلفت ماكلها، أى أتناولها؛ فإن القصد لا يتم إلا بالوسيلة. حتى يبجى تاجرها، المراد به المرشد الكامل، والمربى الواصل. والتاجر فوق السطوح، لا يذهب ولا يروح، بل إليه يراح، وبه تنتعش الأرواح. والسطوح عاوز سلم، يتوصل به إليها، حيث إن المدار عليه. والسلم عند النجار، وهو الأستاذ الكامل، والمسلك الواصل، والنجار عاوز مسمار، يثبت به سلم القرب والوصول. والمسمار عند الحداد، صانعه المخصوص به. والحداد عاوز بيضة، إذ لا يكون شئ بلا شئ... إلخ.

3- دخلت من عاطفة لعاطفة، لقيت معنى بزفة، لقيت حبيبي متكى، على مخدة،

فستقى، قال لى خدى المفاتيح واسبقى، أخذت المفاتيح وسبقت، لقيت صبيبة لبيبة، زى الشمس المضية، متكية على مخدة حرير طرية، لو كان بيتنا قريب، كنت جبتلكو صحن زبيب، تاكلوا لما تصلوا على الحبيب فيجيب السامعون: "ألف صلاة عليه". وهذا فرش الحدوته، ثم تبتدى فيها فتقول: كان يا ما كان يا سعد يا إكرام، ما يطيب الحديث إلا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام فيجيب السامعون: عليه الصلاة والسلام. ثم يقول: كمان صلوا على النبى، ثم تقول: كما وحدوا الله. وكله تشويق للسامعين لكى تزيد فيهم رغبة السماع.

4- كان فيه واحدة جميلة فايته فى السوق لقيت شاب جميل جالس وعلى دكانه يافطة مكتوب فيها: كيد الرجال غلب كيد النساء، فاغتاظت من ذلك، وذهبت إلى الدكان وأخذت تغازل الشاطر حسن صاحب الدكان وأخيراً قال لها: أريد أن أخطبك من أبيك فمن أبيك؟ قالت له: قاضى البلد! ولكن أبى لا يريد أن يزوجنى، ولذلك يقول لمن جاء إليه يخطبنى: إن بنتى هتمة بأتب، فقل له قابل. ولا أريد إلا شرف النسب؛ فأخذ كام تاجر وياه العصر، وذهبوا إلى القاضى وقالوا له: نريد أن نتشرف بالنسب إليك. فقال لهم: إن بنتى كذا وكذا كما ذكرت الفتاة، فقال الشاطر حسن: قد قبلت لأنى أريد شرف النسب ولا أريد الجمال. وأخيراً عقد العقد ودخل الشاطر حسن على زوجته، فلم يجد الفتاة التى رآها وإنما وجد فتاة

شوهاء كما ذكرت، فغطى وجهها وخرج، وفي ثانی يوم جاءت الفتاة وضحكت، فقال لها: ما المخرج؟ فقالت: لا، حتى تغیر الیافطة وتکتب: کید النساء غب کید الرجال، وأخبرته بأبيها الصحيح وقالت له: أحضر طائفة القردنية والغوازي والخولات واذهب بهم إلى القاضي، وقل له: هؤلاء أقاربي، فتضايق القاضي، فقال له الشاطر حسن: وأنت شفت إيه، دول لسه جاييت طوايف طوايف من قرايبي. فقال للشاطر حسن: اعمل معروف خد فلوسك وطلقها. فأخذ فلوسه وطلقها، وذهب إلى أبي الفتاة الحقيقي وتزوجها، وعاشا في التبات والنبات، وخلفوا أولاد وبنات، وتوته توته فرغت الحدوته.

5-وحدث في عهد محمد على باشا أن كان رجل نخاس، وكانت تجارة الرقيق منشرة، متزوجاً بامرأة غنية بعض الغنى؛ ثم أهملها، فغضبت منه وعملت على الطلاق منه، فعشقت رجلاً فقيراً؛ وفتحت له دكاناً بجوار البيت، وكان في البيت نخلة تتصل بمشربية، يقفز إليها عشيقها كلما أراد؛ فقفز إليها مرة، وإذا بصاحب البيت يحضر، فأمرت خداميها بأن رجلاً عندها، فأخبروه فدق الباب طويلاً، وصرخ: عشيق عشيق ..

فحضر الجيران، وكسروا الباب، ودخلوا فلم يجدوا أحداً، وكان العشيق قد قفز إلى النخلة ونزل عليها إلى الأرض. فتنمرت المرأة وقالت: هو يتهمني في عرضي كذباً.

وذهبت ثانی يوم إلى القاضي وحكت له، وطلبت الطلاق، واستشهدت بالشهود، فرفض القاضي أن يطلقها. وفي مرة أخرى حضر العشيق كعادته، وحضر صاحب المنزل، فوجد عشيقها معها، فأمسكته مع عشيقها وكتفته ووضعته منديلاً في فمه، وسكيناً بجانبه، وهددته إن صاح أن تقتله. ونامت مع عشيقها أمامه، حتى إذا انتهى حلتها، وشالت السكين وأخرجت المنديل من فمه، وصرخ الرجل حرامى حرامى! فجاء الجيران لم يجدوا أحداً، فظنوا أنه مجنون. فسألوه، فقال لهم حرامى! فقالوا مسكين! شفاك الله. وذهبت ثانی يوم إلى القاضي تطلب الطلاق، فحكم بإرساله إلى مستشفى المجاذيب. وأخيراً ظل سبعة أشهر وكلما زاره أحد حكى له حكاية اللص فيقول: لازال مجنوناً، شفاه الله. وأخيراً وبعد تعب، رضى أن يطلقها، فأحضرتها إلى البيت، وأحضرت المأذون وطلقها.

6-كان فيه شابة جميلة متزوجة تاجر، فأراد التاجر أن يسافر، فخاف عليها أن تخونه، فأوصى بقالاً يفتح دكاناً تحتها أن يراقبها ويحافظ عليها؛ وأمرها أن تدلى حبلاً فيه مقطف كل يوم، وأوصى البقال أن يضع لها اللحم والخضر في المقطف كل يوم وهي تشده.

وفي مرة من المرات نظر إلى فوق فرأى المرأة فأعجبته، فعشيقها، وكتب لها ورقة مع اللحم والخضار يخبرها بذلك فرفضت؛ فمرض الرجل وجاءت إليه امرأة

وهام على وجهه حتى بلغ شاطئ البحر. وركب سفينة أوصلته إلى جزيرة غنية انقطع أهلها عن العالم. وقبض عليه وأرسل إلى الملك، فسأله الملك: أصدق أنت أعدو؟ فقال الفقير: صديق. فقال الملك: ما دليل صداقتك؟ فقال: الدليل أنى أهديك هذه وكانت سلطانية. فظن الملك أنها تاج عظيم ووضعها تاجاً على رأسه، وأعطاه فى مقابل هديته ذهباً كثيراً، وجواهر كثيرة؛ وعاد الرجل إلى أهله وأوسع معيشتهم ومعيشته. فلما رآه بعض الطامعين الأشرار على هذه الحال غار منه واستفسره، وذهب إلى هذه الجزيرة يحمل معه هدايا فخمة من ثياب مزركشة وعقود إلخ. فلما أهداها للملك فرح بها وأراد أن يهديه أعظم هدية فى نظره فأهداه السلطانية. وكان نصيبه خيبة الأمل.

هذه نماذج من الحوادث التى تحكيها العجائز وخاصة بالليل حيث يجتمع الأطفال والنساء، ولا تزال تحكى حتى يجئ موعد النوم.

وهى باب كبير من أبواب تربية الأطفال، فالحدوته الطيبة التى تدل على شجاعة أو صدق أو بطولة، تنتج نتاجاً طيباً، والعكس.

والحدوته نمره (2) مثلاً تدل على معنى طيب فى التعاون. ولكن مما يؤسف له أن أكثر حواديتنا فى الجن ومكر النساء ولعب القدر كما رأينا. وحبذا لو جمعت الحواديت الشعبية وفيدت ثم درست ثم تبين أثرها.

عجوز فحكى لها الحكاية، فوعده أن تسهل له الأمور؛ فذهبت العجوز إليها وادعت أنها خالتها، وقبالتها كثيراً، وزعمت أنها مشتاقة إليها، وكان معها كلبة تُطعمها من حين لآخر وتعطفُ عليها - فسألته المرأة من هذه الكلبة فقالت لها إنها كانت شابة جميلة وغضب عليها عاشقها فسحرها كلبة. فقالت: يا أمى إنى أخاف من البقال الذى تحتى أن يسحرنى، فقالت لها العجوز: وماذا تعطينى إن رجوئه ألا يسحرك بشرط أن تنيليه ما طلب؟ فرضيت ووعدها أن تمنحها زوجاً من الأساور، وعينت لها موعداً تستقبل فيه البقال، فلما جاء الموعد تزينت وتجملت الفتاة وانتظرت العجوز البقال فلم يحضر، وخافت أن تضيع عليها الأساور، فترقبت أن يمر عليها أى رجل مناسب، وصادف أن مر التاجر زوج الفتاة، وكان عانداً من سفره، فاستوقفته وقالت له: ما رأيك فى فتاة جميلة تستقبلك؟ فقال: لا بأس، ولك الحلاوة. وقادته إلى بيت الفتاة؛ فما كان من الفتاة إلا أن لطشته على وجهه وقالت له: أهكذا تفعل أيها الرجل الخبيث؟ فأخذ يعتذر لها ويسترضيها... وتوتة توتة، فرغت الحدوته.

7-ومن حكاياتهم الدالة على إيمانهم البالغ بالحظ، وأن الطمع لا يُفيد، أن رجلاً فقيراً كان طيباً وكان عطوفاً على زوجته وأولاده. وطلبت إليه زوجته مرة أن يأخذ سلطانية ويحضر لها سمناً لتصنع به كنافه. فلما ضاقت الأمور على الرجل ترك مكانه

حَدِيثُهُ عَلَقَهُ سَخْنَةً: أى شديدة. ومن هذا القبيل: دول يستأهلوا النار، أى العذاب الشديد.

حرام تنسونى بالمرّة: استعمال مصرى، تعبيرها العربى يحرم عليكم أن تنسونى دائماً.

حرامى: كان فى كل بلدة تقريباً فى المدن أو القرى طائفتان: طائفة تنتسب إلى سعد، وطائفة تنتسب إلى حرام؛ فهذا سعدى أى منتسب إلى سعد، وهذا حرامى أى ينتسب إلى حرام. ويظهر أن سعداً انتصرت على حرام، فتدلى حرام حتى كان من نسبه لصوص؛ وسمى اللص حرامياً.

الحرب: للمصريين فى حال الحرب أحوال نفسية وأخلاق اجتماعية، لعل خير ما يمثلها ما حكاه الجبرتى فى موقفهم عن الحالات الخصوصية.

فإنه فى يوم من الأيام حضر إلى ثغر الإسكندرية عشرة مراكب إنجليزية، ووقفت على بعد بحيث يراها أهل الثغر، وبعد قليل حضرت خمسة عشر مركباً، وحضر عدد صغير مكون من عشرة، وطلعوا إلى البر واجتمعوا بكبار البلد، والرئيس إذ ذاك السيد محمد كريم؛ فاستخبرهم المصريون عن غرضهم، فقالوا إنهم إنجليز حضروا للتفتيش على الفرنسيين، لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات، وربما كان

مقصدهم مصر، وربما دهموكم فلا تقدرّون على دفعهم. فلم يقبل السيد محمد كريم، وظن أنها مكيدة، وجابهم بكلام خشن. فقال رسل الإنجليز: إننا سنقف بعيداً، ولا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بالثمن. فلم يجيبوهم لذلك، وقالوا هذه بلاد السلطان، وليس للفرنسيين ولا غيرهم عليها سبيل، فذهبوا عتاً. فعادت رسل الإنجليز وأقلعوا من الإسكندرية ليمتاروا من غيرهم. فلما عرفت هذه الأخبار بمصر حصل بها لغط كثير، وتحدثوا كذلك فيما بينهم، وكثرت المقالات والأراجيف.

وأما الأمراء فلم يهتموا بشيء من ذلك ولم يكثرثوا به، اعتماداً على قوتهم، وزعمهم أنهم إذا جاءت الفرنج لا يقفون فى مقابلتهم، وأنهم يدوسونهم بخيولهم. ثم وردت مراكب الفرنسيين وعمارتهم الكثيرة، فأرسلوا فى البحر، وأرسلوا جماعة يطلبون بعض أهل البلد، فلما نزلوا إليهم، عرفوهم مقصدهم. ولما دخل الليل تحولت مراكبهم إلى جهة العجمى، وطلعوا إلى البر ومعهم آلات الحرب والعساكر، فلم يشعر أهل الإسكندرية إلا وهم كالجراد المنتشر حول البلدة؛ فاجتمع الكشاف والعريان، فلم يستطيعوا مقاومتهم، واضطر أهل الإسكندرية إلى التترس فى البيوت والحيطان، ودخل الفرنسيين البلد، وأهله يدافعون عن أنفسهم ويقاتلون. فلما أعياهم الأمر، وعلموا أنهم مأكولون بكل حال، وليس عندهم استعداد للقتال لخلوّ الأبراج من آلات الحرب والبارود، وكثرة

العدو وغلبته، طلب أهل الثغر الأمان فأمتوهم.

وعول أكثرهم على الفراق، فلما علم بذلك الأمراء بمصر، اجتمعوا هم والعلماء وقرروا أن يرسلوا مكاتبة الى استانبول. وجهز مراد بك العساكر وخرج لملاقاتهم وحربهم، وصاروا يصادرون الناس، ويأخذون ما يحتاجون إليه من غير ثمن، وأمروا بعم لسلسلة تخينة جداً طولها مائة ذراع وثلاثون لثمنع العبور من بحر النيل. فلما خرج مراد بك بدت الوحشة فى الأسواق وكثر الهرج بين الناس والإرجاف، وانقطعت الطرق. وأخذت الحرامية فى كل بلدة تطرق أطراف البلد، وانقطع مشى الناس من المغرب، ونادى الأغا والوالى بتفتيش الأسواق والقهاوى ليلاً، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين لإذهاب الوحشة.

ووردت الأخبار بورود الفرنسييس إلى دمنهور ورشيد، وازداد الرعب. وكانت العلماء عند توغل الفرنسييس يجتمعون كل يوم فى الأزهر ويقرأون البخارى وغيره من الدعوات، وكذلك مشايخ الطرق الأحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية والسعدية، وغيرهم من الطوائف، وأرباب الأشاير، ويعملون لهم مجالس بالأزهر، وكذلك أطفال المكاتب، ويذكرون اسم اللطيف وغيره من الأسماء. ولما وصل الخبر إلى الأمراء شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة إلى البيوت

الصغار التى لا يعرفها أحد. واستمروا طوال الليل ينقلون الأمتعة ويوزعونها على معارفهم وثقاتهم، وأرسلوا بعض منها إلى بلاد الأرياف، واستحضروا دواب للشيل وأدوات الارتحال. ولما رأى أهل البلد تخوفوا وخرج الجميع لبرّ بولاق. وكانت كل طائفة من طوائف الصانع يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خيامة، أو يجلسون فى مكان خرب، أو مسجد، ويرتبون لهم ما يصرف عليهم وما يحتاجون إليه من الدراهم التى جمعوها.

وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر. ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح، والأكل وغير ذلك. بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم. وخرجت الفقهاء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور والأعلام والكلبات. وهم يدقون ويصيحون، ويذكرون أذكراً مختلفة. وصعد السيد عمر نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بيرقاً كبيراً سمته العامة "البيرق النبوى"، فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق، وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنباييت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح. ولم يبق فى القاهرة إلا النساء والصغار وضعفاء الرجال، والطرق معفرة من عدم الكنس أو الرش.

وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على قدم وساق يقتل بعضهم بعضاً، وينهب بعضهم بعضاً. وغارت العرب على الأطراف

والبواحي وصار قطر مصر من أوله لآخره في قتل ونهب وإغارة على الأموال، وإفساد المزارع، وغير ذلك من أنواع الفساد. وكانت الرجال متنافرة قلوبهم، منحلة عزائمهم، مختلفة أمراؤهم، حريصين على حياتهم وتنعهم ورفاهيتهم، مغترين بجمعهم، محتقرين شأن عدوهم، مرتبكين في رويتهم، مغمورين في غفلتهم؛ وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم ... إلخ.

ويدل على أخلاقهم أيضاً في الحرب ما ذكره محمد "باشا" شفيق في الثورة العرابية، إذ قال: "شعر عرابي "باشا" ورفاقه بالحييف الواقع عليهم وعلى أمثالهم من جراء التمييز بين المصريين والشراكسة والأتراك. فألفوا مظاهرة، فازدادت قوتهم، واختلف النظر بين معاملته هو وإخوانه بالشدّة، أو معاملتهم باللين والحسنى. واغتر عرابي بما كان يسمعه من رعاية الخليفة له وعنايته به، واجتماع الناس حوله، فاعتقد أنه زعيم مصر الأكبر، وخيل إليه أنه صار صاحب الكلمة النافذة، وأنه إليه يرجع الأمر كله دون الخديوى وحكومته؛ وطاف في البلاد يستميل الأهالي ويتألفهم ويبث فيهم دعوته.

ولم يقف غرور عرابي عند حد حكومته بل رسخ في ذهنه أنه لا خوف عليه من وقوف فرنسا وإنجلترا في سبيله، لما بينهما من منافسة في السياسة المصرية. مع أن الجولتين كانتا على وفاق فيما يتعلق بمصر.

وبناء على ذلك أرسلوا لجناب الخديوى خطاباً مؤداه: أنهما يكفلان استمرار السّلم والسكون في البلاد المصرية وأنهما متفقان على الاشتراك في السعى من دفع كل ما من شأنه أن يحدث في مصر ارتباكاً. فأتارت هذه المذكرة غضب العرابيين، وسخط الباب العالي، وفهم عرابي من ذلك أن الخديوى توفيق قد انضم إلى الدولتين. ثم قامت الثورة، فتدخل الإنجليز حربياً بدعوى إقرار السلام، والمحافظة على سلامة الخديوى. وخشى العلماء وبطيرك الأقباط والأعيان والتجار استمرار الاضطرابات، فأرادوا التوفيق بين الخديوى وعرابي فلم يمكن. وأخيراً صار عرابي "باشا" الحاكم بأمره، وقامت الثورة الفكرية، وحدثت المذابح في الإسكندرية، واشتبك عرابي مع الإنجليز، وانهز العرابيون بعد قليل". وقد ذكرنا من قبل ما أشيع في أيام الثورة عن البيضة التي باضتها الدجاجة ومكتوب عليها ما يستفاد منه النصر، والأعلام المنسوبة إلى السيد البدوي وإبراهيم الدسوقي وسيدى عبدالعال.

"ولم يقف جيش عرابي في التل الكبير طويلاً، فقد انهزم جيشه سريعاً، ووجد الإنجليز أن العرابيون أهملوا الطريق بين الصالحية والتل الكبير، وتركوه خالياً من نقط الدفاع؛ ولم يطل القتال أكثر من عشرين دقيقة، وأسفر عن انهزام العرابيين شر هزيمة، بعد أن قال منهم نحو ألفين، وأسر نحو ذلك.

القتال، مظاهر رائعة تخالف التي مضت، فكان من الشبان - وخصوصاً الإخوان المسلمين - مواقف عجيبة تستدعي الإعجاب، من بيع الأرواح، بيع السماح. وبالأمس سمعنا أن شاباً غنياً يملك نحو الأربعمئة فدان تقدم للقتال وراح ضحيته. فما لبث أخوه الشاب أن حل محله فى الصف ... إلى كثير من هذه الحوادث التي تدل على التصميم والتضحية، وهما العنصران اللذان لم يكونا من قبل. هذا إلى القدرة على اكتشاف المؤامرات والوسائل التي كانت تجوز على المصريين فيما مضى، والقضاء عليها فى حينها.

فإذا أضفنا إلى ذلك امتناع أكثر العمال المصريين من معاونة الأعداء دل ذلك كله على تغير الحال فى السبعين سنة الأخيرة، وأن فيهم من يصح أن يكون مثلاً للجهاد والبطولة مما لا يقل عما يصدر عن الأمم الحية الأخرى.

حرز: كلمة تطلق على الأحجبة وغيرها، للاحتراز من الجن والحسد (انظر الأحجبة).

الحروف: يزعمون أن لكل حرف من حروف الهجاء سرّاً، وأن أسرار القرآن كلها وضعت فى سورة الفاتحة، وأن الفاتحة وضعت فى البسملة، وأن أسرار البسملة وضعت فى حرب الباء، وهكذا.

وكل حرف له خواصّ، وله أعداد. ومن ذلك حروف الجمل وتقابل أبجد هوّز إلخ.

وما برح الإنجليز يتقدمون، والعربيون مستغرقون فى نومهم، فحاول عرابى أن يستوقف الفارين، ويستفزهم إلى القتال والدفاع فلم يمكنه ذلك، لأن الذعر كان قد دبّ فى قلوبهم، ففرّ عرابى لينجو بنفسه. وكان الإنجليز كلما تركوا نقطة أقاموا فيها دورية للمحافظة عليها. ثم كان من أمر الثورة وفشلها ما كان".

ويمكننا أن نستنتج من تلك العناصر، مما ذكره الجبرتي وشفيق "باشا" النتائج الآتية:

(1) غرور المقاتلين المصريين، استهتارهم بعودهم من غير دراستهم لحالهم، (2) عدم الاستعداد الكافى للحرب، (3) الهرجلة وعدم النظام، (4) الاعتماد على الأدعية والبخارى والأذكار مما ليس وسيلة حربية، (5) قلة الثبات أمام العدو، (6) عد العلم بالأفانين العسكرية الحديثة، والاعتماد على الأساليب القديمة فى الحرب، وعدم معرفة شؤون الدنيا، والجهل بالسياسة الخارجية وشؤونها، (7) فوضى الناس غير المحاربين وتعطيلهم لحركات الجيوش، (8) مساعدة بعض الناس الخيّرين بكل ما يملكون من مال وقوة، ولكن ذلك لم يكن منظماً ولا خاضعاً للعقل، (9) عجرفة الرؤساء وشموخهم بأنوفهم من غير كفاية. كل هذا سبّب فى الحربين الهزيمة السريعة مع الأسف الشديد.

ولكن والحق يقال، إن المصريين حديثاً تعلموا من هذه التجارب، فظهرت فى الحرب العالمية الأولى والثانية، وفى حرب

فالألف بواحد والباء باتنين إلخ. وترايبى، وهوائى، ومائى. ويقولون إن بعض هذه الحروف نارى. والأعداد للحروف كالأجساد للإنسان. وللحروف قوة فى باطن العلويات، ولها هوة فى باطن السفليات. وبعضهم يجعل للحروف طبائع، فبعض الحروف حار، وهى أوى ل م ع. وبعض الحروف يابسة، وهى س ق ب ج. وبعضها رطبة، وهى ه ر ش ص ط. والباردة هى ب ه د ظ ص ض.

ثم إذا كان الحرف منصوباً فحار، أو مرفوعاً فيابس، أو مجروراً فرطب، أو مجزوماً فبارد.

وللحروف أيضاً اتصالات بالبروج معقدة مما إذا ووفقت على طريقتهم تسبب عنها العداوة والبغضاء، والسعادة والشقاء. ولهم فى ذلك حساب طويل، وكتب خاصة.

الحسد: يعتقد المصريون كثيراً فى الحسد. وخلاصة هذه العقيدة أن بعض الناس عنده خاصية فى عينه، إذا نظر إلى شئ أماته أو أتلفه. ومن غريب الأمر أن رجلاً عظيماً كابن خلدون يحكى مثل هذا ويقول إنه شاهد بعض الناس إذا نظر إلى خروف أو نعجة نظرة خاصة أماتها، ثم إذا شرحت وجد قلبها قد تحنت. وقال إنه رأى فى بلاد المغرب جماعة من هذا القبيل يسمون "البعاجين".

ويعتقد المصريون أن الحسد يكون على أتمه إذا نظر الحاسد وشفع نظرتة بالشهيق. وكان من الشائع عند النساء أنه إذا نظر

رجل تلك النظرة أسرعت المرأة وقالت له: "وراك تعبان أو عقربة أو نار" فإلتفت وراءه لينظر إليه، وبذلك يذهب سحر عينه. ويداوون ذلك بأن يأخذوا قطعة من طرف ثوب الحاسد ويخروا بها المحسود، سواء كان إنساناً، أو حيواناً أو أى شئ آخر. ويزيد الاعتقاد فى الحسد إذا اشتهى ما عند المحسود، كأن كان الحاسد فقيراً والمحسود غنياً، أو عند المحسود مواش أو أموال يشتهيهها الحاسد، وكما إذا كان الحاسد ليس له ولد والمحسود كثير الولد. ويزعمون أن الحجاب يمنع العين. ولهم فى ذلك طرق. منها وضع قليل من الملح الجريش فى كيس يعلق فى عنق الأطفال، وكذلك ناب الذنب أو ناب الضبع، أو رأس هدهد عليه ريش، توضع فى قطعة من السختيان الأحمر ويخاط وأحياناً يداوون الحسد بالرقي. من ذلك رقية مشهورة وهى: "بسم الله أرقيك، من كل شئ يؤذيك. ومن كل عين حاسد. بسم الله أرقيك، والله يشفيك، من كل نفس أو عين".

ومن هذه الطرق أن يوضع قليل من الملح فوق جمر من النار، ويقف المحسود، ويجعل الجمر بين رجليه، وتتلئ الرقية المذكورة. ثم تجعل الراقية وجهها فى وجه الذى ترقيه، وتتناءب بشدة، حتى يتنأب المحسود. ويحكون أن رجلاً اشتهر بالحسد، فكان يجتمع إليه أصحابه، فإذا مرّ جمل اشتهوه، طلبوا إلى الحاسد أن يحسده، فيقع على شفا الموت، فيذبح ويؤكل.

ومن الرقى: بسم الله الرحمن الرحيم. بسم

الله عظيم الشأن شديد البرهان. ما شاء كان. حبس حابس من حجر يابس. وشهاب قابس. اللهم إني رددت عين العائن عليه، وعلى أحب الناس إليه، وفي كبده وكيلتيه، ولحمه ودمه. فارجع البصر، هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير.

وأحياناً تأتي بعض العجائز فتوقد ناراً، وترمي فيه شيئاً من "الثب" وتذكر أسماء الذين يظن أنهم الحسدة، وتأخذ دبوساً أو إبرة فتضعه في عين الصورة التي تحوّل إليها الثب، وتقول: فقأ الله عينها. وقد تأخذ قطعة من الورق وتشك فيها الدبوس مرات متعددة في كل مرة تقول: من عين فلانة، ومن عين فلانة، ثم يبخر المحسود بهذه الورقة مع الملح. والاعتقاد في هذا الحسد شائع كثير. ومن الأقوال المشهورة: "عين الحسود، فيها عود". (انظر قر).

حسن كيف: هو اسم غريب يطلقونه على نوع من السجاير وضعت فيه قطعة من الحشيش. وأحياناً يطلق على التبغ الذي يوضع في حجر الجوزة ويوضع فوقه الحشيش ثم يدخن. وكيفية استعماله أنهم يقطعون التبغ قطعاً صغيرة، ثم يأخذون قليلاً من عسل القصب في الكف، ويفركون التبغ فيه حتى يلين ويمتزج بالعسل، ويضعونها في حق من الصفيح فإذا أرادوا تدخينها أضافوا عليها قطعة من الحشيش، ثم

يضعونها جميعاً في حجر الجوزة.

حسنة وأنا سيدك: حسنة، أي صدقة. يقولونها للرجل إذا استجدى شيئاً وتكبر في استجدائه، مع أن موقف الاستجداء موقف الذل.

الحسن خي الحسين: معنى خي أخو يقال للشخصين ينتشبهان.

الحسوم: ويسمونها أيضاً الحسومات، أو أيام الحسوم. وهي السبعة الأيام أول برمها من الشهور القبطية، ويمتنع فيها الفلاحون من بذر الأرض، يزعمون أن ما يزرع في هذه الأيام يخرج عليلاً ضعيفاً لا يأتي بمحصول. ويزعمون أيضاً أن ريحاً ساماً خفيفة تهب في تلك الأيام. وفي القرآن: "سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما".

حش: حشّ البرسيم إذا قطعه من الغيط، وحش القمح أو القطن إذا قطعه وهو صغير، وعلى سبيل المجاز يقولون: "حشّ وسطه بالنبوت"، كأنه ضربه فقسم وسطه إلى قسمين كما يفعل بالحشيش.

حشكلة: يقول الرجل لرجل آخر "بلاش حشكلة" ويعنون بها التملق. وربما كان أصله فارسياً، ففيها الحشكل: الردي. والحشكل: ما تطاير من الحديد.

وخضراء كافورية بات فعلها
 بألبابنا فعل الرحيق المعتق
 إذا نفحتنا من شذاها بنفحة
 تدب لنا في كل عضو ومنطق
 غنيتُ بها عن شرب خمر معتق
 وبالذلق عن لبس الحرير المزوق
 وقوله "كافورية" ليس المراد نسبتها إلى
 كافور المشهور، وإنما نسبتها إلى بستان في
 القاهرة يقال له بستان الكافوري، نسبة إلى
 كافور الإخشيدي. وكان يزرع فيه الحشيش
 بكثرة ويستجاد. كالذي قال:
 رُبَّ ليل قطعته ونديمي
 شاهدي وهو مسمعى وسميري
 مجلسي مسجد وشربي من خضراء
 تزهر بحسن لون نضير
 قال لي صاحبي وقد فاح منها
 نشرُها مزيراً بنشر العبير
 أمن المسك؟ قلت ليست من المسك
 ولكنها من الكافور
 وقال آخر:
 قم عاطفني خضراء كافورية
 قامت مقام مدامة صهباء
 يغدو الفقير إذا تناول درهماً
 منه له تيه على الأمراء
 وقال بعضهم: "شرسكرسكر الحشيش"
 وقال المقرئ: "ما بلى الناس بأفسد من
 هذه الشجرة لأخلاقهم".
 وقال بعضهم: إذا اعتدتها وجدتها تورث
 السفالة والرذيلة.
 والفقراء يستعملونه على طرق شتى:

الحشيش (34): الحشيش كيف قديم، وربما
 نافس الخمر؛ ويسمونه في كتب الطب
 القديمة (القنّب). يقول بعضهم: "إن أول من
 استعمله الشيخ حيدر في سنة 658".
 ذلك أن الشيخ حيدر خرج يوماً وقد اشتد
 الحر وقت القائلة منفرداً بنفسه في
 الصحراء، ثم عاد وقد علا وجهه النشاط
 والسرور بخلاف ما كان يعهد من حاله.
 فإنه أخذ يحدث أصحابه ويؤانسهم. فسألوه
 عن السبب، فقال: خرجت إلى الصحراء
 وحدي، فوجدت كل شئ من النبات لا
 يتحرك إلا نباتاً له ورق، فجعلت اقطف منه
 وأكل، فحصل عندي من الارتياح ما
 شاهدتموه.
 وكان هو القنّب. وقد نصح أصحابه
 باستعماله، فاستعملوه. فاشتهر بالعراق
 ووصل إلى الشام ثم إلى مصر. وفي ذلك
 يقول بعضهم:
 دع الخمر واشرب من مدامة حيدر
 معنبرة خضراء مثل الزبرجد
 يعاطيكها طبي من الترك أعيد
 يميمس على عصن من البان أملد
 فتحسبها في كفه إذ يديرها
 وقيم عذار فوق خدّ مورّد
 وأحياناً ينسبونها إلى أهالي الهند ويقولون
 أنهم أول من استعملوها. قال الشاعر:
 فقم فانف جيش الهَمِّ واكفف يد العنا
 بهندية أمضى من البيض والسمر
 وقال فيها آخر:

الحشيش.

وقال مجرب للحشيش: "شعرت كأن جدران الكون انبسطت حولي، وصدرت منه أصوات مطربة، أزلت ما في نفسي من هم وخوف، وفتح أمامي فردوس النعيم، وخضت في بحر من البهجة والسرور، وطفح الحب على نفسي، وبعد ساعات قليلة أخذت هذه المناظر تقل، وشعرت بجوع شديد، فدخلت مطعماً أكلت فيه كل ما قدم لي من الطعام، وأحسبه أذ ما ذقته، ثم عدت إلى مخدعي ونمت نوماً عميقاً، ولم يبق من تأثير الحشيش سوى اصفرار وجهي وتعب جسمي".

وقيل في الحشيش موآل هو:

بلغت يوم بندقة في لونها خضرة

رأيت بياض عيني صار عليه حمرة

وصرت عابر وخارج بيتاً ما أدره

وأنا ما باشوفش جوه ولا بره

حط: بمعنى وضع، يقولون حط رجله على السلم، أي وضعها، وحط في عينه قطرة أي وضع. ولذلك يسمون القطرة والششم "حطوطاً" ويقولون حط السعر، أي نزل وفي اصطلاح بعض التجار: الحطيطة، وهي القدر الذي يتجاوز عنه التاجر لعميله مما اتفق عليه.

ومن الأمثال في هذه الكلمة "حط ديله في اسنانه" إذا أسرع، "ويحط على الغلبان لما يستعجب القوى" والضمير في يحط يرجع إلى القدر. ويقولون: "حط فلوسك في كمك،

فمنهم من يطبخ الورق طبخاً بليغاً، ويدعكه دعكاً جيداً باليد، حتى يتعجن، ويعمل منه أقرصاً. ومنهم من يجففه قليلاً، ثم يحمسه ويفرجه باليد، ويخلط به قليلاً من السمسم المقشور والسكر، ثم يسفه ويطيل مضغه. ومنهم - وهم الأكثر - من يدخنونه في الجوزة أو في السجاير باسم حسن كيف.

وبعض الأمراء كان يعاقب عليه بقلع الأضراس. وكان يزرع في القاهرة في أرض الطبالة، وباب اللوق، وحكر بولاق، ثم منعت الحكومة زرعه في مصر، فكان يزرع في سفوح الجبال. وهو الآن أكثر ما يجلب من لبنان وما حولها.

وقد انتشر هذا الكيف فوق فيه بعض الأغنياء وبعض الفقراء وبعض الموظفين ولما اعتاده بعض الأغنياء أقاموا له صالونات فخمة. وانتشر في مصر انتشاراً كبيراً، وتحاولوا على تهريبه، واشتهر متعاطوه بالنكتة والخيال البارع، ونسبت إليهم كثير من القصص اللطيفة، وحل المشاكل العويصة. وقال من يتعاطاه ويتعاطى الخمر معاً: "إن الحشيش يجبن والخمر تشجع" وهذا طبيعي، لأن الحشيش يخدر الأعصاب ويضعفها، والخمر تنتشط الدورة الدموية وتهيجها. وقال واحد من هؤلاء إنه إذا أراد مقابلة الحكام شرب الخمر، لأنها تدفع عنه الخوف، وإذا أراد الاتصال الجنسي استعمل الحشيش لأنه أذ.

وللحشيش استعمالات أخرى كالمعجون والمنزول، والمادة الأساسية في كل ذلك هو

يا رب إن كان حرمانى كما تعلم
من على أكون تيس بن تيس أبلم
وقال الزاجل:
يا ابن آدم قل طمعك
دى السعادة وعد سيدك
لا تقل دا بالشطارة
أو تحصلها بإيدك
إن رزقك مثل ظلك
إن مشيت مشى قبالك
من له فى الغيب شئ
لا يموت حتى يناله
حظر فطر حَقْوَلِك إيه: تعبير يعنى احدس
على ماذا أريد أن أقول.

الحفا: عدم لبس شئ فى الرجل،
والمصريون ربما كانوا أكثر الأمم حفا.
وخصوصاً الفلاحين نساءً ورجالاً. وهم من
حفاهم قد يبس جلدهم، لتعوض الطبيعة عن
النعل.
ومن قريب تأسست فى القاهرة لجنة لمنع
الحفاء، لأنها وجدته سببة، وتبرع ناس
كثيرون بمبالغ طائلة لمنع الحفاء. ولكنه لم
يدرس دراسة صالحة، فلم ينجح نجاحاً تاماً.
وربما أمكن استعماله فى المدن والقاهرة
والإسكندرية. أما فى الفلاحين حيث يعمل
الرجال طول النهار فى الغيط المسقى ماء
وفى الزرع، فلا بد من تفكير طويل لمكافحة
هذا الحفاء.

تشتري أبوك وأمك"، و"حط إيدك على
عينك، زى ما توجعك توجع غيرك" وهى
كقولهم: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك
به. "حط الفاس فى الراس"، بمعنى أنه
وضع الشئ فى مكانه. ويقولون "حط فى
الخرج" عند الاستهانة بالشئ. "وحط
ركك على عافيتك، وقول يا عينى يا
حيلى"، يقال لوجوب الاعتماد على النفس.
ويقولون: "شال الحمام، حط الحمام"، إذا
أدرك الإنسان خير ثم ذهب عنه سريعاً.
ويقولون: "حط فى بطنك بطيخة صيفى"،
أى لا تسأل ولا تهتم.

حطة يا بطة: تعبير يقوله الأطفال فى
بعض ألعابهم.

الحظ: يؤمن المصريون كثيراً بالحظ،
ويسمونه الحظ أو البخت، وأنه خير من
الكفاية؛ ومن أمثالهم المشهورة: "قيراط حظ
ولا فدان شطارة" ويقولون: "إن الحظ قد
يسوق الأرزاق لمن لا يدرك الحظ فى
الأوراق ويحرم صاحب البلاغة ولا يجد
من القوت بلاغة". ويقول الشاعر:
رزق التيوس يجيئها بسهولة
وذوو الفصاحة رزقهم مسجون
فإن كان حرمانى لأجل فصاحتى
أمنّ على من التيوس أكون
ويقول البوصيرى صاحب البردة مؤالاً:
رب الفصاحة عديم الذوق يقف أبلم
والأبلم التيس مصدر ومتعظم

حفلة التكنية: كانت تقام في بيت شيخ السادات حفلة تسمى حفلة التكنية، في ليلة 27 رمضان، وهي ليلة القدر المعروفة، يجتمع فيها كثير من الناس، ويجلس فيها سيد السادات على منصة عالية وسط هذا الجمع، وبالقرب منه كاتب أمامه سجل. فإذا أراد أحد الحاضرين أن يكنى من شيخ السادات تقدم معه نقيبان من النقباء، وتقرأ الفاتحة. وتمر برهة في سكون وصمت يتوهم فيها أن شيخ السادات يستلهم السماء، ثم يلقبه بأبى الأنوار أو أبى الوفاء أو نحو ذلك، والمسجل يسجل اسم الشخص وكنيته وتاريخه. ومن المشاع أن من تكنى كنية لا تعطى الكنية لغيره. ثم بطلت هذه العادة.

حكم قراقوش: يضربه العامة مثلاً للحكم الظالم، ولهم في ذلك حكايات كثيرة عن قراقوش هذا. وللسيوطي "الفاشوش في حُكم قراقوش" قال فيه: إنه سئل عنه سنة 899 وهو يدرس بجامع ابن طولون فألف فيه كتاباً يحتوى على عشرين ورقة.

وكان قراقوش هذا وزيراً للسلطان صلاح الدين، والمعروف عنه أنه كان عادلاً، ولكنه شديد في العدل؛ يخضع للعقل لا للعاطفة. ويظهر من سيرته أن اتهمه بالظلم، وأنه كان مصلحاً عادلاً معمرأً، ولكن الناس ظلموه، فنسبوا إليه كل حكم ظالم مستبد. ومن عادات السيوطي أن يتفخر بالسرعة لا بالتدقيق.

الحكومة المصرية⁽³⁵⁾: كانت مصر ولاية عثمانية وكانت تتحكم بباشاوات من قبل السلطان، وأحسن باشا في نظرهم هو من ورد لخزينة الدولة أموالاً كثيرة. فكان يجور على الأهالي لتحسين سمعته عند السلطان. وكان يعين إلى فترة قصيرة ثم ينقل، فكان ينتهز فرصة وجوده ليغتنى، وليحسن سمعته ويصلح حال نفسه، ولذلك كان يبغض المحكومين بالضرائب والجبايات. إلى أن خرجت مصر من الحكم العثماني وأصبح ارتباطها بها ضعيفاً.

الحفوف: اسم لعملية إزالة الشعر النابت على الوجه ونجوه، بواسطة نوع من اللبان الأسود، يسيحونه على النار ويأخذونه ساخناً، تضعه المرأة على وجهها ثم تشده بقوة، فيخرج معه الشعر من جذوره. يفعلن ذلك في وجوههن وأعناقهن، وبعضهن يزججن بواسطته حواجبهن. وهناك طريقة أخرى وهي أن يأخذن الرماد الحار ويدعكن به الوجه دعكاً شديداً، فيكون له مثل هذا التأثير. وقد يعقدن العسل الأسود أو السكر على النار، وبعد أن يعقد قليلاً يستعملنه استعمال اللبان. وهو نوع من التجميل اعتدنه بين حين وآخر، فإن المرأة لا تستلطف إذا ظهر في وجهها أو عنقها أو نحو ذلك شعر غزير.

المركون. وقد أبطل ملكية المتزمن وعوضهم عنها بريع يدفع لهم كل سنة، وبذلك زادت أمواله.

وكان هناك ضرائب على الأتيان وضرائب شخصية على الرؤوس، وكانت تجبى هذه الضرائب على العموم بشدة وبظلم، ومن اجل ذلك ورتنا نظرة الأهالى إلى الحكومة نظرة المصيد للساند. ورتنا أيضاً اعتقاد أن ما يمكن الاستيلاء عليه من مال الحكومة لا حرج فيه، لأن الحكومة قد استولت عليه ظلماً، فمن استطاع أن يفر من الضرائب، أو يأخذ قطعة أرض من أموال الحكومة فليفعل، وهكذا، كما ورتنا أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل.

وكان من أهم أعمال الحكومة القضاء أو المحاكم، وكان فى القطر المصرى عدة محاكم بدائية، بعضها للزواج والطلاق، وبعضها للجرائم، كالقتل والضرب والجرح وبعضها للعقوبات. وتعتبر سلطة المحكمة مستمدة من سلطة الوالى، فهو الذى يختار كبار القضاة ويعينهم، وهؤلاء يباشرون تعيين من دونهم. وكان السلطان يرسل قاضياً كل سنة إلى مصر، وهو رئيس السلطة القضائية على اختلاف أنواعها. ولم يكن للعدالة وزن كبير. فقد عرف عند المصريين عن القضاة أنهم يقبلون الرشوة ويحكمون بغير العدل. وحدثت جملة حوادث تدلّ على هذا، منها أن رجلاً غنياً ترك بنتاً واحدة وترك لها ستة آلاف جنيه، فأراد أحد التجار أن يشاركها فى الإرث، فأوعز لأحد

وألفت للإدارة فروع مختلفة للبحرية والزراعة والتعليم وغير ذلك. وأنشئ مجلس عام يشمل كل المجالس الخصوصية يسمى مجلس الحكومة. ومن اختصاصه النظر فى جميع الأقسام، فكان إذا عرض عليه أمر هام تدعى إليه جميع الحكام.

وقد قسم محمد على باشا مصر إلى سبع ولايات، جعل على كل ولاية منها مديراً، اثنتان فى الوجه البحرى، وأربع فى الوجه القبلى، وواحدة للقاهرة. وكل مديرية تنقسم إلى مراكز، كل مركز عليه مأمور، وفيه من يمثل الحكومة فى الزراعة، وآخر للتعليم، وثالث للصحة، وهكذا. وكل مركز ينقسم إلى قرى، وكل قرية عليها عمدة. والعمدة تحت رياسته مشايخ بلد، وشيخ بلد هو الرئيس المباشر للفلاحين، وكان على كل مأمور ومدير أن يبعثا بتقرير أسبوعى للداخلية يبينان فيه أعمالهما اليومية.

ومما جدّ على مصر فى عهد محمد على اختيار كثير من المديرين والمأمورين من المصريين، ومن الأقباط أيضاً بعد أن كانوا لا يعينون إلا من الأتراك، وجعل لكل منهم إشارات خاصة لتمييز كل واحد عن الآخر فى عمله ووظيفته.

وكان قبل عهد محمد على أكثر الأراضى ملكاً للمماليك والحكومة، والباقى للمتزمن والبعض موقوف على المساجد والجهات الخيرية. ويعرف بالرزقة.

وفى عهد محمد على غير هذا النظام وجعلت الأراضى كلها ملكاً له إلا القليل

البوابين أن يدعى أنه عاصب لها ويرث معها الميراث الشرعى، واتصل بالقضاة ورشاهم فحكموا بذلك، وكان الشيخ المهدي متغيباً عن المجلس، فلما حضر شكت إليه الوارثة، فقال لها يمكننى نقض الحكم إلا إذا وجدت فيه منفذاً، ثم اطلع على القضية فوجد المنفذ وألغى الحكم، وقضى لها بالميراث كله بحضرة الوالى، وتذمر العلماء وكبير التجار. وهكذا كان من بين المرتشيين من يسمع لضميره ويحقق العدالة ... ومن الرشوة أن يكون أحد الخصمين وجيهاً والآخر غير وجيه، فيقضى للوجيه لوجاهته لا لحقه. ومن المصائب أيضاً كانت شهادة الزور، وتوسط النساء فى الأحكام، وانتشار الرجاء، وغير ذلك. ولم تكن الأمور منظمة ومرتبطة ومحددة الاختصاص كما هى اليوم، إنما كان نظاماً بدائياً وأحكاماً بدائية.

حلب النجوم⁽³⁶⁾: عزيمة يزعمون أنها تحبب الرجل فى زوجته كالثبشبة. ومن الغريب أن هذا الاصطلاح – وهو حلب النجوم – اصطلاح قديم، استعمله أبو العلاء المعرى فى لزومياته.

حلق بلا اودان: إذا رأوا شيئاً وليس له ما يرتكز عليه قالوا حلق بلا اودان، وذلك مثل كتاب فى يد أمى، أو أولاد ولا مال لتربيتهم. ومثل ذلك كثير. ويقولون فى عكسه: اودان بلا حلقان. وذلك إذا كانت هناك وسائل وليس هناك الغاية: كمال بلا صحة، وامرأة جميلة

بلا أولاد. ونحو ذلك.

ويتحسر بعض الناس فيقولون: لما كانت اودان لم يكن لنا حلقان، فلما وجدت الحلقان لم يكن لنا اودان، كالرجل لما كان صحيحاً كان فقيراً، فلما اغتنى جاء الغنى بعد أن فقد الصحة.

الحلم: يعتقد المصريون كثيراً فى صحة الأحلام، وهناك بعض الفقهاء والعلماء قد شُهرُوا بتفسير الأحلام من عهد ابن سيرين، ولا يزال كتابه فى تفسير الأحلام مصدراً لهؤلاء العلماء والفقهاء. وبعض الأحلام مجرد هلوسة لا قيمة لها، وبعضها يصدق. وفى ذلك يقول الشاعر:

وغزاة وعدت تزور محبها

فى النوم كى تشفى بها الأسقام
فأجابها مستبشراً بوصولها

يا حبذا لو صحت الأحلام
والعامّة يعتقدون بأن النائم تطير روحه فى النوم وهى فى لون أخضر، فترى حوادث كثيرة، فإذا رجعت إلى البدن ذكرت ما رآته. وكثيراً ما يفسرون الشئ على نقيضه، فإذا رأى النائم نفسه فى ضيق دل ذلك على السّعة، وإذا رأى سعة فهو ضيق وشقاء. ويعتقدون فى ركوب الحمار فرجاً، وفى ركوب الفرس عزاً؛ وإذا أخذ شيئاً من ميت دل ذلك على طول العمر. والزواج موت، ولبس الأبيض فرح، والأسود حزن.

ويزعم بعض الناس أن أحلامهم لا تكذب. وأعرف تاجراً كبيراً خاصمه دائنوه

اصح تكون عينك غفلانه
 قلتها في غيرة الحموات
 لما رثيت منهم نكبات ...
 لما تشوف ابنها نشوان
 يقوم يعمل حالته زعلان
 تقول له أمه زعلان على إيه
 إن كان جواز قل لى عليه
 وأنا أخطب لك بنت البيه
 ست جميلة وأهل أمان
 من لطشتها تقوم وتطلب
 وتجمع العيلة وتهلل
 يدخل جوزها يقف يتأمل
 يلقي الدار بالفرح ملآنه
 يقول لها جوزها جرى إيه
 هو جنون جالك واللا إيه
 الجرسة دى أمال على إيه
 دى فضيحتنا بقت رنانة
 وبعدها ينصبوا الأفراح
 ثلاثين ليلة طوال ملاح
 والههم عنهم راح وانزاح
 وأم العريس تجرى فرحانه إلخ
 وقد اتخذت الحماة موضوعاً للتنكيث
 على الألسنة.
الحمارة: الحمارة من أحسن وسائل النقل قبل
 اختراع الأتومبيلات. وكان يركبه الناس
 كثيراً فى التنقلات، وخصوصاً النساء، فكان
 يصنع لهن بردعة خاصة مريحة ويستحضر
 لهن كراسى للصعود منها على الحمارة.
 وكان فى القاهرة لوحات زرقاء فى أنحاء
 مختلفة كتب على كل واحدة منها (موقف

ورفعوا عليه دعوى بالإفلاس، فذهب إلى
 فقيه وقرأ له سورة، فحلم أنه سيحكم للتاجر
 بالبراءة، وقد كان ذلك، وحكمت المحكمة
 برفض دعوى الإفلاس.

ولى بنت تقيم فى لندن، وهى شغوفة جداً
 بكسب الرهان، فحلمت يوماً بأن الذى
 سيكسب فرس فرنسى اسمه كذا، ولم تعلم
 من قبل ولا ورد ذلك الاسم على سمعها،
 واشتهر عند الناس أن هذا الفرس لا يقدر
 على النجاح، إذ هو فرس مغمور. ومن
 العجيب أنها وضعت بعض المال على هذا
 الفرس بعد التحذير، ثم أعلنت النتيجة فى
 الراديو فى المساء فإذا هى الفرس الرابعة.
 وكثير من هذا يرويه كل إنسان فى تجاربه
 الشخصية. وبعض الأوروبيين يفسره
 باشتغال العقل الباطن فيما يعرض للإنسان
 فى الحياة، فيجد فى المنام رموزاً تدل على
 هذه الأحداث، وإن بعض الأحلام لا تصح
 ولا يذكرها الحالم، وبعضها يتحقق، وهو
 الذى يذكره⁽³⁷⁾.

الحمارة: أم الزوج، وشهرتها فى عدائها
 لزوجة ابنها مشهورة فى الشرق والغرب.
 ومن الأمثلة المشهورة "الحمارة حمى".
 ويقصون عليها الأفاصيص الكثيرة، وقد
 قال بعض العوام فيها بعض الأذجال، من
 ذلك قول بعضهم:

إن كنت داير وابن غرام

قف واستمع واملا الأفهام

قصة ظريفة بالأحكام

ست حمير). واشتهر الحمارون بالنكت والظرف لاستعمالهم الحشيش. كما يستعمل الحمار عادة في حل السماد في الغيط ونقل المحصول، وقلّ من لم يكن عنده حمار أو حمير.

ويستعمل الحمار المصريون في السب والشتائم دليلاً على البلادة، وهو سب للحمار ظالم، لانه صبور على الشدائد. وفي هذا المعنى الجيد لقب آخر خلفاء بنى أمية بمروان الحمار، لأنه كان جلدًا صبوراً على احتمال الشدائد.

حمارتك العرجة تغنيك عن سؤال اللثيم.

حَمَام: الحمام طائر معروف، وقد كان كثيراً في الديار المصرية ولكنه قلّ اليوم. فقد كان اغلب القرى لا تخلو من أبراج تصنع مخصوصاً للحمام. فكانت ترى في القرية عشرين برجاً أو ثلاثين، وتكون الأبراج مرتفعة من سبعة أمتار إلى عشرة. تبنى أولاً مربعة بالطوب الأحمر، كل ضلع منها نحو أربعة أمتار. فإذا علوا قليلاً أبدلوا الطوب بقواديس الساقية، ويجعلونها من الفخار صفوفاً صفوفاً، ويجعلون فيها من الداخل، ويصنعون حول الصفوف من الخارج عيوناً بارزة، لكي يقف عليها الحمام، ويضعون أيضاً ألواحاً من الخشب عريضة يستريح عليها. ويأتي الحمام من البرية ويقف على تلك الأبراج أو العيدان. والقواديس تصلح لتعشيشه، فيتخذ له منها

عشاً لبييض فيه، ومتى اعتادها لا يفارقها. ولا تمضي أشهر إلا وقد كثر في البرج البيض. ومن عادة الحمام أن يبيض ويفرخ ويكون صالحاً للذبح في شهر تقريباً.

وقد يكون في البرج نحو ألف زوج، وربما ولد هذا العدد خمسمائة بيضة؛ فيكون مصدر ربح كبير للتجارة فيه، وبعضهم يعتقد أن الجان تسكن بيوت الحمام.

وهم يصفونه للضعاف الناقهين من المرض. وفي الإنجيل: "كونوا حكيماً كالحيات وبسطاء كالحمام". والحمام معروف بالحب والغزل. فإذا غاب أحد الرفيقين عن الآخر حزن عليه حزناً شديداً. وقد قالت العرب والمصريون في ذلك أشعاراً كثيرة وزجلاً كثيراً. وفي التاريخ كان لنوع من الحمام شأن كبير، وهو حمام الزاجل، لإرسال المراسلات، قبل الوابورات والطائرات. وحمامة نوح التي أرسلها لتستكشف الأرض مشهورة معروفة. فقد أرسل فقد أرسل الغراب أولاً فلم يرجع، فعرف أنه لا يصلح لهذا الغرض، فأرسل الحمام فرجعت وفي فمها ورقة زيتون.

وقد أخبر بعض الناس أنهم راقبوا الحمام فوجدوا أن الزوجين لا يخون أحدهما الآخر إلا نادراً. وحكى بعضهم أنه رأى أنثى حمام خادنت غير زوجها، فرأها الزوج بغتة فما زال ينقرهما حتى أماتهما. ثم خرج هائماً، وغاب يومين ورجع بأنثى جديدة.

ومن أمثال العامة "فلان زى الحمام، يغوى كل يوم برج"، ويضربونه للرجل

ملابسهم ويخرجوا.

وفى الحمام عادة رجل عريان مؤتزر
إزاراً يسمى "المكيس" لأنه بيده كيساً من
الجلد لا يزال يحكه على جسم المستحم،
فتتكون معه إفرازات يطردها، وذلك قبل أن
ينزل المستحم إلى المغطس. واعتادت
الآنسات قبل الزواج أن تذهبن إلى
الحمامات مع من تسمى "البلانة" فتحميهن
بعناية خاصة، وذلك قبل الليلة التى تسمى
ليلة الدخلة. وفى الحمام أحجار خفيفة هنا
وهناك يحك بها المستحم رجليه للتنظيف،
وكذلك هناك قوم وظيفتهم نتف الإبط
والشعر. ومن الأمثلة الدائرة على لسان
المصريين "حمام بلا مية" يشبهون به
الجماعة من الناس يتصايحون على غرض
لم يتحقق. وهم يعتادون أن يقول بعضهن
لبعض "حمام العافية"، يريدون أنهم يسألون
الله أن يجعله حماماً يذهب بالمرض ويسبل
الصحة.

وقد غزت فيما غزت المدينة الحديثة
الحمام، فصنع كل فى بيته حماماً له
ولعائلته، واكتفوا بالبانيو عن مغطس
السوق، وصار لكل أسرة حمامها الخاص.
وكم كنت أذهب مع أبى فى حمام حيتنا،
وكان حماماً كبيراً، بجانبه مكان يسمى
المستوقد، من وظيفته أن يسخن ماء الحمام،
ومن وظيفته أيضاً أنه يدمس قدور الفول
المدنس للحى كله، ثم يخلط الحريق ببعض
التراب، وتسمى المادة بعد ذلك
"الفصُرْمَل". ولا أدرى من أين أتت هذه

المتقلب، فإن الحمام قد يكون فى برج، ثم
يألف برجاً آخر فيطير إليه. وعدو الحمام
الثعبان. وهذا هو الذى دعا المصريين إلى
وضع القواديس ونحوها. وقد تألف الثعابين
برجاً من الأبراج، فيهرب الحمام حتى لا
يعود فى البرج شئ. والثعبان يألف أبراج
الحمام، فيشرب بيضها، ويقتل أفراسها.
ومن أجل ذلك يتعهد أصحاب الأبراج البرج
بالنظافة، وكلما كبرت الأفراس زادوا فى
نظافته وبخروه بفاسوخ، لا اعتقادهم أن
رائحته تبعد الثعابين.

الحمام: قال أبو العلاء المعرى:

يعيب أناس أن قوماً تجردوا

لحمامهم نصب العيون الشوانر

لقد سعدوا إن كان لم يجز عندهم

من الوزر إلا تركهم للمأزر ..

وقال:

أعوذ بالله من ورهاء قائلة

للزوج؛ إنى إلى الحمام احتاج

وهما فى أمور لو يتابعها

كسرى عليها يشين الملك والتاج

وهو يدل على أنه كان يرتكب فى

الحمامات فى زمانه بعض الجرائم من نوع

الخاص. ويكاد يكون فى كل حى مصرى

حمام أو حمامات، وخصصوا له بعض أيام

للرجال وبعض أيام للنساء، وكثيراً ما يذهب

الرجال إلى الحمام صباح الجمعة بعد

الجنابة للاغتسال واعتاد الرجال أن يناموا

بعد الحمام فى ردهته قبل أن يلبسوا

والكلمة، ويستعمل فى البناء مخلوطاً مع الجير والرمل. ولا أدرى لماذا كنت أكره الذهاب مع أبى إلى الحمام ... على كل حال كان الحمام مرفقاً كبيراً من مرافق الحى، يتقابل فيه الناس، ويتحدث فيه الأصحاب، وأحياناً يقضون فيه بعض معاملاتهم. وكان لكل حى حمام، ومسجد أو أكثر، وسوق وكتاب .. فسبحان مغير الأحوال.

حملة الأثقال: اشتهر المصريون بحمل الأثقال على ظهورهم وعلى أكتافهم، سواء كانت أثقالاً مادية أو معنوية، فقد يحملون فوق وزنهم. وترى مثال ذلك إذا وقفت فى محطة السكة الحديد فى القاهرة والإسكندرية، ورأيت مقدار ما يحملون. كما يدلك على ذلك أيضاً ما ذا وقفت على عمارة كبيرة تبنى ورأيتهم وخاصة الصعايدة منهم يحملون على أكتافهم الحجارة الثقيلة ومواد البناء. بل منهم من اشتهر بأنه يستطيع أن ينقل خزانة حديدية ثقيلة على ظهره. وتدرك مقدار تحمل المصريين الأثقال إذا رأيت بلاد الإنجليز مثلاً، فقد رأيتهم يستخدمون غالباً من العربات الصغيرة فى نقل العفش والأمتعة، كما يستخدمون الآلات المتنوعة فى البناء ونقل الأحجار والمؤن. وممن اشتهر بهذا أيضاً العربجية عند نقل عفش البيوت من بيت إلى مكان آخر، فلهم قدرة عجيبة على حمل الأثقال.

الحمل: لقب يطلقونه على رجل يحمل على ظهره إبريقاً كبيراً من الفخار له

الكلمة، ويستعمل فى البناء مخلوطاً مع الجير والرمل. ولا أدرى لماذا كنت أكره الذهاب مع أبى إلى الحمام ...

على كل حال كان الحمام مرفقاً كبيراً من مرافق الحى، يتقابل فيه الناس، ويتحدث فيه الأصحاب، وأحياناً يقضون فيه بعض معاملاتهم. وكان لكل حى حمام، ومسجد أو أكثر، وسوق وكتاب .. فسبحان مغير الأحوال.

حمامة بيضة بقرد جناح: بفرد جناح، أى بجناح واحد. ويقولون للأعور بفردة كريمة.

حَمْرَق: تعبير يعنى أنه غالط. وهى بمعنى (زَوْرَع).

الحمصة والكى بالنار: شاهدت فى زماننا الحمصة والكى بالنار لبعض الأمراض "فالحمصة كانت عبارة عن أن المزين يفتح فتحة فى الذراع بمقدار ما يضع الحمصة، ثم يضع الحمصة ويضع عليها ورقة من الورق المقوى، ويربطها بمنديل أو شاش، ويتركها هكذا، وهى تمتص من الجسم بعض الفضلات. وكلمما عطبت الحمصة غيرها بغيرها وهكذا". ويعتقدون أنها تشفى من الصداع ومن أمراض كثيرة. وقد رأيت أبى يستعملها فى بعض الأحيان.

وأما الكى بالنار فيمهر فيه بعض الناس، وخصوصاً بعض البدو، ويستعملونه فى بعض الأمراض كعرق النساء والروماتزم.

بزبوز، يسقى به من يشاء. وقد يمر إلى الدكاكين فيملاً لهم فلهم وقد دعا ذلك قديماً صعوبة الحصول على ماء الشرب فى الطريق مع حرارة الجو.

ومن هذا القبيل ما كنت ترى فى كثير من الشوارع رجلاً يحمل قربة لها بزبوز ويزعم معه الناس أن هذه القربة حلت فيها البركة فهى لا ينتهى ماؤها. فكلما فرغت امتلأت. وهو يلقى ماء حوله من القربة ليوهم الناس أن ما أفرغ منها كثير. ويزعمون أنه يسقى الناس من الصباح إلى المساء وهى لا تنتهى.

الحمى: الحمى معروفة وهى أنواع. وقد دلت التجارب العلماء على أنها ميكروبات مختلفة، لكل نوع من الحمى نوع منها يمكن الاستدلال عليه بالفحص. بعضها شديد وبعضها خفيف، وبعضها مميت، وبعضها لا يميت. ولكن العامة يعتقدون أنها نوع من الجن تلبس الإنسان فيمرض بها. وقد وصف المتنبى حمى الملاريا وصفاً دقيقاً لطيفاً. وقد مرضت مرة بالحمى فمنعوا عنى كل أنواع اللحم حتى مرقتة، وغيروا كل أنواع الطبخ حتى لا تصلنى رائحته، حتى ضعفت وتعبت جداً. وفى اليوم الرابع والخمسين صممت على الأكل، فقدموا لى فرختين سمينتين وطبخوا لى ملوخية وتخوفوا من أكلى. ولكن من الغريب أنى شفيت بهد هذه الأكلة تماماً. ويداوى العامة الحمى أحياناً بزبابة من ذباب الخيل، وأحياناً

يلصقونها بقطعة عجين ويلزمون المريض بأن يبلعها، وأحياناً يستعملون الخل مع النشا دهاناً، وأحياناً يلجأون إلى الأحبة ويكتبون ورقة فيها لا إله إلا الله، نارت واستنارت. إلا إله إلا الله حول الوسن دارت. إلا إله إلا الله وفى علم الله سارت. إلا إله إلا الله أذنت الحمى و غارت.. و غارت.. و غارت. وأحياناً يعلقون عظمة ميت كافر فى رقبة المريض، وأحياناً يكتبون حجاباً فيه (أ ح أ ك ك ح ع ح م م خ)، لأن هذا الميت العفريت فتذهب الحمى، وكم لهم فى ذلك ضحايا.

ومن أمثلة العرب المشهورة "الحمى أضرعتنى إليك". يعنون بذلك أن الذلة التى يسببها مرض الحمى جعلتتى أتضرع إليك وأتذلل.

حنبلى: يقال للرجل المتشدد المترمت: "حنبلى"، نسبة إلى أحمد بن حنبل. وهى نسبة خطأ، لأنهم كان يعتقدون فيه أنه متشدد عن غيره من الأئمة، كما يطلقونها على الموسوس فى الوضوء والصلاة ونحو ذلك، كالرجل الذى يقول عند الدخول فى الصلاة نا نا نا نا، نويو نويه، نويت الص، نويت الصلاة، وهكذا. ويتوضأ ثم يتوضأ ثم يتوضأ.

كالذى يقول الشاعر:

وموسوس عند الطهارة لم يزل

أبدأ على الماء الكثير مواظباً

يستصغر النهر الكبير لذقنه

ويظن دجلة ليس تكفى شارباً

حنا: لها شأن كبير عند العرب قبل الزفاف. وفي ليلة تسمى الحنا سنذكرها فيما يأتي. وبعض النساء يضعن عليها مواد تجعلها خضراء أو سوداء، ثم ينقشن بها نقوشاً مختلفة. وأحياناً قليلة يستعملها الرجال، وبعض الرجال يخضبون بها لحاهم إذا شاب الشعر، ويمزجونها بالخل لتثبت. ويضعونها على رأس المحموم لتخفف حرارته. وخضاب الحنا منتشر في الشرق من قديم، وفي ذلك يقول الشاعر:

خود كأن بنانها
في خضرة النقش المزرد
سمك من البلور في شبك

تكون من زبرجد
وروى لى بعض تلاميذ المرحوم الشيخ حسين المرصفي الأستاذ في دار العلوم أنه كان واسع الإطلاع. دخل مرة في أول السنة فصلاً، فسأل الطالب الذي أمامه عن اسمه، فقال له الحناوى. فابتدأ الكلام في الحنا وما ورد فيها، واستعمالها، حتى انتهت الحصّة. ثم سكت وقال: ذكروني في الحصّة الآتية، وما زال في الحنا أسبوعاً كاملاً؛ مما يدل على سعة الإطلاع وكثرة الاستطراد في الأدب العربي.

ومن الأغاني المشهورة عند المصريين:
الحنا يا الحنا يا قطر الندى ...
وربما كانت الأغنية قديمة ترجع إلى قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما

زفت إلى الخليفة في بغداد. وقد كانت الأغنية موجودة حتماً في عهد محمد علي، إذ سجل بعض المستشرقين نوتة لغنائها.

وزهر الحنا لطيف الرائحة يباع في الأسواق. وشجرتها تزرع في البساتين ويعتقد النساء أنه إذا أخذت جماعها، وهي الرعوس التي لم تتفتح، وغليت في الماء ثم شربت أسقطت الحمل. والله أعلم⁽³⁹⁾.

الحواشين: هي في لسان العامة من الأولياء يحوشون البلاوى عن الناس، أى يمنعونها. يدل على ذلك القصة التي أروبوها، وهي أن رجلاً من العراق جاء إلى مصر، وكان من الأولياء، وقابل ولياً من الأولياء، وسأله عن القطب المتولى خفارة مصر، فذله على جزار، فذهب إليه وطلب منه رطل لحم فأعطاه فقال: هذا لا يعجبني، فقطع له الجزار رطلاً آخر، فقال مثل الأول، وما زال كذلك حتى قطع له الخروف كله. وذلك لأنه علم أن اللحم ضار، فكان هذا الولي من الحواشين. ويقولون في بعض استغاثاتهم "حوشوا يا حواشين".

حواليه كلام كثير: تعبير يعنى كثر حوله الكلام السيئ.

حوش: هي كلمة تطلق على وسط الدار. وتطلق أيضاً على بناء يبني حوله المقابر. وتبنى فيه غرف ولوازمها حتى تمكن الإقامة فيها في المواسم والأعياد. ويطلق ثالثاً على البيت الكبير يشتمل على مساكن أرضية

كثيرة يسكنها الفقراء وأخلاقهم. ولذلك يقولون عن أدنياء الناس "حوشى" أو "حوشية". واشتهر من هذه الأحواش حوش "بردق" فى المنشية، لأن سكانه كثيرو النزاع وكثيرو الخصام، لا تمر عليه إلا وتسمع غوغاء. ولذلك إذا رأى الناس زيطة قالوا: "زى حوش بردق" ويقولون حاش بمعنى "منع" "فحاشه من الضرب" أى منعه، و"حوش" بمعنى جمع. (انظر الحواشين).

حوشوا الهوى عن فؤادى لا الهوى يجرح: هو تعبير عامى مشهور، وأحياناً يستعملون فى موضعها كلمة لاحسن فيقولون: حوش الهوى لاحسن الهوى يجرح. ومثله قولهم فى أغنية:
يا عمى يابو الحسن

حوش الحسن عنّا

لاحسن جمال الحسن

قرب يجننا

حيلة أمه: أى واحد أمه، ولذلك تكون كثيرة الحنان عليه.

خ

أحياء القاهرة لأنه محتفظ بصفته الشرقية، فهو حتى فى شكل بنائه من عقود ووكالات على الجانبين تحتها دكاكين على الصفيين، يمثّل حالة التجارة فى الشرق فى العصور الوسطى؛ وتباع فيه الساجيد العجمية والسبح الكهرمان، والصوانى النحاسية المنقوشة، أو المكتوب عليها آيات قرآنية، ونحو ذلك.

ولذلك إذا جاء السائحون فى القاهرة كان من أهم برامجهم زيارة خان الخليلي، فيشترون منه بعض السلع الشرقية تذكراً لهذه الزيارة، ويشاهدون فيه نوع التجارة فى القرون الوسطى؛ وبائعوه أجناس: منهم الأتراك والشوام والعجم وغيرهم.

خايب ونايب: الظاهر أن نايب إتباع لخايب لا للدلالة على شئ جديد، بل هو لتأكيد الخيانة.

خبطتين فى الراس توجع: تعبير يعنى قد يتحمل الراس خبطة، أما خبطتان فلا.

الختان: يولى المصريون الختان أهمية كبرى حتى لقد بلغنى أن قبيلة سودانية أرادت الدخول فى الإسلام فكتب رئيسها إلى بعض علماء الأزهر يستوضحه الإسلام، وما يفعله أفراد قبيلته لدخولهم فى الإسلام، فكتب إليه العالم الأزهرى قائمة بما يجب أن

الخاطبة: هى امرأة اعتادت أن تدخل البيوت بصفة بلانة أو دلالة، فتتعرّف إلى نساء البيت وفتياته؛ وهى توصى عادة بالبحث عن زوج للفتاة أو زوجة للفتى، فتكون صلة التعارف بينهما. وكثيراً ما تبالغ فى جمال البنت وغناها، أو تبالغ فى جمال الشاب وغناه؛ وذلك نظير جعل تقاضاه منهما بعد أن يتم الزواج. ولما تقدمت المدنية شاهدت هذا العالم فى إحدى قهاوى رمل الإسكندرية امرأة قيل لى إنها خاطبة، بوسطها من شاء من الشبان والشابات فتجمع بينهما، لنظر بعضهما إلى بعض، فإذا أعجب كلُّ الآخر تم الزواج وإلا لا.

وإذا كان السفور معتاداً أمكن نظر كل منهما إلى الآخر وتقابلهما مراراً حتى يتم الزواج أو يتم الانفصال.

وكان ينشأ فى العهد القديم من الخاطبة متاعب كثيرة، فقد يتبين أن الزوجة ليست كما وصفتها الخاطبة من جمال أو غنى، أو أن الفتى ليس كما وصفته من استقامة أو غنى، ولكن يكون ذلك بعد انتهاء العقد وتتمام الروابط؛ وكان هذا فى أيام الحجاب أشد وأعنف.

الخالق الناطق هو: عبير يعنى يشبهه شبيهاً تاماً.

خان الخليلي: إنما ذكرناه دون غيره من

يعملوه؛ فكان أولها الختان، فرفضت القبيلة أن تسلم؛ وقد كانت هذه المسألة قلة ذوق.

والختان عادة تشمل الذكور والإناث جميعاً؛ فالأطفال حلاقون يتولون ذلك، وللبنات دايات يقمن بهذه العملية. وقد يتولى الأطباء هذه العملية في بيوت الأغنياء وقد جرت عادة الأطباء أن يختنوا أولاد الأغنياء.

وربما كان المصريون أحرص الناس على الختان. وقد ثبت أن قدماء المصريين كان يختنن، وربما كان هذا هو السبب في حرص المحدثين منهم على ذلك. وقد زعموا أنه ينجي الأطفال إذا ما كبروا من الأمراض.

وقد جرت العادة أن يكون الختان في نحو السابعة من العمر، وهم يحتفلون به ويؤلفون لهذا الغرض موكباً يجتمع في الأصدقاء والمحبون، ويركبون الغلام جواداً أو عربة بعد أن يلبسوه لباساً فخماً وأمامه الموسيقى أو الطبل والمزمار؛ وقد يزينون الولد بزى الفتاة الصغيرة، ويطوفون به في الشوارع القريبة من بيتهم على هذه الحال. وتقام مأدبة كبيرة؛ والعادة أن يختن الطفل عقب هذه الحفلة.

والختان يفصل بين حياة الطفولة وحياة المراهقة. وفي هذه الأيام من حياتي، أعنى في سنة 1950 وما بعدها، نادى بعض الناس بقصر الختان على الذكور دون الإناث. وحجتهم في ذلك أن ختان البنت قد سبب انتشار عادة تعاطي الحشيش والمنزول والأفيون ونحو ذلك. وذلك بسبب أن البنت إذا اختنت ثم كبرت فختانها يقلل

من لذتها الجنسية، فيضطر الرجل إلى استعمال المخدرات التي ذكرناها لغيابه عند مضاجعتها، فنادوا بعدم ختانها حتى لا يضطر الرجل إلى مثل هذه المخدرات. ولم تلق هذه الدعوة في أول أمرها كثيراً من الاهتمام.

والمصريون يسمون الختان طهارة كأن الفتى والفتاة يتطهران بهذا العمل.

وكثير من الناس ينتهزون فرصة زواج بنت أو شاب في البيت فيختن أولاده اختصاراً لكثرة الحفلات، فيكون الموكب مكوناً عادة من عربة للعروس وعربة للطفل المراد ختانه. وبعضهم قبل الختان يزور المختن شيخاً من الأولياء كالإمام الشافعي. وعادة تجرى حفلة كبيرة في ساحة الإمام للختان العام الذي يشترك فيه عدد كبير، خصوصاً من أولاد الفقراء، وتكون هذه الحفلة العامة عادة عند فتح الخليج في النصف الثاني من أغسطس أو الأول من سبتمبر. ويعتقدون أن هذا الوقت من أنسب الأوقات، فقد خف الحر ولم يهجم الشتاء، امتلأ الجو بالرطوبة مما يساعد على التئام الجرح. وقد جرت الطبقة الكبيرة والوسطى على أن تلف القطعة التي فصلت من الولد في منديل وتضع عليها ملح حتى لا تتعفن ويربط المنديل في عنق الولد على شكل عقد حتى إذا شفى من هذه العملية رماها في النيل أو في الخليج⁽⁴⁰⁾.

الخدم: كان الخدم في الأزمنة القديمة يملأون البيوت من رجال ونساء حتى قد

والاعتقاد فيها عادة يلزم الجاهل ساء كان متديناً أو غير متدين، فإذا زال الجهل زالت، فإن كان غير متدين اعتنقها، وإن كان متدين حول العقائد إلى خرافات. فكم لهم من عقائد في رؤية الجن مبنوثة في ثنايا هذا الكتاب. فهم يظهرن أحياناً في صورة ققط أو كلاب ويحدفون الطوب من البيوت الخربة، حتى ليكاد كل شر في الدنيا منهم؛ وحتى كأن كل شئ فيه جئى أو جئية، وهم يسكنون الشوارع، وخصوصاً فى الظلام، والمقابر والآثار القديمة. وهم يحبسون فى رمضان ويطلقون فيما عداه. وإلى جانب الجن الأولياء. وكل شاذ ناقص الخلقه ولى من أولياء الله، تستجاب دعوته وتلتمس منه البركة، وكل ميت منهم له سر باتع. وقد يكون بعض هؤلاء مجانين أو مجاذيب، فهم يعللون جنونهم أو انجذابهم أو إتيانهم الأعمال الشاذة باتصالهم بالله وملائكته. والقاهرة مملوءة بالمشايخ: كالمتمولى فى باب زويلة، وسيدنا الحسين فى الأزهر، والسيد البدوى فى طنطا، والدسوقى فى دسوق، وتقام الموالد لهؤلاء الأولياء يأتون فيها بالعجائب.

ويعتقدون فى العين وأثرها، فهم يخشون منها فى كل شئ، فإذا أعجبوا بشئ قالوا ماشاء الله! اللهم صلّ على سيدنا محمد.

ويعتقدون فى البخت والقدر، وينسبون كل أفعال الخير والشر إليهما، والأحجية وأهميتها وأشكالها وألوانها، وتبركهم بحدوة الحصان، والكتابة على الدكاكين بأنها فى حماية الله، ويعتقدون أشكالاً وأواناً فى

يفوق عددهم عدد أهل البيت. وكانت توزع أعمال البيت عليهم. فلكل خادم اختصاصه. هذا يعمل القهوة وهذا يحضر الأكل، وهكذا... وكان قبل دخول أنابيب الماء فى البيوت يحضر الماء السقا، ويسمى سقا الحريم، وكانت أجورهم رخيصة. وكثيراً ما وقعت من بعضهم أحداث شائنة. وكانوا كثيراً ما يتطلعون إلى البقشيش من كل من دخل البيت من الغرباء.

فمازالت أجورهم تعلقو وعددهم ينقص، حتى صعب الحصول عليهم. وهم اليوم كالكبريت الأحمر، وقد هجر كثير البيوت الواسعة للشقق الضيقة لقلتهم، فقد أفسدهم كثيراً استخدام الأجانب لهم، لأنهم يعطونهم الأجرة الكثيرة، وخصوصاً فى أيام الحروب، ويعاملونهم معاملة الإنسان الحرّ، ولذلك كانوا يفضلون الخدمة عندهم على الخدمة فى بيوت المصريين. وكل من كان من بلد أحضر خادمه أو خادمته من بلده، ومن لم يكن من بلد، أحضرهم له طائفة تفتح دكاكين فى مصر، يسمون المخدّمين، وبعضهم يعمل أيضاً عمل ما ذكرنا فى الياسر جى. (انظر: الرقيق)

خَدْنَى فى دوكة: تعبير يعنى قابله بهولة.

خُدّه على هواه: تعبير يعنى سايسه. ومثله خده على قَدّ عقله.

الخرافات والأوهام: الحق أن المصريين يفوقون غيرهم فى الخرافات والأوهام.

أو خروجاً إلى مكان بعيد، فيملؤه من الأشياء التي يريد إهداءها لبيته: ككيزان ذرة أو شمام أو بطيخ أو نحو ذلك.

وقد اعتاد المصريون أن يغيظوا التجار الشوام الذين يحملون على أكتافهم الصابون ينادون عليه فيقولون "محمود فى الخرج" فيغتاظ البائعون من ذلك. ولا أدري ما سبب هذه الكلمة.

وقد يبالغ الأغنياء فى الخُرْج فيطرزونه بالذهب أو الفضة، ويتخذون منه آلة للزينة والزهو. وكثيراً ما يتخذ الخرج أداة من أدوات الحاج عند سفره إلى الحج، ليعود وخرجه مملوء بالهدايا، كماء زمزم وبعض التمر الجاف وبعض الهدايا الفضية، كالدبل والخواتم والسبج.

خرزة البقرة: يزعم النساء أنه توجد فى عنق بعض الأبقار أو بطونها قطعة شحم لها وصفة عجيبة وهى تسمين الهزيلات. ولذلك يرجو بعض النساء الجزارين فى البحث عنها، وهى شهيرة عندهن.

وربما كانت أسهل هضماً من المفتقة. وقد يصنع بعضهم الحلبة مطبوخة بالعسل بدل خرزة البقرة والمفتقة. ويضيفون عليها أيضاً البندق المقشور والسَّمسم، وهى أخف منهما وأصح لقلّة لخبطة الأصناف.

وطريقة أكل هذه الأشياء فى الغالب أن يؤخذ نصف الرغيف أو ربعه ويحمر، ثم توضع ملعقة أو ملعقتين من المفتقة أو خرزة البقرة أو الحلبة على ظهر الخبز، أو فى داخله، ثم يؤكلان معاً قطعة فقطعة.

الأحلام، وفى أيام السعد وأيام النحس. ويعتقدون فى النحس فى يوم السبت، والخير فى يوم الجمعة، فيقولون: يوم الجمعة يوم الفضيلة، ويتشاءمون من ساعة فيه ويقولون إنها ساعة نحس. ويذهبون إلى العرافين ليخبروهم بالماضى، ويتنبئون بالمستقبل، من ودّع، وقرأة كف، واعتماد على الزايرجا، واعتماد على الحروف وجملها، والاستخارة وأشكالها.

ومن قديم من عهد الفراعنة أتقنوا فن السحر، يستحضرون الأرواح ويستخدمون الأطفال فى المندل ويعتقدون فى التنجيم، وأن السعادة والشقاء مرتبطان بالنجوم. وتفتح الجرائد إلى اليوم فترى خصائص من ولد فى أكتوبر وفى كل شهر وفى كل أسبوع من الشهر. ويعتقدون فى الكيمياء والقدرة على قلب المعادن إلى ذهب، والخرافات حول ذلك، ودوران العَجْر على البيوت ينادون: نبين زين! والذين يستحضرون الثعابين من البيوت، والمناداة على الرُقَى فى أيام عاشوراء، والذين يحاربون بالبخارى إلخ. حتى ليكاد الإنسان يرى فى كل خطوة خرافة. وهذه كلها تزول تدريجياً مع العلم.

وبعبارة أخرى تزول مع زوال الجهل. ولذلك ترى أنه كلما أغرقت قرية من القرى فى الجهل كثرت فيها الخرافات⁽⁴¹⁾.

الخُرْج: وعاء من صوف أو قطن ذو جنبتين، يوضع على الحمار أو الحصان أو الجمل أو الكتف، ويأخذه معه من أراد سفرأ

المليجي في مليج، ولذلك ينادون عليه "خَسَّك يا مليجي" كأنه من اختصاصه، كاختصاص الإمبابي بالترمس.

خُشَّ لى قافية: تعبير يعنى سابقنى فى أن أقول شيئاً وترد علىَّ بما يناسبه.

الخشبة التى تطير: يعتقدون أن الولي إذا مات، ووضع فى خشبة الميت، وأريد أن يدفن فى مقبرة لا يرضاهما، ثقل جداً على الحاملين له حتى لا يستطيعوا السير به، وكثيراً ما شوهد ذلك فى القاهرة والأرياف. وقد شاهدت مرة ميتاً فعل به ذلك. وكلما مشى به حاملوه توقفوا، فإذا غيروا وقف الجدد أيضاً. ثم أراد الحاملون أن يضللوا الشيخ، فلفوا بالخشبة جملة لفات حتى لا يعرف الشيخ أين يتجهون، ثم ساروا بالخشبة فسارت بهم.

وقد نشر فى الجرائد منذ أيام عن تنازع بلدين على الشيخ فى أيهما يدفن، وقد فصل بينهما الشيخ الميت باتجاهه إلى مقابر أحد البلدين، وبذلك حسم النزاع.

الخصاء: هو عملية جب المذاكير، والذى كبر منهم يستخدم فى البيوت لحفظ الحريم ومراقبتهم ولا يطلع عليهن من الرجال غيرهم. وهى عادة قديمة تكلم عنها الجاحظ فى كتاب "الحيوان". ويقوم بهذه العملية فى مصر فى الأغلب مدينتا أسيوط وجرجا - يقوم بها جماعة من الأقباط. وعاصمة هذه العملية قرية قرب أسيوط تسمى زاوية

الخزام: حلقة كان يضعها نساء بعض الطبقة الدنيا وبعض الفلاحات، خصوصاً مديرية الشرقية، فى الأنف. وقد ورد الخزام فى غناء بعضهم، وهو زينة ليست بالجميلة. وعند الأغنياء يكون هذا الخزام من الذهب.

الخس: اعتاد المصريون أن يأكلوا بين الأكلات أشياء حفيفة يسمونها (شبرقة)، كاللب والحمص، ومن ذلك الخس والملانة وهى الحمص الأخضر. وقد اعتادوا أن يأكلوهما فى ليلة شم النسيم، فيحرصون على أكل البيض الملون يوم السبت الذى قبل شم النسيم، ثم الملانة والخس ليلة شم النسيم. وفيها يشمون البصل الأخضر ويعلقونه على رؤوسهم إلى الصباح. ثم يأكلون الفسيخ ظهراً، ويشترك فى ذلك المسلمون والنصارى جميعاً، فهو يوم شعبي.

وقد ترى الناس يأكلون الخس وهم يمشون فى الشوارع، أو يقزقزون الملانة أو اللب، أو يمصون القصب ويرمون قشره مما يقذر الشوارع كثيراً. وإذا نظرت إلى كناسة الشارع يوم شم النسيم رأيت عجباً من بقايا هذه الأشياء. ومما تصنعه الطبقة الوضيعة يوم شم النسيم غير أكل الخس والملانة شرب الخمر، وهم بعد شربها يتصايحون فى الشوارع، ولذلك يمتنع خيار الناس عن الخروج فى ذلك اليوم اتقاء للأضرار.

وكثيراً ما يستعملون الخس فى السلطة مع بعض البقول، وقد اشتهر بالخس سبدي

الدير. ويموت من هذه العملة نحو 25% من أثرها. ومن الخصيان من بلغ مبلغاً عظيماً كخليل أغا، وهو أغا والد الخديوى إسماعيل.

فقد كان يترأس فى الحفلات حتى على الوزراء، وقد أشرف على بناء مسجد الرفاعى وبنى له مدرسة هى التى تسمى إلى الآن مدرسة خليل أغا. وقد رفع السلطان محمود أحد أغواته إلى رتبة باشا. والخصاء هذا يميز صاحبه، فترى جسمه مترهلاً وصوته رقيقاً وعينه ذابلة. وكأنه يريد أن ينتقم مما فعل به فيكون فى العادة جباراً. ومنهم من لم يمنع جبهه عن فجوره وفساده، فيكونون أحياناً وسطاء بين سيداتهم وأحبائهن. بل أحياناً يتصلون بالنساء. ونهم من يتزوجون على هذا الوجه. وفى التاريخ أعمال كثيرة لهؤلاء الأغوات بعضها عظيم وبعضها فظيع.

الخضاب: اعتاد بعض المصريون من رجال ونساء أن يخضبوا. وقد كان الخضاب أولاً بالحناء، ثم صار يخضبون باللون الأسود بمستحضرات من الأجزاخانات، يسترون به الشيب ليدلوا على صغر سنهم أو سنهن، ومنهم من يجيد الصبغ حتى يرى أن المصبوغ طبيعى.

الخضر: يعتقد بعض الأولياء أنهم رأوا الخضر فى يقظتهم، وخاطبوه وخاطبهم، وهو عبد صالح كان مع موسى. ويزعمون أنه شرب من عين الحياة، فلم يمتم من عهد

موسى إلى اليوم، وأن الأولياء الصالحين يرونه جهاراً ويخبرهم بالمغيبات، وإذا ذكروه قالوا: عليكم السلام! إيهاماً بأنه مر عليهم وسلم عليهم⁽⁴²⁾.

خطف رجلى وجبت الشىء الفلانى: تعبير يعنى أسرع وأتيت به.

الخطوة: يقولون خطوة عزيزة، إذا غاب الزائر - الذى يدعى أنه عزيز - مدة ثم حضر. وتستعمل الخطوة بمعنى آخر: فيقال أهل الخطوة. وهم قوم يزعمون أنهم قادرون على قطع المسافة فى خطوة، فيكونون مثلاً فى لحظة فى مصر، وفى اللحظة الأخرى فى الحجاز، ولا يعوقهم بحر ولا جبل. ولهم فى ذلك حكايات غريبة، كحكايتهم عن قوم يقيمون فى بلد، ثم هم يصلون كل صلاة فى وقتها فى الحرم المكى والمدنى. ولذلك إذا كان رجل بعيد وحض فجأة قيل له: هل أنت من أهل الخطوة؟

وتستعمل بمعنى المسافة القريبة، فيقال بينك وبين المكان الفنى خطوة، أى مسافة قليلة. ومثلها فى هذا الاستعمال "فركة كعب". ويستعملونها فى الدلالة على اعتقادهم فى القضاء والقدر: فيقولون بين الخطوة والخطوة يفعل الله ما يشاء. ولا تمشيش خطوة على خطوة إلا بإذن الله.

وسموا بعض الناس أبا خطوة. ويعتقد النساء أن المرأة إذا كان عقيماً وتخطت قتيلاً زال عقمها.

ورطوبة الجو. وقد تمد منه أنابيب لهذه البيوت لتستقى منه.

وكان كثيراً الأضرار، إذ لم يتعفف بعض الناس من أن يصب فيه القاذورات أو يرمى فيه الحيوانات الميتة المتعفنة، أو ترمى فيه لحمة الختان. ولعذوبة الماء كان يسرع إليه الفساد فإذا شرب وملئت منه القلل مرض شاربها، كما أنه في أيام الفيضان كان يحمل الطمي الضار بالشرب.

ولذلك صنعت الحكومة خيراً بردمه، خصوصاً، وأنه كان أيضاً عرضة لتوليد الناموس والحشرات إذا أخذ النيل في الانحسار. وإلى الآن ترى في القاهرة شارعاً يسمى شارع الخليج، يجرى فيه الترام بعد أن كان يجرى فيه الماء.

خليك في بر خليص: كلمة يستعملونها إذا نصحو أحداً بعدم المغامرة، بالترام بر السلامة.

خليك في حالك: هي كلمة يستعملونها للأمر بالالتفات إلى نفسك، وعدم التدخل في أمور الغير، وهو مبدأ ردي في غاية الخطورة، لأن معناها عدم الاهتمام بالمجتمع، صلح أم فسد. وهذا ضد الوطنية.

خليك مع الله: يقال للرجل يطلب منه أن يلجأ إلى الله عند الشدائد، ومثله خليك على الله. أى اتكل عليه في أمورك.

الخماسين: الخماسين أيام خمسون بعد شم النسيم تهب فيها رياح شديدة من الجنوب،

خفف له السرعة شوية: السرعة أى اللجام. تعبير يعنى طول بالك عليه.

خلاها خل: وخلاها مسخة وهى كذلك بمعنى تصرف فيها تصرفاً سيئاً.

خلاها رطريت: ومثلها خلاها سداح مداح، ومثلها خلاها بطن حمار. أى تصرف فيها تصرفاً سيئاً حتى ملأها فساداً.

خلخال: حلية تلبسها المرأة فى الرجل، وقد يكون من هب، وقد يكون فضة، وقد يكون من نحاس مطلى بالذهب. والمرأة المستهتره تلبس الخخالين فى رجل واحدة، فإذا مشت كان للخلخال صوت يلفت إليها الأنظار... وقد بطل استعماله فى المدنية الحديثة.

الخلوة: كان فى بعض المساجد حجرة منعزلة يأوى إليها بعض الناس للخلوة أياماً معدودة يكثر فيها من التأمل والذكر.

وقد اعتاد بعض الصوفية أن يخصصوا أياماً للاعتكاف فيها وقضائها فى العبادة. وقد سمي بعض الصوفية لذلك ب (الخلوتى)، وهناك طريقة صوفية تسمى الخلوتية.

الخليج: كان يشق القاهرة فى العهد القريب خليج، يفتح له ما النيل عند فيضانه، ويسمى ذلك فم الخليج. وكان طويلاً تبنى على ضفتيه بيوت الأغنياء للاستمتاع بمنظره

وتكون سموماً حارة. فإذا هبت الرياح اصطبغت السماء بالحمرة قليلاً أو كثيراً، وقد تمتد حتى يتعذر التنفس على الإنسان. ويشيع المصريون أنها أبادت قوافل برمتها في الصحراء. وقبل هبوب الخماسين يخرج المصريون إلى المزارع لشم النسيم. وهم يعتقدون أنهم إذا شموا النسيم في ذلك اليوم وهو اليوم المعروف بشم النسيم، اتقوا شرور الرياح الخماسينية.

خمسة وخميسة: هي عبارة عن كف فيها خمسة أصابع، وتصنع عادة من عاج أو من فضة أو من نحاس مطلى. ويزعمون أنها تستلقت النظر فتقع عين الحسود عليها، فلا يؤدي الشيء الذي وضعت عليه، لأن عين الحسود لم تقع على الشيء إلا بعد أن تقع على الخمسة والخميسة. ويعقلونها على كل من يخشون حسده، خصوصاً إذا كان جديداً، كسيارة جديدة أو فرش جديد.

الخواجة: الخواجة في لسان المصريين هو أوروبي يلبس بدلة وبرنيطة، سواء كان رومياً أو إيطالياً أو إنجليزياً أو غير ذلك. وهو يحترم في مصر، ويخاف منه ويعتقد فيه العلم والأمانة أكثر من المواطنين، وخصوصاً في الزمن الماضي. فإذا قدم طبيب وكان خواجة اعتقد أنه طبيب أمهر من الأطباء المصريين مهما كانت شهادته وضيعة. وإذا كان تاجر يوناني ببرنيطة استطاع أن يشتري من الفلاحين قطنهم أكثر مما يستطيع التاجر المصري

خيال: يستعملونها بمعنى كفاء، ويقولون أنا خيالها، أى كفاء لها، وتقول النساء عن

التى يتأخر زواجهما: "خليها لما يجى
خيالها".

خيال الظل: (انظر: قراقوز).

د

من شربه.	دا بگاش: تعبير يعنى نصاب.
دا شغل بكش: تعبير يعنى شغل نصب، واشتقوا منه فعلاً، فقالوا بكش عليه، وقالوا منه فعلاً، فقالوا تعلق فى الشغل.	دا بيلعب بالبيضة والحجر: تعبير يعنى أنه ماهر، حتى أنه ليمنه اللعب بالبيضة والحجر من غير أن تكسر البيضة.
دا شمعة منورة: تعبير يعنى أنه عميم الخير، وكأنه شمعة مضيئة.	دا جاب السبع من ديله: تعبير يعنى ظلّ يحتال على الرجل القوى حتى طواه.
دا شئ بارد: تعبير يعنى ثقيل سمج.	دا حباله طويلة: أى أنه لا يسرع فى عمله، ومثله: ما يُسَيِّحُ دم.
دا شئ كان على الكيف: تعبير يعنى يوافق المزاج.	دا خيبة ثقيلة: تعبير يعنى نكبة كبيرة.
دال طول الليل يلالى: تعبير يعنى طول الليل يتضور من الألم.	دا خُم نوم: تعبير يعنى ينام كثيراً.
دا عزّ الحبايب: ومثله دا صديق الروح بالروح.	دا راسه مصفحة: تعبير يعنى قليل النوم.
دا كان زمان: تعبير يعنى هذا أمر كان فى القديم، وقد تغيرت الحال.	دا راجل هفية: تعبير يعنى خفيف الوزن لا يؤبه له.
دا كان لى فين وأنا فين: تعبير يعنى ما هذا الشئ الذى أتى ولم يكن منظوراً. ومثله ما كانش ع البال.	دا زى القرف: تعبير يعنى يُقرّف النفس، ويحركها للتقى.
دا كله كوم ودا كوم: تعبير يعنى هذا	دا سغر داير: تعبير يعنى أنه منتشر يكاد يكون وباء.
	دا شارب وموئن: تعبير يعنى أنه متكيف

الشيء الكثير يساوى هذا الكوم القليل.

دا لسانه ما يدخلش فى حنكه: تعبير يعنى كثير الثثرة. ومثله دا لسانه طويل.

دا مات وشيع موت: تعبير يعنى مات من زمن طويل.

دا مُحَسَّتْكَ شوية: تعبير يعنى مريض قليلاً، وأكثر ما يكون ذلك فى من اعتراه برد أو زكام.

دا مش على: تعبير يعنى أنه لا يجوز علىّ هذا اللعب.

دا مش مسعرنى: تعبير يعنى لا يقومنى تقويماً حسناً.

دا مش وش كده: تعبير يعنى لا يُظنّ به هذا الشيء.

دا معجبانى: تعبير يعنى تياه معجب بنفسه.

دا من عشمى: يقولها الرجل إذا تصرف تصرفاً غير مذوق.

دا ميه من تحت تبين: تعبير يعنى أنه خداع، كأنه ماء وضع عليه تبين فيظن أنه ييس.

دا ياكل زى الغول وينام زى القتيل والمعنى واضح.

دخيلك والنبي: تعبير يعنى حلفتك بالنبي. وأحياناً يقولون: دخيلك إن لم تعمل كذا. أى أستحلفك أن تعمله.

الدرأويش: يطلق هذا الاسم على الصوفية، وهم كثيرون فى مصر، ويُحترمون كثيراً. وأكثرهم احتراماً من كان من الأشراف أو بيت أبى بكر، ويلقب بالبكرى؛ وعمر، يلقب بالعمري. ويلقب رئيس الطائفة بشيخ السجادة؛ وتعتبر السجادة العرش الروحى. وفى مصر أربع سجاجيد كبيرة. وأشهر طوائف الدراويش هى الرفاعية نسبة للسيد أحمد الرفاعى، وعمامتهم سوداء، أو من الصوف الحالك الأزرق.

واشتهروا بالإتيان بالأعمال العجيبة: كغرز المسامير الحديدية فى أعينهم من غير أن يقاسوا ألماً، ابتلاع الجمر والزجاج، وخرق أجسامهم بالسيف، وخدمهم بالمسلات.

وأحياناً يحرقون قطعة من جذع النخل ويحشونها بخرق غمست فى الزيت والقطران، وإشعالها، ثم وضعها مشتعلة تحت الإبط.

ومن الدراويش فرقة السعدية وأعلامها، وعمائمها خضراء، واشتهروا بإمساك الثعابين السامة والعقارب بلا خوف. ويركب شيخ السعدية فى المولد النبوى والمولد الشهيرة حصاناً ويسير به على أجساد أتباعه، ويسمى هذا الموكب بالدوسة. ومن الطوائف طائفة القادرية نسبة إلى عبدالقادر الجيلانى. والأحمدية نسبة إلى

دُعْرَى: يقولون: امش دغرى، بمعنى امشى مستقيماً؛ وهى تركية أصلها طغرى.

الدَّالِة: امرأة تشتري البضائع المختلفة الخاصة بالنساء، كالمناديل وقمصان النوم والزيت والصابون والروائح العطرية ونحو ذلك. ثم تدخل بيوتاً خاصة اعتادتها، وتبيع هذه السلع بأثمان أكثر مما اشترت. وهى عادة تنقل أخبار البيوت وسرائرها باتصالها بالخدم ومعرفة أسرار البيوت منهم.

دلوقت عرف أن الله حق: تعبير يعنى اعترف بما لم يعترف به.

دماغه مش منظوم: تقال فى وصف رجل مختلّ العقل.

دماغه ورميت: تعبير يعنى أنه من ألم الكلام له دارت دماغه حتى كأنها وارمة.

دمه شربات: يصفون الدم أوصافاً كثيرة. فيقولون: دمه خفيف، ودمه ثقيل، ودمه شربات، أى لطيف. دمه زى السم، ودمه ياباى، أى ثقيل. ويقولون أيضاً فى هذا: ما ينبلعش من الزور، كناية عن الثقيل. ودمه يطرّش. وفى المدح: دمه زى ريش النعام.

الدنيا بخير: تعبير يقال عند لمعان خير فى وسط شر كبير.

الدنيا زهرهت له: أى زهت له وضحكت.

السيد أحمد البدوى. والشعراوية، نسبة إلى مؤسسها الشيخ الشعراوى. والبيومية، نسبة إلى السيد على البيومى. والبراهمة، أو البرهامية، نسبة إلى سيدى إبراهيم الدسوقى، وأعلامهم خضراء. وهم كثيرون، وقد نشروا فى البلاد الخرافات والأوهام. وكلما كان الرجل مجنوناً أو قليل العقل اعتقدت فيه الولاية⁽⁴³⁾.

الدربكة: هى نوع من الطبل يوقع عليه المغنيات نغمات خاصة بدائية، ويمتاز بذلك السودانيات. وربما أخذ من نغماتها "الجزنبد" الحديث، فهو يشبه النغمات السودانية.

دستور: يطلقون الدستور على الحجر المنحوت تبنى به البيوت. ويقال: بنى بيته بالدستور ويطلقونه أيضاً على القانون الأساسى لنظام الحكم، ويقال: هذا موافق للدستور، وهذا مخالف له. ويستعملونه ثالثاً إذا مر رجل على امرأة ليعلنها بالتحجب، فالرجل إذا طلع السلم على الحرّيم قال دستور أو يا ساتر، فتسمع المرأة ذلك فتحتجب. ويستعمل أيضاً عند زيارة الأضرحة والمشايخ، فيقول الرجل أو المرأة: دستور يا سادة، كأنه يستأذن فى الزيارة. وكذلك إذا أرادت سيدة أن تكب ماءً قدراً مثلاً فتقول دستور! تحذيراً للمارة، وكذلك احتراساً من أن الشئ يصب على الجن فيتأذون ويضرون الفاعل، فهذه الكلمة تمنع منه.

الدنيا ماشية بالمُدار: تعبير يعنى حالها مشقلب.

الدنيا مش سايعاه: تعبير يقال للرجل يتباهى ويفتخر ويتعاضم.

دود المش منه فيه: كانوا يعتقدون أن دودة المش تتكون منه وتكون فيه. ثم أثبت العلم أن الدودة لا تتكون من المش، ولكن تتكون من ذباب أو نحوه، ثم تتكاثر. وهم يقولون ذلك للشئء يكون شره منه، كأن يكون فساد العائلة من أحد أفرادها.

دودة الأنف: يزعم العوام أن فى الأنف دودة صغيرة وأن بعض الناس عندهم عزائم إذا تلوها وحكوا الأنف نزل الدود منها. وشاهدت ذلك بنفسى وجرب بالفعل معى. والغالب أن هذا الرجل دجال، وأنه سيحضر فى كمه بعض هذا الدود، ثم بحركة خفية ينزل هذا الدود من كمه على أنف الطفل، فيظن أنها نازلة من الأنف مباشرة، والله أعلم.

دورت عليه فى سلقط فى ملقط ما لقيتوش: تعبير يعنى بحث عنه فى كل مكان فلم يجده.

دور عليه من تحت الأرض: تعبير يعنى ابحت عنه فى كل مكان حتى تحضره.

دى حاجة جنان: تعبير يعنى جميلة جداً،

لدرجة أن من رآها يكاد يجن.

دى مرأة ممحونة: تعبير يعنى أنها متهتكة خليعة.

دى نغنة: تعبير يعنى شئ كثير.

الدين: إنما نتكلم عليه لأن له أثراً كبيراً وعميقاً وظاهراً فى الحياة الاجتماعية المصرية. والحق يقال إن المصريين معروفون من قدم بالتدين حتى من لم يتدين منهم يتحمس للدين إذا مس ولو مساً خفيفاً. وأكثر المصريين مسلمون، ولكن أكثرهم يعتنق الإسلام بعد أن امتلاً بأوهام من الديانات الأخرى، وبعد أن تسربت إليه عادات وتقاليده ليست منه فى الأصل. وترى الدين الإسلامى فى شتى المظاهر: فأنت إذا فتحت الراديو سمعت تلاوة القرآن والأحاديث الدينية، وإذا مررت فى الشوارع رأيت المساجد ومآذنها العالية، وإذا عشت رمضان فى مصر، رأيت الحياة البيئية تتأقلم بـرمضان. فاحتفال بالإفطار وإحسان إلى الفقراء، وسهر للسحور والمسحراتية، ومدافع الإفطار والسحور، والإمساك، وكثرة الابتهالات، وإخراج زكاة الفطر قرب العيد. وإذا حضرت موسم الحج رأيت الرغبة فيه والاحتفال به والدعوة إليه، إلى كثير من أمثال ذلك.

وإذا نظرت إلى بيوت المصريين القدماء رأيت الحریم منفصلاً عن مواضع الرجال، لما يعتقدونه فى الإسلام من الحجاب ورأيت

الناس يعملون رغبة في الجنة وخوفاً من النار. ومن ناحية أخرى ترى الاعتقاد في الجن وتأثيرهم. وفي الذكر وفي الأولياء، ولا يعملون عملاً إلا إذا قالوا إن شاء الله، ولا يخرجون من عمل حسن إلا إذا قالوا الحمد لله. ثم هم يعتقدون كثيراً في القضاء والقدر، ويؤثر ذلك في عدم التطلع لما هو آت وعدم الحزن على ما فات. ويعتقدون في البعث ويوم الحساب. وكثيراً ممن يأتون بالفضائل كالصدق والصبر والكرم والشجاعة يعتمدون فيها على الدين، ومنهم من تدين حتى ترى الدين في كل حركاته، وحتى من تربوا في المدارس الأجنبية دعاهم اختلاطهم بالنصارى إلى التمسك بالدين. فالإسلام يتغلغل في أعماق نفسه ولو لم يؤد شعائره ظاهراً. وقد ظن بعض الأخذيين بالظواهر من الأجنبي تنصير من تفرنج من المسلمين ثم خاب فآلهم. ثم هم كانوا يعاملون الأرقاء معاملة حسنة امتثالاً للدين، ويعاملون الحيوانات معاملة حسنة امتثالاً للدين، وليس الإسلام دين تبشير، ومع ذلك يدخل فيه الوثنيون أفواجاً لبساطته واعتماده على كلمتين: "إلا إله إلا الله، محمد رسول الله" ولكن لمخالطة المسلمين لأمم أخرى كالأقباط واليهود أخذوا عنهم بعض التقاليد وأعطوهم البعض الآخر، وعلى العموم يكاد الإسلام يتغلغل في الحياة المصرية إلى حد كبير. وقل أن ترى من بعضهم عملاً إلا والإسلام عنده باعته والمطالب به. وكذلك إذا تجنبوا عملاً فالإسلام هو الباعث على تجنبه والكف

عنه.

الديون عليه اتلتت: أى تكاثرت.

ذ

ذمة: وللرجل الراحل إلى الدار الآخرة: فى ذمة الله، وإذا أراد رجل أن يستحلف آخر يقول له: أذمّمك هل حصل كذا.

الذوات: كلمة تطلق على الطبقة الغنية، أصلها ذوات الحيثية، ثم اكتفى بالقسم الأول. والحيثية نسبة إلى حيث، أى حيث يكون لهم شأن. وأولادهم أولاد الذوات. وهى كلمة تدل على إباحية واستهتار وإفراط فى الخمر والنساء، وما إلى ذلك.

والحق أنه فى مصر تتميز الطبقات تميزاً كبيراً، فمنهم من يملك عشرين ألف فدان أو أكثر، ومنهم من لا يملك شيئاً. حتى جاء قانون الملكية، فحصرها فى مائتين، والناس يقدرون بعضهم بمقدار ملكيتهم. ولذلك كثيراً ما يسألون عن الرجل فيقولون عنده كام فدان، وعليه كام طين. وكانت هذه الطبقة ذات شأن كبير فى مصر، حتى كأنها فوق القانون.

فهى التى تنشئ العادات والتقاليد، وهى التى تتحكم فى الأسعار. ومن العجيب أن نسبة ذريتها تكاد تكون نسبة عكسية مع أطيانها وعقاراتها.

فالأغنياء قليلو الذرية غالباً بعكس الفقراء. كأن الترف يُقل نسله. وهم فى حياتهم الاجتماعية متميزين، يغالون فى المهر وفى النفقة، وفى العادة لا يعرفون

الذقن: تنتج بعض أشجار اللبخ شيئاً أصفر أشبه بالقطن المندوف، له رائحة خفيفة طيبة، ومن ظرف المصريين أنهم يسمونه ذقن الباشا، كأن منظره يذكرهم بالباشا العظيم الترف إذا كان له ذقن بيضاء.

وقد يتجمع الأطفال حولها للهو واللعب. ومن الأمثال المشهورة فى الذقن "واحد شايلى دقنه والتانى تعبان ليه" يضربونه مثلاً لمن يحملهما لآخر وليس له شأن به. ومن أمثالهم أيضاً "إردب ما هو لك ما تحضر كيله، تتغير دقنك ولا ينوبك إلا شيله"، وكلا المثليين يحرص على اهتمام المرء بنفسه دون تدخل فى شؤون غيره، جرياً على القاعدة السخيفة التى تبنى عليها معاملتهم، ويفسرها قولهم دائماً فى كل شئ: وأنا مالى.

ذمة: يسمى المسلمون النصارى واليهود الذين يدفعون الجزية أهل ذمة؛ أى هم فى ذمة المسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. ويقولون للرجل الفاسد: خرب الذمة، وذمته واسعة.

وأنشأ بعضهم مجلة فكاوية وسماها كلمة مشهورة وهى "السبعة وذمتها" ولا أدرى أصلها.

وكذلك يقال للرجل الفاسد: ماعدوش

تجرى على عدل، فالأغنياء فى ذروة لا يتميزون بذكاء ولا حسن تجارة ولا عمل. وإنما أغلب غناهم نشأ من إرث، أو من مساعدة المقادير، ولذلك بدأت تخف الفوارق شيئاً فشيئاً بين الأغنياء والفقراء. والناس سائرون فى كل العالم إلى ذلك.

الذوق: اشتهر القاهريون بالذوق. يظهر ذلك فى نكتهم، وأناقة ملبسهم، وطرق حديثهم. (انظر: ابن ذوق)

كيف يحسنون تربية أولادهم. فالاعتماد على التربية على أبناء الفقراء وأبناء الطبقة الوسطى.

وأعرف صديقاً لى كان ابنه وابن حاجبه فى كلية الحقوق، فكان ابنه يرسب فى الامتحان وابن حاجبه يكون الأول عليه. والطبقة الوسطى عادة تقلدهم، وتشرئب إليهم، وتتشبه بهم. ولذلك تتكون العادات من أعلى إلى أسفل. وقد شهروا بالفخفة وحب السيطرة، وكانوا أشبه بأصحاب الإقطاعيات. والفلاحون عندهم كأنهم عبيد مملوكون كالأرض.

وقد ساعد على ذلك ما كان فى مصر من قلة الضرائب، فكان أكثر المحصول يذهب إليهم أو إلى جيوبهم، وأقله يذهب إلى الفلاحين. ولذلك يقولون لمن تكبر وتجبر "عامل ابن ذوات". وهناك شوارع فى القاهرة كأنها وقف عليهم لا يستطيع سكتها غيرهم. ومصلحة التنظيم تعاملهم أيضاً فى الكنس والرش والنور معاملة ممتازة.

وهم عادة مع غناهم يشتررون السلعة بأقل مما يشترىها الفقير، لأنهم يشتررون كل شئ فى إبانته، ويختزنونه على مدى السنة، من سمن وبصل وغير ذلك.

وهم لم يحسنوا أثناء الحرب بالحرب، فرزقهم واسع وهم فوق التّموين وقوانينه، وقد زال كل ذلك فى العهد الجديد.

ومنهم تنبع الأمثال الدالة على احتقار المال، لأنهم لا يتعبون فى تحصيله. ومن غناهم وفقير غيرهم تكوّنت الاشتراكية، إذ رأى الاشتراكيون أن الحالة فى الأمة لا



الحمراء والخضراء للدلالة على الفرح، تمييزاً له عن الميت. وإذا لم يقيموا صواناً علقوا رايتين كبيرتين على باب البيت للدلالة عليه. ويستعملونها أيضاً فى الموالد. وإذا كانت عصاها كبيرة سميت ببيرقاً.

وعندهم عقيدة أن هناك ببيرقاً يسمى ببيرق النبى، يستخرجونه إذا جد الجد، وحزب الأمر. وفى هذه الحالة يحمله عظيم وينشره، فيلنف حوله الناس، كما فعل السيد عمر مكرم فى حرب المصريين مع الفرنسيين. وكانوا يعتقدون أنه عند السلطان عبدالحميد ببيرق نبوى إذا نشره وجب على كل مسلم الخروج للجهاد.

الرّبط: الرّبط عمل سحرى يعمله الشيخ ويتلو عليه عزائم، يزعم الناس أنه يعوق الرجل عن الإتيان بالأعمال الجنسية، ولذلك يلجأ المربوط إلى هذا الشيخ أو شيخ آخر، يحل هذا الربط، فإذا حل الربط عاد الرجل إلى طبيعته الأولى⁽⁴⁴⁾. ويكثر ذلك فى القرى. ويسمى المصريون الحكام القابضين على زمام الأمور: أهل الربط والحلّ، وأحياناً أهل الحل والعقد. ويسمون الأولياء الذين يتولون حكم الأقاليم فى زعمهم أهل الحل والربط أيضاً.

ربنا ياخذ: تعبير يعنى يميته. ومن الحكايات المشهورة أن أميراً طلب من وزيره أن يحضر

الراجل زى الحمامة، إذا ريّشت طارت: تعبير تقوله المرأة للمرأة تحثها على تفكير زوجها، وتحمله المسئوليات الكثيرة، وتخليفه الأولاد الكثيرة، خوفاً من أن الزوج يستريح ويغتنى، فيتزوج غيرها.

راح سبعة اسباتى: تعبير يعنى ذهب هباء.

راحت السكره وجات الفكرة: تعبير يقولونه إذا ذهب وقت اللهو، وجاء وقت الحساب.

راح فى شربة مية: تعبير يعنى ذهب بأفقه الأسباب. ومثله قولهم: غرق فى شبر مية.

راح له لون وجاله لون ثانى: تعبير يعنى كلمته كلاماً شديداً فاحمر وجهه، فذهب لونه الطبيعى، وجاءت حمرة الخجل.

راح يجيب عاليه واطيه: تعبير يعنى سيجعله رأساً على عقب.

راسه راس منسر: المنسر جماعة اللصوص، وهم دائماً متيقظون شديداً المراقبة لما يجرى حولهم، تقال للشخص إذا كان متيقظاً سريع الانتباه قليل النوم.

الراية: يكترون من استعمال الرايات

له قريباً لله، أى من أقربائه. فلم يستطع الوزير، وذهب إلى قهوة الحشاشين، وهو منكود حزين، فسأله أحدهم: لماذا أنت حزين، قال: إن الملك طلب منى أن أحضر له قريباً لله، فلم أستطع، فقال الحشاش: خذنى إليه، قال الوزير: أتعرف العاقبة؟ قال نعم، بس خذنى إليه، فذهب به إلى الملك، فقال له: أتعرف قريباً لله؟ فقال: أنا، قال: كيف ذلك؟ قال: كان فيه راجل له بنتين، ربنا خد واحدة، وأنا اتجوزت الثانية، كأنه بذلك صار عديلاً لله. وهكذا تروى عن الحشاشين مثل هذه الحكايات فى حل المشاكل العويصة.

ربنا يقصر ليلته بالعافية: تعبير يعنى من العادة أن المرض يطيل الليل، فالدعاء بقصر الليل، معناه العافية.

الرتب: هى الألقاب التى يعطيها الخديوى أو نحوه لمن أراد أن ينعم عليه، من بيبك درجة ثانية وبيك درجة أولى، وباشا. ومثل الرتب العسكرية كالصاغ واللواء والفريق ونحو ذلك. وقد كانت هذه الرتب مستعملة فى عهد إسماعيل وتوفيق، ولكن رتبة "الأفندى" كانت أعظم مما هى اليوم. ولذلك كان النساء إذا عظم سيدة قلن إنها الست أم الأفندى، لا يقلن أم البيه ولا الباشا.

وفى عهد الخديوى عباس أصبحت الرتب فوضى، ولها سماسرة يقبضون شيئاً لأنفسهم وشيئاً لغيرهم، وحدد تقريباً سعر لكل رتبة يدفعه الطالب، فلرتبة بيبك من الدرجة الثالثة 250 جنيهاً، والثانية مع لقب بيبك 300 جنيهاً

مصرياً، وذلك أيام كان الجنيه جنيهاً، حتى ضج الناس من ذلك. وألغتها أمريكا، ولم يبق لها شأن إلا فى مصر وشرق الأردن. وخاصم الإنجليز الخديوى فى شأنها، خصوصاً بعد أن أراد الخديوى الإنعام برتبة على موظف فى ديوان الأشغال كان قد رقت للاختلاس. وتدخل اللورد كرومر فى الأمر، وكلف بطرس باشا غالى إلغاء الرتبة، فألغيت بعد أن نشرت فى الوقائع المصرية، بدعوى أنه حدث خطأ فى الاسم، وهكذا من الفضائح. وقد ألغت العراق والشام هذه الألقاب، بعد أن ألغاهما المغرب وألغتها أمريكا. واليوم نحمد الله على إلغائها فقد كانت سبباً من أسباب الفساد وتمييز الطبقات. وللصوفية رتب بتشبه رتبة المدنية، فالمرید والشيخ والمتولى والقطب والغوث... إلخ ولكل اختصاصه.

رجع قفاه يقمر عيش: تعبير يعنى رجح خجولاً لم ينجح فى مهمته.

رجله اتلوت: تعبير يعنى أنها التوت.

رحنا وجينا بالسلامة: يعنى بها السيدات كثيراً.

رد البدع: تعبير يعنى أنه مصدر لأشياء كثيرة عجيبة. ومثله قولهم بخ حشيش، يقولونها للولد أو البنت إذا كانت من نسل حشاشين، يعمل عملهم.

رضا الوالدين: يعتقد المصريون اعتقاداً

البلدى فهو رقص نساء و حدهن، أو رجال و حدهم.

واشتهر بين المصريين رقص العوالم، و رقص الغوازي، و رقص المحترفات. وهو على العموم رقص فظيع لما تثيره حركات المرأة من الشهوة. والمصريون إذا نظروا إلى هذا الرقص لا يخلجون منه ولا يستحيون. ويعدون من وسائل الفرحة والابتهاج. وهو منتشر في البيوت، فيتعلم بعض الفتيات من النساء الرقص، ثم يرقصن و حدهن مع صواحبهن من غير أن يكون معهن زوج أو أب أو أخ. ثم هؤلاء العوالم أو الغوازي لا يجدن الرقص إلا مع توقيع موسيقى، لأنه يضبط حركتهن؛ فالعوالم وأمثالهن يرقصن، والرجال أو النساء خلفهن أو جانبهن يوقعون على الآلات الموسيقية لهن، فإذا كانت الحفلة حفلة نساء فقط، وقع بعض النساء على طبلية أو دربكة أو نحو ذلك. ومن حين لآخر توزع على العوالم والموسيقيين أقذاح الخمر وكثير منهم يسرفن في الشرب فيقعن مغمى عليهن. وكثير منهم فتيات جميلات، يستهوين النظر خصوصاً برقصهن، وفي المحلات العامة بعد أن يرقصن يجلسن مع الرجال، أو على حجورهم و يناغشنهم، و يبلغ بعضهن بالرقص إلى أنواع الفجور، وهن يلبسن ألبسة خاصة، كثيراً ما تحلى بالترتر ليلمع في ضوء الليل. وتتميز ملابسهن بأنها تظهر جسم المرأة على حقيقته، وهن في العادة يحتفظن بثبات السيقان، وتحريك الوسط والأرداف، وأحياناً يحركن أذرعتهن على

جازماً أن من أهم أسباب سعادة الإنسان موت والديه وهما راضيان عنه، فإذا لم يرضيا أو رضى أحدهما ولم يرض الآخر، كان ذلك سبباً للشقاء. ولذلك إذا رأوا رجلاً موفقاً في الحياة ناجحاً قالوا: "يستاهل، أبوه وأمه داعيين له"، وإذا رأوا فاشلاً في الحياة شقيماً قالوا: "أبوه وأمه غضبانين عليه". ولهم في ذلك أمثال كثيرة.

وقريب من هذا ما يعتقدون أن ما تفعله المرأة مع حماتها تفعله زوجة ابنتها معها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع. ويحكون أيضاً على ذلك القصص الكثيرة التي لقيت فيها الحماة الجديدة ما فعلته مع حماتها.

وقريب من هذا أيضاً ما يعتقدون من أن الرجل أو المرأة إذا ارتكبت جريمة ارتكبت معه مثلها. ومن ذلك قولهم: "القاتل يقتل ولو بعد حين" واعتقادهم أن من زنا بامرأة زنى بامرأته، ومن غازل امرأة غوزل بامرأته وهكذا.. وهو اعتقاد قديم كالقصة التي روتها ألف ليلة وليلة: "دقة دقة، ولو زدنا لزد السقة".

الرقص: للمصريين نوع من الرقص يخالف الإفرنجي، والرقص المصري أكثر تحريكاً للشهوة. وربما شابهه بعض الشيء الرقص الأسباني، لأنه ربما أخذوه عن العرب، ويسمونه أيضاً الرقص البلدي، وقد أخذ المصريون نوعاً من الرقص الإفرنجي وأحلوه في مدارس البنات وسموه بالرقص التوقيعي. ويتميز الرقص الإفرنجي أيضاً بأنه رقص نساء مع رجال، أما الرقص

وبتغير الزمان نظر إلى الرقصات نظرة لا بأس بها، على أن رقصهن فن جميل، وأخذ الرقص البلدى ينكمش شيئاً فشيئاً ليحلّ محله الرقص الإفرنجى على الجاز بند.

رُقِيَّة: الرُقِيَّة تعويذة يستعاذ بها من الشر وقد تكون الرُقِيَّة من عين حاسدة، ولهم فى ذلك طرق كثيرة؛ من ذلك أن تؤخذ قطعة من طرف ثوب صاحب العين وتحرق فى النار، وتُتلى عليها التعويذة.

ومن الرقى المستعملة كلمات تقال بعد وضع قليل من الملح فى كيس صغير ويعلق فى رقبة الأطفال. وهناك رقية خاصة تقال فى أيام عاشوراء، وهى فى العشرة الأولى من المحرم، فتعدد الأشياء التى فى البيت، وتضاف إليها التعويذة، حتى لا تحسد. وهناك رقيات كثيرة لا داعى للإطالة بذكرها ومن ذلك تسميتهم "رُقِيَّة"، وهى تصغير رقية.

الرقيق: كان الرقيق منتشراً فى مصر، وكان أنواعاً، منه ما هو أسود وهو أقل قيمة، ومنه ما هو أبيض، وكان يستعمل فى الطبقات الراقية. واذكر أن والدى كان قد اشترى جارية سوداء بـ (خمسة ونتو) ولكن لم تطق والدتى بقاءها لغيرتها، فاضطر والدى أن يبيعها.

وكان قصر عابدين فى عهد الخديوى إسماعيل مملوءاً بالجوارى البيض، لكل زوجة من زوجاته عدد كبير من هؤلاء

شكل دائرة. وهناك نوع من الرقص يسمى "رقصة النحلة"، فتزعم الراقصة أن هناك نحلة حلت فى ملابسها، وتتحرك حركات كأنها باحثة عن النحلة، وهى ليست إلا فى مخيلتها، فإذا لم تجدها خلعت ملابسها شيئاً فشيئاً بدعوى أنها تبحث عن النحلة، حتى تتعري تماماً ولا يسترها إلا ستار بسيط، والنساء حولها يصفقن ويقلن: النحل يا هو ... ومن الرقص رقصة تسمى رقصة الصلاة، فتبدأ كبيرة الراقصات بأن تقول الصلوات وتزعم الراقصة أنها تصلى، وتتشبه بالمصلين والمصليات، وهى إذ ترقص تقول: بصلى بصلى، صبح بصلى، ظهر بصلى، عصر بصلى، والنبي بصلى، يا خويه بصلى .. إلى أن تنتهى الرقصة.

ومن المناظر الشائعة التى يحرص بعض الأجانِب السائحين على رؤيتها منظر هذا الرقص البلدى، حتى أحياناً تجد الراقصة المشهورة ربحها الكثير فى أن تسافر إلى أوروبا وأمريكا لعرض مناظر الرقص البلدى.

والمحترفات من العوالم والغوازي يجلبن فى العادة ثروات كبيرة من النقوظ ومن الأجور. وفى عهد محمد على كانت الغوازي يرقصن فى الشوارع فيثيرن شهوات المارة، فصدر أمر بمنعهن من الرقص فى الشوارع فحباً فى الرقص كان يرقص بدلهن الخولات، وهم طائفة من الرجال فقدوا رجولتهم وتأنثوا فى كلامهم وحركاتهم، فكانت البلوى أفضع، والمنظر أسمى.

هذا الخبر وهو يصراً حتى يُست منه ودعت الأغا فأخذها وذهب بها إلى السراى. فغضب الخديوى واستدعاه. وما زال يلح عليه فى قوله الحقيقة حتى قالها. فضحك الخديوى وأعجب بذكائه، واختار له جارية أخرى شابة من شباب القصر جميلة.

وكان فى القاهرة أسواق كثيرة لبيع الرقيق بنوعيه، من أشهرها دار قريبة من باب الخلق يشرف على كل بيت منها نخاس وله مساعدون؛ والمشتري للجارية له الحق فى تقليبها كما يشاء، حتى فى كشف عورة الأنثى، وبعضهم كانوا يضعون الجارية فى طشت مملوء ماء ليعلموا إن كان جسمها يمتص الماء أم لا. ولكن الحق يقال كانت معاملة الملاك للرقيق معاملة حسنة، فكانوا يعتبرون كأحد أفراد البيت. وهنّ من جانبهن كن يخلصن لأسيادهن، ولكن لا ننسى أنهن كن أحياناً سبباً لشقاء البيت، فقد كان مباحاً للرجل طبقاً للشريعة الإسلامية أن يتصل بجاريته، وكان هذا مثاراً للزوجة الحرة، وكثيراً ما ينسل من الحرّة ومن الجوارى فيكون العداء بين الأولاد، وبذلك يكون البيت شعله من نار.

وأخيراً ابطل الإنجليز عادة الاسترقاق وحرروا العبيد والإماء وقاوموا الرق بعنف، حتى أنهم انتقموا من شريف باشا انتقاماً شديداً، وقادوه إلى المحاكمة بسبب شرائه لبعض الجوارى بعد صدور القانون بإلغاء الرقيق، أهانوه إهانات كبيرة ظاهرها أنهم يحافظون على الحرية، وباطنها أنهم يشفون غليلهم من موقفه السياسى الذى كان

الجوارى، ولهن ألقاب وأعمال، فطائفة منهن كانت تسمى القلفاوت، ومنهن من وظيفتهن تنظيف البيت أو تدبيره، أو تقديم القهوة عند غياب الخصيان ونحو ذلك. وكانت السراى ترسل إلى استامبول من يختار هذه الجوارى.

وفى آخر عهد إسماعيل وزعت الجوارى التى فى السراى على كبار الموظفين والأغنياء. وكان الخديوى يمنح كل جارية تتزوج مقداراً من المال تتجهز به فى حدود خمسمائة جنيه ذهباً. وبعض النسل من البيوتات الكبيرة اليوم من هؤلاء الجوارى، وفيهن فى الغالب العنجهية التركية والأرستقراطية التى عهدناها.

وكانت هذه الجوارى الشركسيات مستبدات بأزواجهن، لا يرضين حتى يخضعنهم لأوامرهن. وقد حدثت حوادث طلاق من هذا القبيل بسبب استبدادهن، وكان أزواجهن يلاقون عذاباً شديداً بسبب طلاقهن. وأعرف حادثة غريبة فى هذا الباب، وهى أن شابة جميلة من امرأة شركسية من هذا القبيل، وكان يحضرها فى العادة إلى بيت الزوج أغا من أغوات السراى فلما كشف وجهها وجدها عجوزاً شمطاء شوهاء مسلولة، فخطر له فى الحال خاطر غريب، وقبّل يدها بدل أن يقبلها، وجلس أمامها باحترام، فاندثت وسألته عن السبب، فقال إن أبى كان تركياً، وقد وصف لى عمّة تركية وصفاً دقيقاً ينطبق عليك، ولذلك احترمك كعمتى. فقالت إنه ليس لى أخ، ولكنه أصرّ، ومازالت تكذب

العجائز قطعة من الخشب ينفذ عليها الكتان، وكان يعهد بها إلى النساء، فكن يجتمعن حول الركة هذه للقيام بما فرضه عليهن أزواجهن أو أسيادهن، وكل امرأة تصف وصفة نجحت في الشفاء. ومن ثم سمي الطب المستند على وصفات العجائز "طب الركة" وقد ألف فيه بعض الكتب.

رمضان عشرات عشرات: عشرة مرق، وعشرة خلق، وعشرة خلق. أى أنهم يعتنون فى العشرة الأولى بالأكل، وفى العشرة الثانية بعمل الكحك، وفى العشرة الثالثة بتحضير ثياب العيد.

الرهن: ينتشر بين الفلاحين الرهن، وقد اعتادوا أن يرهنوا أرضهم، فيضع المرتهن يده على الأرض ويستغلها. ومنه النوع الذى يسمى بيع الوفاء، فإذا مضت المدة المعينة ولم يدفع الراهن ما عليه ملكه المرتهن. وقد يكون الرهن على نصف الثمن أو أقل من ذلك. فتضيق الأرض على صاحبها. وكان فى القاهرة دكاكين كثيرة أكثرها للأرمن مملوءة نحاس مرهون أو صيغة، أو نحو ذلك.

روح بأه لحالك: تعبير يعنى أى شئ لك عندى.

روضة المدارس: ربما كانت روضة المدارس أولى المجالات الرسمية. فقد أنشأتها وزارة المعارف، واستكثبت فيها كثيراً من الكتاب. وكانت عنايتها كبيرة

بناهض به سياسة رياض باشا. فقد كان رياض باشا يتهم بممالة الإنجليز، أما شريف باشا فكان لا يمالئهم ويطالب بالدستور ونحو ذلك.

فكانت هذه الحادثة فرصة للانتقام منه .. ومع هذا فقد خوِّفت كبار المصريين ومتوسطيهم من امتلاك الرقيق.

ويسمى المصريون تجار البيض "الياسرجى" وتجار السود "الجلابين"؛ وفى بعض الأحيان كان الياسرجى هذا يعمل عمل القوادين، فيختار أجمل الفتيات لفاسدى الأخلاق من الأغنياء، ويرسلهن إليهم بدعوى أنهم يرونهن ليشتروهن، وبعد أيام يردونهن بدعوى أنهم لم يعجبين. ويقوم بهذا العمل فى العصور الحديثة بعض المخدمين.

الرك: يقولون فى كلامهم "الرك على الدواق" أى إن ما أنادى عليه حلو، فإذا شككت فى حلاوته كان الحكم بيننا الذوق. وأكثر ما يستعمل فى النداء على الجميز. ويقولون: "الرك فى هذه المسألة على فلان"، أى أن فلاناً فيها ذو أهمية كبرى فهو الذى يستطيع أن ينجحها أو يفشلها.. ولا نعرف أصله اللغوى. ويقولون: "حطيت رگى عليه" أى وضعت كل أمنيته عليه. و"فلان عليه الرك" أى واقعة عليه المسئولية!!

ركبها ميت عفريت: تعبير يعنى أنها غضبى.

الركة: يزعم بعضهم أن الركة فى لسان

ببابين سمجا اليوم، وهما الألباز، والتوارىخ فى آخر شطر من القصائى. ومن أحسن ما فىها أنه كانت تقال فى إحدى القاعات بعض محاضرات قيمة فى شتى العلوم، ثم تنشر هذه المحاضرات فى المجله. وكان تختار فى كل حىن وأخر كتاباً حدىثاً تنشر منه ملزمة كل أسبوع لتجمع هذه الملازم فىما بعد فى كتبا مستقل. وكان يرأس تحريرها فى بعض أوقاتها على فهى رفاعه. وقد خدمت مجلة روضة المدارس العلوم والفنون عهداً طويلاً، قبل أن تعرف مصر المجلات الحدىثة. وهى تدل على الحركة العلمىة والأدىبىة فى ذلك العصر.

رىقه نشف: تعبىر يعنى أنه ألح فى الطلب ولم ىنجح.

ز

زاد به الحدّ: تعبير يعنى طغى عليه الأمر.

الزار: تسمى شبيخة الزار الكدية؛ فتقوم الكدية وتضع كرسيّاً فى وسط المجلس وتجلس عليه صاحبة المنزل الذى أقيم لها الزار، وتحض فرختين وديكاً، وتربط أرجلهما، ثم تضع الديك على رأسها والفرختين على أكتافها، ثم تتلو قراءات معهودة، وتنشد أناشيد والفراخ تقابل نشيدهن بالزعيق، وجميع الحاضرين يقلن "دستور يا أسيادى مدد يا أهل الله يا أسيادى"، والكدية وأعوانها يضربن بالدف وينشدن الأناشيد على نغمات مختلفة، ثم يقربن من صاحبة المنزل ويسرعن فى الدق وصاحبة المنزل هذه تركع أمام الضاربات، ثم تجئ إحداهن معها ملابس الأسياد، وهى عباءة مزركشة بالقصب وطربوش مكلل باللؤلؤ، وسيف وخنجر ملبسان بالفضة، فتتقلد السيف وتمسك الخنجر بيدها، وتقف متمائلة أمام ذلك الجمع، والآلات تضربن والأناشيد تنشد؛ ثم تقف صاحبة المنزل وتقول: السلام عليكم، فيقال بها أهلاً وسهلاً، من أنت؟ تقول هى: أنا الشيخ عبد السلام، مثلاً، فتضرب حين ذلك على الدف نغمات تسمى الشيخ عبد السلام، فتـرقص صـاحبة

المنزل رقصاً عجيباً يناسب الشيخ عبد السلام؛ حتى إذا فرغ الدور قامت الكدية، وكبست صاحبة المنزل، فينصرف الشيخ عبد السلام إلى حاله، ثم تدعى صاحبة المنزل أنه قد لبستها زوجة الشيخ عبد السلام، فتقول بصوت رفيع: السلام عليكم يا ستات! فيحضرن لها ملابس نسائية تناسب زوجة الشيخ عبد السلام، كل بدلة من الحرير، ولها لون خاص، وخواتم وخلاخيل وأساور، ثم يضربن لها الضربات التى تناسب الشيخ عبد السلام؛ وكل ذلك وهم فى وهم. ولنذكر الآن بعض الأناشيد المستعملة فى الزار:

(1) فاتحة الحفلة والصلاة عليه، صلوا

عليه، النبى العربى، صلوا عليه...

ماما الهدى، أه يا ماما، بدر التمام يا محمد نصبوا الكراسى لماما، برّ السماح لماما، برّ الهدى يا ماما، صاحب العوايد ماما، صاحب الدبايح ماما، نصبوا الميدان يا ماما، أه يا زهر الورد يا ماما... إلخ.

(2) سلام على أم غلام، يا مرحبة يا أم

غلام، سلام على أم غلام، يا مرحبة يا أم غلام، ردو السلام على أم غلام، يا بنت ماما يا أم غلام؛ يا أم الغلام والعفو منك، يا أم الغلام بينى برهانك، يا أم الغلام واشفى عيانك، يا أم الغلام والطبل طبلك، يا أم الغلام والليله ليلتك⁽⁴⁵⁾.

الزّائرة: يستعينون بها على عمل التنجيم،

خفيفة الروح خفيفة الوزن. واشتهر منهم فى الأيام الأخيرة الشيخ النجار، والشيخ القوصى، وعبدالله نديم، وحسن الآلاتى، وإمام العبد، وغيرهم. ولطائفة من العوام وهم المسمون "بالأدبائية" أزجال لطيفة يسألون بها الناس؛ ويقولون بعضها ارتجالاً. ولعبدالله نديم قصة مشهورة فى مولد السيد أحمد البدوى، إذ جاءه بعض الأدبائية هؤلاء، فإزجالهم بالزجل حتى غلبهم كما تقدم، ولا نطيل فى ذكر أمثلة منها، فله كتب معروفة⁽⁴⁶⁾.

الزراعة: الزراعة هى الحرفة الأولى للمصريين من قديم الزمان، وأما ما عدا ذلك من تجارة وصناعة فثانوية بالنسبة لهم. وإذا كان القيام بالزراعة قديماً أتقنها الفلاحون على مر الأيام، فهم يتقنون الزراعة ولوازمها. ويساعدهم فى ذلك جودة الأرض وسهولة زرعها، ولكنهم مع الأسف يلتزمون الزراعة على الأنماط القديمة، من غير أن يدخل العلم الحديث تحسناً كبيراً؛ فالآلات الزراعية لا تزال هى الساقية والشادوف، ولا يزال فى ريهم وحرثهم ودرسهم وبزهرهم يسيرون على النمط القديم. ولم تدخل الآلات الزراعية الحديثة إلا فى أطيان الأمراء والأغنياء، والمنتظر أن تعم هذه الآلات.

والفقراء عادة يعتمدون على النيل فى الرى، ولكن هذا لا يكفى إلا الزراعة النيلية، فاتجهوا أخيراً إلى الآبار

وهى جدول ينسب إلى إدريس. ويقسم الجدول إلى مائة خانة صغيرة فى كل منها حرف ويتلو من يستشير الجدول الفاتحة وآية: وعند مفاتيح الغيب لا يعلمها إلخ.. ويضع بعد أن يغمض عينيه إصبعه على الجدول فيقع على حرف، فيقيده ويدون الحرف الخامس بعده، والحرف السادس بعد الحرف الثانى له؛ وهكذا حتى يكون جملة يقرأها لتبين الطالع.. ولهم فيها تعاليم كثيرة لا حاجة لذكرها.

الزبرجد: الزبرجد حجر من الأحجار الكريمة أحمر، أكثر ما يستخرج من جزيرة بالبحر الأحمر تسمى جزيرة الزبرجد وقد كان الزبرجد يرق من الجبل، حتى تعاقد جماعة فى سنة 905 من بينهم عبدالرحمن بك كامى من أعيان السويس. ومسيو مكسيوس، على أن يستخرج الطرف الأول الزبرجد ويرسل للأخير لبيعه فى جنيف، على أن يأخذ ثلاثين فى المائة من الأرباح الصافية، وعلى أن يتعهد الطرف الثانى بأن يفحص المناجم، ويتصرف فيها بما يراه ملائماً، ويتولى بنفسه طلب امتياز استخراج هذا المعدن والبحث عنه. وقد كان المصريون يستعملون الزبرجد فى حلبيهم كثيراً، ولذلك كانت تجارته تجارة رابحة.

الزجل: نظم من الشعر العامى على أوزان خاصة. وقد كثر عند المصريين الزجل وتنوعت أشكاله. وللمصريين أزجال ظريفة،

ذلك بعض العذر، لأنهم يشاهدون أنه قد يكون هناك قطعان متجاورتان من الأرض تنجح إحداها وتسوء الأخرى. ولكن الحكومة تعتقد أن من نجحت منهما فلسبب علمي، ومن لم تنجح فبسبب آخر علمي. ومع ذلك فلم تعتمد الحكومة على أخصائيين يعرفون أسباب الدودة وعلاجها.

زَعْرُ لَهُ: بمعنى حرق فيه.

الزغردة: اعتاد النساء في مصر أن يزغردون عند المناسبات السارة كوجودهن في الفرح، أو عند سماعهن خبراً ساراً، أو لرؤيتهن المحمل على جمل، وإذا حضر حاج من الحجاز أو نحو ذلك. ولهم في الزغردة طريقة يلعب فيها اللسان، فيفهم من لم يسمعها أن هناك شيئاً ساراً حدث. وهن يسمين النغمة الأخرى الحزينة "صواتاً"، وربما كانت الكلمة تحريفاً عن الأصوات؛ وهي نغمة أخرى يعلم من سمعها أن هناك حادثة وفاة أو خبراً محزناً. والأذن المصرية يمكنها أن تفرق بين الصوتين بسهولة، فتعلم أن هذا دليل على فرح أو حزن. وعلى كل فالصوت سواء كان صوت زغردة أو صوت صوات يحمل الناس المتجاورين من رجال ونساء على تجمعهم لاكتشاف سر الخبر.

زَقْرَتْ عَصَافِيرَ بَطْنِهِ: تعبير يعنى جاع.

زَكَّى عَن جَمَالِكَ: تعبير لطيف، يقال للسيدة

الارتوازية. ولا لزوم لوصف الزراعة وآلاتها. فهي معروفة عند الكافة. والزراعة عادة تنقسم إلى قسمين: يسمون أحدهما زراعة شتوية، كالقمح والشعير والبقول والعدس والترمس والحلبة. وزراعة صيفية، كالقطن والذرة والأرز والكتان. وأهم ما يزرع الآن القطن؛ وقد أدخله محمد علي باشا على زراعة مصر فأنتت الأرض بخير أنواعه. ولا يزال يعد المحصول الأول، والقمح هو المحصول الثاني.

وإذا كان الفلاح شقيماً تتوالى عليه المظالم من كثير من العمد وشيوخ البلاد والملتزمين والصرافين والكشافين، والوجبات والمال ونحو ذلك من قديم الزمان، ورث أهل مصر الذل لأن أكثر البلاد حتى المتعلمين أبناء فلاحين، فللحاجة أخلاق خاصة استلزمها نوع المعيشة.

وفى الأيام الأخيرة زاحمت الصناعة الزراعة فتغير تبعاً لذلك خلق الأهالي (انظر فلاح وكشاف وملتزم ووجبة). وكثيراً ما تصاب الزراعة وخصوصاً القطن بدودة صغيرة تتلف محوله قليلاً أو كثيراً، وتأمّر الحكومة الأهالي بتفتيتها قبل استفحالها، لأنه على محصول القطن تتوقف ثروة البلاد. ولم يعن من عهد محمد علي إلى الآن بدراسة هذه الدودة علمياً وكيف يقضى عليها. والفلاحون لا يزالون يعتقدون أن الزراعة إذا تجن من الدودة فمن الله، وإذا ساءت فمن الله؛ ويسمون ذلك ندوة، وهم معذرون في

أو الأنسة إذا كان عندها جمال فيجب أن تزكى عنه بالوصال كما يزكى عن كل مال.

الزلازل: يعتقد بعض العوام أن الدنيا طبقات ترابية على طبقة مائية، وأن هذه الطبقة المائية على طبقة صخرية، والطبقة الصخرية محمولة على ثور ذى قرنين، يحمل هذه الطبقات على قرن واحد، فإن تعب من حملها نقلها إلى القرن الثاني، وهذا الانتقال يسبب الزلازل، وهنا ينتقل الذهن إلى الثور الذى يحمله فيقولون إنه محمول على القدرة. ومن لطيف ما فى الأمر أن صديقاً كان له صديق ذو بغلة، وكانت البغلة رديئة فقال له:

لك يا صديقى بغلة

ليست تساوى خردلة

تهتز وهى مقيمة

فكأنما هى زلزلة

الزمان معاندنى: تعبير يعنى أن الحوادث تجرى على غير ما يأمل.

الزمن معاكس: تعبير يعنى أن الزمن لا يساعده على إتيان عمله، بل يعاكسه حتى لا يعمل.

الزنا: يقولون فلاناً ابن زنا، أى أنه خبيث شرير. والعامّة تعتقد أن ابن الزنا يأتى شريراً خبيثاً. وهم يقولون أيضاً: "ابن الزنا إما قواس أو مكاس"، وهما وظيفتان دنيئتان.

فالقواس هو السائس الذى يجرى أمام فرس سيده ويصيح لإفساح الشارع له. وأحياناً يكون السائس من أبناء العرب والسيد تركياً فيصيح السائس بكلمات فى سب سيده، فقد بلغنى مثلاً أن السائس الذى كان يجرى أمام قاسم باشا ناظر الحربية كان يقول بأعلى صوته "أوعى يا واد الثور السنارى جاى" ويوجد إلى الآن من يطلقون عليه اسم قواسين يجلسون مع الحجاب ويلبسون ثوباً من البفتة مصبوغاً بلون أزرق وتقتصر وظيفتهم على قضاء مصالح وقتية داخل ديوان المديرية أو ديوان المركز.

وهذه الوظيفة أخذت فى التلاشى، خصوصاً وقد كرهها الأوربيون وعدوها عادة همجية وحشية. وهذا المثل وضع أيام سلطة هاتين الوظيفتين، فكان القواس يلازم باب الرئيس من أكبر مصلحة إلى أصغرهما، وكان يطلع على أسرار الرئيس كلها كما يطلع السكرتير الخصوصى، وكثيراً ما يكون الوسطة بين الناس وبين الرئيس فى أخذ الرشوة، وإنهاء العمل مع الحاكم. وكان فى القرى يشمخ بأنفه، ويتعجرف فى كلامه، ويتجبر ويسب اعتماداً على سلطة سيده. وإذا كان الحاكم فى القديم حاكماً مطلق السلطنة فقد كان قواسه صورة مصغرة من سيده.

وأما المكاس فهو مأخوذ من المكس، وهى دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق. ويطلق اسم المكاس فى الوقت الحاضر على

جميع الأمم، وقد اشتهر عن المسلمين تعدد الزوجات؛ ولكن والحق يقال إن تعدد الزوجات بين الطبقة الراقية والوسطى قليل في مصر. ولا يفشو إلا في الطبقة الدنيا، وكان لا يصح في عرف المصريين أن يرى الزوج زوجته قبل زواجها، ولكنهم يرسلون الخاطبة، وقد يرسلون أمهاتهم أو أخواتهم لرؤيتها، حتى إذا ارتضيتها يرسل الزوج الشبكة، وهي هدية قبل العقد، ثم يعقد العقد، وحينئذ يحل له أن يراها. وجرت عادات قبل الزواج في إقامة العرس، منها ليلة الحنا وليلة الدخلة، وسنذكرهما في محلها.

والزواج يختلف اختلافاً كبيراً بين الطبقة الغنية والطبقة الفقيرة، فإذا كانت الطبقة غنية بالغ أصحابها في نفقات الأفراح وبذل الأموال من غير حساب، سواء في المآدب أو معالم الأفراح، ولا يكتفون بليلة الدخلة بل يقيمون ثلاث ليال قبلها. وكان العريس يجمع في منزله قبل يوم الزفاف أصدقاءه الأخصاء ممن يجيدون الغناء والعزف على الآلات الموسيقية، ويسمون هذه الليالي ليالي الضممة. وفي ليلة الزفاف يرسل العريس العربات الفخمة مع والدته لأخذ العروس من بيت أهلها، وتكون العربية المخصصة لها، مزينة بالشيلان الكشميري والورود والأزهار، يجرها اثنان أو أربعة من جياذ الخيل، ويخفرها اثنان من الفتوات، وأحياناً من رجال مخصصين لذلك يسمون الضوية. وهما يرتديان شيلاناً من الكشمير ثم تتقدم والدّة العريس على العروس لتقودها

أولئك الإخوان الذين يقفون عند مدخل المدن لجباية الضريبة المفروضة على ما يدخلها من حاجيات الغذاء؛ وكان اسمها الرسمي الدخولية، وكان فيها كثير من الظلم والجور والعسف والغش.

وقد أدركتها في آخر أيامها، وكان أبي رحمه الله يشتري من الإمام الشافعي الفراح، ويشترى البيض أربع عشرة بقرش صاغ. وكان عند الإمام مكاس يلبس بدلة زرقاء، وكان يعتقد في أبي الصلاح، فإذا صلنا إليه سمح لنا بالدخول من غير ضريبة، وهذه كانت مكسبنا، ثم أبطلت تلك العادة. وقد كان منهم سفلة يعرفون النساء بدعوى أنهم يفتشون لعل في لباسهن شيئاً مهرباً، ويحسسون على بطن الحبلى ليتحققوا إن كان في بطنهن جنين أو شيء مما تؤخذ عليه الضريبة. ولهذا اعتبرهم اليهود أمام دولتهم أنجاساً، وسموهم العشارين. ولم يسمحوا للمكاس أن يدخل الهيكل أو أن يشهد المجالس؛ ولهذا قالوا في المثل: إن ابن الزنا إما قواس أو مكاس: وأراحنا الله من القواسين والمكاسين. وللزنا أساليب مختلفة، وللنساء فيه حيل غريبة، وقصص عجيبة. وقد كثر في مصر لحرارة الجو وقوة الشهوة البهيمية، ولم يمنع منه حجاب أو سفور، وقد كان هناك في المدن بعض أحياء للعاهرات تعطينهن الحكومة ترخيصات، وأخيراً ألغتها وحرمتها بعد أن أعدت العدة لتسريحهن.

الزواج والطلاق: الزواج عادة شائعة في

بلدياً أمام المزمارة، ويتزاحم الفتوات على الرقص أمام المزمارة، وتمشى العروس في ناموسية بدل الشيلان الكشمير، وتركب التختروان إلى منزل العريس. وربما كان أفخم زواج وأفراح - أفراح الأنجال، والمراد بالأنجال أنجال الخديوى إسماعيل. وقد كان فى عهد أبيهم إسماعيل. وإلى الآن يسمى شارع المنيرة بشارع أفراح الأنجال. وقد زوج إسماعيل أولاده توفيق وحسين وحسن. وقد ابتدأت هذه الحفلات بعقد العقد، حضره الوزراء والعلماء وكبار الأعيان فى سلاملك القصر العالى، وكان يرأسهم خليل أغا، وهو أغا والد إسماعيل. وهذا ما يدعو إلى العجب، إذ كيف يتراأس هذا الأغا على هؤلاء كلهم. ولكن كانت سلطته عظيمة، وهو الذى أشرف على بناء مسجد الرفاعى، وإنشاء المدرسة المعروفة باسمه "مدرسة خليل أغا". وقد ابتدئت الحفلة بالقرآن الكريم، ودخل الشهود على باب العروس المسدول عليه الستار وسألوها: هل تقبلين أن يكون فلان زوجك؟ ولا يزالون يكررون هذا حتى قبلت. ودامت الحفلات أربعين يوماً كاملة، يأكل الحاضرون ويشربون ويهرج الطلبة فيها كما يشاءون، وتنوعت فيها موسيقى الغناء، وغنى فيها عبده الحمولى وألمظ وغيرهما، وأقيمت فيها الملاعب البهلوانية وعرض جهاز كل عروس على المتفرجين، من حلى مرصعة بالألماظ، ومفروشات ثمينة وغير ذلك. والأغوات يستقبلون المدعوات الحريم

إلى المنزل، ثم تتلوها والدة العروس؛ ويسير هذا الموكب خلف الموسيقى فى بعض الشوارع الهامة، ثم يعرج على منزل العريس، فيتقدم العريس لاستقبال عروسه فتنأبى وتمتنع؛ ولا تنزل إلا بعد إلحاح، ثم تنحر الذبائح على عتبة الباب. ويسير العريس مع عروسه إلى داخل البيت محجوزين بالشيلان الكشميرية حتى لا يراها الناس، ثم يستقبلهما العوالم ويسرن أمامهما إلى الكوشة، وهى عرض مزخرف أعد خصيصاً للعروسين. وفى أثناء ذلك تبدر البدر، وهى عبارة عن نقود ذهبية صغيرة من ذات الخمس قروش، أو فضية من ذات القرش الواحد، يبدها العريس أو أقارب الزوجين؛ والغرض من ذلك صرف الحاضرات عن النظر للعروسين منعاً للعين. ويخرج جماعة من أصدقائه يحملون باقتين من الورد، ويتقدمه بعض الصحاب يحملون الفنانير. ويؤلفون موكباً يسمى زفة؛ وتسمى الزفة زفة العريس تسير أمامهم الموسيقى، ويسيرون جميعاً إلى المسجد حيث يصلى العريس ركعتين، ثم يعود بموكبه إلى المنزل. ويدخل على العروس فيرفع ما على وجهها من نقاب، ويراها لأول مرة، ويجلس بجانبها. وعند ذلك يقدم لهما الشربات ثم يختفيان عن العيون. أما الزواج فى الطبقة الفقيرة فكان وضيعاً؛ فتحمل المشاعل بدل الفنانير والطبل البلدى بدل الموسيقى، والبطوة بدل الشربات والخمر، ويرقص الناس رقصاً

وتضرب لهن الموسيقى، وكان من المدعوات بعض الأفرنجيات، وكان يستقبلهن بعض من يعرف لغاتهن. وهكذا.. وبطلت تلك العادة كلها حتى أصبح العريس يقود عروسه بعد الحفلة البسيطة، فيذهب بها حيث شاء من غير زفة ولا غيرها.

وكلنا نعرف أن الشريعة الإسلامية تجيز تعدد الزوجات في حدود. والعادة أن يمهر الزوج الزوجة. وفي الطبقة العالية قد يبلغ المهر ألف جنيه، وفي الطبقة الفقيرة يمهرها نحو خمسة جنيهات. والذي يدعو إلى اقتصار أغلبية المصريين على زوجة واحدة هو تساوى عدد الرجال بالنساء تقريباً.

والطلاق هو حل عقدة الزواج، وهو جائز في نظر المسلمين؛ ومن أسباب الطلاق أنه قديماً كان الأب بصفته ولياً يزوج ابنه أو بنته في الصغر، فإذا كبر لم يوافق الزوج هذا الزواج، فأدى ذلك إلى الطلاق، وقل ذلك الآن. ومن الأسباب أيضاً أن تكون المرأة مصابة بعقم أو بمرض شديد، أو أن تخلف بنات فقط، فيستحل الزوج لنفسه أن يتزوج غيرها.

وقد تعاون تعدد الزوجات ومِلِك اليمين على فساد الأسرة، والعداوة بين الأولاد من أمهات مختلفة. والرجل الشرقي في العادة حاكم مستبد في بيته. والنظر إلى المرأة كان نظراً وضيعاً، وكان تعتبر أخط منزلة من الرجل إلا في القليل النادر. وهذا أفسد نفس الأبناء، لأنهم لا يجدون جو محبة يسود

البيت.

وتعدد الزوجات أخذ في القلة لانتشار العلم، وكثرة الطلاق كذلك أخذ في القلة أيضاً لرؤية الزوجة قبل الزواج، ونفوذ الرجل أخذ في القلة بسبب تعلم المرأة⁽⁴⁷⁾.

زىّ التعبان يقرص ويلبد: معنى يلبد يخنقى.

زىّ أم العروسة فاضية ومشغولة: تعبير يقال للرجل يشتغل بأفنه الأشياء. وقريب منه قولهم: زى اللى رقصت على السلم، لا شافوها أخل تحت، ولا أهل فوق.

زىّ البدر ليلة 14 شعبان: يعتقدون أن أحسن الأقمار قمر شعبان في ليلة أربعة عشر.

زىّ تنايلة السلطان: التنايلة جمع تنبل، وهو الكسلان المفرط في الكسل، وتنايلة السلطان كسلاء ليس لهم من عمل إلا الأكل والنوم من غير عمل. ويحكون أن السلطان غضب على قوم منهم فأمر برميهم في البحر، فركبهم عربة إلى البحر، فأشفق عليهم رجل وقدم لهم أكلاً يحتاج إلى تقشير وغسل، فقالوا حَجَّعْسِل ونقشَر، ودَى ع البحر.

زىّ الجوار، كل يوم عند ياسرجى: الجوار، أى الإماء، والياسرجى، تاجر

الرقيق. تعبير يقال للمرأة الحرة تتزوج ثم تطلق، فهي كالجارية تنتقل فى أيدى بائعى الأرقاء.

زىّ **خلع الضّرس**: تعبير يعنى أنه صعب كما يخلع الضّرس.

زىّ **سبع البرومة**: وأحياناً يقولون، سبع البرومة، الذى نايم على جنبه، ولا يقولون الذى إلا فى هذا الموضع، وما عداه يقولون اللى، أى أنه نافس منتفخ.

زىّ **المسطول**: تعبير يعنى متعاطى المنزل.

زىّ **مضع الزلط**: تعبير يعنى أنه صعب ثقيل كمضع الزلط.

س

بالبصق على المسبوب.

سبارس: ترى كثيراً من الأطفال ذكوراً وإناثاً يمشون فى الشوارع ويدهم كوز صغير يلمون فيه أعقاب السجاير. ويسمون "أولاد سبارس" ثم يفركون هذه الأعقاب ويبيعونها لمن يصنع من دخانها سجاير جديدة؛ وهى ضارة جداً، لأنها فضلاً عن ضرر الدخان قد تكون محملة بالميكروبات التى سرت إليها من شرب المريض أو من الأرض.

وأيضاً فهم يقولون إن الأعقاب تتجمع فيها أكثر مضر الدخان. ولهؤلاء الأطفال تقاليد متعارفة بينهم فى الاختصاص بالشوارع وفى ترابطهم، وكثيراً ما يكون لهم كبير يرجعون إليه فى منازلهم. ومنهم من يجمع إلى هذه الحرفة النشل، وهم يتحينون الفرص فى أماكن التدخين كالقهاوى ونحوها، وفى مركبات الترام.

السبحة: عقد يكون عادة من تسع وتسعين حبة، أو ثلاث وثلاثين. وقسمت هذا التقسيم ليقال عليها إحدى عشرة مرة، أو ثلاثاً وثلاثين: سبحان الله. وفى القسم الثانى: الحمد لله، والثالث: الله أكبر. ويختمونها بلا إله إلا الله.

وتستعمل أيضاً فى الاستخارة، فيأخذها الآخذ حينما اتفق؛ فإذا انتهت بما يدل على العمل كان معناها العمل، وإذا انتهت حباتها بما يدل على النهى كان معناها عدم العمل.

السائس: هو رجل يلبس صديرياً وسروالاً ويتحزم على السروال، ويمسك بيده عصاً طويلة، وكان يتقدم عربات الأغنياء ويقول: وسّع، وسّع؛ يحمى الراكب من الزحام، ويسهل له عقبات الطريق. وقد بطل ذلك فى الغالب بسبب السيارات. ومن أعماله أيضاً أن يغسل العربة وينظفها، وقد يعهد إليه أيضاً أن يتعهد الخيول التى تسير بهم. وهم فى الغالب يحسنون العَدْو. وقد تستخدمهم السيدات فى الذهاب بهن إلى بيوت لا يحببن أن تعرف، فيتخذن منهم أمناء على الأسرار.

ساعة لقلبك، وساعة لربك: تعبير يقال للحث على تخصيص وقت للهو، ووقت للجدّ.

الساھى ياما تحته دواھى: تعبير يعنى أن الساكن الرزين، قد يخفى سكونه شراً كبيراً.

السباب: معجم المصريين فى السباب معجم واف، ذو ألفاظ متعددة، وكلما مضى زمن زادت هذه الألفاظ. وكثيراً ما يستعملون فى السباب أسماء الحيوانات كالخنزير والكلب والحمار، وربما كان من أشنع السباب عندهم السباب بالدين، كابن النصرانى وابن اليهودى، ويا كافر. وبعض أنواع السباب فاحشة يخل منها المتقف. وأشد من ذلك كله التظاهر

يكررها سبع مرات. وقد نال بعض هذه
المزية عدد السبعين فيقولون: "ستين سنة،
وسبعين يوم". وفي القرآن الكريم: "إن
تستغفر لهم سبعين مرة"... إلخ⁽⁴⁹⁾.
(سورة التوبة، 9)

السبوع: هو اليوم السابع من ولادة الطفل،
فالطبقة الوسطى والعليا يعتقدون بذلك اليوم
فيطبخون فيه كشكاً بفراخ. ومن أمثالهم: هو
فرخة بكشك، أى أنه عزيز كالمولود، لأن
الكشك بالفراخ يذكر بذلك المولود، ثم
يدقون ملحاً فى هاون، ليعتاد الطفل سماع
الصوت القوى. ويرشون فى ذلك اليوم ملحاً
فى البيت حفظاً له نم العين، ويغنون:
برجالاتك، برجالاتك، برجالاتك، حلقة
ذهب فى اوداناتك. والرجالات جمع رجل.
ويظهر أن الأغنية مأخوذة من أغاني
البدو، كما تدل عليه صيغة الغناء، أى
برجالك برجالك، تلبس الذهب. والبدو
يجمعون الرجال على رجالات، والودن
على الودانات.

وفى يوم السبوع وقبله وبعده يُشرب
المغات، وهو نبات هندي أميل إلى الصفرة،
ويزرع الآن فى مصر أيضاً، يُدق وتوضع
عليه بعض عقاقير يعرفها العطارون حتى
يصير ناعماً، فإذا أُريد عمله حمر فى
السمن، ثم أضيف عليه الماء حتى يغلى، ثم
يضاف عليه بعض اللوز المقشر المكسّر
والسكر، ثم يعبأ فى فناجين ويُشرب.
ويعتقدون أنه نافع للولادة لأنه يشدّ أعصابها
التي أنهكتها الولادة.

وعلى العموم فالיום السابع فى كثير من

وتستعمل أحياناً لمجرد الذكر. وهى
تكون عادة من أحجار وأخشاب مختلفة؛
فالقراء يستعملونها من طين ملوّن بالأسود،
والمتوسطون من حب أسود يسمى يسراً،
يعتقدون أنه يبسر الأمور، أو من خشب
العرعر. والأغنياء يستعملونها من
الكهرمان أو من نوع يسمى "البنزاهير"
وهو حجر يجلب من بعض جبال
الأفغان⁽⁴⁸⁾.

وتستعمل كلمة السبحة أيضاً فى جماعة
من الفقهاء، وخصوصاً كفى البصر،
يجتمعون ويقرأون السبحة؛ وهى سبحان
الله. ويقولونها مئات المرات، ويختمونها
بأسماء الله الحسنى وبعض الأدعية؛ وهى
فى العادة تقال لميت مات وتُهب لروحه.

وجرت عادة المصريين أن يعملوا يومها
"لقمة القاضى" وهى نوع من العجين يقطع
قطعاً ويقلى فى الزيت، ويأكل
منها قارئو السبحة، ويوزع منها على
الأقارب والجيران.

سبعة: يقَدَس المصريون عدد سبعة، لأن
الله خلق الدنيا فى ستة أيام واستراح فى
اليوم السابع كما يقولون؛ والسموات سبع،
والأرضون سبع، وأيام الأسبوع سبع.
ولذلك يجرى هذا العدد على ألسنتهم كثيراً
فيقولون: "السبعة وذمتها"، و"الديب فات
فات، وذيله سبع لفات"، و"سبع صنّع فى
إيديه، والهّم حاطط عليه"، ويتكلم بالسبع
تلسن، ويغنون: "سبع سواقى بتنعى لم
طفولى نار". وهكذا.

وكثير من الأدعية تطلب من صاحبها أن

الحالات له تقديس خاص كسبوع الزواج وسبوع الميت، إنما لم يشتهر كسبوع الطفل عند الولادة⁽⁵⁰⁾.

السبيل: اعتاد الناس أن يتقربوا إلى الله ببناء سبيل لشرب الماء لأنه كان عزيزاً، وكانوا يخزنون الماء في الصهاريج، ثم يرفعونه لشرب الناس، وأحياناً يتفننون في عمارته تفناً جميلاً، وبينونه على شكل ضخم جميل "سبيل أم عباس"، ويكتبون عليه بالذهب، ويجعلونه دورين، وأحياناً ثلاثة. ويكون هذا السبيل ملجأ للعطشى.

وقد بينون بجانبه كتاباً، وأحياناً بينون هذا السبيل لشرب الحيوانات كالأحصنة والأفراس والحمير والبغال، مما يدل على الرأفة بالحيوان، والتقرب إلى الله بأكله وشربه. وفي القاهرة أسبلة كثيرة من هذا القبيل، وهذه حسنة من حسنات المصريين⁽⁵¹⁾.

ستعت عليه بصباغ الممّون: أى بالله.

سنّته لحدّ ما يبجى الترياق من العراق: تعبير يعنى انتظر طويلاً.

السجاد العجمى: أولع بعض المصريين بالسجاد العجمى، يفرشونه في الحجر، ويعلقون القطع الصغيرة منه على الحوائط، ويفرشون منه قطعاً صغيرة للصلاة عليها. وبالغ بعضهم فاقتنى مجموعة منها وصرف فيها أمواله مع كثرتها. وكلما كانت السجادة أقدم عهداً بالغ في ثمنها التجار ولو كانت

مهلهلة. وقد مات الدكتور على باشا إبراهيم رحمه الله قريباً، وكان كل مالئته سجّاداً.

وهم يفضلونه على السجاد المصرى والسجاد الأفرنجى، لأنه أمتن وأجود. وقد اتجه قوم حديثاً إلى السجاد المصرى لما أحسن وأتقن، واستغنوا به عن السجاد العجمى.

سحبّ عليه لسانه: تعبير يعنى وجّه إليه سبّه وهجاءه، ويقولون إنه تعبير مصرى قديم.

السحّ النحّ: يقولها الأطفال في اللعب بقرون الخروف، وخصوصاً في خروف العيد الكبير، يقولون: السحّ النحّ، يا خروف نطح. وربما لاحظوا الكلمات التى تنتهى بحرف الحاء لاستثارة الخروف للنطح.

السحلب: من مشروباتهم فى الشتاء السحلب، وهو نبات يأتى من الهند، يدقونه حتى يكون ناعماً، ثم يضيفونه على لماء والسكر فيربو ويسبّب الدفاء.

وقد يضيفون عليه القرفة المدقوقة على وجهه، وقد يستعملون اللبن بدل الماء. وهو كثير الاستعمال عندهم فى الشتاء.

السخرة: السخرة كانت تطلق على نوعين: تسخير الأهالى من غير أجر فى المصالح العامة كحفر الترع وحراسة الجسور، خصوصاً أيام الفيضان، من طغيان ماء النيل، وإما تسخير الأهالى فى أطيانهم، كأن يؤخذ الفلاح ومحراثه ومواشيه لحرث أرض الغنى

عليهم الضرائب.

السرطان: يطلقونه أحياناً على حيوان ردى يكون فى البرك، يدخل فى بطونهم مع الماء فيكبر فيها. ومن أجل ذلك لا يشبع صاحبه مهما أكل.

وهو ما كانت تسميه العرب قديماً "الصفير". وفى الحديث "لا عدوى، ولا هامة، ولا صفر". وربما أطلقوه على ما يسمى هذه الأيام بالدودة الوحيدة. ثم أطلق هذه الأيام على نوع من الورم الخبيث لا يزال ينمو حتى يموت صاحبه. ولم يوقف لأن على دواء له.

السرية: السرية، والجمع سرايا، هى الجارية التى يملكها الإنسان، ويحل له أن يتصل بها، وقد تنسل منه أولاداً فتسمى إذ ذاك أم ولد، وكثيراً ما تعنق الأم عندما يفظم الولد إرضاء لها. وبعض الزوجات تمنع أم الولد من الدخول فى البيت بعد ذلك غيرة منها ولكى ينساها الولد ولا يتعلق بها. (انظر: جارية ورقيق)

سعة الرزق: من أراد أن يوسع عليه فى رزقه ويقبل عند الخلق، فليدع هذا الدعاء عقب كل صلاة، خصوصاً بعد صلاة الجمعة: بسم الله الرحمن الرحيم... يل الله، يا واحد، يا موجود، يا جواد، يا صمد، يا باسط يا كريم يا وهاب، يا ذا الطول والإحسان يا حنان، يا منان، انفحنى منك بنفحة خير، تغننى بها عن سواك إنك على كل شئ قدير. إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح.

بلا مقابل؛ كما تؤخذ امرأته لتساعد، وتؤخذ حمارته ليحمل عليها التبن والعليق لمواشى الغنى، ويؤخذ ابنه ليقف على المحراث، حتى إذا رأى كومة من الحشيش اقتلعها، وتؤخذ بنته لتساعد أمها فى تجهيز الطعام لوالدها... ولهذا كان يهرب الفلاحون من أجل هذه السخرة، وسموا سنة من السنين كثر فيها هذا الظلم فى التسخير بسنة "الطفشة"؛ فكانوا يؤرخون بها، ولا تسمع واحداً يذكرها إلا وهو يتحسر أو يبكى. وكان من أنواع السخرة والمظالم "الملح" فقد كانت الحكومة تحتكره وتفرضه على القرى، وكل قرية عليها مقدار من الملح محدد تحضره إلى العمدة، وكنت ترى أسراباً من الفلاحين يسبرون فى الطرقات نحو المركز حاملين الأكياس والمقاطف، أو آخذين نصيبهم من الملح المخصص لهم. وإذا لم يأخذ رجل ملحه اتهم بأنه يستعمل الملح الخارج عن احتكار الحكومة، وهى تهمة فظيعة. وقد أبطل رياض باشا أيام كان رئيساً للوزارة فى عهد توفيق باشا السخرة بأنواعها، وعاقب من سخر الناس فى مزارعه، ولو فى مزرعة الخديوى، ولذلك كرهه الأغنياء ونقموا عليه، واتهموه بأنه خسر الفلاحين عليهم؛ كما يتهم اليوم من يريد تعليم الشعب. وفر كثير من بلادهم وتركوا أوطانهم هرباً من الضرائب المتواليمة، رسمية كانت أو غير رسمية؛ أو هرباً من السخرة. وكان من نتائج هذا أن تظاهر الناس بالفقر، فيرتدون الثياب القديمة ويسبرون على أقدامهم بدل الركوب خوفاً من أن تلمح الحكومة فيهم الغنى فتثقل

يزمر ويرقص!.

السفر: السفر قطعة من العذاب، وهم يكرهونه ويكرهون الرحلة من بلدهم إلى بلد آخر ولو فى قطرهم، فلا يرضون أن يرحلوا ولو ضاقت بهم العيشة؛ ولذلك قل أن تجد مغامراً يذهب من جهة إلى جهة أخرى. وقد كان اللورد كتشنر يريد أن يعمر جزءاً من أراضي البحيرة فحبيب الفلاحين الانتقال إليها، ورغب كل أسرة بملك خمسة أفدنة، وتسهيل الزراعة عليهم، فلم يفلح مشروعه لالتصاق الفلاحين بالطين. وكل يوم نسمع بكاء وشكوى من موظف انتقل من القاهرة إلى بلدة قريية أو بعيدة، ومصالح الحكومة كانت مملوءة بالرجاءات من هذا القبيل. وكثير من أوقات الوزارة وكبار الموظفين كانت ضائعة فى هذه الرجوات. بل قد كنت يوم منتدباً فى وظيفة بوزارة المعارف فكنت أرجى كثيراً فى نقل موظف من شبرا إلى السيدة زينب، ومن العباسية إلى شبرا، ليكون الموظف بجوار بيته؛ وكنت أعتاظ من ذلك غيظاً شديداً. وحُثت أن هذه العادة موروثة عن قدماء المصريين، فقد كانت هذه أخلاقهم. وصادف أن لى ابنأ أرسل فى بعثة إلى إنجلترا فكانت أمه تطيل البكاء عليه ولو كان فى هذا مصلحته. وتود لو استطاعت أن يوظف بجانبها.

وتسمع الغرائب فى مغامرات الأوروبين وحبهم للارتحال، وربما كان من أسباب ذلك أيضاً أننا أمه لم تتعود الحروب والأسفار والهجرات التى تتطلبها، وربما كان أيضاً

إننا فتحنا لك فتحاً مبيناً.. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق. إن ينصركم الله فلا غالب لكم. نصر من الله وفتح قريب.. اللهم يا غنى اكفنى بحلالك عن حرامك. واغننى بفضلك عن سواك واحفظنى بما حفظت به الروح فى الجسد، وانصرنى بما نصرت به الرسل، ولا تشمت بى أحداً إنك على كل شئ قدير.

ولهم حكايات شعبية كثيرة تدل على أن الاعتماد على الله والطلب منه خير من الطلب من الأغنياء، كما أن لهم حكايات تدل على الأشمزاز من سعة الرزق، كالذى سمعته أمس من أن امرأة رجل غنى عاتبته فى أنه يشتغل طول يومه فى الأعمال ولا يسعد أهله فى الجلوس واللعب معهم، وأرته رجلاً فقيراً وزوجته يسكنان فى كوخ أمام القصر، كان يصنع المزامير من الغاب ويعطيها لامرأته تبيعها، وبعد أن تبيعها تحضر له خبزاً وفجلاً فيأكلان ثم يغنيان ويرقصان. فناداه الغنى وعاتبه على أنه لا يزوره، فقال له: نحن قوم فقراء، وإذا طلبنا شيئاً فمــــن الله ولا حاجة لنا إلى مخلوق، والعيشة معدن والله الحمد. فنفحه الغنى بثلاث ورقات بثلاثمائة جنيه، وقال له: حسن بها حالك، فذهب إلى زوجته يقبلان النظر فيما يتاجران فيه: إن تاجرا فى البيض فقد يمشش، وإن تاجرا فى الغنم أو البقر فقد تموت، وهكذا ظلاً يقبلان النظر فيما يعملان. وعلاهما الهم وتركوا المزممار والرقص. وأخيراً ذهب الفقير إلى الغنى ورد له الثلاثمائة جنيه؛ وعاد

رئيس الخدم وقد زالت هذه الحرفة بانتشار الحنفيات فى البيوت وإنشاء حنفيات عمومية. ومن عادة المصريين إذا رأوا ببعاء أن يقولوا له: "أبوك السقامات". ومن أمثالهم أيضاً "جوزها سقا وتبات عطشانة"؛ وأحياناً يحمل السقا قربته على حمار، أو قربتين وأكثر على عربة صغيرة.

سكتاله دخل بحماره: تعبير يعنى سكتنا عن شره، فتوغّل فى شره.

سِكْتِرْبِرّة: تعبير يعنى أخرج برة.

سكران طينة: يقولون للمفرد فى السكر: سكران طينة ولعلمهم يريدون أنه سكر وأفرط فى السكر إلى أن صار فاقد الشعور كالطينة. أو يريدون أنه لفرطه فى السكر قد صار فاقد الشعور فيقع فى الطين. وقد ورد هذا الاستعمال فى بعض الشعر المتقدم.

سكران سكرة يئى: ومثله دا سكران طينه، أى غارق فى السكر.

السلطان سليم: هو السلطان سليم العثمانى، وإنما عنينا بترجمته لأن ما نال مصر على يده ويد خلفائه أثر فيهم تأثيراً كبيراً، حتى إن كثيراً مما نراه فى أخلاق الشعب المصرى إنما هو أثر من آثارهم. وقد أتى بعد المماليك الشراكسة (انظر شركسى).

وقد دخل القاهرة فى جنود كثيرة وموكب عظيم. وقد جمع الأمراء الباقين على الحياة وأمّتهم على حياتهم بعد أن وبخهم على

من الأسباب أن أكثر المصريين فلاحون زراعيون، والزراعة تتطلب القرار، والالتصاق بالأرض. ويكثر فى أغانيهم الرغبة فى الرجوع إلى الوطن والشكوى من الغربة. ويكثر المصريون أيضاً من شكوى فراق المحبين فى شعرهم وزجلهم مثل أغنية "يا وابور قوللى رايح على فين" ونحو ذلك. وربما كانت هذه عادة المحبين دائماً قديماً وحديثاً.

السفرجية: السفرجى هو الذى ينظم المائدة عند تحضير الأكل، ويقدم أطباق الطعام؛ وهو منسوب إلى سفرة، نسبة تركية؛ والسفرة عند الأتراك المائدة. والغالب أن يكون أكثر السفرجية من النوبيين لإتقانهم هذا الباب.

السقا: كان يحترف توزيع الماء على البيوت قبل دخول الحنفيات فيها. والسقاءون يحملون القرب على ظهورهم من الجلد مملوءة بالماء الحلو أو المالح. وقد يحملونها فارغة ومعهم برميل كبير مملوء بالماء ركبت فيه حنفيات من الخلف، يجره حسان أو حمار. فإذا ناداهم أحد فتحوا الحنفية وملئوا القربة. والسقا ينادى "سقا عوض" ولا أدرى معناها. وهو يعامل أصحاب البيت بإحدى طريقتين: إما بشرطة على الباب كلما أتى بقربة خطّ خطاً، وهذه عرضة للمسح؛ وإما بخرزات زرقاء يعطيها لصاحب البيت - كلما أتى بقربة أخذ خرزة، فإذا انتهى الخرز علم أنها بلغت عشرين قربة مثلاً. وقد كان سقا الحريم هو

مقاومتهم، وبصق فى وجوههم، وأمر بحبسهم فى القلعة، ثم أمر بضرب أعناقهم. وفى يوم آخر قتل أربعة وخمسين أميراً، وصارت أجسامهم مرمية على الأرض تنهشها الكلاب والذئاب وتفسد الجو، حتى صار النساء يعطين المشاعلية "حمالي المشاعل" أموالاً كثيرة لدفن أزواجهن. وفى تلك الأيام زاد الطين بلة هجوم البدو من العرب للسلب والنهب والقتل فى البلاد، وأغاروا على عدة بلاد من بلاد الشرقية، ونهبوا ما فيها من مواش وأدوات، وسيوا النساء والصبيان وباعوهم بأبخس الأثمان. حتى قال شاعرهم:

يا دهر بع رتب المعالى مسرعاً
بيع الهوان ربحت أم لم تريح
قدّم وأخر من أردت من الهوى
مات الذى قد كنت منه تستحي

وشنق بعض الأمراء، وكانوا محبوبين فكثرت عليهم الحزن والأسف. وقد خلت البلاد للسلطان سليم وتمكنت الدولة العثمانية من الديار المصرية فصارت مصر ولاية بعد أن سلطانهم أعظم السلاطين. ذلك أن السلطان سليم أناب عنه (خير بك)، وترك بمصر خمسة آلاف فارس وخمسمائة من رماة البنادق والرصاص. ولما خرج خرج معه ألف جمل محملة من الذهب والفضة، غير التحف والنحاس والصينى والخيول والبغال والإبل وقد سلبت رجاله ووزراءه من مصر وبلادهم ما لا يدخل تحت حصر. ولحق مصر من الضرر الشامل مدة إقامة عساكره بها مالا يوصف، وعمت البلية، وبطل منها خمسين صنعة. ولم

يجلس فى القلعة، ولا أنصف مظلوماً من ظالم، بل كان مستغرقاً فى لذته وسكره مقيماً فى المقياس بين الصبيان المرد، وترك الحكم لوزرائه، ولم يكن يظهر إلا وقت سفك الدماء، وعساكره دنيئون قذرون يأكلون فى الأسواق على ظهور الخيل، يتجاهرون بقل الدين وشرب الخمر، وغالبهم لا يصلى ولا يصوم، وليس لهم أدب ولا ذمة، ومع ذلك فقد أسعده الحظ، واتسعت مملكته من الفرات إلى مصر. وأخذ معه ابن السلطان الغورى. وقد أرسل إلى القسطنطينية قبل خروجه كثيراً من علماء مصر وأشرفها وتجارها، وعدداً من أهل كل حرفة، فتعطل بمصر كثير من المصالح. ومن خوف الناس من جنوده كان الأعيان يستأجرون بعض العثمانيين ليحفظوا بهم بيوتهم، وصار هؤلاء الجند العثمانيون إذا رأوا رجلاً ماشياً فى الطريق قالوا إنه شركسى يريدون الفتك به، فيستشهد الناس أنه ليس شركسى، وإنما هو مصرى، فيقولون له: اشتر نفسك من القتل بدفع شئ من المال، فيفعل ذلك؛ وصار كل من عادى عدواً من المصريين دس إليه عند العثمانيين. ونهبوا القماش والسلاح والخيل والبغال والجوارى والعبيد من كل شئ جليل، ونهبوا الذهب والسروج الذهبية والبلور والعقيق والخلع المطرزة بالذهب ثم تغالوا حتى أخذوا أموال الأوقاف، ولم يردعهم أحد؛ فغالوا فى الضرائب، وأخروا صرف ماهيات الشراكسة نحو ثمانية أشهر ثم دفعوا لهم منها شهرين؛ وقتلوا الكلاب الكبيرة حتى قال قائلهم:

تأملوا ما جرى بمصر
من حادث عم بالعذاب
فما رعى الترك فى دماء
فكيف يرعوا دم الكلاب
وقد نظم ابن إياس فى ذلك قوله:
نوحوا على مصر لأمر قد جرى
من حادث عمت مصيبتة الورى
زالت عساكرها من الأترك فى
غمض العيون كأنها سنة الكرى
(يريد بالأترك الشراكسة الذين أزال ملكهم
العثمانيون).
وأتى إلينا عسكر سيماهم
حلق الذقون ولبس طرطور يرى
لا يعرف الأستاذ من غلمانه
وأميرهم بين الأنام تحقرا
جل الإله مصدقاً عما حكى
فى سورة الروم العظيمة أخبرا
ولاه رب العرش سلطاناً على
مصر وهذا الأمر كان مقدراً
لهفى على الأبواب كيف تكسرت
وخلت أماكنها وصاحبها سرى
لهفى على فك الرخام ونقله
من كل بيت كان يبدو مزهرا
زالت محاسن مصر من أشياء قد
كانت بها تزهو على كل القرى
لهفى على الفرسان كيف تقطعت
أعناقها بيد العدو إذ افترى
صارت على الطرقات من أجسادهم
رمماً حكمت عيد الضحى الأكبيرا
لهفى على ذاك الحریم وهتكه
من بعد صون فى الحریم مخدراً
لهفى على عيش بمصر وقد خلت

أيامه كالحلم ولى مدبرا
يارب إنا بالنبي المصطفى
والأنبياء وكل سادات الورى
نسألك كشفاً للكروب بسرعة
واعف عن الإجرام عفواً واغفرا
قد جاء لابن إياس شعر قاله
لكن منه النظم يحكى جوهر الخ
وقد توالى على مصر ولادة طغاة يعينون
من قبل السلاطين العثمانيين. ونقرأ تاريخهم
وأحداثهم فى مصر فنرى مع الأسف سلسلة
من المساوىء، ونقرأ تاريخ ابن إياس
فيفزعنا ما يقول. وقد كان إسلام أكثرهم
إسلاماً ظاهرياً، فالإسلام عندهم جلوس فى
أدب عند سماع القرآن. ووضع مصحف
صغير فى علية ذهبية أو فضية من غير
مراعاة لعدل ولا صرف. وأكثر ما ترى فى
تاريخهم سفك فى الدماء، وإسراف فى المال
والشهوات، وكثرة المصادرات، ويعتقدون
أنهم يستطيعون أن يكفروا عن كل هذه
السيئات ببناء مسجد أو سبيل، كالذى حكى
أن أحدهم عمّر مسجداً اغتصب أكثر مواد
من حجارة ورخام وأخشاب من مساجد
وبيوت أخرى، حتى أطلق عليه المصريين
الفكهون "المسجد الحرام".
فقال ابن إياس: "إن المصريين طويلو
الألسنة؛ نعم إنهم طويلو الألسنة كثيرو التندر
قصيرو الفعال". وقال مرة أخرى لرجل
منهم إنه ظلم ظلماً كثيراً ثم حج. معتقداً أنه
كفر بذلك عن سيئاته؛ فقال قائل:
حججت البيت لبيتك لا تحج
فظلمك قد فشا فى الناس ضجوا
حججت وكان خلفك حمل ذنب

والذل، والنفخة الكذابة، والخنوع للألقاب والرتب، وتقويم الناس بحسب أطيانهم لا بحسب ملكاتهم، ما لم يكن له نظير وما بقى فى أثره إلى اليوم. ولذلك كان انفجارهم فى العهد الحاضر انفجاراً عظيماً، يدل على تحملهم الكثير.

سلم عليه سلام الماوردى على بيع الفسيخ: تعبير يقال للأرستقراطى النظيف يسلم عليه بأطراف أصابعه أو من تحت أطراف لسانه.

سَمَنَ عَلَى الْعَسَل: تعبير يقال للشخصين يمتزجان امتزاجاً تاماً.

السن: كان المصريون قبل هذه الأيام يحترمون السن احتراماً كبيراً؛ فالصغير يحترم الكبير والأولاد يحترمون آباءهم، فلا يدخنون أمامهم، ولا يرفعون صوتاً عليهم؛ وأكبر الأخوة عادة يقوم مقام الأب. وإذا دخل كبير الأسرة عليهم وكانوا يدخنون أخفوا السجاير. وكانوا فى القديم إذا مر مسن محترم على رجل وهو يدخن شُبُكاً وضعه جانبه لإخفائه. ومن هذا القبيل احترام الرؤساء. فمن لم تكن له رتبة احترم ذوى الرتبة، والفلاح يحترم العمدة أو شيخ البلد، وإذا مر فوجد العمدة نائماً على الباب لم يستطع أن يمر عليه، وإذا كان راكباً نزل عن ركوبته. وعلى العموم يحترم من هو أقل سناً من هو أكبر سناً، ومن كان من طبقة، الطبقة التى هى أعلى منه، وهكذا... ويظهر أيضاً هذا الاحترام فى المخاطبات، فمن كتب

رجعت وفوق ذاك الحمل خرج

(انظر بدائع الزهور لابن إياس)

ثم كان الولاة الذين تولوا بعده ظلمه قساة جبارين نهايين مرتشين مما أذل المصريين، وحقر نفوسهم، ولا تسأل عما كان يفعله الكُشاف والملتزمون وغيرهم من الأتراك العثمانيين، حتى إن العوام أكثروا من الأمثلة وتناقلوا الحكايات التى تدل على ظلمهم وغبائهم ورشوتهم وتدنيهم دينياً ظاهرياً ونحو ذلك.

نعم إنهم امتازوا عن المصريين بالنظافة والجمال والأناقة فى المعيشة. ولكن هذا لا يقاس بجانب جبروتهم وسوء سلطانهم، فربما كان تأثيرهم السئ فى المصريين أكبر أثراً.

وقد حكموا قرونًا طويلة قابلها المصريون بصبر عجيب، حملهم عليه فى الغالب طبيعتهم واتحادهم فى الإسلام. ولذلك لم يتحملوا جزءاً منه من الفرنسيين لمخالفتهم للمصريين فى الدين؛ فظلت كل يوم ثورات تقض مضاجعهم حتى خرجوا. وكذلك الأمر مع الإنجليز.

لقد لقى المصريون كثيراً من العذاب والذل فى العصور المختلفة، من فراعنة، ويونان، ورومان، ومن ابن طولون فى عسفه وفخفخته، ومن الإخشيديين فى ذلتهم وضععتهم، والفاطميين فى تخريفهم وكثرة سفكهم للدماء، والأيوبيين فى الخلافات الشديدة بينهم وزجهم المصريين معهم، والمماليك فى طيشهم وغرورهم. ولكن هذا كله لا يساوى ما لقى الشعب المصرى من العثمانيين. فقد حط عليهم من الهم والغم

كبير، يتوصل إليه بسرّادب ثم لا يظهر لهم أثر بعد. وقد أخافت هذه الشائعات أناساً كثيرين من إجابة الدعوات إلى هذه السهرات السرية.

سوارس: كان في القاهرة عربات كبيرة مسقوفة تحمل الركاب من شارع إلى شارع، يجرها جياد، وربما سميت سوارس باسم منشئها، كميدان سوارس الذي سمى باسمه؛ وكثيراً ما يكون الركاب على الجانبين، وفي الوسط توضع الزكائب والأخراج والقفف فيصعب على المار أن يتخطاها. وكثيراً ما تحدث منازعات بسبب ذلك. وقد حدثت لي شخصياً حادثة من هذا القبيل، إذ كنت أحمل بيدي كتاباً من أربعة أجزاء وأردت أن أخطو القفف فلمست رجلى امرأة فسبّت، فلما زجرتها صوتت، وكان ما كان مما لست أنساه. وقد جرت الحادثة إلى المحاكم.

سور القرآن: يعتقدون أن سور القرآن وآياته ليست للدعوة الإسلامية، ولكن لكل سورة خواص، كالشفاء من الأمراض، والسعادة، ومواجهة الحكام، فيقولون مثلاً: إن من أراد أن يصلح بين زوجين أو أخوين متخاصمين، فليكتب في قرطاس بماء ورد وزعفران وشئ من مسك: بسم الله الرحمن الرحيم. يحمّد فلان بن فلانة لفلان بن فلانة، أو فلانة بنت فلانة طاعة الله ولفاتحة الكتاب. مالك يوم الدين إلخ". وهكذا. ويكون في حالة الكتابة بخور عود ولبان ذكر. ويقولون في آية الكرسي مثلاً: من قرأ

لمن هو أكبر سنّاً أو جاهاً افتتح خطابه بقوله أبى أو سيدى أو والدى، وإن كان نظيره قال له أخى.

ومن هذا القبيل تعاطم الجنس؛ فقد كان الإنجليز في السودان يحرّمون على أهل البلد أن يسيروا أمامهم وهم ركوب، بل لابد أن ينزلوا عن ركوبتهم احتراماً لهم. وبعض الأوروبيين عادة يأنفون من ركوب بعض "الملّوتين" معهم في السفينة أو في القطار أو في مطعم. وهذه العادات كلها سائرة إلى الفناء ومن هذا القبيل ما كانت عليه المرأة من المبالغة في احترام زوجها، وقد كانت منذ سنين تقف أمامه لتتلقى أوامره وتدعوه يا سيدى، ولا تستطيع أن تأكل معه، وقد تقف أمامه عند الأكل بالكباية فيها لماء وتخضع له أكثر من خضوع الخادمة له، وتتخذ كل الوسائل لنيل رضاه وتوفير أسباب السعادة له. ثم تغير الحال فبدأت بالمساواة ثم بخضوع الرجل للمرأة. والله بالمستقلّ عليم.

السهرات: كان في الزمان الماضي تقام سهرات خاصة في بيوت خاصة، يدعى إليها نخبة من الفتيان والفتيات، يقضون ليلتهم في البيوت في أنس، وسمر، وترف؛ وقد يقودون بعض أصحابهم معهم.

ولكى يحتفظوا بسرية هذا كانوا يعصبون أعينهم ويركبونهم عربات إلى البيت المقصود، فإذا وصلوا فكنت العصبية، وبعد الانتهاء يعودون كما جاءوا، لئلا يعرفوا في أى مكان كانوا... وكانت تذاغ أخبار غريبة عن رجال من الجيش يدعون إلى بيت

وهناك أسواق عامة كبيرة للأحياء كلها. وربما كان السوق لشئى خاص دون غيره، الصاغة لبائعى الحلى، والتربيعة لبائعى الدهانات والعمود. والكعكيين لبائعى البلغ. والغورية لبائعى العقاقير، الموسكى لبائعى الأقمشة. وهكذا... فمن أراد شيئاً قصد سوقه واشتراه.

والبيع والشراء تغلب عليه المماكسة، فالشئى إذا كان بخمسة قروش قال البائع إنه بثلاثين، فيقول المشتري إنه بخمسة، فلا يرضى البائع ولا يزال المشتري يزيد قرشاً فقرشاً حتى يكتفى، وذلك كمماكسة الإنجليز عند المعاهدات، ولا أدرى أخذوها منا أم أخذناها عنهم.

ويلحق بذلك الباعة المتجولون وهم يبيعون أكثر الأشياء، فمنهم من يبيع المأكولات، ومنهم من يبيع الملابس، ومنهم من يبيع الخردوات. وهم أكثر من أصحاب الدكاكين مماكسة. وهم عادة يبيعون الأشياء أرخص، لأنه ليس عليهم إيجار دكان، ولا إيقاد أنوار ولا أجره عمال، ولا دفع ضرائب. وكل ذلك موفور عليه. وبعضهم ماهر فى المماكسة والخداع، وأكثرهم من الصعايدة.

سوق العصر: كان فى جوار بيتنا بالمنشية سوق يعقد بعد عصر كل يوم، ومن أجل ذلك سمي سوق العصر؛ وهو خلف جامع السلطان حسن. وكنت ترى فيه أنواعاً مختلفة من السلع، فهذا يفرش فرشة عليها مطاوى ومقصات وفتاحة علب وسكاكين وقطع من الحديد المختلفة، وهكذا. وهذا

آية الكرسي عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت. ومن قرأها عند النوم لم يقربه شيطان تلك الليلة. ويقولون إنك إذا أردت هلاك عدو أو خراب داره فقرأها عدد حروفها، وقل بعد ذلك: يا قاهر يا ذا البطش الشديد.

ويقولون فى الوقاية من العين (يكتب ويحمل بعد البسمة): خرجت عين الحسود، من أحداق بيض وسود، "قل أعوذ برب الفلق... إلخ.

ومما يكتب للعين والنظرة ويعلق على الرأس هذه السور الثلاث التى ليس فيها كاف سورة العصر، وإيلاف قريش، وقل أعوذ برب الفلق. وهكذا لكل سورة وآية فوائد. ومن ذلك أيضاً إذا أريد حبس المطر فى أوقات الضرورة "فليقل إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا. يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى، وغيض الماء. اسكن أيها الغيث كما سكن عرش الرحمن.. وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم" وقد ألف فيه كتب كثيرة. وفى تفسير الزمخشري فى آخر كل سورة بيان لفوائدها.

وقد اشتهرت على الخصوص سورة يس والواقعة وتبارك وقل هو الله أحد لقضاء أغراض شتى⁽⁵²⁾.

سُورِق: فلان سُورِق. أغمى عليه.

السوق: يكاد يكون لكل حى سوق، يكون فيه البقال والجزار والخضري والفكهاني وبائع السجاير ونحو ذلك.

الأربعين، وبنى ضريحاً صغيراً، وادعى أن فيه شيخاً، فامتنع الناس عن البول فى هذا المكان. ولذلك تراه كثيراً فى أركان القاهرة.

يبيع مأكولات كالكرشة والسقط، وهذا يبيع البيض والسميط، وآخر يبيع النحاس، وحاو يجمع الناس عليه، وآخر يبيع المراتب والألحفة والأسرة، وآخر يسن السكاكين والمقصات، وهذا يلعب الكتشيئة لعبة ماهرة، حتى قل أن يصيب اللاعب فى لعبه. وهكذا كان السوق معرضاً صغيراً للأدوات والمأكولات والمفروشات المنزلية وينعقد إلى المغرب كل يوم. وكان لى فى المرور على البائعين تسلية كبيرة وإن لم أشتر شيئاً خصوصاً فى عصر رمضان.

السيد أحمد الكنفانى: كان رجلاً بديناً يبيع الكنافة عند باب المتولى، يلبس قفطاناً وعمة من غير جبة، واشتهر أيضاً بأنه عند دواء يشفى الإجزىما والقوبة. وحدث أحد الأطباء الكبار أن خادماً له أصيب بالإجزىما واشتد عليه المرض فوصف له العلاج فلم ينجح، ولكن عجوزاً ذهبت به إلى هذا الرجل، ومن الغريب أنه شفى تماماً. وربما كان علاجه نوعاً من الأدهان تنفع فى هذا المرض ولكن الغريب أن الذى يقوم بهذا العلاج هو "كنفانى".

سیدی الربيعين: عند القاهريين شيخ مشهور، يسمى سیدی الأربعين. يدعون أن له أربعين مقبرة، والأربعون كناية عن الكثرة، وليس المراد بها العدد المخصوص. والسبب فى كثرتها أن صاحب البيت إذا وجد الناس يبولون فى ركن من أركان بيته أو حارته فمنعهم فلم يقبلوا احتال بين ليلة وضحاها فادعى أن فى هذا المكان سیدی

ش

آخره قطعة من الخشب القوي مجوفة كالبلوط ونحوه يوضع فيها الدخان، وقد كان منتشرأ في مصر. وكثيرأ ما كنا نرى الأغنياء يخرجون ووراءهم الخادم يحمل الشبك ليستعمله سيده إذا جلس في الدكان أو في البيت. ويبلغ طول الشبك نحو متر، ويتفنن فيه أصحابه، فقد يغطي بالحريز الذي تحليه سلوك ذهبية.

ويكون فمه عادة عند الأغنياء من الكهرمان، وكان يحترف كثير من الفقراء حرفة تسليك الشبك. فيسمى محترفوا هذه الحرفة "المسلكاتية" فكانت تراهم في الطريق يحملون مقطفاً أو وعاء فيه سلوك ممتدة. ومن هذا القبيل الشيشة أو النرجيلة، وكان يقضى المصريون في شربه أوقاتاً طويلة.

وقد أطلق على مصلح الشبك للأغنياء الشبكي. وهي نسبة تركية، ولا يزال إلى اليوم عائلات كثيرة تسمى بالشبكي.

شجرة العذراء: هي شجرة عتيقة في جهة المطرية. يحج إليها المسلمون والنصارى على السواء، ويتبركون بها ويدعون الدعوات لا اعتقادهم في استجابتها عندها⁽⁵³⁾.

الشحاذون: ينتشر الشحاذون في مصر انتشارأ كبيرأ على أشكال وأنواع. فمنهم من

شال: هو أنواع كثيرة: منها الشال الكشميري نسبة إلى كشمير. ويستعمل الشال الكشميري في مناسبات كثيرة، كلف خشبة الميت، وتغطية العروس عند دخولها إلى بيت زوجها. ويلبسه بعض العلماء للتدفئة في الشتاء، ويهدى للمأذون إذا عقد عقداً لقوم أغنياء، والأمراء والأغنياء يحتفظون بصندوق مملوء بهذه الشيلان للإهداء منها في المناسبات.

وهناك شيلان أخرى غير كشميرية، فشال من نسج رفيع يتعمم به، وشال من قطن أو صوف تلقه المرأة على رأسها أو تضعه على كتفها في الشتاء، وقد يلبسه الرجال في الأرياف.

ويتغزل الصعايدة في المرأة التي تلبس الشال، ومن أغنياتهم المشهورة هذه الأيام: "يا أم شال أحمر قطيفة يا أم شال". ويسمون بعض الشيلان الشال الغاباني، وأصله ياباني، وهو مشجر كالشال الكشميري، ولكنه أرخص منه.

شالوه شيلة بيلة: تعبير يعنى شالوه تماماً من يده ومن رجليه.

شبشب: (انظر: حب).

الشبك: عود خشبي طويل، ركب في

أو المديح. ومن ينتظرون مؤلفاً يخرج كتاباً فيربحون في إهدائه لهم. ومرة طلب إلى أحدهم أن أهديه كتابي فجر الإسلام وادّعى أن حرامياً سطا عليه وأرسل إلى زجلاً يقول فيه:

طبق في البيت ولا خلى

طبق في البيت ولا حلى

ويعتذر بذلك عن عدم قدرته على شراء الكتاب. ومثل ذلك الموظفون في المكتبات العامة، فلا يسمعون بمؤلف إلا ويطلبون منه إهداء كتبه كأن المؤلف ألفها للإهداء إلى غير ذلك.

واشتهر شحاذوا السيدة زينب والسيد البدوي بالإلحاح في الطلب، فيقولون إذا رأوا ملحاً "زى شحاتين السيدة، أو شحاتين السيد". وبعض الشحاذين يظهرن الفقر ويلبسون الأخلاق البالية مع أنهم قد يكونون جمعوا من شحاذتهم أموالاً طائلة، ثم هم لا يكفون عنها كأنها حرفة شريفة. والعادة أن يسأل السائل بألفاظ كثيرة مثل أعطنى حسنة لله. فيجيب الآخر بالعطاء أو يقول له: الله يحنن عليك - وعلى الله، إذا أراد أن يصرفه. ومما جرى من حكايات الشحاذين أن أحدهم يقول إنها حرفة مربحة، فهو يستطيع أن يسأل ألفى شخص فهب أن ألفاً وستمائة قال على الله. فيبقى أربعمائة يعطيه كل رجل قرش تعريفة، فتصير مائتى قرش.

وقد جرت العادة أن بعض المحسنين يحسن بالطعام واللباس خصوصاً فى

يتجول فى الشوارع والحارات، ومنهم من يقف على أبواب الأولياء والمساجد، ومنهم من يترقب غفلة الناس فيأخذ النذور وليس عملهم إلا نوعاً من الشحاذة. فيدعون دعوات دينية تدعو إلى الكرم والإحسان.

وقد يستخدمون وسائل موسيقية كالضرب بالدف، والتغنى بمدح النبي صلى الله عليه وسلم. ومنهم فى العصر الحديث من يتخذ حرفاً شكلية لا قيمة لها كالوقوف أمام السيارات، وعند الخروج من الملاهى ونحو ذلك. وكان مقتضى جو مصر وإمكان الاكتفاء بقليل من المأكولات ومقتضى ثروة البلاد أن يكون الشحاذون أقل من هذا، ولكن كثيراً منهم اتخذها حرفة. وهم يكثرن عادة عند ما يستطيعون أن يستقزوا عواطف المسلمين للإحسان كأوقات زكاة الفطر ورمضان والعيد الكبير وغير ذلك. ومنهم من يدخل المساكن ويستجدي، ويتصنع الفقر والبؤس إما بالعرج أو بالعمى أو بأفة نزلت به، كالجرب والبرص أو بحادث نزل به كقطع يده ورجله ونحو ذلك.

وكلما جهدت الحكومة أن تمنعهم بالتقنين بمنع الشحاذة وجمعهم فى الملاجئ ذهبت أعمالها فى هذا السبيل أدراج الرياح وعاد الشحاذون كما كانوا.

وهناك شحاذة أخرى أرقى من هذه وهى الرجاءات لتعيين نسيب أو قريب فى الحكومة أو نقله من مكان بعيد إلى القاهرة.

وهناك أنواع أخرى كالذين ينتظرون ترقية شخص فيكتبون له القصائد فى التهنئة

رمضان، وبعضهم كان يحسن بالمليم، فلما فقد المليم قيمته صار أقل ما يحسن به القرش. وأصبح الشحاذ يأنف أن يأخذ مليمًا أو مليمين. وينسبون إلى الأتراك أنهم قد يقعون في الفقر ويسألون في عظمة وغطرسة. ومن الأمثال الشائعة أنهم يقولون: "حسنة وأنا سيدك".

ويحكون أن تركياً افتقر فأتى بإبريقين ليشرّب منهما المارة ويعطونه إحساناً. فكان كلما تقدم أجد من إناء ليشرّب منه زجره وأمره بالشرّب من الآخر، إظهاراً لعظّمته وسيطرته.

ومن هذا الباب الشحاذة بالقرآن أو القصائد النبوية، فكثيراً ما تجد في الشوارع رجالاً وقتيات يقرأون القرآن للشحاذة وكثيراً ما تجد في الحارات رجالاً ينشدون القصائد النبوية ومعهم الدف يضربون عليه للسؤال⁽⁵⁴⁾.

شدّ دى جريت دى: يقولها الحاوى فى لعبة معروفة. يشد بها الخيط من ناحية فتذهب من الناحية الأخرى، ويستعملونها كذلك كناية عن أن شيئاً حصل، فذهب غيره.

شرا العبد ولا تربيته: كانت تقال أيام الرقيق منتشراً، أى شراءه كبيراً خير من تربيته وهو صغير إلى أن يكبر، وهكذا تقال على سبيل المجازفة فى أشياء أخرى، يقولها مثلاً الرجل يشتري عمارة بدل أن

بينها لما فيها من التعب وهكذا.

الشربات: من المعتاد أن يقدم "الشربات" فى المناسبات المفرحة وهو يصنعونه من أشياء كثيرة من الماء مذاًباً فيه السكر مع ماء الورد أو ماء زهر البرتقال أو عصير البرتقال أو الليمون... إلخ. ويستعمل المصريون خصوصاً بعد الأكل (الخشاف) وهو ماء محلى بالسكر وضع عليه الزبيب والصنوبر والتين والبلح والعنب.

وقد يباع هذا الشربات فى الطرقات كما يباع أيضاً الخروب والعرقسوس وهم عادة يقدمونه فى الأفراح ككتب الكتاب ويسمون بائعه الشربتلى. وفى المدن دكاكين كثيرة يباع فيها الشربات. وأحياناً يسقونه وفاء لنذر كمرىض نذر أهله إن شفى أن يسقوا الشربات. وقد غزته أخيراً الكولا والبيبسى كولا. ويقولون دمه شربات أو كلامه شربات إذا كان خفيف الروح.

شربت المر: تعبير يعنى لقيت العذاب. ومن أغنياتهم أنا شربت المر. وأحياناً يقولون: "أنا أسقيه المر من كيغانه".

الشركة فى البهائم: اعتاد الفلاحون أن يشتركوا على الجاموس والبقر والعجول. وقد يشاركهم الحضريون فى ذلك، فإذا فعلوا فقد اعتادوا أن يكون للفلاح الذى يطعم البهيمة لبنها وعملها فى نظير إطعامه لها، فإذا ولدت مولوداً فهذا المولود مناصفة

بينهما. وكثيراً ما يحدث النزاع بسبب هذه المشاركة خصوصاً إذا مات البهيم⁽⁵⁵⁾.

الشركس: نوع من الترك وقد حكموا مصر مدة 139 سنة. وأولهم برقوق ويليهِ فرج وربما نسبت إليه الفرجية. وقد عرفوا بالجمال والقوة وقد أورثوا أخلاقهم لبعض المصريين. وكثير من العائلات الشركسية كانت تسكن مصر. وبقي الحكم في أيديهم إلى أن أخذه منهم السلطان سليم العثماني، وكان يجلب إلى مصر كثير من الشركسيات الجميلات، يسترققن ويبعن في الأسواق للأمرء والأغنياء.

وفي الحكم العثماني كان منهم جنود كثيرون يسمون الشركاسة، ومن غريب أمر هؤلاء الجنود أنهم انقسموا قسمين: قسم يقال له الفقارية، وقسم يقال له القاسمية وبينهما عدا، كما انقسم الفلاحون والعربان إلى سعديّة وحرامية.

وقد كانت الفقارية مشهورة بالغنى والكرم، والقاسمية بالغنى والبخل. واختص الفقارية باللون الأبيض، فمراكبهم وأوانيهم وكل شيء يستعملونه أبيض بعكس القاسمية فقد تميزوا باللون الأحمر فبيرقهم أحمر وأوانيهم ومفروشاتهم حمراء. واشتد النزاع بين السعدية والحرامية. وكثر الخراب بسببهم، وهكذا انحلت الأمة المصرية من قديم.

وقد ورتنا عنهم إلى الآن نوعاً من الإدام يسمى الشركاسة، وهو طعام عماد الرز

والفرخ. ولا يزال إلى اليوم عائلات كثيرة في مصر من أصل شركسي، يتميزون ببياض الوجه وحمرة وطابع خاص بهم، ونظافة في بيوتهم وغير ذلك.

شُرْمُ بُرْمُ حَالِي غلبان: كثيراً ما يقولها الأدبائية، وربما كانت حالي غلبان تفسيراً لشُرْمُ بُرْمُ.

الشعر: الشعر معروف. ولكنهم يعتقدون أن كل جزء من الإنسان كقص الشعر والأظافر والختان يجب أن يحفظ، وإلا كان عرضة لأن تأخذه امرأة فتعطيه لرجل يسحره × لأن من يريد أن يسحر غيره كان من خير وسائله أن يحضر له خصلة من الشعر أو الأظافر⁽⁵⁶⁾.

الشعر: للشعر المصري طبيعة خاصة تشيع في الرجز وفي الأغاني، وفي النكت. وهذه الخصائص هي:

(1) خفة الروح وحسن الذوق، (2) العناية غالباً بالجناس اللفظي، (3) استعمال التعبيرات المصرية، مثل للحيطان آذان ونحو ذلك، (4) الذوبان في الحب من بكاء على القطيعة، وغزل في العيون والقنود وبكاء على أيام الوصال، وحزن على المشيب ونحو ذلك، (5) تسلط النغمة الحزينة على النغمة المفرحة.

وهذه الخصائص الخمس تجدها في الشعر كما تجدها في الزجل كما تجدها في

باللفظ واللحظ كم ترى أبداً
تسخر بي دائماً لتسخرنى

ومثل:

أرى شعرة بيضاء فى الخد نابته
لها لوعة فى صفحة الصدر ثابتة
ومن شؤمها أنى إذا رمت نتفتها
نتفت سواها وهى تضحك شامتة
(انظر: البهاء زهير ابن دانيال)

الشعور الوطنى: نذكره لأنه ظاهرة من
ظواهر الأمة الاجتماعية وأصبح عاملاً
مؤثراً فى حياتها، ولم يكن موجوداً إلا فى
الأيام الأخيرة بعد الاحتكاك بالأجنى وتقليده.
فلما هاجم الفرنسيون مصر لم يكن الشعور
الوطنى ظاهراً وإنما كان الموجود الشعور
الدينى، فلذلك أراد الفرنسيون أن يضحكوا
على عقول المصريين، بدعوى دخول
بعضهم فى الإسلام كعبد الله منو، وربما
ادعى نابليون نفسه ذلك.

ولكن لم تجز الحيلة على المصريين،
فظلوا فى عدائهم للفرنسيين بحكم مخالفتهم
لهم فى الدين. وهذا هو الذى يفسر طاعتهم
للترك وسكوتهم عن مظالمهم لاتفاقهم مع
الأتراك فى الدين.

ويظهر أيضاً الشعور فى كل حركاتهم،
وسكناتهم. وحتى عربى "باشا" نفسه
استغل هذا الشعور الدينى فى ثورته. فكان
يستعين على نجاحها بحمل العلماء على
قراءة البخارى، وحمل الدراويش على إقامة
الأذكار. واستغل الشعب ببيضة ولدتها

الأغانى. ويظهر أن توالى الظلم عليهم
وانغماسهم فى التهلك والذائد ورقة ذوقهم
طبعتم بهذا الطابع الذى لا نظير له. ومن
الأدلة على ذلك أن قرأت مرة قصيدة
لطيفة، فأعجبت بها ورأيت فيها الطابع
المصرى فقلت لا بد أن تكون هذه مصرية
حقاً. ونسوق الآن بعض هذا الشعر
المصرى للدلالة على ما نقول:
أصبحت أفقر من يروح ويغتدى

ما فى يدى من فاقة إلا يدى
فى منزل لم يحو غيرى قاعدا
فإذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانت لأم المهتدى
ملقى على طراحة فى حشوها
قمل كمثل السمسم المتبدد
والفار يركض كالخيول تسابقت
من كل جرداء الأديم وأجرد
هذا ولى ثوب تراه مرقعا
من كل لون مثل ريش الهدهد
ومثل:

دعوتنى للعرس يا سيدى
فكدت أن أحضر من أمسى
وها أنا الليلة فى دراكم
فالكلب ما يهرب من عرس
ومثل قول الآخر:
جمعك ابن الكثيب والعُصن
فرّق بين الجفون والوسن
يا فتنة ما وقبت صرعتها
مع جذرى دائماً من الفتن

وكثر أيضاً اتصال الشبان بالأوروبيين عن طريق البعثات وقراءتهم الكتب الأجنبية في الوطنية، ورؤيتهم مشاعرهم وأعمالهم. ولذلك لما مات مصطفى كامل نبض له قلب مصر لأول مرة، كما قال قاسم بك أمين.

ومع ذلك ظل الشعور الديني يغلب الشعور الوطني بدليل أنه لما نادى أحمد لطفى السيد فى الجريدة بالدعوة إلى المصرية لا العثمانية ولا غيرها، كره الناس قوله وشنعوا عليه. ثم لما جاء سعد "باشا" زغلول كان من أثره إيصال الشعور إلى الفلاحين إذ كان نابعاً من أنفسهم، وكان خطيباً مفوهاً. وطالب بتوقيع توكيل من الفلاحين أيضاً فاجتمعت البلاد كلها حوله.

وشئ آخر ينسب إليه، وهو فهمه وتفهمه الأعيب سياسة الاستعمار وسد الباب فى وجهها. فإذا أرادوا أن يفرقوا بين مسلم وقبطى جعل فى الوفد أقباطاً يوقعون مع عرائضه، ودعا إلى تعانق المسلم والقبطى. وإذا أرادوا الإغراء بالمال والسلطة إلى عليهم ذلك.

وشئ ثالث كان له الفضل فيه وهو عدم الخوف من التهديد، فقد كان المصريون قبله يخافون أشد الخوف، وكان إرسال إنجلترا مركباً حربياً واحداً كافياً فى حل كل إشكال، فهدد هو بالنفى إلى سيشل، فقبل عن رضا واطمئنان. وأصبح الأسطول لا يكفى فى الإقناع.

وتسرب الشعور الوطنى بفضله وفضل السيدة زوجته إلى النساء، كما حدث فى

فرخة فى طنطا زعموا أنها مكتوب عليها: (نصر من الله وفتح قريب)، وبالمدافع الخشبية الثلاثة، وهى مدفع السيد البدوى، ومدفع سيدى عبدالعال، ومدفع سيدى إبراهيم الدسوقى. ولكن يظهر أن الشعور القومى ظهر إذ ذاك. فحركة عرابى نفسه فى بدنها كانت مطالبة بمساواة الضباط والجنود المصريين بأمثالهم من الشراكسة، وهذه نزعة مصرية لا إسلامية. ولكن يؤخذ على الثورة أنها كانت مصحوبة بغرور الزعماء، بل إن هذا الشعور كان من قبل ذلك. فيؤثر عن مراد بك عند مهاجمة الفرنسيين أنه قال: "إنهم إذا جاءوا مزقت شملهم" وكذلك كان عرابى يستخف بالإنجليز، ولذلك لم يحصن البلاد التحصين الكافى.

وشئ آخر وهو عدم فهم المصريين للأعيب السياسية، والدسائس الخفية، مثل إرشاء بعض المصريين بالأموال للتفريق بينهم ونحو ذلك.

وعلى العموم، فقد كان الذين يساعدون عرابى وطنية يحصرون على الأصابع، ولما كسروا واحتل البلاد الإنجليز، ظهر المقت والغضب، ولكن كان يلطفهما الإيمان بالقضاء والقدر. وأن الله سلب الإنجليز علينا ظلمنا وعصياننا. ولما جاء مصطفى كامل كان مزيته تقطير الشعور الوطنى إلى الشعب بعد أن كانت نزعة الوطنية أرسقراطية، وذلك بجريدته وخطبه، فاشتد إقبال الناس عليهما وتأثرهم بهما.

بتدبير المكاييد.

شقائق ومقائق: ينطقونها بالهمزة، يقول الرجل لآخر، أو المرأة لآخرى: إذا ورتتى ورَيْتِك شقائق ومقائق، أى أشياء طريفة.

شَمَّتِ الناسَ فى: تعبير يعنى جعلهم يفرحون فى.

الشمس: هى من المعبودات القديمة. وكانوا يقيمون لها شعائر العبادة ويسمونها (رع) وقد بقيت بقايا من عبادتها. من ذلك أغانى الفلاحين ويطلقون على الشمس فيها (البهية) ولا يزال عندنا من بقايا هذا أن الطفل أو الطفلة إذا خلعت سنًا من أسنانه أو أسنانها قذف بها فى الشمس وقال:

"يا شمس يا شموسه، خدى سنّ الحمار وهاتى سن العروسة" وفى بعض أغانى الصباح تمجيد الشمس مثل "الشمس طلعت، نامت وصحيت" ... إلخ.

الشمع: يستعملونها للإضاءة. وإذا أرادوا كثرة الإضاءة أكثروا من الشمع، وأحياناً يصنع شمع كبير يغيب زمنًا طويلاً. ويستعملونه أيضاً فى فوانيس رمضان، ويعلقون شمعة على رأس الطفل المولود حديثاً. ويحتفلون عادة فى عيد الميلاد فيستحضرون شمعاً بعدد سنّى المحتفل به وهى عادة أفريقية. وتضاء به مقامات المشايخ وتضاء به المصابيح فى

مظاهرة السيدات، وأخيراً زاد الشعور القومى من كثرة المظالم، فقد فشّت الرشوة والنهب والسلب، والفساد من كل نوع، فلما قام الجيش بتغيير هذا النظام انضم الشعب إليهم وأيدهم، ولو لم يكن الشعور القومى قوياً ما نجحوا.

وقد كان لى صديق كلما شكوت له كثرة الفساد، قال دعه، فإن شعور المصريين لا يظهر إلا بكثرة الفساد. ومن الغريب أن الشعور ينتبه لأشياء دون أخرى، فالفلاح مثلاً ينتبه وعيه إذا اعتدى عليه فى ماله وحرابه، والناس ينتبهون لاغتصاب مالهم، ولا ينتبه شعورهم كثيراً ضد الرشوة. وينقصه عدم الغرور أيضاً وحاجته إلى الوعى الزائد، وتقدير الشخص بعمله لا بحزبه، والإكثار من العمل لا القول، وغير ذلك. والزمان كفيل بهذا إن شاء الله. وفى حرب القنال الأخيرة مثل رائعة على ما نقول. أكثر الله من أمثالها.

شغله يجئن: تعبير يعنى أن عمله فاق الحدّ إلى درجة أنه يكاد يُجن من رآه أو سمعه، فمثلاً يقولون دا ضربه على البيانو يجئن.

شفاعة لا الله، كرامة لا الله: تعبير يقال عند الاستعانة برجل والاستشفاع به. **شغّه مقلب:** أى أوقعه. والمقلب ما يقلب الشخص على وجهه أو على ظهره. وهو أيضاً المكيدة التى تكاد للشخص، ولو معنوياً. واشتهر فى مصر بعض الرجال

زفة العريس (57).

(طوبه) تصير الصبية كركوبة، كركوبة أى عجوزة، دليل على شدة البرد، حتى أن الصبية القوية تكون بردانة كسلانة كأنها امرأة عجوز: وهو يساوى فبراير.

(أمشير) يقول للزرع سير سير، لأن فى أمشير يسخن بطن الأرض ويبتدئ الزرع فى النمو. وهو يساوى مارس.

(برمها) روح الغيط وهات. دليل على أن الزرع يكون نضج، والمحصول استوفى. وهو يساوى أبريل.

(برمودة) دقوا الشعير بالعمودة، ولا يبقى فى الغيط ولا عوده، لأن المحصول انتهى وطاب واستحق أن يدق، وهو يساوى مايو.

(بشنس) إكنس البيت كنس. لنفاد المحصول المخزون. واستقبال المحصول الجديد، وهو يساوى يونيو.

(يؤونة) يسمون بؤونة وؤونة الحجر، أى أنها من شدة حرّها تؤثر فى الحجر، وهو يساوى يوليو.

(أبيب) يقولون أحياناً من يأكل الملوخية فى أبيب يجيب لبطنه طيب، لأن عودها يكون صغيراً. وقد يختلط بعيدان أخرى ضارة. وأحياناً يقولون أبيب، طباخ العنب والتين، إذ يظهران أول ما يظهران فيه، وهو يساوى أغسطس.

(مسرى) فى مسرى تجرى كل ترعة عسرة، من كثرة الفيضان وهو يساوى سبتمبر. ويسمون ليلة 11 طوبة ليلة الغطاس وهو يتوقعون فيها مطراً ولو

شمع الفتلة: تعبير يعنى ذهب بحيلة. يروون أن ملكاً أخبر عن نصاب فناداه وقال له: انصب علىّ فقال له: اعطنى عشرين قرشاً لأشترى عدّة النصب فأعطاها له، فحضر ومعه فتلة طويلة وقال للملك: امسك بهذا الطرف، حتى أشمّع الفتلة، فأمسك الملك فتلة، وصار النصاب يشمّع الفتلة حتى غاب، فقالوا فى الشخص الذى يغيب بحيلة: شمّع الفتلة.

الشهور القبطية: كثيراً ما يستعمل الناس خصوصاً الفلاحين الشهور القبطية بدل الشهور العربية القبطية بدل الشهور العربية والإفرنجية لأنها ثابتة تتبع الشمس. فيمكن أن يرتبوا عليها مزارعهم ومحاصيلهم وصيفهم وشتاءهم. وقد اعتادوا أن يضعوا لكل شهر خاصة تخصه. ويتذكرونها بمناسبة، فيقولون (توت) الكتكوت ياكل ويموت، دليل على أنه فى هذا الشهر نصاب فيه الكتاكيت بالأمراض وهو يساوى أكتوبر. (بابه) ادخل واقفل البوابة، لأن الحب خزن فى البيت فيخشى عليه من اللصوص. وهو يساوى نوفمبر. (هاتور) أبوالذهب المنتور. وعنون بالذهب حبوب الذرة التى نضجت. وهو يساوى ديسمبر. (كيك) صباحك مساك، تقوم من فرشك تحضر عشاك، دليل على أن فيه يكون النهار أقصر ما يكون وهو يساوى يناير.

خفيفاً، فإذا لم تمطر السماء غضبوا. ويقولون عطست يا نصراني، صيفت يا مسلم بعد أربعين. ويسمون الرياح الشديدة التي تكون في أواخر طوبة زفة أمشير.

الشيء دا بريمو: تعبير يعنى من أحسن صنف، فيقولون طباخ بريمو، وسواق بريمو، وأكلة بريمو.

الشيب والشباب: يبكى الشعراء كثيراً شبابهم لأن النساء لا يقبلنهم بشيبيهم، وملئ الغزل المصرى بهذا مما يدل على حياة الغزل عند المصريين وكره النساء للمشيب، ولذلك أبكى الشيب شبابهم لأنه هو الذى كان يرضى النساء.

ومن الحوادث الكثيرة فى مصر أن يتزوج فى سن الستين أو السبعين زوجة شابة، وكثيراً ما يكون هذا سبباً فى خروج المرأة واستغفاله الرجل مع الإكثار من صبّه للمال بين يديها. ولكن كيف يغنى المال عن قوة الشباب.

ومن الأغنيات المشهور:

تجوزونى للشباب ليه

هو أنا وحشة والأ إيه

ومن الأمثال المشهورة "أبرد من الشايب عند الصبايا" و "أبرد من الشيب إلى الغوانى". ويقولون للشيخ إذا تصابى وزلّ "شايب وعايب". ومن الأغانى:

عمى يا شايب ما بحبّكش

دقنك البيضة شكشكت وشى

ويقولون عن الشايب "رجله والقبر". ويقولون لمن أسنّ كثيراً "طلعته الأسنان الخضر". ويظهر أنه إذا كبر جداً وسقطت أسنانه أكل على لثته فتجمدت فظنوها أسناناً وقالوا إنها خضر، بمعنى اللينة؛ لأن كل لّين يقولون عنه أخضر. فالثوب إذا لم يتم جفاه قيل له أخضر، ويقولون فى الأرض إذا رشّت ولم تجف إنها خضراء. وهكذا. وربكا حدث فى التاريخ شواذ جديدة تشبه أسنان الطفل.

ويقول أبو العلاء المعرى:

إذا ما أسنّ الشيخ أقصاه آله

وجار عليه النجل والعبد والعرس

وأكثر قولاً والصواب لمثله

على فضله أن لا يحس له جرس

يسبّح كيما يغفر الله ذنبه

رويدك فى عهد الصبا ملئ الطرس

فأصبح عن الغانيات مبعّضا

كأن خزه خزى وعنبره كرس

الشيخة: كانوا يستعملونها كثيراً هى

والشيك حتى قد يخصصون لها بعض

الخدم، فيضعون الماء فى إناء زجاجى أو

بلورى، ثم يركبون فيه أنبوبة طويلة لينة،

ويضعون حجراً من الفخار يملؤونه فحماً

وعليه نوع من الدخان يقال له (التمباك).

والرجال البلديون يستعملون (الحوزة) بدل

الشيخة. وهى عبارة عن غابتين بينهما

جوزة أو ما يشابهها مملوءة ماء.

ومن التمباك نوعان مشهوران: تمباك
يسمونه حمى، نسبة إلى حماة، وهو محرف
عن حموى. وتمباك عجمى.

شيك: تعبير يعنى لبس ثياباً أنيقة.

ص

وكان يقام فى مركز اللجنة فى عابدين، ثم انتقل إلى مركز اللجنة فى شارع سعد زغلول. ومثله صالون الأستاذ كامل كيلانى. وهناك منتديات سياسية أخرى. وقد تخرج من هذه الصالونات بقسميها عدد كبير من البارزين فى السياسة والأدب ولو دونت محادثاتها لكانت سجلاً عظيماً يصور الآراء الشائعة فى زمانها، ويبين كيف تعرض الآراء المختلفة. ولأصور للقارئ صورة من صالون ديموقراطى كان يعقد كل ليلة فى مندره بين بجوارنا؛ كان يجتمع فيه أصدقاء صاحب البيت، فأحياناً بعد العشاء يتسامرون، وأحياناً يأتون بفقير ذى صوت حسن يقرأ لهم القرآن الكريم، وأحياناً يتحفهم ساكن البيت بجوقته، إذ كان هو نفسه يضرب على الدف، وأحياناً تُقص القصص اللطيفة، وتسمع بعدها ضحكات من مكان بعيد. وهكذا كان فى كل حارة مندره كهذه أو أكثر. ثم غزت هذه الصالونات القهاوى المختلفة. وحل اللعب بالنرد والشطرنج محل هذه المسامرات. ويروى لنا التاريخ الحديث أن كثيراً من الأدباء كعبدالله نديم وحافظ إبراهيم كانوا من خريجي هذه الصالونات، سواء فى شعرهم أو ثقافتهم؛ وقد قلت عادة هذه الزيارات وإنشاء المنابر بسكن الشقق فى العمارات حيث لا تتسع

الصالونات: كان فى مصر صالونات كثيرة، يتحدث فيه فى السياسة والأدب والاجتماع ونحوها. وهذه الصالونات بعضها كان صالونات أرسقراطية كالصالون الذى كانت تقيمه نازلى هانم فاضل وكان يحضره مثلاً الشيخ محمد عبده وسعد باشا زغلول، وإبراهيم بك الهلباوى. وكان فى عابدين أمام باب باريس. وكانت موضوعاته الجدل فى أدق المسائل السياسية والاجتماعية، وكان وسيلة للفت أنظار بعض الحاضرين واستفادتهم. وكصالون الأنسة مى وكان يحضره الكثير من الأدباء. وأكثر حديثهم فى الأدب وما إليه. وهناك صالونات ديموقراطية كاجتماع بعض العلماء والأدباء فى صالون حلاق أو فى دكان سجائر، أو فى دكان شربتلى فينذاكرون الأدب وستناشدون الأشعار. وقد يعرضون لأحاديث فى النقد الأدبى. كذلك كان هناك صالونات هى عبارة عن المنابر، يجتمع فيه بعض أهل الحى ويتسامرون فى الأدب وأحوال البلاد وشؤونها. ومنها صالون لجنة التأليف والترجمة والنشر. ويقام مساء كل خميس من كل أسبوع ويتباحث فيه فى السياسة والأدب والاجتماع ويغشاه كثير من مثقفى القوم، مصريين وغير مصريين.

لمثل ذلك.

ومن خير الصالونات التي شاهدها صالون المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق بعابدين بجانب سراى نازلى هاتم. فكان هذا الصالون مثالا للبيوت القديمة؛ فكان يجتمع فيه المرحوم حسن باشا عبدالرازق الكبير والشيخ محمد عبده، وحسن باشا عاصم وغيرهم. وكان يجتمع مع ابنه المرحومين حسن باشا عبدالرازق ومحمود باشا عبدالرازق رجال السياسة يتناقشون فى المسائل السياسية. وكان يجتمع مع المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق وعلى باشا عبدالرازق رجال العلم، إذ كانا عالمين فى الأزهر، فكان يغشى مجلسهما رجال لعلم فى الأزهر، والمتفقون العصريون وبعض السيدات الإفرنجيات، فيتكلمون فى العلم وفى الاجتماع، وأحيانا قليلة فى السياسة، فكان مجلساً ظريفاً. وقد اعتاد هذا البيت أن تقام فيه موائد عامة للغداء والعشاء يدعى إليها من حضر، ثم تنصب حلقات الحديث والمناقشة وقد تستمر إلى ما بعد منتصف الليل، ويستمتع فيها أعتق الآراء وأحدثها، فكانت بذلك مثار جدل شديد ثم مبعث تقريب بين هذه الآراء. وتكاد كل صحيفة كبيرة اليوم وكل هيئة يكون لها ناد ينصب من حين لآخر فيجتمع فيه خيار المثقفين ويتبادلون الآراء وقد نقلت إذ ذاك بعض المحاضرات.

صباحك فل: يهتم المصريون كثيراً بمن يروونه فى الصباح.

صباغه مدوحس: تعبير يعنى ضرب فيه (المدة).

صبح جلدة على عظمة: تعبير يعنى صار نحيفاً جداً.

صبح منيل: تعبير يعنى غير منشرح النفس، ومثله صبح مدخن.

صبح ندامة: تعبير يعنى ساء حاله، ومثله صبح عدم.

الصداع: داء معروف. وإنما سقناه هنا لأن كثيراً من الدجالين يعالجونه بعلاجات خرافية؛ من ذلك قطع الشريان الصدغى الفكى، ويسمونه ضرب العرق، فإذا نزل دم زعموا أنه يزيل الصداع. وقد يعالجونه بخرافة أخرى، وهى رسم صليب بالريق على صدغ المصدوع. ومن طرق العلاج أيضاً عزيمة يتلوها المعزّم فيكون الشفاء حسب زعمهم.

صحّ تعمل العمل ده: تعبير يعنى لا تعمله وليكن عقلك صاحبياً. فلا تأت به.

صحن كنافه وجنبه أفة: يقولونها للشئ الجميل بجانبه شئ ردىء كشجرة الورد فيها الشوك، والبنت الجميلة تكون فقيرة.

بييعونه فى المدن الكبيرة ويعيشون وحدهم من غير عائلاتهم.

وقد اشتهروا بأغان خاصة بهم كالواوات، واشهر زجالهم الشيخ عبدالله لهلوبة، والشيخ القوصى، وكانت لهما أزجال ظريفة، كما اشتهر من شعرائهم فى العصر الحديث الشيخ محمد عبدالمطلب، ولهم أغان يستظرفها القاهريون ويغنونها مثل: يا أم شال أحمر قطيفة - يا أم شال سلم على ... ومثل: يا وابور يا مقبل على الصعيد .. إلخ.

ويكثر فى أغانيهم كلمة (يا بوى). وهم يفضلون الأخذ بالثأر بيدهم على الشكوى إلى الحكومة. وقد تمر سنون طويلة وهم يكمنون فى أنفسهم المطالبة بالثأر حتى يتمكنوا، وتجرى فى ذلك حوادث فظيعة فى منتهى الوحشية، وأكثر أسبابها الغيرة على النساء والتعدى على الزرع والحيوان.

وتعد أسىوط عاصمة الصعيد. ولذلك عقدوا فيها المؤتمر القبطى. ولهم لهجة خاصة بهم يستعملون فيها الجيم المصرية بدل القاف، مثل: جال فى [قال]، وجلنا فى [قلنا]. كما أن لهم كلمات خاصة بهم واستعمالات وأساليب لا يشاركون فيها غيرهم، وقد تغمض لغتهم وخصوصاً فيما هو أعلى من أسىوط حتى ليصعب على القاهريين فهمها.

كما أن لعامتهم ملابس خاصة، فإذا رأيت من يلبس جلباباً أسود ويتحزم عليه ويتلفع بشال على رأسه استدلتك من ذلك على أنه

الصعايدة: هم سكان الوجه القبلى، وقد عرفوا بالصبر على العمل واحتمال الشدائد؛ وهم كثيرو الرحلة إلى المدن كالقاهرة والإسكندرية، ولشدة أعمال البناء بنيت البيوت والعمارات الكبيرة على أكتافهم. وأكثر الباعة المتجولين منهم كتجار الفاكهة وغيرهم. وهم شديدي الغيرة على نساءهم، وكثيرو التعصب على غيرهم. ويظهر ذلك أشد الظهور فى مجاورى الأزهر، فإذا تعدى بحرأوى على صعيدي تعصب هؤلاء لصاحبهم، وهؤلاء لصاحبهم.

وشهروا كذلك بالكرم أكثر من البحاروة، فإذا نزل عندهم ضيف أكرموا غاية الإكرام، كما شهروا بالشددة فى المعاملة، ولذلك يخافهم الناس. وقد يثور بعض الصعايدة على بعض، وقد تحدث من مضارباتهم ومؤمراتهم بعض المجازر؛ وربما كان عدد الأقباط فيهم أكبر نسبة مما هو عند البحاروة. وربما كان الدم المصرى فيهم أوضح منه فى البحاروة، وذلك لقلّة اختلاطهم بغيرهم. واشتهر منهم علماء وسياسيون كثيرون كان لهم يد فى الحركات السياسية والاجتماعية، كرفاعة رافع لطهطاوى، ومحمد باشا محمود، وحسن باشا عاصم، والدكتور على باشا إبراهيم وغيرهم، وهم كثيراً ما ينزحون من بلادهم يبيعون الفاكهة أو الأشياء الصغيرة كأمواس الحلاقة، ثم يعودون إلى بلادهم فى مواسم الزراعة. وقد يتزوجون وينسلون ويتركون زوجاتهم وأولادهم فى بلادهم، ثم يبيعون ما

الكبراء إذا أرادوا صناعة شئ استجلبوه من الخارج، وكانت الصناعات المصرية حقيرة، تشتغل فى المهن الغذائية، كعجن الدقيق وخبزه، وذبح البهائم وجزارتها، ومعامل الدجاج وتربية البيض، وتحضير الفول المدمس، والفظاطرية. وكانوا أيضاً يحضرون الملابس تحضيراً بدائياً فيغزلون باليد القطن والحريير ويصبغون الملابس ويفصلونها ويخيطونها ونحو ذلك.

وشهر فى القاهرة سوق تسمى سوق العقادين، كانت تباع فيها شلات الخيط والزراير ونحوها. وكذلك يعملون على تشييد المساكن من بناء ونجارة وتبليط ونحو ذلك.

ولما جاءت الحرب الكبرى الأولى وامتنع ورد البضائع من الخارج اتجه بعض الناس إلى ترقية الصناعة الداخلية فربحوا كثيراً، وكان من نتاج ربحهم تشجيع همة بعضهم للرقى بالصناعة، فأصبحت تجد من الصناعة المصرية موبليات فاخرة وجلوداً عظيمة، لا يفرق بينها وبين الصناعة الأجنبية إلا حسن الصقل.

وقد اشتهرت بلاد مصرية بصناعات مختلفة كالغزل فى المحلة، والقلل القناوى فى قنا، والقدر الإسكندرانية؛ ودمياط بالجلد والموبليات؛ وأسيوط بالمراسى ونحو ذلك.

ولا يزال المدى فسيحاً فى الصناعات المصرية حتى توازن الصناعة الأجنبية. وقد حارب الإنجليز الصناعة المصرية كثيراً، وفرض اللورد كورمر على المنتجات

صعيدى صميم. ويسكن على أطراف بلادهم كثير من البدو وقد تخلقوا بأخلاق الصعايدة، وتخلق الصعايدة ببعض أخلاقهم. وكثيراً ما أتعب هؤلاء البدو سكان الحضر بسلبهم وغزوهم ونهبهم.

وهم مشهورون بنوع من السمك يخللونه ويملحونه (ويسمى الملوحة) كما أنهم مشهورون بنوع من الخبز من العيش الشمسى والبتا والمرحوح.

الصفاء: كان شعر النساء قبل الموضة الجديدة لا يقص، ولكن يجدل ضفائر. وقد اعتدن أن يضفرون شعرهن ضفائر بعدد فردى: إحدى عشرة ضفيرة أو ثلاث عشرة، وكل ضفيرة تربط بثلاث خيوط من الحريير الأسود، تعلق بها قطعة ذهبية أو شئ يشبه الذهب رقيق كالورق يسمى الصفاء، ويقص الشعر فوق الجبهة، فتتدلى منه خصلتان على الصدغين. وكنت ترى فى سوق المغربلين صفا يتلاعب به الهواء يباع للنساء من أجل هذا. ويكثر استعماله فى أيام الأفراح.

الصناعة المصرية: فى مصر صناعة وصناعون، ولكن صناعتهم كانت بدائية، وقطعت فى الأيام الأخيرة خطوات واسعة. فالسائحون فى عهد محمد على كانوا يقولون إنه إذا خربت ساعتهم لم يجدوا من يصلح لهم إلا إذا كان أجنبياً. واشتهر الأطباء الأجانب وزاحموا الأطباء الوطنيين، وكان

ولكن الأغلب اليوم في عصرنا الاكتفاء بليلة واحدة. ويكثر عمل الصوانين في الموالد، مثل مولد النبي. وكان في عهدنا تقام صواوين صغيرة متنقلة للقراجوز والرقص، ثم زالت هذه بدور السينما ودور المسرح المشيدة. وتنشأ في بعض المديریات صوانات عامة للمناسبات، كقراءة القرآن في رمضان. وإذا مات ميت في مكان بعيد نصب له أهله صواناً في وسط البلد شفقة على المشيعين⁽⁵⁹⁾.

المصرية ضرائب كثيرة شلت حركتها، وأوهموا المصريين أنهم أهل زراعة لا صناعة، ثم أثبتت الأيام فيما بعد أنهم صالحون للصناعة أيضاً.

ولكن مع الأسف شأنهم شأن غيرهم من العلماء، صناعتهم صناعة تقليد لا ابتكار، وهو مرض عام شامل فإذا ابتكر هؤلاء ابتكر هؤلاء. فهم إذا رأوا عربة سكة حديد، استطاعوا أن يقلدوها ولكن لم يستطيعوا أن ينشئونها على نمط جديد⁽⁵⁸⁾.

صَهْنِ عَلَيْهِ: تعبير يعنى اسكت عنه.

الصوان: في الغالب إذا أقيم ماتم لميت أو كان هناك استعداد لجنزة أو فرح كبير أقيم صوان على قدر صاحبه في الكبر والصغر، فنصبت الخيام الملونة بالبيض والأحمر من الداخل، وسقفت بخيام أيضاً إذا كان الوقت شتاء، ويقام على عروق من الخشب الطويلة، وأضئ بالكلبات أو الأنوار الكهربائية الحديثة، وفرش بالسجاجيد، وصفت الكراسي على الجوانب. وإذا كان فرحاً أقيمت الرايات، وزيد في الكلبات أو الأنوار الكهربائية. والذي ألجأ إلى ذلك عدم اتساع البيوت المصرية وعدم احتمالها لهؤلاء المشيعين أو المعزين أو المهنيين، وربما كانت الأسرة فقيرة ولا تحتمل نفقات هذا الصوان، ولكنهم يرونه ضرورياً على كل حال. وقد كانت العادة أن يستمر هذا الصوان ثلاثة أيام أو أكثر مما يضلعه أهله،

ض

إلا بمفتاح فيه مسامير كذلك، ترفع المسامير التي سقطت في الخروق فتفتح. واشتهر من ذلك ضبة باب أولاد عنان، وهو مسجد شهير قرب محطة السكة الحديد، فيذهبون إليه خصوصاً يوم الجمعة عند الأذان ويتمسحون بهذه الضبة، ويدعون دعوات لشفاء الطفل، ويفتحون الضبة ويغلقونها على رأس الطفل ويقولون يا ضبة ضبيبيه، يا تعيشيه يا تموتيه! ويعتقدون أن الجن قد تبدل الأطفال فتأخذ الصحيح وتبدل به السقيم، وأن الضبة كفيلة بإرجاع الطفل الصحيح؛ ولذلك يقولون العبارة السابقة. ويكررون ذلك ثلاثة أسابيع. ولما تجدد المسجد والنظام الجديد في البناء والنجارة ليس فيه ضبة وإنما فيه قفل ومفتاح أعاد خدمة المسجد تركيب الضبة لاستفادتهم منها، وتضليل العامة بها. وهناك من يكتب الأحجية تبركاً بأولاد عنان، ويكون عادة مكوناً من (1) بلحة صغيرة يسمونها بلحة الغيرة (2) قطعة كبريت عمود (3) قطعة من عود الصليب، وتجلد بجلد أحمر ويعلق حجاباً للطفل. فهذا يجعل الجن يغيرون أبناءهم. ومن أمثالهم "الخير بيان على الضبة" دلالة على أن البيت إذا كان سعيداً ظهر ذلك في كل شيء حتى في الضبة، وإذا تمزق الثوب طويلاً وعرضاً قالوا "تمزق ضبة ومفتاح" أى تمزيقاً

ضارب الدنيا طبنجة: تعبير يعنى غير مكترث بشيء، إلا شهواته. ومن أغاني سيد درويش:
ع النسوان يا سلام سلم
مافيش كده أبدأ بهجة
إحنا الوارثين يا أفندم
ضاربين الدنيا طبنجة
وهى أبيات مملوءة بالاصطلاحات، فالشطر الأول تعبير معناه: إذا قلنا فى النسوان فما أعجبهن وأعظمهن. وقوله مافيش كده أبدأ بهجة، تعبير يستعمل بمعنى، وليس مثلهن شئ فى البهجة. وقوله إحنا الوارثين يا أفندم، دلالة على استهتار الوارثين، لأنهم حصلوا على المال من غير تعب، فهم يسرفون فى صرفه من غير حرص. وفهم هذا المعنى أكثر الحكومات فضربوا ضرائب الأيلولة لأنها تحدث قبل أن يمتلك. والطبنجة فى الشطر الأخير شئ يشبه المسدس. وهو تعبير لطيف فى الاستهتار، كأن المستهتر بأعماله قد صوب إلى الدنيا طلقة نارية.

الضبة: كانت العادة القديمة أن يغلق الباب بالضبة، وهى خشبتان على شكل صليب تقريباً وهى مخروقة خروفاً أربعة أو أكثر. إذا أغلقت نزل فيها أربعة مسامير مقطوعة الرأس فلا يمكن فتحها

يشبههما. وإذا شج أحدهم رأس الآخر طولاً وعرضاً قالوا: "شجه ضبة ومفتاح".

ضحك في سرّك: تعبير يعنى أن هذا العمل، يستوجب الضحك منك والسرور.

في مصر أصبحت أكثر منها في إنجلترا. والذي دعا لفرض الضرائب رؤيتهم أن المصريين منهم أغنياء جداً، ومنهم فقراء جداً. فلا بد أن يؤخذ من الغنى لإصلاح حال الفقير، ورفع مستوى عيشته.

والضرائب بهذا المعنى تتقبل في سهولة وعن رضا لو كانت تصرف حقاً في مصلحة الفقير، لأن الفقير كالفلاح سيئ الحال جداً، لا يسكن مسكناً نظيفاً، ولا يشرب ماءً نظيفاً، ولا يأكل أكلاً مغذياً، فمن المصلحة أن يقابل ترف المترفين بتحسين حالة الفقراء المدقعين. ومع أن الضرائب كثيرة في مصر فهي لا تأتي بمحصول يناسب كثرتها، لأن المصريين يعتقدون من عهود الظلم أن الهرب من لضريبة لا بأس به، وكلمة استطاع الإنسان أن يهرب فليهرب. ولذلك تقدر الضريبة بمبلغ من المال ثم تصل بالفعل، وفي النهاية إلى نصفها أو ربعها. ويحملهم على الهرب ما يرون من أنها كثيراً ما تصرف في غير محلها.

وسمعت أن مصرياً كبيراً كان غنياً وأراد أن يشتري بيتاً من إنجليزى، فقال له: بم تبيعه؟ قال الإنجليزى: بألف جنيه. وكان ثمناً معقولاً. فقال له ذلك الكبير المصرى: أنا أقبل شراؤه بالألف ولكن لى عندك رجاء واحد: هو أن يكتب فى العقد صورياً أنك بعثته بستمانه جنيه. قال الإنجليزى: لماذا؟ قال: لأفر من بعض الضريبة. قال الإنجليزى: مع الأسف لست أبيعك لك ولا

الضرائب: ألف المصريون من قديم حكاية الضرائب. ويسمون الضرائب على الوارد من الخارج جمركاً، وعلى الضريبة الداخلية مكساً. وكان فى زمننا موظفون يقفون عند مدخل القاهرة فى جملة نواحيها، فإذا جاء أحد يحمل سلعة قدروا عليها ضريبة. وكانت هناك ضرائب مختلفة على الرؤوس وعلى السلع ويظلم فيها بعض الناس كثيراً، ويحايى بعض الناس كثيراً. والعامّة تسمى بعض الضرائب وخصوصاً على الرؤوس "فردة" ولا أدرى من أين أتت. ولما احتل الإنجليز مصر أرادوها بلداً زراعياً لا صناعياً، ولذلك لما أنشئ مصنع مصرى لعمل البفنة فرضوا عليها ضرائب كثيرة حتى تكون أعلى من البفنة التى تأتي من الخارج فبارت. ومع هذا كانت الضرائب فى مصر أقل منها فى الخارج. ولذلك كان كثير من الإفرنج الذين عاشوا فى مصر كتجار أجانب ومستشارين أجانب يفضلون أن تكون أموالهم فى مصر ليهربوا من ضرائب بلادهم.

وفى العهد الأخير كثرت الضرائب بأشكال مختلفة حتى كان كل شئ عليه ضريبة. ويدعى بعض المالىين أن الضرائب

بألفين؛ لأن من أراد أن يسرق حكومته لا يستحق أن يعامل.

ضرب كف على كف: إذا تعجب من شيء، لأن العادة جرت على أنه عند شدة التعجب يضرب كفاً على كف.

ضرب الودع: أكثر ما يحترف هذه الحرفة الإماء السود. تجلس الأمة على قارعة الطريق وأمامها جملة من الودع، وهي بيوت حيوانات بحرية حلزونية، وقطع من القروش وقطع من المعادن حمراء وخضراء وسوداء. فمن حضر عندها شكى لها، إما من جفاء زوجها أو زوجته، أو من عدم الحمل؛ فنقول لها العجوز السوداء: إن الودع يقول كذا أو كذا. وأحياناً يكون ضرب الودع هذا سبباً من أسباب الشقاء بما تخبره هذه كأن تقول لها: إن زوجك يحب غيرك، أو أنك تحتاجين إلى أعمال كثيرة لتحبلى، أو نحو ذلك.

ضربنى وبكى، وسبقنى واشتكى: تعبير يعنى اعتدى علىّ وادعى أنه معتدى عليه.

الضرة: اعتاد بعض المصريين، وإن كانوا قلائل، أن يتزوجوا أكثر من واحدة، وقد يجمعون بينهما أو بينهن فى بيت واحد. وقد اشتهرت الضرة بمعاكسة ضررتها وعداوتها.

وبذلك يصبح البيت فى الأعم الأغلب عبارة عن جحيم. فى يزال الرجل يسمع شكوى من هذه وشكوى من تلك، واتهاماً لهذه واتهاماً لتلك، ولذلك لا يقر للبيت قرار.

ضرب: الضرب معروف، ومن قديم استعمل الضرب فى صياغة الدراهم والدنانير، فيقولون ضرب الدراهم وضرب الدنانير، ولكم مع الاستعمالات المصرية، ضرب الطوب، أى صنعه و"ضرب مَحْدَت" أى تكلم كثيراً، وضرب تلغراف أو شذلة تلغراف، أى أرسل إليه. وضرب على البيانو أو الكمنجا أو العود بمعنى أنه حرّك أوتارها. ومن الاستعمالات المألوفة "ضرب الدنيا طبنجة" أى أنه لم يكثر بشيء. ومن استعمالاتها قولهم "يضرب الودع أو الرمل". وقولهم "يضرب فى المليان" بمعنى أنه يطلق أعيره نارياً بحق. وقولهم "يضرب فى جثة ميتة" وهذا كقول العرب "يضرب فى حديد بارد".

ضرب الرمل: يشتغل به فى الغالب بعض المغاربة والسودانيين. فكثيراً ما تراهم بجانب الشارع وأمامهم منديل فيه بعض رمل أصفر ويزعمون أنهم ينبئون بالمستقبل، فيرسمون على الرمل خطوطاً بأصابعهم بعد أن يرمى الطالب شيئاً من النقود يسمونه "ببياًضاً" ويعبرون عن ذلك بقولهم: "إرمى ببياضك". ثم يزعمون له أشياء يقولونه له، إما عن طريق التنويم المغناطيسى أو عن طريق الفراسة. وقليل ما يصح، وكثيراً ما تكذب.

وفى الغالب تتلاشى اللذات التى تحدث فى أول أيام الزواج، ويحل محلها الشقاء. ويزداد الأمر سوءاً إذا خلف منهما فإن الأولاد أيضاً يتعادون ويرضعون مع لبنهم هذه العداوة. وفى الغالب يفضل الأب إحدى الضرتين فيفضل أولادهما، فوجج نار العداوة فى الآخرين.

الضريح: هو عبارة عن تركيبة مربعة أو مستطيلة من الخشب أو النحاس، توضع على قبور الأولياء الصالحين. ومن الأسف أن ليس كل من وضع عليه ضريح يكون ولياً صالحاً. فقد يكون ولياً صالحاً كما يقولون، وقد يكون غير ذلك.

ومن هؤلاء الصالحين من ثبت تاريخياً علمهم وصلاتهم ودفنهم فى هذه البقاع كالإمام الشافعى. ومنهم رنى فى المنام موضعه ولم يثبت دفنه فى هذا المكان، كضريح السيدة زينب؛ فقد كان معروفاً أن موضعه كان قناطر للماء، ولذلك يسمونه مشهد السيدة زينب. وبعضهم لا يستحق الولاية، ولا عرف بالإصلاح، كالذى حكاه على باشا مبارك عن الشيخ صالح أبى حديد فقد قال: "إن الشيخ صالحاً كان فى مبدأ أمره قاطع طريق، وكان له صاحبان ملازمان له، أحدهما الشيخ يوسف المدفون فى شارع قصر العينى، والثانى لم أقف على اسمه، وإنما كان يجلس بحارة درب سعادة على مكسلة بيت متخرب ناك ويتزى بزيّ الدراويش وللناس فيه اعتقاد كبير،

ويزعمون أنه من الأولياء فيتبركون به ويقبلون يده. وكان يستمر جالساً إلى الليل، وكلما مر عليه رجل بمفرده يقول يا واحد، فيخرج فى حال من البيت جملة رجال يحتاطون به ويدخلونه البيت قهراً عنه فيقتلونه ويسلبون ما معه. واستمروا على ذلك الفعل القبيح زمناً طويلاً إلى أن شعر الضابط المراقب بذلك. فأمكن كميناً وحرص رجلاً على المرور ليلاً من هناك، فلما مر الرجل نادى الشيخ كعادته، فخرجت الرجال وأحاطت به، وإذا بالكمين قد خرج عليهم وضبطهم، ووضع يده على الشيخ ومن كان معه بالبيت، وعاقبهم عقاباً شديداً. فأقرّ الشيخ على صاحبيه الشيخ يوسف والشيخ صالح هذا، وكان الشيخ يوسف يلوذ بلاظ أوغلى فعفى عنه. وأما الشيخ صاحب المكسلة فقتل بعد تعذيبه، وأما الشيخ صالح هذا، فاحتفى بامرأة مغنية مشهورة، فادعت أنه مجنون ووضعت فى رجليه قيداً من حديد فأخذوه فوجوه كما قالت.

واعتقل لسانه من الكلام لشدة خوفه وبقي على ذلك مدة. ثم شاع بين الناس أن له كرامات وإخباراً بالمغيبات، فقصدته كثير من الناس، أمراء وغير أمراء، واعتقدوا فيه خصوصاً النساء، وازدحم بيته بالزوار، وهجمت عليه النذور والهدايا. كل ذلك وهو لا يتكلم، بل ملقى على الفراش، وعليه حرام من صوف أبيض، وفى رجليه قيود الحديد، وحوله الخدم، وعند رأسه امرأة

من الأَطْيَانِ الجيدة، ومالاً كثيراً، وكان ابنها قد مات قبلها فورثها أخوها. وربما أخذت هذه العادة من قدماء المصريين، فقد روى عنهم شئ من هذا القبيل ثن اصطبغ بعدُ بالحياة الإسلامية.

تروّح عليه، وهو يحرك رأسه، ويلعب بشفتيه، فيسمع له صوت ساذج خفى جداً، يشبه صوت الأخرس، وليس له مفهوم. فعند ذلك تقول المرأة للحاضرين: فلانة ستتزوج، وفلانة ستصطح مع زوجها، وفلانة ستحب، وفلان الغائب سيحضر، وزيد سيترقى، وبكر سينزل، إلى غير ذلك من الخرافات. وكل من كان حاضراً يفهم لكلامه معنى خاصاً به من هذه الألفاظ.

وبسبب ذلك صارت لخدمته ثروة كبيرة، وفوائد كثيرة، واستمرت حالته هكذا إلى أن مات، فبنى له الخديوى إسماعيل هذا الجامع، ودفن به. وهو جامع عظيم لم يُبْنَ لغيره من الأفاضل ذوى المعارف والعلوم، الذين انتفع الكثير بعلومهم ومعارفهم. ولكن هـذـة عـمـادة قـديـمة ألفها المصريون من قديم الزمان، وطالما نبه عليها كثير من المؤلفين فى كتبهم. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم".

وكثير من الأضرحة من هذا القبيل، وربما كان صاحبه حاكماً ظالماً كجامع أَلْمَاطِ، ظن أنه يكفر عنه بناؤه لجامعه، ويكاد يكون فى كل قرية من قرى الريف أو مدينة من المدن شيخ أو أكثر من هؤلاء الشيوخ، يحلفون به ويتبركون به ويقدمون النذور له. وأعرف قرية من القرى فيها شيخ اسمه الشيخ يوسف، تكون المرأة فقيرة فتتذر له عشرين بيضة أو وزّة أو فرخة أو ديكاً، وقد تكون هى وأولادها فى أشد الحاجة إلى ذلك، وتقدمه للمتولية على الشيخ. وقد ماتت قريباً وتركت خمسة أفدنة

ط

طاب واستوى: تعبير يعنى نضج.

بنوفمبر – والجدي بديسمبر.
وطريقة الاستخدام أن يغمض الطالب عينيه ويضع إصبعه على إحدى خانات منقطة البروج، وهى صورة مصورة مقسمة إلى خانات، ثم يفتح عينيه ويتبع الخط الذى فيه النمرة المذكورة، متجهاً من اليمين إلى اليسار، حتى يصل إلى العمود الذى فيه البرج الذى ضع يده عليه، فيجد عدداً يدل على الصفحة الموجود فيها جواب السؤال المطلوب.

ويعتقدون أن العالم المادى لا توجد فيه الأشياء على طريق المصادفة، بل بتأثير النجوم، فلا يقابل قاهرى إسكندرانياً، أو رجل لرجل بطريق المصادفة ولكن ذلك بتأثير الطوالع وتحقيقاً لغاية خصصتها يد الطبيعة، وكذلك جميع الحوادث؛ فالنجوم وسائر تؤثر فى أحداث الأرض. فمثلاً الشمس مصدر الحرارة والحياة تهيم على العواطف النبيلة والمشاعر العالية والوجدانات الحية... وللقمر تأثير عظيم على الأرض وعلى ساكنيها، ومفعوله ظاهر فى المد والجزر، فمتى كان القمر هو الكوكب الرئيسى فى الطالع أثر فى الإنسان وخاصة فى مجموعه العصبى وقوة تخيله، فيجعل من بعض الناي أديباً أو فناناً، وأحياناً يجعل منه مجنوناً، وإذا كان هو المهيم على زلازل الأرض والعواصف

طاسة الخضة: يزعمون أن الإنسان إذا خُض فربما كان من نتائج تلك الخضة مرضه بأمراض عصبية خطيرة، وبالزهرى مع أنه ثابت طبيياً أن مرض الزهرى لا يأتى إلا من الاتصال الجنسى بمرضى من هذا القبيل. ويعتقدون أن طاسة الخضة تزيل كل هذه الأمراض. وهى طاسة من نحاس مرسوم عليها صور طيور، أو مكتوب عليها كتابات غير واضحة، يوضع فيها ماء ثم تعرض فى الليل للندى، ثم يشربه المريض. ويوجد حول الطاسة نحو أربعين قطعة معدنية رقيقة كالصفيح كذلك. فإذا فقدت واحدة منها زال مفعولها⁽⁶⁰⁾.

الطالع: يعتقد عامة المصريين فى تأثير النجوم فى الأرض، من سعادة وشقاء، وغنى وفقر. ويقسمون السماء اثنتى عشر قسماً، لكل قسم برج، وأسماء الاثنى عشر برجاً هى:

الدلو – وعلاقته بشهر يناير – والحوت
بفبراير – والحمل بمارس – والثور بأبريل
– والجوزاء بمايو – السرطان بيونيو –
والأسد ببيوليو – والسنبلة بأغسطس –
والعقرب بـأكتوبر – والقوس

والبراكين كان أيضاً ذا اتصال بالحروب والأهلية والأجنبية والنوازل الطبيعية والمصائب الاجتماعية. وهكذا كل نجم من النجوم، وبعبارة أخرى كل برج من الأبراج. وقد ألفت الكتب الكثيرة في هذا الموضوع من عربية وعجمية، بعضها فيه تخريف كثير، وبعضها معتدل. وهم يعتقدون أيضاً أن كل من ولد في برج أو بعبارة أخرى في شهر خاص يقابل في حياته حوادث خاصة، لا كالذى ولد في برج آخر أو شهر آخر. وكثيراً ما تستهوى النساء بمثل ذلك، فنجد في بعض الجرائد والمجلات أن المولود في أسبوع كذا من شهر كذا يدل طالعه على كذا، ويهتم العوام بذلك كثيراً. ومن الأغاني الشعبية "حسبت نجمك لقيت لك وفق وياي" فإن من حساب الطالع أن بعض البروج تناسب بعضاً، وبعضها لا يناسب بعضاً، فإذا كان الرجل والمرأة مولودين في برج واحد أو في برجين منسجمين دل ذلك على الوفق والإفلا.

طبق في زوره: تعبير يعنى أمسك به إمساكاً شديداً.

الطرحه: نوع من الشاش مصبوغ بالصبغ الأسود وقد يكون من الحرير، يلبسها بعض الممذّنات خصوصاً في الأحزان. وأكثر ما يلبسها الفلاحات. وتستخدمها الفلاحة كغطاء للرأس، وفي تغطية وجهها عن لا تحب أن تراه. وفي كلامهم القسم بتليبيه الطرحه، أى بالغبلة عليه حتى يكون أشبه بالمرأة.

الطعام: للطعام في عرف المصريين نظام قد يخالف الأمم الأخرى. وللاغنياء طريقة وللفقراء طريقة أخرى. فمثلاً والد إسماعيل كانت تجلس في حجرة الأكل في السراى مع من يوجد من البرنسيسات على شلت مغطاة بقماش مزركشة بالقصب، وتوضع أمامهن صينية من الفضة وأدواتها، إلا فى الدعوات الخاصة فتكون من ذهب. وقد توضع الصينية فوق كرسي عال بعض

والمولود في أسبوع كذا من شهر كذا يدل طالعه على كذا، ويهتم العوام بذلك كثيراً. ومن الأغاني الشعبية "حسبت نجمك لقيت لك وفق وياي" فإن من حساب الطالع أن بعض البروج تناسب بعضاً، وبعضها لا يناسب بعضاً، فإذا كان الرجل والمرأة مولودين في برج واحد أو في برجين منسجمين دل ذلك على الوفق والإفلا.

ويقولون فلان طالعه سعيد، وفلان طالعه غير سعيد. ومن تعبيراتهم أيضاً: "فلان نجمه على أو صاعد"، علامة على النجاح، وفلان طالعه سافل علامة على الفشل. ويقولون فلا طالعه طالع السعد، أى أنه مبخت، وفلان كانت وقعته زحل أى شقى، لأن زحل من النجوم المشنومة.

ومن ذلك ما فعل الشيخ عبدالهادى نجا الإبيارى، فقد ألف كتاباً في اسم إسماعيل

ويعتقدون أيضاً أن كل من ولد في برج أو بعبارة أخرى في شهر خاص يقابل في حياته حوادث خاصة، لا كالذى ولد في برج آخر أو شهر آخر. وكثيراً ما تستهوى النساء بمثل ذلك، فنجد في بعض الجرائد والمجلات أن المولود في أسبوع كذا من شهر كذا يدل طالعه على كذا، ويهتم العوام بذلك كثيراً.

ويعتقدون أيضاً أن كل من ولد في برج أو بعبارة أخرى في شهر خاص يقابل في حياته حوادث خاصة، لا كالذى ولد في برج آخر أو شهر آخر. وكثيراً ما تستهوى النساء بمثل ذلك، فنجد في بعض الجرائد والمجلات أن المولود في أسبوع كذا من شهر كذا يدل طالعه على كذا، ويهتم العوام بذلك كثيراً.

ويعتقدون أيضاً أن كل من ولد في برج أو بعبارة أخرى في شهر خاص يقابل في حياته حوادث خاصة، لا كالذى ولد في برج آخر أو شهر آخر. وكثيراً ما تستهوى النساء بمثل ذلك، فنجد في بعض الجرائد والمجلات أن المولود في أسبوع كذا من شهر كذا يدل طالعه على كذا، ويهتم العوام بذلك كثيراً.

الشيء. ويقوم بالخدمة جوار يرتدين اللباس الفاتح، وفي أيدي بعضهن منشآت يُنش بها على الأكل. وفي الطبقة الوسطى كذلك بشكل أرقّ حالاً.

وقائمة الأكل عادة شربة، ثم نوع من اللحم، ونوع أو أكثر من الخضروات، ثم الأرز، ثم الحلوى، ثم تقدم فناجين القهوة.

أما الطبقة الفقيرة فتكتفى بما حضر من غير احتفال، مشّ أو ببسارة، أو عدس أو فول نابت، أو نحو ذلك. والفلاحة عادة تذهب إلى زوجها في الغيط، وتحضر له شيئاً من هذا فيأكله مع الفجل أو البصل أو نحو ذلك⁽⁶¹⁾.

الطقطوقة: هي أغنية خفيفة تسود عليها الشخلة في الغناء. مثل "جمالك ربنا يزيد" و "شوى شوى"، وهي عكس الأدوار المتزنة الرزينة غالباً. وفي العادة في ليلة الفرح تغنى بعض الأدوار، ثم تغنى بعض الطقايق.

ويطلقونها مجازاً أحياناً على الفتاة الصغيرة الدلوعة، أو الحديث الخفيف غير المقيد بقواعد. وأحياناً تطلق أيضاً على الوعاء الصغير الذى تنفض فيه السجاير.

الطّلسم: يعتقدون أنه إذا تليت عزائم سحرية خاصة على المادة المصنوعة المعدة لذلك، سببت المراد منها، كالطلسم الموجود فى الأزهر؛ يقولون إنه يمنع العصافير من الدخول فى المسجد، مع أنه

مكان مناسب لذلك. ويزعمون أن بالإسكندرية طلسماً لمنع الحداة ولذلك لا توجد فى جوّ الإسكندرية.

ويزعمون أنه يمكن عمل الطلسم لحراسة الدار والمال بصنع صنم من حجر الكدّان كامل الخلقة وبيده سيف ويتعمد عمله عند سلطة المريخ فى الساعة الأولى أو الثامنة من يوم الثلاثاء، ويذبح عند ذلك دجاجة سوداء ليس فيها إشارة، ويطلقى بالدم جميع الصنم... إلخ.

ويظهر أن قدماء المصريين كانوا أيضاً يصنعون هذه الطلاسم ويعتقدون فيها لشهرتهم فى الأعمال السحرية، ولهذا كانت معجزة موسى عليه السلام إبطال سحر السحرة المصريين. وقد روى الجاحظ فى كتابه الحيوان أنه لما زار حمص لم يجد فيها عقارب، فسأل عن ذلك فقالوا له: إن بها طلسماً يمنعها من البقاء فيها، فلم يرض عن ذلك، وعلله بأنه ربما كان جو حمص لا يناسب العقارب، أو أن فيها بعض الحيوانات التى تهاجمها، فهربت منها.

طلّع: لهم فى هذه الكلمة استعمالات كثيرة. فيقولون، طلّع من باب الجمال، أى خرج سالماً وطلّع فيها معنى اغتر بنفسه وتجبر، وطلّع نفبه على فاشوش، أى أنه أى أنه بعد ما اجتهد وتعب لم ينل شيئاً. وطلّعت عليه الجنونة، وأحياناً يقولون طلّعت عليه الغزاة، بمعنى أنه أصابته لوثة من الخبل. وطلّع راجل "أى اتضح أنه راجل.

الضيوف منها، وقمقم لرشّ ماء الورد
والعطر ونحو ذلك.

وهم يحبون أيضاً الأزهار العطرية،
ويفضلونها على غيرها، كالورد والفلّ
والياسمين، وتمر الحنّاء، وهم إذا شمّوا
رائحة طيبة قالوا اللهم صلى على النبي.
وكثيراً ما تدخل المسجد فتشم منها الروائح
العطرية، لأنهم أمدوا المسجد بها أو أطلقوا
فيه البخور.

وتجدهم أيضاً يرسلون أمام الميت فى
جنازته طائفة يحملون المباخر، وقد يحمل
بعض هؤلاء قماقم ما الورد والعطر، يرشون
بها على الواقفين فى جانبى الطريق.

و"البيض طلّع كتاكيت". و"الكلمة دى لا
طلعت ولا نزلت" أى لم تزد شيئاً ولم
تنقص شيئاً فليس لها قيمة. وكذلك "طلّع
بوش" و"طلع من المولد بلا حُمص" أى لم
يُسفر عمله عن نتيجة. وكذلك "طلع
القرافة" أى زارها.

طلّعتْ أشمّ الهوا: تعبير يعنى أنتزّه.

طلّعت المسألة فيسكو: تعبير يعنى لا قيمة
لها.

طهّفتْ وبقيتْ روحى فى مناخيرى:
تعبير ينى تملمت.

ظ

طول عمرك يا ردا وأنت كدا: أصل

الرداء، وهو الثوب، يقال للشئ يصدر عنه
ما اعتيد منه.

الإخراج من اللسان. ولذلك لم نجد كلمة
عامية يصح إثباتها من غير أن تكون قد
تقدّمت فى حرف الضاد أو الزاى التخينة.

حرف الظاء معدوم فى اللغة العامية،
وكثيراً ما يقبلونه ضاداً مثل ضهر، أو زايا
تخينة مثل زابط، وهو حرف صعب

الطّيب: يحب المصريون الطّيب رجالاً
ونساء. فيتطيبون بهدن الورد وبالعنبر
وبالمسك وبالعطر. وقد يبالغ بعض النساء فيه.
وكان لا يتحرّج الرجل من التطيب، وقد يضع
شيئاً منه فى منديله فتفوح رائحته إذا أخرجه.
وقد يقدّم الطيب للضيوف كالقهوة.
وفى كثير من البيوت مبخرة ليتبخّر

ظ

حرف الظاء معدوم فى اللغة العامية،
وكثيراً ما يقبلونه ضاداً مثل ضهر، أو زايا
تخينة مثل زابط، وهو حرف صعب
الإخراج من اللسان.
ولذلك لم نجد كلمة عامية يصح إثباتها من
غير أن تكون قد تقدمت فى حرف الضاد أو
الزاي التخينة.

ع

بمناسبة زواج أسرة متوسطة. وتفصيل ما شاهدت أنه نصب صوان وأتى بكراسى كثيرة صفت فيه، وأحضرت دكتان عاليتان متقابلتان للآلاتية جلس عليهما عبده وصحبه. هذا بالقانون، وهذا بالعود، وهذا بالدف، وهذا بالناي... إلخ. ثم بدأوا فى الغناء حوالى الساعة العاشرة مساء بعد أن أكلوا كثيراً وشربوا الخمر كثيراً، وبدأوا يتقسيمات قانون وعود... إلخ. ثم بدأ عبده الحامولى يغنى "ياليل" بطبقات مختلفة ثم بعد أن يغنيها يوقع القانونجى على القانون بالنعمة التى قال بها يا ليل. ثم يبدأ فى غناء الأدوار مثل دور "الله يصون دولة حسنك على الدوام"، وإذا انتهى الدور جلس للاستراحة فتبدلت النكات.

وقد يستمرون كذلك إلى الفجر أو إلى طلوع الشمس. وهناك بائعو لبّ يقولوا لعبده "الله يا سيدى" ونحو ذلك. وربما كانت لهم وظيفة أخرى، وهى أن يكونوا رسلاً بين الآلاتية والسامعات فى طلب أدوار خاصة أو رسالات الغرام.

والناس عند كل نغمة يصرخون بقولهم آه - والله، أو يدعون بالبقاء وعدم الحرمان منهم.

أما ألمظ فتغنى بدورها للحريم، وقد تزوجت أخيراً بعبده، فمغنّ مشهور تزوج بمغنيّة مشهورة. وكانت جميلة بعض الشيء، وتكاد حواجبها تكون مقرونة، وهى تغنى

عاج الطربوش: عوج الطربوش، كناية عن التكبر والدلال. ومثله تبختر فى المشى.

عاوز للجمل ناقة: يحكون أن مديراً فى ناحية كان له جمل، فكان يذهب الجمل إلى الغيطان يأكل منها ما شاء، حتى تضرر الناس، فاجتمعوا ليذهبوا إلى المدير يشكونه جملة، فذهب عشرون رجلاً، وكلما خطوا خطوة نقص رجل، حتى إذا وصلوا إلى باب المدير التفت رجل فلم يجد معه أحداً، فشخط فيه المدير، ماذا تريد، فقال عاوز للجمل ناقة: أى أنه لما وجد الناس انفضوا من حول لم يستطع أن يشكو الجمل، فانقلب منافقاً، فبدل أن يشكو الجمل طلب له ناقة.

عایش كماله عدد: تعبير يعنى لا فائدة كثيرة منه، كل ما فيه أنه يعدّ بواحد.

عبده وألمظ: شخصيتان كبيرتان ملأتا مصر بهجة وسروراً، يدعيان عادة فى أيام الأفراح، مثل زواج وختان وشفاء من مرض ونحو ذلك. ويدعى عبده للرجال وألمظ للنساء وكثير من الفنانين يولع بهما فينتقلون من أقصى القاهرة إلى أقصاها؛ من المنشية إلى العباسية، ومن السيدة زينب إلى الجمالية.

وقد شاهدت حفلة من حفلات عبده

بالوصفات البلدية أخذنها عن التجارب
وعمن قبلهن.

والمصريون يقولون فى أمثالهم: "زى
عجائز الفرخ، أكل ونقورة"، النقورة:
الانتقاد. أى أنهن يأكلن وينتقدون. ولا أدرى
من العجوز الذى سمى الحى باسمها، فقالوا
حى العجوزة. ومن باب الغريب أنها
محظوظة. فغلب اسمها على كل من بالحى
من الأعيان والوجهاء، حتى المسجد الذى
به سُمى مسجد العجوزة.

وكثيراً ما يكون للعجائز شر كثير. وهن
يدخلن البيوت ويؤثرن بحيلهن على
الزوجات ليغضبن على أزواجهن،
وخصوصاً إذا كانت العجائز حموات.

عدية ياسين: من المعروف أن يس سورة
فى القرآن، فالناس يعتقدون فيها أنها إذا
قرأت مراراً استوجبت الرحمة للميت،
وأزالت الغم عن الحى. ويسمّون قراءتها
مراراً، أى نحو مائة مرة، بالعدية، فيجمعون
الفقهاء فى مكان فى البيت أو فى سيدنا
الحسين أو فى السيدة زينب ويكلفونهم بقراءة
سورة يس عدّة مرات، يسمونها العديّة،
ويطلبون منهم أن يهبوها لمن شاءوا من حى
أو ميت. وقد تستخدم أيضاً فى الشرّ. فيقول
بعضهم لبعض إذا ظلمه: سأقرأ عليك عديّة
يس، ويزعمون أنها مجرّبة فى الخير والشرّ.
ولما مرضت بعيى ذهب صديق لى إلى
سيدنا الحسين وطلب من بعض الفقهاء أن
يقرأوا لى عديّة يس على ذمة شفاء
العين⁽⁶³⁾.

أغانى نسائية مثل "أشكى لمين غيرك حبك،
أنا العليل وأنت الطيب، اسمح وداونى
بقربك، واصنع جيل إياك أطيب" ومثل
"حبيبي هجرنى، شوفوه لى يا ناس، أترجّك
تعمل معروف، غرامك علمنى النوح، يا
حبيب القلب شوف، مع طيفك أرسلت
الروح، أترجّك تعمل معروف".

ويحكى أن اللورد كرومر لما تُرجم له
حبيبي هجرنى شوفوه لى يا ناس، قال:
"حتى الحبيب يترجّى الناس بأنهم يشوفوه
له، ولا يتحركش هو! هكذا المصرى".

وأحياناً تغنى ألمظ بعض الطقاتيق مثل
"لازم أهشه، دا العصفور. تنكش لى عشه،
دا العصفور. دا ابن الأكاير.. دا العصفور.
ع العشق صابر.. دا العصفور. طا روعلى،
وعلى وطار، نزل على بيت العطار، وكبش
ملبس ودانى، ولوز مقشّر وعطانى، لازم
أهشه.. دا العصفور".

وإذا كان يعمل كل هذا فلم تهشه؟
وفى أثناء غنائها يكون حولها أيضاً
موسيقى من طبل وغيره، وأمامها رقص
ونحوه؛ وفى الحق أنهما ملأ القاهرة بهجة
وسروراً، وكانا ذوى مروءة. فكيراً ما حكى
عنهما أنهما تبرأ بحفلات مجانية للفقراء.
وقد ماتت ألمظ قبله فبكاها كثيراً. ثم مات
بعدها فبكاها الناس⁽⁶²⁾.

العجائز: اشتهرت العجائز فى مصر بأنهن
أهل دهاء وتجارب؛ فمن دهاء بعضهن ما
يصلن به بين الرجل والمرأة، واخترع
الحيل المناسبة؛ وهن مشهورات أيضاً

العزاء: للمصريين عادات كثيرة فى العزاء؛ من ذلك أن النساء إذا وصلن إلى بيت الميت صحنَ كثيراً ولطمنَ كثيراً وخبطن بالكفوف وقرعن الصدور. وذلك ليظهرن لأهل الميت شدة حزنهن. ومنهم من يمسكن بكل يد حجراً ويضربن به صدورهن، ومنهن من تلمن وجهها بشدة، حتى يجرى الدم م خدودها. وقد جرت العادة إذا مات أحد من مشاهير العلم أن يؤذن على المآذن فى غير أوقات الأذان، فيعلم المصريون بموت عظيم من العظماء، فيتساءلون عنه ويهرعون إلى حضور جنازته.

ويوضع الميت فى خشبة ويسير المشيِّعون وراءه لدفنه حتى يوارى فى قبره، ويقيم أهل الميت صواناً كبيراً للرجال يُتلى فيه القرآن من العصر إلى ما بعد العشاء، وتجتمع النساء فى بيت الميت؛ وإذا كان الميت عزيزاً أحضر أهل الميت النذابات داهنات وجوههن بالنيلة، وفى كل يوم جمعة يذهب أهل الميت إلى مقبرته ومعهم الخوص والفاكهة والفطير أو "الشريط" وهكذا إلى يوم الأربعاء.

وقد شاهدت فيما مضى شيئاً قد بطل الآن، وهو أن يسير أمام الميت جمل أو أكثر يحمل على جانبه صناديق مملوءة بالفطير والشريك يسمونها "كفارة" يوزع راكب الجمل ما فيها على طول الطريق. ثم تسير طائفة من العساكر، ثم أرباب الطرق المختلفة، ثم غلمان الكتاتيب. وقد بطلت أكثر هذه العادات. وعند ختام الفقيه كل

سورة يخرج بعض المشيعين. وإذا ذاك يقف أقارب الميت يتلقون بأيديهم العزاء من المعزّين، وهم يقولون: عظّم الله أجركم. فيردون عليهم: غفر الله ذنبكم.

العشبة: اعتاد بعض المصريين، وخصوصاً النساء، أن يستعملوا العشبة دورياً كل عام وهى نبات يُغلى بالماء يزعمون أنه يقوى الجسم، وإذا بالماء يزعمون أنه يقوى الجسم، وإذا استعملته المرأة امتنعت عن أنواع من الطعام لا تتفق معها وأكلت ما يناسبها. وإذا استعملت العشبة فى أيامها عبّرت عن هذا بأنها دخلت فى العشبة.

عشنا وشفنا: تعبير يعنى طال عمرنا حتى رأينا العجب.

عضمة خشنة: يسمون الرجل الذى لا يمكن اللعب عليه ولا أخذى شئ منه عضمة خشنة، كقول العرب القدماء "إن لحمه مر".

عفريت الليل: هو لقب يطلق على واحد من جماعة النوبيين عهد إليهم بإضاءة الشوارع بعد المغرب. وهم يلبسون لباساً خاصاً أشبه يلبس السوّاس، وفى يدهم عصاً طويلة ركبت عليها حديدة، فيفتحون بها فانوس النور أو يطفئونه، فإذا فتحوه أشعلوه، وإذا أطفأواه انطفأ. ومن عادتهم أن يجرّوا سريعاً فى الشوارع ليؤدوا عملهم فى سرعة. ولذلك قالوا: "عفريت الليل بسبع

رجلين".

عقبال أمأته: يقولونها عندما يرون رجلاً أو امرأة في سعادة مآ، ويسمون السعادة أملاً، وعقبال أصلها العاقبة لى.

عقله منو يشى: أى مختلّ، وقريب منه قولهم، عقله ترللى.

العقم: العقم داء يهتم المصريون كثيراً بأمره؛ والمرأة العقيم لا تُحبّ من زوجها، ولا ينظر إليها نظرة الولود. ولذلك يشغل العقم بالرجال والنساء على السواء. وتداويه بعض العجائز بأدوية مختلفة. وقد يضطر بعض النساء إلى الذهاب إلى أماكن مختلفة كالمغاورى فى القاهرة، أو إلى بعض المقابر المهجورة، وقد تلد المرأة بسبب ذلك. ولكن مع الأسف لتساهلها فى عرضها مع من لا خلاق لهم لا من سرّ المكان، وإنما تتداوين بالأحجية أو البخور من أجل هذا العقم. ويداوين العقم أحياناً بالمرور على القتل، ولذلك ترى كثيراً من النساء العقيمت يذهبن إلى المستشفيات إذا علمن وجود قتيل بها لتخطيته.

العقيق: حجر أحمر داكن يتختمون به، ويعتقدون أنه يجلب الخير والسعادة ويبعد الشقاء. وكانوا من قبل يتختمون به للظرافة. ولحمرته شبّهوا به العين المريضة إذا أحمر بياضها احمراراً كثيراً فيقولون: صارت عينه زىّ العقيق.

العلاقة بين المسلمين والأقباط: ظلت العلاقة بين المسلمين والأقباط حسنة فى الجملة، إلا فى فترات ساءت فيها العلاقات لأسباب عرضية، نكل فيها المسلمون بالأقباط أو الأقباط بالمسلمين، وذلك كما فعل بعض الولاة المسلمين فى التنكيل بالقبط عصبية منهم، أو كما فعل بعض الصرافين الأقباط بالفلاحين المسلمين، ولكنها على العموم كانت هفوات قليلة، ثم تعود الأمور إلى مجراها؛ إلى أن جاء عهد الاحتلال الإنجليزى فجروا فى مصر وفى الهند وغيرهما على سياسة "فرّق تسُد" فحالوا إيجاد ثغرة بين المسلمين والأقباط وخصوصاً فى عهد السير غورست، فوجد متعصبون من هؤلاء ومتعصبون من هؤلاء، وكان من نتائج هذا وذلك أن عقد الأقباط مؤتمراً لهم فى أسيوط نددوا فيه بالمسلمين، وشادوا بذكر القبط ومحاسنهم وكفايتهم، وأجابهم المسلمون بعقد مؤتمر آخر فى مصر الجديدة، برئاسة رجل مصر الكبير مصطفى باشا رياض، وكان انعقاد هذا المؤتمر فى غرة مايو سنة 1911، وسموه المؤتمر المصرى، وخطب فيه وجهاء المسلمين، كالشيخ على يوسف. وكان موضوع خطبته "التعليم فى مصر وحظ المسلمين والأقباط منه"، والشيخ عبدالعزيز جاويز فى: "الربا فى الإسلام"، وطلعت حرب قد خطب خطبة دعا فيها إلى إنشاء بنك مصر. وكذلك فعلوا على العموم فى الإشادة بالمسلمين وتفضيلهم على

الأقباط في العلم والذكاء والكفاية.

ولما ثارت الحرب العالمية أراد بعضهم أن يثير الفتنة بين المسلمين والأقباط من جديد، فحاول الإنجليز أن يثيروا الأقلية على الأكثرية، فكان الرد عليهم تعانق الصليب والهلال رمزاً لاتحاد المسلمين والأقباط. وفعّلوا في تحقيق ذلك أفعال كثيرة، سدّوا بها هذه الفجوة.

ولما تألف الوفد المصري، للمطالبة بالاستقلال، كان من أعضائه مسلمون وأقباط؛ وارتفع صوت العقلاء يقضون على نزعة التعصب هذه، ويدعون إلى الألفة والاتحاد منعاً لدخول المحتلين من منفذ ولو ضيق، ليوسعوا شقة الخلاف. ومع هذا لم يزل الخلاف تاماً، بل لا يزال هناك متعصبون من هؤلاء وهؤلاء. حتى ليكاد بعض المصالح يكون وفقاً على طائفة دون أخرى، كالأقباط في السكك الحديدية والمسلمين في قلم قضايا الحكومة ونحو ذلك. ونرجو أن يرتقى الرأي العام على مر الزمن فيزول هذا التعصب، ويكون الدين لله. وإذا كان الأمل أن تسود الإنسانية على القومية، فأولى أن تسود القومية على العنصرية.

عَلْشَان: يستعملونها كثيراً بمعنى لأن. ومن أغانيهم علشان بَجَبِك تَدَلَّع.

عَلْمَنَاهُ الشَّحَاتِهِ سَبِقْنَا عَ الأَبْوَابِ: تقال لمن علم الإنسان شيئاً، فسبق معلّمه كمن تعلم من إنسان علماً، وتصدّر فيه حتى على

المعلم.

على السكين: تقال في بيع البطيخ والشمام. أى أن البائع ضامن لحمّار البطيخ وحلاوة الشمام. وهو نداء غريب كان يجب أن نخلص منه من زمن بعيد، وذلك بإعدام السيئ وإبقاء الأصلاح كما فعلت الأمم الأخرى، فليس عندهم هذا النداء.

على سنجة عشرة: تستعمل في ن يتزَيّن أو تزَيّنت على آخر طرز. فيقولون جاءت على سنجة عشرة. ولا أدري أصل معناها.

عل عينك يا تاجر: تعبير يقال للشئ يعطى جهاراً من غير دس ولا تخبئة، فهو يعطيه الشئ على عينه، أى جهره.

على كا كا: هو شخصية غريبة تدل على ولوع المصريين بعلاقتهم الجنسية. فهي شخصية رجل يلبس الحذاء ويلبس في وسطه حزاماً يتدلى منه قطعة على شكل الآلة الجنسية في أضخم أنواعها. وكان هذا المنظر يثير ضحك النساء والرجال على العموم ضحكاً بالغاً. وكانوا يصنعون منه نماذج من الحلوى في المولد، وكان هناك نوع من الحلوى عبارة عن سكر مجفف فيه شربات، ويسمونه أيضاً شربات. ويدور البائع في الشوارع والحارات ويقول: "العروسة من الشربات، العريس من الشربات، الحمّة من الشربات، على كا كا من الشربات".

والخضراء، والحمراء؛ فالبيضاء هي اللبس العادى للمصريين، والخضراء للأشراف من نسل على، والسوداء لباس الأقباط والصوفية السعديين، والحمراء لباس بعض الصوفية من الطريقة البيومية؛ وكانت العمامة لباس أكثر المصريين، والمسلمين، فألغاها مصطفى كمال إلا على رجال الدين، وألزمهم بلبس القبعة.

والمصريون باختيارهم غير أن كثيراً منهم يلبس البدلة والطربوش بدل الجبة والقفطان، حتى طلبة الأزهر ودار العلوم. والسبب في ذلك أن العمامة غير محترمة في القاهرة الاحترام الكافي. وقد قلت مرة إن صاحب الطربوش موضع ثقة إلى أن يأتى بعمل يفقدها. أما صاحب العمامة فلا يوثق به إلا أن يأتى بعمل يمنحه الثقة.

وقد كنت فيما مضى ألبس العمامة، فلقيت من لبسها أذى كثيراً، مثل أنى أردت أن أدخل مع صديق لى مطربش لوكاندة سميراميس، فمنعت منها لعمتى، وأجيز المطربش، ولما رأى ذلك امتنع أيضاً من الدخول. ومنها أنى أردت أن أنزل لوكاندة فى الإسكندرية للمبيت، فقيل لى أنها كلها مشغولة، فلما جاء بعدى مطربش ووجدت الغرفة. وإذا أردت الركوب فى الترام فى الدرجة الأولى قيل لى أنها الدرجة الأولى، كأن المعمم محرم عليه أن يركبها، وهكذا من المصاعب، حتى اضطررت إلى تغيير لبسى.

ومن أقوال الخليعات: "إوعى العممة توقف حالك"، ومن العمائم نوع ملفوف لفا

على لوز: كان الأطفال فى العيد يعقدون السكّر ويصبونه فى صَوَان صغيرة ويضعون عليه اللوز المقشّر لِمَ سموه على، إلا أن يكون أثراً من آثار التشيع، أيام كان التشيع منتشرأ فى العهد الفاطمى؛ ولذلك كثيراً ما تنسب الأشياء لعلى، كعلى لوز. وعند المطر يقولون: يا فرج على، وعامل أبو على، وأم على، وعلى عليوه، وعلى يا على يا بتاع الزيت؛ إلى غير ذلك مما لم يحضرنى الآن. وقد يستعمله الأطفال جلباً للعيدية، فأقارب الطفل يأخذون من حلاوته هذه قطعة صغيرة تسمى "الملوق" ويدفعون له عيدته.

وكان هناك من يتاجر بها فى الأعياد فيصنع صوانى كبيرة مملوءة بعلى لوز.

"الشيخ" على يوسف: هو صاحب جريدة المؤيد، وكانت جريدة إسلامية واسعة الانتشار والنفوذ، وكان الشيخ على يوسف رجلاً ماكرأ ماهراً بليغأ، مقربأ من الخديوى عباس. (انظر: حادثتان)

عليه العوض ومثله العوض: تعبير يقال عند ضياع شئ، فهو يطلب العوض من الله. وأحياناً تقال فى شئ جيد يباع أى أن ثمنه لا يفى به، كالذى ينادى على خيار طايب، فيقول العوض على الله.

العمامة: العمامة فى مصر شال خفيف يلف على الطربوش بعد تكويره. وهى أنواع: منها البيضاء، والسوداء،

محكماً كعمائم الأقباط ويسمونها مُقَلَّة.

العمدة: هو رئيس البلدة أو القرية، وهو معزز في قومه، وإن كان ذليلاً أمام المعاون والمأمور. وبعض العمدة يظلم الأهالي كثيراً ويفرض ضرائب مالية عليهم، وشراء المواد الغذائية كاللبط والأوز بأرخص الأثمان، وأخذهم النساء بالقوة خادمت في بيوتهم، واستخدام الفلاحين وحيواناتهم في زراعتهم وغير ذلك.

والفلاح يُرعب إذا ناداه، ويحتكم إليه إذا تعدى عليه أحد. فهو في المسائل الجزئية يقوم مقام القاضى. ويجرى مجراه على صورة أصغر شيخ البلد. وأبناء العمدة والمشايخ يعتزون كثيراً بأبائهم، فمن لم يحترمهم احتراماً زائداً ضربوه وأهانوه. ويعفى أولاد العمدة من القرعة. والناس يسمون كل من كان وجيهاً في لبسه ظاهراً عليه الفلاحة عمدة. فيقولون إوعى يا عمدة، واتفضل يا عمدة!

عمر الشقى بقى: يزعمون أن الموت يسرع للأخيار، أما الأشقياء فعمرهم طويل. وربما كان السبب أن الرجل المسن الحسن الأخلاق الطيب يكاد لا يشعر به الناس لحياته الهادئة، أما الشقى فكل ساعة يشعر بوجوده بما ينغص عليك، فعمره ولو قصر مملوء بالأحداث فيكون طويلاً.

العمل دا جليطة: تعبير يعنى أنه مُقرف وفى غير محلّه.

عَمَل على عِنْدى: تعبير يعنى أتى بأمر ضدّى، يعاندنى فيها. ويستخدمونها كثيراً فى الجنس، فيقولون، تعال عندى، ولا تعملش على عندى، والأولى بمعنى معى، والثانية ضدّى.

عَمَل معاه شُغْل البليباة: تعبير يعنى مكر عليه، وضحك على ذقنه.

عَمَلها زَعَلَة: أى تصنّع الغضب.

عمودا جامع عمرو: هما عمودان فى مسجد عمرو بمصر القديمة، أو بعبارة أخرى الفسطاط، يعتقد العامة أن من كان صالحاً استطاع أن يمر بينهما ولو سميناً، ومن كان فاسقاً لم يستطع ذلك ولو كان نحيفاً. وقد حدثت منهما مضار بسببها اضطرت الحكومة إلى تسويرهما.

العمى يا بدر: تعبير يقال لمن يعثر مثلاً فى شئ ظاهر.

عِنْدَه عكوسات: تعبير يعنى عليه جن بتعكسه.

عنزة السيدة نفيسة: حدث سنة 1173هـ أن خدمة السيدة نفيسة أظهروا عنزاً، وكبيرهم إذ ذاك الشيخ عبداللطيف، وزعموا أن هذه العنز خلصت بعض الأسارى المسلمين من الأسر. وزعم الناس أن السيدة نفيسة أوصت عليها الشيخ عبداللطيف من

القبر، وأنها تارة تكون فوق المنبر، وتارة أخرى بالضريح... إلخ. وتسامع الناس بذلك وأقبلوا من كل فج عليها رجالاً ونساء. وقدموا إليها النذور والهدايا. وزعم الشيخ أنها لا تأكل إلا قلب اللوز والفسق، ولا تشرب إلا ماء الورد والسكر المكرر، فانها تلت عليه هذه الأشياء. وعمل الناس لها كثيراً من قلائد الذهب وأطواق الذهب، وصار الأمراء والأعيان يرسلون الشيء الكثير من ذلك. وفتن الناس بها، وأرسل الأمير عبدالله كتحده للشيخ يلتمس منه حضوره بالعنز ليتبرك بها هو وحريمه، فركب الشيخ بغلته والعنز في حجره وأمامه الطبول والبيارق وجموع الناس. فلما وصل إلى البيت دخل بها على الأمير في مجلسه، ومعه كثير من الأمراء فتبرك بها وأرسلها إلى الحريم. وكان قد أمرهم بذبحها وطهيها، فأعدت مع الأكل، وجلسوا يأكلون والأمير يسأل الشيخ عن طعم لحمها فيقول لذيد، والأمراء يتغامزون ويتضحكون. فلما أكلوا وشربوا القهوة طلب الشيخ العنز فأخبر بذبحها فأسقط في يده وبُهِت، ووبخه الأمير وبكته. وأمر أن يعمم الشيخ بجلدها وأن يذهب به كما جاء بالطبول والزمور. وفي ذلك قال الشاعر:

عواطفهم في مآتمهم وأفراحهم، وأنه تتحكم فيهم عواطفهم أكثر مما يحكمهم عقلم. ففي المآتم يهيجون حزناً، وقد يلطمون، وقد يصبغون وجوههم وأيديهم بالنيلة، ويأتون بالمعدّد تهيجهم، ثم الخروج إلى القرافة والاحتفال الشديد بها، والمظاهر المتعددة فيها، ثم نصب الخمسان في أيام الخميس، وفي الأربعاء، وفي كل موسم وعيد، مما لا ينتهي. على حين أنك ترى الأوروبي فلا تشعر أنه قد مات له ميت.

وفي الأفراح تقام الولائم ويستدعى تحت المغنين والمغنيات، وتمد الموائد إلى زفة العروس، وحفلة السبوع والصباحية إلى غير ذلك. وقد يسبب هذا التغال في المآتم والأفراح الفقر والبؤس، ويتحملونها في صبر.

ومن مظاهر شدة العواطف الاسترسال في الضحك، والاسترسال في البكاء، والتأوه بصوت عال عند سماع مغن أو مغنية، والصوات والزغاريد، حتى لتظهر هذه الحدة في استعمال الشطة في المأكولات، وفي الإعجاب بالممثلين والممثلات، وفي التخريب في المظاهرات وفي الميل إلى الألوان الصارخة في الملابس وغير ذلك.

وأكثر ما يكون ذلك في النساء، فهن يقدرن كلام الناس فيهن أكثر مما يقدرن الحجة المنطقية ويتأثرن بالخبر السار أو المحزن أكثر مما يتأثر الرجال. وتظهر حدة عواطفهم في الأغاني والأشعار، فهي ملووءة حزناً وضنى على الهجران، ومرحاً

ومن أعجب الأشياء تيس أراد أن

يضل الورى في حبا منه بالعنز

فعالها من نور الله قلبه

بذبح وأضحى الشيخ من أجلها مخزى

العواطف: يتميز المصريون بحدة

وسروراً للوصال. وربما كان هياج العواطف إذا هاجت التمسّت كل سبيل للوصول إلى الغرض.

عوج بن عنق: اسم مهور دائر على ألسنة العوام، يقولون في وصف من كان طويلاً: "أطول من عوج بن عنق". ولهم في وصفه خرافات غريبة، منها أنه كان يمدّ يده إلى قاع البحر المالح فيأخذ منه السمك الكبير، ثم يمد يده إلى الشمس فتتنضج السمكة من حرارة الشمس.

وقالوا إنه كان في زمن الطوفان، فكان يمشى في الماء بجانب سفينة نوح. وقالوا أنه مرض ذات مرة ونام، فكانت القوافل تمر عليه فيقول لها: إن بلغتم رجلى فانظروا ما الذى يخربشنى فيها. وقالوا: أنه كان في زمن موسى فأراد موسى أن يضربه، فاضطر إلى أن يرتفع عن الأرض أربعين ذراعاً. وله عصاً طولها أربعون ذراعاً أيضاً. وغير ذلك من الأساطير.

وكلمة عوج عبرانية، معناها طويل العنق، وقالوا إنه اسم لملك كان جباراً، أطول من المعتاد، وقد انهزم في موقعة دموية، واقتسم بنو إسرائيل ملكه. وقال الشاعر:

لى حبيب قده دونه اسمر الرقاق

أعور الدجال يمشى خلف عوج بن عناق
وقد اضطره الشعر إلى أن يحوّر عنق
إلى عناق. وقد كانت أخبار هذا الرجل من الإسرائيليات التي دخلت في تفسير القرآن.

العونة: العونة السخرة، كأنهم يتعاونون في

عمل الشئ، كالعونة في المحافظة على الجسور وتطهير الترع، وكانت هي الأخرى سبباً في ظلم الفلاحين من العمد ومشايخ البلاد. والفلاح يعمل في هذه العونة أو السخرة من غير أجر، وأحياناً تكون العونة لمصلحة عامة، ولكن في مزرعة غنى أو كبير، فمن عليه العونة يخرج في الصباح ومعه أيضاً أكله وبهائمته للعمل فيما كلف به. وطريقته أن ينادى الخفير في الصباح: "العونة يا فلاحين، العونة يا بطالين..". فيخرجون ويوجههم الخفير إلى حيث يعملون. وفي بعض البلاد تفرض العونة على البيوت، ويقال على البيت الفلاني رجل، وعلى البيت الفلاني رجلان، والأسرة التي في البيت حرة في اختيار من يشتغل. وأحياناً يستخفى من عليه العونة، ويخرج من البلد أحياناً في زى امرأة أو يختفى في الفرن.. وأكثر ما تكون العونة في بلاد الوسيّة، أى البلاد التي فيها أراضي الملاك الكبار من تفتيش وعزب وغيرها.

والعونة كانت من أكبر مصائب الفلاحين، وتتهدهم دائماً بالظلم والقسوة، وكلما كان الفلاح عديم الملك أو قليل الزرع كان أكثر عرضة للعونة، وهو دائماً خائف مرتعب أحياناً من حضور ميعاد المال ومن الكشاف ومن الصراف وغير ذلك. ولذلك قال بعضهم:

همّ الفلاحة حيرنى

وكل ساعة في نقصان

ما انفك من همّ الوجبة

لما يبجى مال السلطان

(انظر: سخرى، وانظر أيضاً وجبة) اليد.

العين: العين إذا رفت فإنهم يتشاءمون بهذا إذا حصلت من إحدى العينين، ويتفعلون إذا حصلت من الأخرى؛ ومن ذلك الأغنية المشهورة اليوم: "عيني بتترف يا حبة عيني". ويقولون إذا رفت عينه: اللهم اجعله خيراً. ومن ذلك أيضاً خدر الرجل، فهم يزعمون أن الرجل إذا نملت، دل ذلك على أن صاحبها سيسير سيراً طويلاً.

وتطلق العين أولاً على الحسد، فيقولون للمحسود: "أصابته عين". ويعتقدون أن بعض الناس في عينه قدرة على الحسد تؤذى من أصابته، ويداؤون ذلك بالتعاويذ والبخور والأحجية. ويقولون في أمثالهم: "عين الحسد فيها عود". وكلمة العين تستعمل في الغناء كثيراً، فيقولون يا ليل يا عين. وينوعون نغمتها أنواعاً كثيرة. (انظر: حسد وأحجية وبخور)

عين الصيرة: هي عين مالحة مرة بالقرب من الإمام الشافعي، يعتقد المصريون أن من اغتسل فيها شفى من الأمراض، ببركة الإمام.

والحقيقة أن العين ذابت فيها بعض مواد كيميائية، من المواد التي مرت عليها فجعلتها صالحة لشفاء بعض الأمراض، وخصوصاً الجلدية. وخصوصاً أيضاً طينتها التي تركزت فيها هذه المواد، فإنهم عادة يأخذون هذه الطينة ويضعونها على العضو الذي أصيب بالآفة فيمتص كثيراً من

عهد: العهد في اصطلاح الصوفية الميثاق الذي يأخذه الشيخ على المريد؛ فيقولون للمريد إنه أخذ العهد، وللشيخ أنه أعطى العهد للمريد. وهو علامة على الدخول في طريقة من الطرق الصوفية كالبيومية، والسعدية. وبعد العهد يترقى المريد إلى مراتب مختلفة حتى يصير قطباً.

وبعد أخذ العهد يأخذ عن الشيخ الأوراد، ويسير في الحياة وفقاً لما يأمره به الشيخ. وإذا أخذ عهداً على طريقة عد من العيب أن يأخذ عهداً على طريقة أخرى؛ كمن كان شافعيّاً لا يصح له أن ينتقل إلى الحنفيّة وهكذا⁽⁶⁴⁾.

وقد أخذت هذه الطريقة الأحزاب السياسية، فمن انتسب إلى حزب لا يصح أن ينتسب إلى حزب آخر معه.

العيش: اسم يطلقونه على الخبز وهم يجلونه كثيراً، فإذا رأى أحدهم قطعة من الخبز نحاها بجانب الحائط، وربما قبلها قبل ذلك؛ ولا يستحلون أن يدوسوا عليه، ويكنون عن العيش والملح بشدة الروابط، فيقولون أكل معه عيش وملح، وإذا لم تنفع الصداقة قالوا "يخونه العيش والملح".

عيشنى النهارده وموتنى بكره: تعبير يعنى أنقذنى اليوم وليكن غداً ما يكون.

عيطت من كل عين حقان: تعبير يعنى بكت بكاء كثيراً. حتى أن دموعها تملأ حفنة

السوائل الضارة فيبراً المريض.

عينك ما شافت إلا النور: داء لمن يخاطب،
بأن عينه لا تقع إلا على ما يسرها.

العين ماتعلاش على الحاجب: تقال في
الرجل يتواضع ويتكلم بكلام يدل على أنه
أصغر ممن أمامه وأحقر، فيقول له العين
ماتعلاش على الحاجب، أى أن الذى يكلمه
حاجب، وهو عين، فهو أرفع.

العينة بيّنة: تعبير يعنى نموذج الشئ يدلّ
على ما تحته.

عينية مبظظة: تعبير يعنى جاحظة.

غ

بين المحبين. وقد قال الشاعر العاقل:
ما فرق الأحباب بعد الله إلا الإبل
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل
ولو كان الشاعر عاش في زمننا لعدن
مفرقات الأحباب السفينة والواور والطيارة.

الغربال والمنخل: كان الغربال والمنخل
منتشرين أيام كانوا يخبزون في بيوتهم،
وكان أهل كل بيت غنى أو متوسط يخزنون
القمح، وكلما احتاجوا غربلوا وطحنوا
ونخلوا، وهكذا. يأتون بالقمح فينقونه من
الطين والزوان، ثم يغربلونه ليخرج منه ما
ليس بصالح، ثم يرشون عليه قليلاً من
الماء، ويرسلونه إلى واور الطحين
ليطحن. وواور الطحين شئ جديد في
مصر، فقد كانوا قبل ذلك يستخدمون
طواحين البيت أو طواحين الهواء، تجدها
منتشرة في كل مكان. فإذا أفرز الدقيق
الناعم من دقيق السن من النخالة بواسطة
المنخل، ويأتون بالدقيق الناعم فينخلونه
مبالغة في جودته.

والمنخل عادة أدق مسام من الغربال.
الغربال لتنقية القمح، أما المنخل فانتقية
الدقيق. والمنخل طارة يركب عليها إما سلك
فيسمى منخل سلك، أو شاشة رقيقة دقيقة
فيسمى منخل حرير. ويسمّر السلك أو
الشاشة بمسامير دقيقة.

غاب القط العب يا فار: تعبير يقولونه عند
غياب من يخاف منه. ثم استهتار من يشرف
عليه الذي غاب.

الغابة: تطلق على الجوزة التي يشرب فيها
التمباك أو الحشيش. ومن الأغاني "جوزة
من الهند ومركب عليها غاب" وإذا دخلت
قهوة بلدى وجدت "جوزات صغيرة وكبيرة
بغابها" معلقة في صدر القهوة.

ومن الغاب نوع يسمى "الغاب
الأفرنجي"، متين يستعمل لوضع جنب
الفاكهة والخضروات عليها. وقد يسقف
الفلاحون بيوتهم بالغاب بدلاً من عروق
الخشب لفرهم.

ومنها ما يستعمل في اصطياد السمك إذا
كانت طويلة، فركب عليها سنارة ويصطاد
بها. (انظر: **جوزة وتعميرة**)

غاباني: يقولون شال غاباني، وأصله
ياباني، لأن أهل مكة يسمون يابان غابان.

الغراب: طائر أسود يتشائمون منه ومن
صوته ومن أمثالهم "إيش جاب الغراب
لامه"، أى أنه لم يأت لأمه إلا بالشر. وربما
كان موروثاً عندهم من العرب؛ إذ كانوا
يتشائمون منه، ويقولون: أشأم من غراب.
ويسمونه "غراب البين" بدعوى أنه يفرق

أدخل في النار حتى احترق، فكان بذلك قابلاً لأن يوضع فيه ما يحترق. وقد استعمل هذا الكانون عندما استخدم للطبخ ونحوه بقايا الفحم الحجري المسمى "بفحم الكوك". وكان العجائز لا يحبب الطبخ عليه، لأنه يسرع في نضج الطعام. وعندهم أن الطعام إذا طبخ على نار هادئة أو في الفرن كان ألد. ثم استغنى عن كل ذلك بوابورات الجاز.

ومن الأمثال الشائعة: "يا مأمنة للرجال يا مأمنة للمية في الغربال" يضربون للدلالة على عدم الثقة في الرجال، فقد يمكن الرجل مع زوجته ما شاء أن يمكث، ثم يلوف بغيرها على حد تعبيرهم. وكذلك أيضاً: "الغربال الجديد له شدة". يعنون لذة الأشياء الجديدة (كالجزمة والبدلة).

غرض الاهتمام: تعبير يعنى أنها تناسب من لم يكن له أسنان يقولونها للتحييب في الذرة والدلالة على أنها لينة وكذلك في أمثالها، ومثلها غرض العجائز.

الغريبية: هي نوع من الكعك يصنع من دقيق وسمن وسكر، ويكثر فيه السمن. ويقدم عادة في المواسم والأعياد. وتنفنن الطبقة العليا فيها فتضع في وسطها لوزة مقشورة. وللشيخ حمزة فتح الله حكاية مع الغريبية عندما أخذها معه في السفر إلى مؤتمر المستشرقين، فقد وضع عليها جمر كبير لأن الأوروبيين لا يعرفونها تفتت من كثرة النقل والحركة.

أما الغربال فيعمل من طارة أكبر ويركب عليه خيوط تعمل من الغراء في الأغلب. وإذا ارتخى الغربال من الرطوبة أو نحوها مرر على نار هادئة أو شمس حامية فيشتد. ومن كثرة استعمالها كان هناك حلاً يسمى المغربلين، وحى آخر يسمى المناخلية. وكثيراً ما يدور البائعون في الحارات ينادون على الغربال بقولهم: "يا طالبة الغربال يا عاوزة الغربال" وعلى المنخل بقولهم: "المنخل الحرير العمولة"، ومعنى العمولة أنه مصنوع صنعاً جميلاً. ويشبهون الرجل الذي لا يحفظ السر أو المرأة كذلك بالغربال فيقولون: زى الغربال، ما يحفظش سر.

وهو مثل عربى قديم. قال الحطيئة:

أغربال إذا استودعت سراً

وكانونا على المتحدثينا

ومعنى الكانون هذا الذى نطبخ عليه، فقد وصفها بأنها إذا تحدثت كانت ثقيلة على المتحدثين، لأن الكانون عندهم كان عبارة عن حجرين، والحجر الثالث هو الجبل، ولذلك سموه ثلاثة الأتافي، فالكانون بذلك الوضع أثقل من الجبل. أما الكانون فى عصرنا فكان إطاراً من حديد، له قاعدة يوضع فيها الخشب أو الفحم ثم يشعل الخشب أو الفحم بواسطة بعض الورق أو بواسطة قطع يسمى الإشرء، وكان يدار به أيضاً على البيوت. وبعد ذلك عمل كانون من نوع آخر، وهو عبارة عن إطار من حديد وضع حول الإطار طين محروق

فأتلفت ما فى صندوقه من جيب وقفاطين؛ وأخيراً اضطر إلى أن يشحنها إلى مصر مرة أخرى بواسطة شركة كوك. وقد حكى قصته عبدالله باشا فكرى فى رسالته فى المؤتمر.

الغزال: يكثر هذا النوع من الحيوان على حدود الصحراء المصرية، وقديماً تغزل فيه العرب، وخصوصاً فى عينه ورشاقته، وأكثروا من القول فى شعرهم فى هذا. وهو يتغذى بالأعشاب الصغيرة التى تنبت فى الصحراء؛ وقد برع العرب البدو فى مطاردته واصطياده بالبندقية أو بالصقر أو الكلب. وبعض الأغنياء يتخذون صغار الغزلان الوحشية فى بيوتهم للتجميل فلا تلبس أن تستأنس، وأعرف صديقاً لى كان عنده غزالة كانت تأنس به. ومن غريب الأمر أنها كانت تألف الدخان، فإذا أشعل أحد سيجارة جاءت بجانبه تشم رائحته، وأحياناً يطعهما بعض السجائر فتأكله فى لهفة.

ومن أمثالهم "القرد فى عين أمه غزال"، يقصدون أن شكل القرد القبيح جميل فى عين أمه. أى أن الأم ترى ابنها جميلاً مهما قبح. ومن غريب الأمر أنهم يسمون الجن والجنون غزالة. فيقولون: "طلعت عليه الغزالة" أى جن. وفلان عليه غزالة، أى يعتريه أحياناً جنون.

غصباً عنى: تعبير يعنى بالإكراه.
غنى على خراب عشه: تعبير يعنى أنه مازال يغنى، حتى خرب عشه، تقال للرجل

صاحب الحظ، ظل يغنى حتى خرب بيته.

الغول: حيوان خيالى، وإذا كان مع الإنسان سلاح وضربه به، فإنه يقتله، فإذا ضربه ثانية يحيا؛ ولذلك إذا كان الضارب عارفاً لا يثنى الضرب.

وعيون الغول مشقوقة بالطول، إذا حدقت فى إنسان خرج منها الشرر. وهو ميراث من القدماء؛ يقول الشاعر:

والغول بين يديلا يخفى تارة

ويعود يظهر مثل ضوء المشعل
بنواظر زرق ووجه أسود

وأظافر يشبهن حدّ المنجل
ويسمى العامة أنثى الغول (سلعوة).
والعامة فى كلامهم يشبهون من يأكل كثيراً بالغول. فيقولون - إنه - يأكل زى الغول⁽⁶⁵⁾.

الغيرة: الغيرة عند المصريين قوية، وخصوصاً فى الصعادية، فهم يتململون إذا سمعوا أن امرأتهم أو أختهم أو بنتهم تتهتك أو يغازلها أحد. ويجن الصعيدى إذا سمع مثل ذلك. وكثيراً ما يؤول الأمر إلى قتل من اتهمت بذلك. وقد قلت كثيراً مع المدنية.

وفى الصحف كل يوم أخبار عن القتل بسبب الغيرة. وهم يعتقدون أن المرأة أو الفتاة إذا قشرت بصلاً فدمعت عيناها دلّ ذلك على شدة غيرتها. وليست الغيرة مقصورة على المرأة، بل قد يغار الرجل من زميله إذا اشترك معه فى عمله.

فالصائغ يغار من الصائغ، والحداد من
الحداد، والكاتب من الكاتب، والعالم من
العالم، وهكذا. بل قد تغار المرأة من
أختها، خصوصاً إذا سعدت أخت وشقيقت
الأخرى، فإن الغيرة تستولى على الشقية؛
بل إن أكبر سبب في غضب الحماة على
زوجة ابنها الغيرة، لأنها تغار على ابنها
يستولى عليه قلب غير قلبها.

ف

الفار: كثرة الخير، وهذا طبيعي لأن الفار لا يألف البيت إلا إذا كانت فيه الخيرات. ويحضر في الذهن كثيراً القط مع الفار، ويقولون "القط والفار"، ولهم في ذلك قصة مطبوعة. ويحكون قصة تدل على ما بالطبع لا يتخلف "اللى فيهش ما يخلهش"، مؤداها أن رجلاً علم قطه إمساك الشمع بين يديه حينما يأكل. فلما ظهر فار رمت القطط الشموع وجرت وراء الفار. ويحكون أيضاً أن رجلاً دعا الله أن يقلب قطته إمساك الشمع بين يديه حينما فاستجاب الله دعائه. وكانت تجلس بجانبه تأكل أفخر الأكل فلما رأت فأراً تركت أكلها وجرت وراءه، فقال الرجل: "اللى فيهش ما يخلهش"، ودعا الله أن يعيدها قطة فكانت كما كانت. ومن أمثالهم: "غاب القط، العب يا فار"، يقولونه في الناس غاب من يخوفهم فجروا على هواهم.

فال الله ولا فالك: تعبير يعنى ما عند الله خير.

فئح الكتاب: يقوم بهذه الحرفة في الغالب المغاربة والسودانيون، فيضعون كتاباً تحت إبطهم ويمرون في الشوارع والحارات ينادون "نفتح الكتاب". فإذا جاء إليهم أحد نادوه ففتح الكتاب حيثما اتفق، وقرأ منه ما يدل على تنبؤ بالمستقبل بناء على توسمه في وجهه، كأن يقول له: "يظهر عليك أنك

الفار: مقام في شارع ضرب الحصر لولى اسمه سيدي إبراهيم الفار، وكان له مولد من جنس خاص ذلك أن العامة تزعم أن من رزق ولداً وأراد أن يعيش، يحضر به في مولد الشيخ فار، ويركبه مع الخليفة "شيخ المقام"، ويجعل ركوبه عادة مستمرة كل سنة لأجل أن يعيش الولد. ولذلك يبعث كثير من الناس أولادهم إلى هناك. فيركب الخليفة وحوله كثير من الأولاد وعلى أبدانهم الثياب الملونة، ويلبسون طراوير من الورق بعضها أصفر، وبعضها الآخر أحمر، وبعضها أزرق. وتزدحم الطرق، ويسير مع الخليفة أرباب الأشاير والطبول والزمور، وبعض الأطفال يركب حماراً، وبعضهم حصاناً، وبعضهم يمشى على قدميه. وتسير أيضاً معه أرباب الصنایع من حدادين ونجارين... إلخ. كل يركب عربة تمثل عليها أنواع الصناعات. وقد شاهدت هذا المنظر في صغرى، وكان منظرأ عجيباً، ويكثر الناس للتفرج على ذلك سيما النساء، ويكون اليوم يوماً مشهوداً.

والفار هو الحيوان المعروف؛ ومنه فار البيت، وفار الغيط. ويحكون قصصاً للحوار بين فار البيت وفار الغيط، مغزاها أن الحرية مع الفقر خير من عدمها مع الغنى. وفار الغيط أبيض سمين، حتى أن بعض الفلاحين يأكله. ويعتقدون أن البيت إذا كان فيه فار كان فيه البركة، ودلت الفيران على

زعلان من قلة الدراهم وعدم الشغل، لكن الكتاب يقول إن الضيق سينفرج والغممة ستزول، وأنه سيأتيك مال كثير" ونحو ذلك. وكلما كان الكتاب مخطوطاً وقديماً كان الناس فيه أكثر اعتقاداً. وهو من قبيل الاستخارة وضرب الودع وضرب الرمل. (انظر هذه المواد)

فتح كده فى عنيّه: أى أن الغالب على من أتى عملاً إجرامياً أن يخجل إذا نظر الإنسان فى عينه، فيقول له فتح فى عيني، ليعرف إن كان أتى بهذه الجريمة أو لا.

فكرنا القط، جا ينط.

الفتوة: الفتوة لعبت دوراً هاماً فى حياة الجاهليين والمسلمين؛ وأجمل ما فيها المعنى الإنسانى الذى نلمحه. ولقد نمت الفتوة فى ظل الإسلام، وكان منها الكرم والنجدة والضيافة. وجاء الصوفية فاستحسنوا ما فيها من إيثار فزادوا فيه حتى العطف على الحيوان، ففلسفوا الفتوة وتعمقوا فى تطبيقاتها، وأخذ مؤرخو التصوف يزيّدون فى كتبهم فصلاً عن الفتوة، ثم انقلبت الفتوة بالحروب الصليبية إلى نوعين: نوع من الفروسية بديع يظهرون فيه الاحترام للمرأة، وربما نظروا إلى جمالها على أنه تقديس لها وإعزاز لشأنها؛ ونوع ثانى عماده الكرم من إيواء الضيوف وبناء مستشفيات وإنشاء الزوايا والوقف على الفقراء والمساكين إلى غير

ذلك.

وعلى الجملة فقد كان فى الفتوة معنى إنسانى جميل، ولكن مع الأسف طغت المدنية الحديثة التى لا تعرف كرمًا ولا سماحة وقضت على عوامل الكرم والسماحة إلا فى القليل النادر. والفتوة فى عصرنا انتقلت من اسم معنى إلى اسم ذات، فالفتوة شاب يلبس جلباباً ويتعمم بلاسة.

وقد يرأس شبّان حيّة فى محاربة الحى الآخر، فيتواعد الطائفتان على الخروج إلى جبل الجبوشى مثلاً ويتحاربون بالحجارة والعصى طويلاً؛ ومن غلب منهم توعد بالغبلة فى يوم آخر. ولا تخرج الزفة من حى إلا إذا حماها فتوة الحى خوفاً من تعدى فتوات حى آخر عليها. والفتوة عادة تكون له امرأة عشيقة يحميها، فلا يجسر أحد أن يتعرض لها. ولهم لغة خاصة مثل التلاموذ، والجبيا، ونحو ذلك. وقد رأينا أن الشيخ حسن الكفراوى لما اضطهد بعد قتل الحسينية وتزوج ببنته ليحتمى به فحماه.

الفراسة: يعتمد المصريون كثيراً فى أعمالهم على الفراسة، فهم ينظرون إلى بعض الوجوه، فيقولون هذا الوجه سمح يستبشرون به، وهذا الوجه عبوس يتشاءمون منه. ولهم فى ذلك ملكة عجيبة، فمثلاً يستدلون من الخجل وتورّد الخدود على أن صاحبه لطيف الخلق، لطيف الشعور. وبروز الوجنه، وهو ما يسمونه كرسى الخد، يستدلون منه على شدة الطبع والدفاع عن النفس والأهل. والأنف الأشم

دليل العظمة وعلو الهمة والإقدام؛ وهذا بعكس الأنف الأفتس. والشفة الغليظة البارزة الحمراء، دليل السخاء وكبر النفس، وأحياناً تكون دليلاً على حدة الشهوة الجنسية والشفة الرقيقة دليل على الاستعداد للحب الشديد والذوبان فيه.

وقد كان لى كتبى جاء إليه رحل يطلب كتاباً فقال له: ليس عندى. ولمحت الكتاب أمامه على مكتبه، فقلت له كيف تقول ذلك؟ فقال إنى أعرفه من فراستى فيه، فاستنكرت ذلك عليه. وقام يجرى ونادى الرجل ومازال يساومه، وأخيراً مضى ولم يشتر، فالتفت إلى، وقال هل صدقت؟

ولبعض الناس مقدره عجيبة على صدق الفراسة، فيتفرس فى رجل أنه كريم أو بخيل، شجاع أو جبان. وربما كان تنبؤ كثير من العرافين مبنياً على صدق الفراسة.

فرجية: هى جبة واسعة طويلة الأكمام، وهذه الأكمام غير مشقوقة، وهى عادة لباس رجال الدين، وربما نسبت إلى السلطان فرج أحد سلاطين المماليك.

يلبسها العلماء عادة فى الحفلات الرسمية كالمحمل، وقد تحلى بسلوك من الذهب ترگب على يديها وظهرها. ويشترك أيضاً رجال الدين الأقباط فى لبسها سوداء هى والعمامة.

الفرح: الفرع يطلق على معنيين: فرح بمعنى السرور، وهو يؤثر فى الشخص أثراً كبيراً حتى قد ينقلب إلى بكاء؛ وفى ذلك

المعنى تقول الشاعرة:

غلب السرور على حتى أنه

من فرط ما قد سرنى أبكاني

وقد يبلغ فيه حد التأثر لدرجة الإغماء.

حكى لى شيخ أن رجلاً صاحب أوروبياً جاء إلى مصر، ورغب الأوروبى فى تعلم

العربية فعلمه، وتلازماً مدة طويلة ثم سافر

الأوروبى إلى بلاده، وفى ذات يوم بعد

عشرين سنة جاء رجل من بنك الكريدى

ليونيه يسأل عن الشيخ⁽⁶⁶⁾ فدلوه عليه،

فأحضره هذا السائل إلى البنك، وأدخله على

المدير وسأله عن اسمه وصنعتة فأخبره.

فقال له المدير: "أتعرف فلاناً؟" فقال: "نعم،

إنه كان صاحباً لى منذ عشرين سنة". قال

المدير إنه قد أوصى لك بألف جنيه. فدهش

الشيخ وامتلاً سروراً وفرحاً، فما عد له

المدير مائة جنيه قال له الشيخ: دعها إلى

الغد، فلما حضر فى الغد واستلمها وأراد أن

يخرج قال له المدير: فسّر لى هذه

الحركات، قال له إنى عشت طول عمرى لم

أقبض أكثر من خمسة جنيهات، فلما عددت

لى فى أول مرة مائة، كاد يغمى على،

فاستمهلتك، وهكذا.

وقال لى صديق آخر إننا كنا نعرف رجلاً

فقيراً يعيش من كسب امرأته، وهى تشتغل

غسالة فى البيوت. وقد مات قريب له

وورث نحو الستمائة جنيه، ففصل عشر

بدل له والبدلة عبارة عن جبة وقفطان،

ولباس وصديرى وقميص، ورمى ثوبه

المهلل وأخذ يدعو أصحابه وقيموون

الأفراح فى غناء وخبز وحشيش، ثم دعا

تألمت له وكان غصباً عنى.

الفروة: إذا كان الخروف طويل الشعر اعتنوا به عند ذبحه، فسلخوه ودبغوا جلده المسلوخ، واستخرجوا من ذلك فروة يطول شعرها أو يقصر حيثما اتفق. فإذا دبغت اتخذوها فراشاً يجلس عليه المترفون. وكان الأغنياء من المجاورين يجلسون عليها بدل الحصير. والآن يتخذها بعض الأغنياء تحت أرجلهم فى السيارات. وكنا ونحن فى الكتاب نسمع فيها لغة رمزية، فيقول الأب لسيدنا إذا عمل الولد عملاً لا يرضى أباه: نفض له الفروة. أى اضربه علة. ويسمى العامة التمر المعروف بـ"بلوط شاه" أبو فروة.

فزورة: هى بمعنى اللغز، وهى باب ظريف من أبواب السمر كالحواديت. فعندما يسمرون يتبادلون هذه الفوازير، وذلك مثل فزورة الكتابة: "قدّ السمسة وتجيب الخيل ملجمة". وألغازهم فى البيضة بقولهم: "طبق رخام عليه زعفران حلف ما يتأكل إلا بالكلام"، وهو رمز لبياض البيضة وصفارها، وأنها لا تؤكل إلا بالملح. وعلى هذا القياس⁽⁶⁸⁾.

الفيستان ده شفتشى: تعبير يعنى أنه رقيق يكاد يبين ما تحته.

فسقية: حوض ينشأ فى الحديقة، أو فى الميادين العامة، أو فى ساحة الدار. وربما كانوا ينشئونها فى الأصل على شكل فستقة،

أصحابه وذهب إلى المحطة يزعم أنه سيحج، وليس الوقت وقت حج، وبعد غياب شهر أرسل إليهم تلغرافاً بأنه حج وعاد فاستقبلوه على المحطة بالزفة وأقاموا الأفراح والليالى الملاح، حتى نفذت نقوده، وتخلّى عنه أصحابه، وعاد إلى ثيابه المهلهلة. وهذا من تأثير الفرغ.

وتطلق بالمعنى الثانى على النصبه التى تنصب لإقامة الزواج ونحوها، فتدوم أكثر من ليلة، بعضها للمغنين وبعضها للتمثيل... إلخ. ويسمون ليلة الزفاف الليلة الكبيرة. ومن أقوالهم: "جت الحزينة تفرح ملقنثيش فى القلب مطرح". وقولهم "فرحة ما تمت"، تقال للخير لم يستكمل، كقول الشاعر:

ما أقبح الخير توتاه فتحرمه

قد كنت أحسب أنى قد ملأت يدي وقولهم "كل نومه وتمطيته، أحسن من فرح طيطه" تقال عندما يراد الانصراف عن الشىء والالتذاذ بالكسل.

الفرح باين على عينه: تعبير يعنى أن عينه تلمع لمعة الفرغ.

فرشت الملاية: تعبير يقال للمرأة العجربة إذا ركدت. وقد يقال للناس المهزأين إذا ربح بعضهم لبعض.

فرغ الهدار ما بقى إلا الجد: تعبير يعنى ذهب وقت الهزل ولم يبق إلا الجد.

الفرقة كانت على عينه: يقولون للشىء الشىء دا حصل، وكان على عينى، أى

ويسمونها الفستقية، فحرفها العامة إلى فسقية وإن كانت فيما بعد قد تكون مدورة.

الفسِيخ: هو سمك يؤخذ ويصفّ راقات بعضه على بعض، ويوضع على كل صفّ مقدار كبير من الملح، وخيره ما كان من نوع سمك البورى، ثم يضعون من فوقه حجراً فينزل منه، ثم يضمّر ويصلحه الملح. ونوع آخر يسمونه الطوبار، وهو مشهور جداً عند أهل الأرياف؛ وكثيراً ما تجد الفلاح وهو ماشى فى الطريق بيده اليسرى فسيخة، وبيده اليمنى رغيف، يقطع من هذا قطعة ومن ذلك قطعة. وتحبه النساء كثيراً ونساء المدن يصلحنه بوضع زيت وخلّ، أو زيت وليمون عليه. وهو يشحن إلى القاهرة فى المراكب. واشتهر فى القاهرة الفسيخ النبراوى، نسبة إلى نبروه قرب شربين. ومن أمثالهم إذا رأوا رجلاً يسلم على آخر فسلم عليه فى ازدراء واحتقار "سلم عليه كسلام الماوردى على بياع الفسيخ". وهو يؤكل كثيراً فى يوم شم النسيم، وقد اعتاد المصريون أكله فى ذلك اليوم، ولذلك يستعد بائعو الفسيخ لهذا اليوم استعداداً كبيراً. وخير ما يؤكل أن يؤكل معه البصل الأخضر. وكما يؤكل الفسيخ فى شم النسيم يؤكل السمك البكلاه فى العيد الصغير. والسمك البكلاه هذا عبارة عن نوع من السمك الكبير شُرِّح وجُفِّف. ومن الفسيخ نوع يوضع فى مش ويخزن فى بلاص مدة طويلة، وقد اشتهرت به أسبوط وما حولها، ولكن يسمونه (الملوحة)

لا (الفسِيخ). وهو مؤدّ فى الصيف على الخصوص، لأنه يحوج أكله إلى شرب الماء الكثير، ولذلك كان فى الشتاء أسهل منه فى الصيف. ومن أمثالهم أيضاً يُعمل من الفسيخ شربات يقال للماهر يستخرج الشىء من ضده. وقد يهدّد أحدهم آخر بقوله: "أفسّخك".

فَشَّ غَلِيْلَه: محرّفة عن شفا غليله.

قَصَّ لَمُونَه: يسمون كل جزء من الليمونة أو من البرتقالة فصّ لمونة أو فص برتقال.

فَصَّ مَلْحٍ وَدَاب: يستعملونها فى الدلالة على أنه اختفى كما يختفى فص ملح يذوب. أى اختفى فجأة!

فُضِلْتُ أَهْرَى وَأَنْكُتُ لَمَا جَه: تعبير يعنى بقيت فى حالة قلق إلى أن جاء.

فُضِلْتُ يَبْسُتْفَه لَمَّا قَالَ بَس: تعبير يعنى أفرط فى تقرّيعه.

فُضِلْتُ يَحْتِيَه لَمَّا كَلَّ مَخَّه: يحتيه: أى يدّخل عليه، ويحتيه من الحاتى. وأصل الحاتى عائلة مصرية اشتهرت بصنع الكباب والكفتة، فسموا كل صانع لهذا الصنف بالحاتى ثم اشتقوا منه حَتَّى ويحتى.

فُضِلْتُ يَزْعَرُ وَيَنْفَخ: تعبير يعنى نظر إليه شذراً، ونَفَخَ نَفْخَ الغضب.

ويحرر ورقة الطلاق. ويقولون لمن تزمت وتشدد وكان ثقيل الروح: "فقى" و"بلاش فقهنة".

الفكاهة: اشتهر المصريون بالفكاهة الحلوة والنوادر المضحكة، وخصوصاً أهل القاهرة وأهل رشيد. ولهم طابع خاص فى نكتهم وهذا الطابع يعتمد على الألفاظ واللعب بها والتورية أكثر من الذكاء. مثال ذلك أن الشيخ على الليثى كان إمام الخديوى، وكان شاعره ومضحكه، وكانت له حجرة فى القصر خاصة به، فداعبه رجل يسمى أحمد خيرى باشا مهردار، أى حامل الخاتم لإسماعيل باشا، بأن كتب على باب حجرة الشيخ على الليثى: "إنما نطعمكم لوجه الله". فأدرك مغزاهما الشيخ على الليثى فقال فيه هذا الزجل:

كان لى طاحونة جوّ الدار

تدور وتطحن ليل ونهار
دوّرت فيها التور عصى

علقت فيها المهردار
وقد كان محمد بك عثمان جلال زجالاً
كبيراً ملأ الناس بالفكاهات اللطيفة فى
عصره، مثل قوله لرياض باشا:

الخير عم الناس وفاض

ماحدّ إلا واستكفى

إلا أنا يا سيدى رياض

وقعت من قعر القفة

وكقول بعض الظرفاء:

كل شئ فى مصر يوجد

إلا قهوة سى خليل

فَضِلْ يَصْفَحْ وَيَصَلِّحْ: أصلها من استعمال المراكبية، والصفح والتصليح مجازاة الريح فى سير المراكب، فلا يسير مستقيماً إذا يعاكسه الريح فيميل بالمركب ميله تبع الهواء. ثم يميل بها مرة أخرى ليستطيع السير. ثم استعملت فى الأمر المعقد يحاور فيه ويداور حتى يحلّ.

فَضَّهَا سِيرَة: تعبير يعنى لا تذكر هذا الشئ، ولا تستمر فى الحكاية عنه.

الفقر حشمة والعزّ بهدلة: تعبير يعنى أن الفقر يحشّم صاحبه، فلا يجعله يخطأ أو يتبهرج. أما العز أو الغنى فيجعل صاحبه يغالى فى بهرجته وزينته.

فَقَعْتُ بِالصوت: تعبير يعنى صوّتت.

الفقى: ينطقونها بالهزة وكسر الفاء، وقد كان الفقى فى عهدنا يقوم بأعمال كثيرة؛ فهو يقرأ كل يوم صباحاً جزءاً من القرآن فى البيوت، ثم قام بدورهم هذا "الراديو"، وهم يدعون أيضاً لقراءة جزء من القرآن على القبور، وهم يعلمون أيضاً الأطفال القراءة والكتابة فى الكتاتيب، وهم لا يحسنون شيئاً إلا حفظ القرآن. وكثيراً ما يكونون من العميان. وهم يدعون للقراءة عادة بالليل على الميت حتى الدفن، وإلى قراءة عديّة يس والختمة ونحو ذلك من الشئون الدينية. ومنهم من يحترف أيضاً كتابة الأحجية والتعويذ السحرية. ومنهم من شدا شيئاً من الفقه فيكون (مأذوناً) يعقد عقد الزواج

الكيفوف فيها نضيفة

والحشيش مالهوش مثيل
وكانت قهوة خليل بشبرا يقصدها ذوو
الكيفوف ومنهم بعض الذوات.

وقد اشتهر جماعة من القاهريين بالنكت
حتى لقد هممت أن أضع فيهم كتاباً مسلسلاً
لهم، ذاكراً لهم أشهر نكتهم، ومن أولهم ابن
دانيال وهو صاحب كتاب "خيال الظل" وقد
ترجمنا له. ويليه ابن سودون، وله كتاب
مطبوع على الحجر مملوء بالنكت اللطيفة،
اسمه "نزهة النفوس ومضحك العبوس". ثم
الشيخ الشريبي مؤلف كتاب "هزّ القحوف"،
في شرح قصيدة أبي شادوف"، ثم الشيخ
الآلاتي مؤلف كتاب "مضحك العبوس". وقد
أخذ الاسم من ابن سودون. وقد كانت له قهوة
في حيّ السيدة سكينه سماها (المضحكخانة)،
يقصدها الناس من كل فج. ثم توفيق صاحب
"حمارة منيتي". ثم أحمد فؤاد صاحب
"الصاعقة". ثم المحدثون المعاصرون فما
أجدرهم بالتاريخ.

وفكاهات المصريين أنواع، منها التندر
على الفلاحين، والسخرية بالنحو، وقد
اشتهر بها الشيخ الشريبي، ومنها
المفارقات وقد اشتهر بها الشيخ حسن
الآلاتي، وهكذا. وقد كان في القاهرة شابان
أرادا أن يتضاحكا على أدباء عصرهما
بتلقيب كل منهم لقباً مضحكاً. فسميا
الساعاتي الأديب "ديك الجن" لأنه كان
دقيق الرقبة. ولقبا أديباً ذا لحية مُدببة بابن
مَكَانس، مع أن الأصل ضم الميم، وسميا
الشيخ إبراهيم الدسوقي وكان ضخماً عالي

الصوت في الضحك "مهيار الديلمي" ولقبا
أديباً كان ينطق بالصاد نطقاً عجيباً فيه
صفير، فقالوا إنه خير من نطق بالصاد.
وأخيراً سمي أحدهما الآخر "الشاب
الظريف"⁽⁶⁹⁾. (انظر ذوق)

الفلاح: هو ذلك الرجل من أهل الريف،
يفلح الأرض ويزرعها. ويقول صاحب
"هزّ القحوف، في شرح قصيدة أبي
شادوف": "إن أهل الريف طبعهم كثيف،
وأخلاقهم رذيلة، وذواتهم هبيلة، ونساؤهم
مزعجات. وذلك من كثرة معاشرتهم
للبهائم، وملازمتهم لشيل الطين، وعدم
اختلاطهم بأهل اللطافة، وامتزاجهم بأهل
الكثافة. كأنهم خلقوا من طينة البهائم. كما
قال الشاعر:

لا تصاحب الفلاح لو أنه

نافجة أرباحها صاعدة

ثيرانهم قد أخبرت عنهم

بأنهم من طينة واحدة

فهم ملازمون للمحراث، دائرون حول
الزرع، غاطسون في الجلة والطين، غير
مكثرئين بالصلاة والدين. لا يعرف الواحد
منهم غير الساقية والفارقلة، وشيل الطين
والجلة، والعياط والغارة، والطبلة والزمارة.
إذا أقاموا أفراح، لا تكون إلا بالعياط
والصياح. وشاهدنا كثيراً من أفراحهم، وما
يقع فيها من عدم نجاحهم:

إن حصل منهم الكرم بالاضطرار

يكون العدس والبيسار

ووردهم عند الأسحار

التفكير فى الغنم والأبقار

وتسببهم فى الظلام

هات النبوت والخزام

وحط العلف

هات الكلف

قال الشاعر:

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبداً

فإن إكرامهم فى عقبة ندم

يبدوا الصياح بلا ضرب ولا ألم

سود الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا

لهم أسماء كأسماء العفاريت: كبر غوث

وزعيط، ومعيط والعفّش. ومن عاداتهم أن

يسموا بالاسم الذى ينطق عند ولادة الولد

فإذا سمعوا أعمش سموه عمّوش، وإذا

سمعوا هات الزبّل سموه زبيلة، وسموا

أيضاً أبو ريالة وأبو زعيزع وأبو قدح وأبو

حشيشة وأبو كنون، وسموا بربور.

ومن أسماء نسائهم: (زعزة) و(بعرة)،

و(بروة)، ويكونون بأمر جعيص، وأم دواهى،

وأم بعيص. وترى أولادهم غارقين فى

الجلّة، ينامون فى المدوّد، ويشربون من

المترد، عمره فى دناسة، وأمه فى نجاسة.

وإذا درج فى الحارة لا يعرف غير الطبلّة

والزّمارة، لعبه حول العجّلة، وأكله بجوار

الجلّة". إلى آخر ما قال .. وقد تغير كل ذلك

الحال.

وربما يكون متحاملاً عليهم لأن كتابه كله

من هذا القبيل. وقد يكون غرضه نبيل بأن

أراد أن يصف بؤس الفلاح وفقره، والظلم

الواقع عليه فى أسلوب فكّه، كمن يتحامل

عليه. ولم يكن فى زمنه من يصف سوء

معاملتهم صراحة؛ والحق أن عيشتهم
بائسة. ولم يستطيعوا أن يعيشوا ما يعيشون
إلا لأنهم ألفوا هذه العيشة واعتادوها من
صغرهم. ولو اعتادوا أول الأمر عيشة فيها
شئ من السعادة لما استطاعوا أن يحيوا هذه
الحياة.

فنار: منار فيه مصباح لهداية المراكب عند
دخولهم الميناء، وربما أخذوها عن الإيطالية
لأنها عندهم فانور.

الفل: زهر أبيض طيب الرائحة، يحبه
المصريون كثيراً، ويشبهون به المرأة
البيضاء فيقولون: بيضاء وزى الفل.
والرجل العامى يغازل المرأة بقوله: "يافل
يافل". ومن أقوالهم المشهورة: "يافل يافل
يا غايظ الكل". ومن أغانيهم الحديثة "أدى
الورد أدى الفل". ويتخذ منه دهن عطرى.
وأحياناً يتجملون به فيصنعه البائعون على
شكل عقد تتجمل له المرأة ويزاحمه فى ذلك
الياسمين. وإذا كان الخبر أبيض نادوا عليه
بأنه "أبيض زى الفل" ويرمزون به للصفاء
فى الحب.

فنجان قهوة: يدعون أن ما بقى من القهوة
فى الفنجان بعد شرب ما فيه يدل على
المستقبل، فتمعن من تقرأ الفنجان فى
الفنجان، ثم تخبر الطالب بأشياء فى
المستقبل، كأن تقول إنك ستسافر وستنال
خيراً فى سفرك، وهكذا.

وقد شرحها بعض القوم شرحاً صوفياً
ولا داعى للإطالة.

ويستعملون من الفول الطعمية وطريقة
صنعها أن يبيل الفول طول الليل ثم يدق فى
مدق معروف، ثم تضاف عليه التحابيش،
وهى عادة بقدونس ونعناع ناشف ويصل
وثوم. وقد يضيفون الكرات أيضاً بعد
خرطه. ويعجنون ذلك كله عجنأ جيداً
ويدقونه، ثم يقطعونه قطعاً ويقلونهم فى
الزيت. والأغنياء منهم يحشونها لحمأ
مفروماً، ويقلونهم فى السمن.

ومن الفول أيضاً تصنع البصارة،
وطريقة صنعها نقع الفول كما فى الطعمية،
ثم وضعه على النار فى قليل من الماء، بعد
إضافة ملوخية ناشفة وقليل من النعناع
والثوم. فإذا نضجت غرقت فى أطباق، ثم
قلى البصل مخرط فى السمن حتى يجف،
ثم يوضع قليل من هذا البصل على وجه
طبق البصارة. والشبان المصريون
المترفون لا يعرفونها. وقد رأى بعض
أولادى طبقاً منها فسألتهم عنها، فقالوا:
"كشك أخضر".

ومن أنواع الفول: الفول النابت وطريقه
صنعه أن ينقع الفول حتى ينبت، ثم يؤخذ
ويسلق، ثم يوضع على مرقتة قليل من
الملح، وبعضهم يقشره ويطبخه فى القوطة
ويسمونه فولية. وبعضهم يضع عليه السلق
بعد أن يحمر فى السمن ويجفف ويدهك.

فترى من هذا كثرة استعمال المصريين
للفول .. ومن أمثالهم: "كل فوله مسوسة لها
كيال أعور" دلالة على أن الشيء وإن قبح

القول: من أكثر الأطعمة المصرية، وهو
يقوم عند الفقراء مقام اللحم، ومع ذلك
يشارك فيه الأغنياء الفقراء. وهم يتفنون فيه
وفى صنعه تفنناً كبيراً على أشكال مختلفة:
أشهرها الفول المدمس. وطريقة صنعه: أن
يوضع الفول الناشف فى "قدرة" ويوضع
معه الماء بمقدار مناسب، وذلك بعد أن ينقى
من الحصا، ويترك على نار هادئة طول
الليل تقريباً، ثم يأخذ البقالون ليبيعوا منه
بقرش أو نصف قرش. ومن يشتريه يضع
عليه الزيت والليمون أو المسلى أو الزبدة.
وأحياناً توضع عليه القشطة. والمترفون
يقشرونه قبل أن يأكلوه، وهو الفطور
المعتاد لأهل مصر تقريباً مع اللبن،
والإقبال عليه فى الشتاء وفى رمضان أكثر.
ومن أمثالهم "هو كالقول البارد البائت
من غير ملح ولا سمن". وقد قالوا فيه
مواويل ظريفة منها:

قالوا تحب المدمس

قلت بالزيت الحار

والعيش لأبيض تحبه

قلت والكشكار

قالوا تحب المطبق

قلت بالفتطار

قالوا اش تقول فى الخضارى

قلت عقلى طار

فرد عليه الآخر يقول:

قالوا تحب المدمس

قلت بالمسلى

والبيض مشوى تحبه

قلت والمقلى

له من يطلبه. وإذا أرادوا أن يعبروا عن حيلة انكشفت قال الواحد منهم: "فهمت الفولة" ويقولون "لا تقول عليه"، أى لا تكن نذير سوء. ومن أنواع الفول المقلية يباع مع الترمس، والفول الحراتى وهو فول أخضر.

فى المشمش: كلمة يستعملونها فى الشىء لا يتوقع حصوله، فإذا قال رجل سأفعل كذا، قال له الآخر إذا اعتقد أنه لا يمكنه ذلك: "فى المشمش"، أو "الكلام ده فى المشمش". وأصلها على ما يقولون أن جحا كان يأكل عنباً، وكان يأكل كل أربعة حبات فى مرة واحدة، فقبل له كل واحدة واحدة، فقال الكلام ده فى المشمش، أى أن حبة المشمش كبيرة يمكن أكلها واحدة واحدة، أما العنب فصغير، لا يمكن أكل واحدة وحدها؛ فصارت مثلاً.

فى الوشّ مرآية، وفى القفا سلاية: تعبير يعنى أنه يتظاهر لك بالحب والموافقة، ويتكلم فى غيابك بما تكرهه. والسلاية هى الإبرة الكبيرة.

ق

أنه لا يمزح بل يجد. فمثلاً يقولون: رحى له وجدته واقف بلا قافية، وأعد بلا قافية، ونام بلا قافية. ومن أمثلة قول أحدهم فى "قافية النحو": كيسك! فيقول الآخر مثلاً: اشمعنى! فيقول الأول: ممنوع من الصرف. القمل فى راسك! اشمعنى! ساكن راسك! اشمعنى! مبنية على الكسر. اللى لى راسك! اشمعنى! جزمة. شنبك مضاف! اشمعنى! وشنب التيس مضاف إليه. المرض عليك! اشمعنى! ظاهر. انت فى الجهل! اشمعنى! مركب.

ومن أمثلة قافية الحلاق: أنت فى النصب! اشمعنى! أوسطى! شربك فى المش! على القائم. انت بين أصحابك! إيدك خفيفة. تقول للبيطار صلح لى... يفلوك بمقاط. عيشتك... على الناشف... فى عينك... دودة الأكلانة فى ودنك... لازقة.

ومن القافية فى لعب الضمنة: أحط اصابعى فى عينك... تقول بوّظ. زر طربوشك... دوبارة... أصلك... دبش. عيونك... شيش بيش.

ومن قافية البلاد: لما سحوك من النوم يقولو لك: أبو طور أبو طور. إذك فى الخطف... منصوره. الحكم يطلع من بطنك... زقازيق. بيتكم... كفر كلاب. المزيرة تبقى لك... جدة. أحبّ أضربك بالمداس... نوبة. قسمتك كل يوم والثانى... فى طرة. أصلكم... حرامية. بالمتشار فى

القادر عايب: تعبير يعنى أن من لوازم القدرة الطغيان. فمتى أحس القادر بقدرته طغى: "إن الإنسان ليطنى أن رآه استغنى".

قاعد للساقطة واللاقطه: تعبير يعنى أنه مترقب ترقباً دقيقاً، لا يفوته شئ فى الملاحظة.

قاعد مطر شق: ومثله قاعد مبوز أى زعلان.

قاعد يبيع ويقيس: تعبير يعنى يتصرف فى دكانه كما يشاء.

قاعد يمخ: تقال لمن يتأمل ويتفكر ويتخيل. ويستعملون المخ للدلالة على العقل، فيقولون مخه فاضى أى أبله، ومخه مليون، أى عقله كبير، وما فيهش مخ أى مجنون، وأحياناً يقولون مخ فقط بمعنى أنه فهمه بطئ، ودا شئ يطير المخ، أى العقل أى يجن.

قافية: القافية على لسان عوام المصريين نوع من المزاح، يقول أحدهم كلمة فيرد عليه الآخر بكلمة تثير الضحك. ولكل حرفة من الحرف قافية؛ قافية للمزينين، وللجزارين، ولكل شئ. ولذلك يحترسون عند الكلام الجد فيقولون بلا قافية، يريد

رقتك... نشرت.

ومن قافية الساعة: الخيرات عن بيتكم...
ممسوحة. اللي فى جسمك... أفرنجى. ساكن
فى ذقتك... جوز عقارب... عيشتك...
مافيهاش تقديم. صنعتك مع العجر... رقااص.
يرسلوك إلى طره... فى ظرف ساعة.
العفريت يشوفك يقول... ياي.

ومن قافية الكتاكت: الفشر عندك... كتر
كتر... أنت فى وسط الناس... بتلقت.
هدومك... خطفتها العرسة. الجزم اللي على
راسك... عتاقي.
ومن قافية الجنينة: أصل... طرح. أنت
فى الوساحة... مرعرع.

وهكذا فى كل باب م أبواب الحياة ومن
أنواع القافية قافية تدور حول كلمة الأبعد.
ومن أمثلة ذلك:

عمر الأبعد... فص ملح وداب. الأبعد
بين الناس... كماله عدد. يجوع الابن يقولوا
له... موت يا حمار عقبال ما يجيلك العليق.
وبين السؤال والجواب قول المسئول
اشمعنى. عمر الأبعد... شال الحمام حظ
الحمام. الأبعد فى النعش... الجنازة حارة
والميت كلب. الأبعد... يجيب بلوته لحد بيته.
الحرامى فى بيت الأبعد... جا نعبه على
شونة. الأبعد يصبحوه أولاده ويقولوا له
صباح القروود. الأبعد وكلاب الحارة...
شحات يكره شحات. عمر الأبعد... هف
طلع النهار. وش الأبعد والسوق... فى
كساد. وهكذا... ويراد بالأبعد المخاطب
نفسه.

قالت يا ما الحلاوة حلوة، قالوا دقتيها؟
قالت بنت عمى شافت اللي داقتها: تعبير
يقال لمن يتكلم عن شئ على السماع من
بعيد.

قال يا داخل بين البصلة وقشرتها، قال
ما ينوبك إلا ريحتها.

قال ياما الجمل كسر بطيخ قال ياما
البطيخ كسر جمال: تعبير يقال عندما
ينزل الشر بأحد، وهو يُنزل به. فكلاهما
يعذر الآخر.

قالوا للراجل يا حرامى، شر شر منجئه:
تعبير يعنى اتهموا الرجل بالسرقة، وشوهوا
سمعته، فأصبح من أجل ذلك لصاً جريئاً،
يسرق علانية، فهو قد شرشر منجله علانية
ليسرق به.

قال لى وقلت له: تستعمل فى كلام
المصريين كأنها حكاية صغيرة كقولهم: قال
لى نام علشان أدبحك، قلت له دا شر يطير
النوم، وقال للجارية اطبخي قالت له يا
سيدي كلف وهكذا.

قاموس الحب: أكثر أغاني المصريين فى
الحب. وللحب قاموس تكثر فيه كلمات
معينة. وهو الحب، الهجر، الوصال، الضنا،
القلب، العذول. طول الليل، طيف الخيال،
اللقاء... إلخ.

قبارصة: يطلق المصريون هذه الكلمة على النقد المصنوع من النحاس، وأصل كلمة قبرص فى اليونانية النحاس، وسميت به جزيرة قبرص، لأن النحاس يوجد بها بكثرة.

قبة بلا شيخ: أحياناً توجد قباب تبنى للفن. وقد جرت العادة أن تبنى القبة إيداناً بأن تحتها ضريحاً، فإذا بنيت القبة وليس تحتها ضريح قالوا قبة بلا شيخ. وتضرب للشئ له مظهر وليس له مخبر.

القبلة: ويسمونها "البوسة" وهى على أشكال قبلة الرجل لزوجته، أو الرجل لحبيبه؛ وقبلة عطف كقبلة الرجل لابنه أو بنته. وقبلة احترام كقبلة الرجل ليد أبيه وأمه، أو الأخ الصغير للأخ الكبير، أو الشاب لرجل مسن. وقبلة الرجل الذليل يقبل رجل العظيم، وقبلة الذليل ويسمونه "الأتك"، ويفعلها الرجل الوضع أو المرأة الوضيعة لتقبيل أتك العظيم أو العظيمة. قبلة مع تذلل. يقولون: باس الرجل وتقدم، وباس الرجل وتأخر. وقبله ليد الإنسان ظاهراً وباطناً، يفعلها الرجل أو المرأة إذا نالته نعمة كبيرة غير منتظرة على يديه. وقبلة شفوية يرسلها الرجل لحبيبه عن بعد كأنها رسالة. واعتاد النساء أكثر من الرجال تقبيل بعضهن بعضاً عند المقابلة، قبلة فى الخد الأيمن وقبلة فى الخد الأيسر.

وأكثر من القبلة الأخذ بالحضن، فيحضن الرجل الآخر إذا قدم من سفر أو غاب عنه مدة طويلة، ثم يثنى بالقبلة. وقد منعت هذه

العادة أيام الكوليرا خوفاً من العدوى. واعتاد الناس فى الأرياف أن يقبلوا بالطقطقة، أما فى القاهرة فيقبلون بالشفنتين. وضد القبلة البصق، فيتظاهر الرجل بالبصق، لارتكاب الآخر عملاً دنيئاً يستأهل عليه الاحتقار. ويفعله الرجلان إذا تسابا، وقد لا يبصق أحدهما على الآخر ولكن يبصق فى الأرض. وفى العادة يكون البصق مجرد نفثة برداذ خفيف من الفم. وقد يستغنى عنه بلفظ يدل على البصق "تفو" من غير بصق عند أهل الإسكندرية، على الخصوص. بعض الأحياء الوطنية فى القاهرة يستعملون التشخير دلالة على الاستهزاء إذا أتى الآخر بعمل غريب؛ وأكثر من يفعل ذلك النساء عند السباب. وقد حاربت المدنية التقبيل فى أوقات الوباء لأنه مجلبة للعدوة ومنعت تقبيل الصغير ليد الكبير للاحترام وجعلته مقصوراً على قبلة الغرام، فليس صغير السن اليوم يقبل يد الكبير ولا الابن الأب. ونعمة من الله إذا احترم الولد أباه من غير تقبيل اليد.

القر: ينطقه العامة بالهمزة، ويعنون به الحسد بالكلام. فإذا مرض المريض وكان فى نعمة من ناحية ما، قالوا قر عليك الناس، يعنون أن الناس حسدوه بكلامهم، فقالوا: "ما شاء الله عليهم دول فى نعمة"، ومثل ذلك. علاجه عندهم البخور.

قراءة المولد: هناك قصص كثيرة وأشعار كثيرة، وضعت فى مولد النبى صلى الله

والقراجوز عادة يمثل قصة إما من الحياة الواقعية كقصة غرام أو رمز لحادثة وقعت واشتغل بها الراى العام أو نحو ذلك. وهى عادة تكون مصحوبة بضرب من الموسيقى البلدية البدائية.

وشخصية القراجوز محبوبة جداً عند المصريين وخصوصاً الأطفال فهى أشبه ما تكون (بميكى ماوس). وقد كانت لعبة القراجوز معروفة عند الأتراك منذ القرن الثانى عشر الميلادى، أخذوها من الفرس أو الصين عند طريق المغول وتشبه قصصها قصص المحدثين وأكثر ما تقام فى ليالى رمضان وفى الأعياد. ويسمى قراجوز أحياناً وهو علم تركى بخيال الظل. وقد استغل الصوفية هذه اللعبة فى تصويرهم للحياة الدنيا فيقول أحدهم "إنها خيال كخيال الظل" ظل زائل. وإن الناس فى الدنيا كاللاعبين وراء الستار، والوجود الحقيقى لله وحده. كما استغلوا أيضاً لهذه التشبيهات دودة القز "لا تزال تنسج على نفسها حتى تموت".

وقد قلت هذه اللعبة بغزو السينما والتمثيل لها وأصبحت فى عداد التاريخ والناس يضرّبونها مثلاً لمن يتحرك حركات كثيرة بهلوانية من غير فائدة. فيقولون "هو كالقراجوز" وكثيراً ما يمثل فى الرواية رجل وامرأة، أو رجلان يدور بينهما الحوار على أشكال متنوعة. وأغلب ما تكون أن تؤلف من شخصيتين أحدهما تمثل الرجل المتقف الأرسقراطى والثانية تمثل الجاهل الشعبى. والأخير هو الذى يجتذب قلوب النظارة فى

عليه وسلم، فيتغنى بها الفقهاء فى الأفراح وفى مولد النبى فى بعض المناسبات. ويقولون فى الإعلان أنهم سيقروا قصة المولد النبوى.

إذا رزق بعض الفقهاء بصوت حسن تغنى بها هو وجماعته، فالرئيس يقرأ المولد ومن حين لآخر يرتل أتباعه بعض الصلوات، وهكذا حتى تنتهى السيرة. وبعض هذه السير ألف لأجل ذلك على أساليب فنية تناسب الغناء والصوت الجميل من التزام للسجع أو المحسنات البديعة، واشتهر بعض الفقهاء بذلك كما اشتهر أيضاً من هذه السيرة النبوية سيرة ألفها البرزنجى يقرأها الموالدية غالباً وقد التزم فيها الياء والهاء فى الفقرة الأولى، كالبهية والعلية والألف والهاء فى الفقرة الثانية كسناه وعلاه⁽⁷⁰⁾.

قراجوز: هى لعبة كانت منتشرة فى مصر قبل انتشار السينما، وهى عبارة عن شاشة كشاشة السينما، وراءها لمبة تشعل بالجاز "الكيروسين" لتضى الشاشة إضاءة معتدلة ثم من وراء الشاشة أيضاً أشخاص على هيئة رجال أو نساء أو أطفال مصنوعة من الجلد أو من الورق المقوى. يتحكم فيها بواسطة الحبال التى تشد هذه التصاوير المدككة فى قطعة من القماش رجل خلف الستار. وتكون فى فمه زمارة ينطق بها أو يغنى بها ويتلاعب بصوتها. فأحياناً يظهر فى صوت امرأة وأحياناً فى صوت رجل، وأحياناً فى صوت شدها لتظهر أمام الجمهور.

الرأس الأقرع بالزفت مضافاً عليه بعض الأدوية، ويغطون ذلك بطاقيّة، ويربطونها. ثم يتركون الزفت أسبوعاً، ثم يخلعون الطاقيّة بزفتها يشدونّها شداً، فيجد الأقرع من ذلك ألماً شديداً. ويكررون هذه العملية مراراً وقد تنجح أو لا تنجح.

وهم لا يستبشرون بالأقرع إذا اصطبحوا به وليقبونه بـ(أبو زنة) فيقولون (يا أقرع يا بوزنة) وإذا لم يستحسنوا نكته قالوا (قرعة). ومن أمثالهم (قرعاً وتباهى بشعر بنت أختها) يضربونها لمن يتباهى بما ليس له. ومن أمثالهم أيضاً (يعاود الأقرع يفوت على بياع الطواقى) يقوله الرجل لا يحتاج إليه فى وقت فينذر بأنّه سيحتاج إليه فى وقت ما.

ويقسمون الأصوات إلى قسمين: صوت حنين، وصوت لا حنية فيه ويقولون إنه أقرع. ومن أغانيهم (بنت أختى قرعا خدها الديب وطلع يرعى).

والآن وقد تقدم الطب يمكن الاستشفاء منه بمرهم البنسلين أو السلفانا مما يخفف على الأقرع عذابه.

القرافة: هى مدافن الموتى وتعمر عادة فى مواسم خاصة كالخميس الأول من رجب وأيام الأعياد وفى العادة تعمّر أيضاً صباح يوم الجمعة فيستدعى الفقهاء للقراءة، ويفرق الفطير والشريك والفاكهة على روح الفقيد. وكان الناس عادة يبيتون فيها، وكانت تحدث فظائع من هذا المبيت، ولذلك منعته الحكومة المصرية، والعادة أن تكون بعيدة عن البيوت. ومما ينسب إليها من كابر فقهاء

الغالب وتكون هى شخصية قراجوز. ولما انتقلت اللعبة من التّرك إلى مصر تأثرت بالبيئة المصرية فكانت ترمز إلى أحداث مصرية هى من نسج الخيال المصرى المنتزع من البيئة⁽⁷¹⁾.

القرداتى: تشاهد فى شوارع القاهرة وحاتها كثيراً من القروود مربوطة بسلسلة فى يد رجل يسمى القرداتى وبیده عصا، وهو يلعب القروود ألعاباً علمها لها. وهى تحسن ذلك فتلعب اللعبة التى يريدّها مستنتجة ذلك من حركات الرجل وكلامه. فيقول لها مثلاً قلدى العجوز إذا عجنت أو السكران إذا تمايل. وقد يكون مع القرد حمار صغير يشاركه اللعب فأحياناً ينط عليه فى حركات بهلوانية وأحياناً يلعبان معاً ألعاباً محفوظة. وقد يكون مع القرداتى فى الغالب دف يطبل به ليجمع عليه الناس ويعين على ألعاب القردة والحمير. وكثيراً ما تجدهم فى المتنزهات والأماكن العامة⁽⁷²⁾.

ومن كلماتهم المشهورة (إحنا حنقرد؟!) تقال رداً على من يهزل فى كلامه فيطلب منه الجد، أو عندما يكلف الرجل أو المرأة بعمل سخيف.

القراع: ميكروب يصيب الشعر فينحله. ويصير الجلد أبيض من غير شعر، وهو ميكروب يعدى، وقد يصيب جزءاً من الرأس، وقد يصيب الرأس كله. ولم يكن لنا داع لذكره كسائر الأمراض، غير أنه يداوونه أحياناً بأدوية قاسية. فقد يُلطخون

القرعة، لأنه يحفظ القرآن. ويسمى المال الذى يعطى للإعفاء من القرعة (البديلة)، ولانتشار مرض البلهارسيا والإنكلستوما بين الفلاحين، قل الصالحون من الشبان المصريين للجندية بالنسبة لغيرهم من الأوروبيين.

وللمصريين أغان مؤثرة، إما من الشبان فى البكاء على زوجاتهم، أو من الشابات للبقاء على أزواجهن. ويوم يقبل الشاب فى الجندية يكثر الصرخ من أهله كأنه مات.

وتستعمل كلمة (القرعة) بمعنى آخر، وهى أنهم إذا احتار الرجل أو المرأة فى عمل يعمله أو لا يعمله، كان مما يحل الأزيمة "القرعة" بواسطة ورقتين يكتب فى إحدهما "نعم" وفى الأخرى "لا" ثم يطبقهما ويأخذ إحدهما؛ أو يفتح مصحفاً حيثما اتفق، وتقرأ الآية التى يقع عليها النظر، ثم يستنتج منها الرضا عن العمل أو عدمه. أو بحبات السبحة، فحبة نعم وحبة لا. ويقولون لمن اختير للعمل: وقعت عليه القرعة.

القرعة تتباهى بشعر بنت أختها: تعبير يقال للتي تفخر بما ليس لها.

القرفة: يقولون للعمل إذا سار سيراً حسناً سهلاً "إن قرفته خفيفة"، وإذا سار سيراً ثقيلاً عسيراً إن قرفته ثقيلة. وهو تعبير غريب لا أدرى سببه.

ولعلمهم كانوا فى حفلات الذكر يوزعون القرفة على الذاكرين. فقد يجدونها خفيفة وقد يجدونها ثقيلة. فيقولون إن القرفة ثقيلة أو

الشافعية المصريين (الشيخ القرافى) صاحب كتاب (المفارقات) فى الفقه. واشتهرت فى القاهرة جملة قرافات منها قرافة (المجاورين) و(العفيفى) وقرافة (الإمام الشافعى) وقرافة (السيدة نفيسة) وترى فيها مشاهد القبور لطبقات الشعب أرستقراطية وديموقراطية، وحيشاناً فخمة وحيشاناً متوسطة.

القرعة أو التجنيد أو الجهادية: يخاف المصريون كثيراً من الجندية، ولذلك لا يتأخر عن دفع البذل كل من قدر عليه. وقد يشوه بعضهم نفسه بقطع إصبعه أو نحو ذلك للهروب من الجندية. والسبب فى ذلك فى الأغلب سوء معاملة المجندين وكتم حريتهم، وأخذهم بالنظام الشديد الذى لم يتعودوه. وكان قديماً كلما طلب مجندون من القرية يعمد شيخ البلد إلى طريق سهل يجلب له المال. وهو أنه يجند أولاد الأغنياء، فيتفقون مع شيخ البلد أن يفك أولادهم بأجر ويقيد بدلاً منهم أولاد الفقراء. وللخوف من الجندية كنت قلما ترى شاباً صحيح الجسم، بل ترى أكثرهم أسنانه مهمشة، أو أصابعه مقطوعة، بعينية إصابة أو عمى، حتى لا يجند. هذا مع أن المصريين قد توالدوا إما من عرب فاتحين أو من أقباط أسلموا أو وافدين. والإسلام نفسه يحث على الجهاد ويحبب إليه. وقد اعتادوا أن يعفوا من القرعة من يحفظ القرآن، وأن يعفوا عرب البادية. وربما كان من أسباب الرغبة فى الأزهر الإعفاء من

خفيفة. وهو تعبير مشهور، كما يقال "إن الشاي خفيف أو ثقيل". ولما كانت القرفة بطبعها لاذعة كانت القرفة الخفيفة خيراً من الثقيلة. ثم نقلوا التعبير إلى المجاز، فقالوا للشيء اللطيف الخفيف الروح قرفته خفيفة، وللشياء الثقيل الروح قرفته ثقيلة؛ والله أعلم. ويكثر الصربون من شرب القرفة بدل الشاي وشبيهه بها "الدارسينى".

القرينة: يعتقد عوام الشعب أن كل إنسان يولد له قرينة، إما ذكر أو أنثى. ولذلك يقولون لمن تزحلق على الأرض "اسم الله عليك وعلى أختك". وكذلك "وقعت على أحسن منك". وكثير من النساء يعتقدن أن أولادهن أحياناً يبدلن بولد آخر من أولاد الجن. وقد يكون نتيجة ذلك نفورهن من أولادهن، وأحياناً يزداد نفورهن إلى حد الفرار. وأحياناً يشتد نفورهن فيذهبن بالولد إلى مقبرة من المقابر فيضعنه فيها وهو حي. ثم يذهبن في الصباح للكشف عليهن وقد يجدنه ميتاً فيعتقدن أن الجن أماتت ابنها. وقد يجدنه أكله الذئب أو نحو فيعتقدن أن الجن اختطفته. استولى هذا الوهم مرة على بعض الرجال، فكان يعتقد أن الجن تريد أن تخطفه، فينتقلن بيت إلى بيت، ومن حجرة إلى حجرة، حتى لا يعرفوا مكانه ويضع على فراشه لحافاً على شكل رجل نائم زاعماً أنه يخدع الجن (73).

يقولون "والله" بعقد الهاء، أى دون خطفها. ويحلفون بالمشايخ، وحياء السيدة زينب، وحياء السيد البدوى، وحياء الشيخ فى نومته. ويحلفون بالأبءاء: وحياء أبوى، والشرف فيقولون: وحياء شرفك؛ ويحلفون بالميت العزيز أو الابن العزيز فيقولون: وحياء العزيز الغالى. ويجرى على السنة الساقطين الإكثار من الحلف بالطلاق فيقولون: على الطلاق ما فعلت كذا. وبعضهم يقول: على الحلال، والآخر: على الحرام، ويقال أيضاً "وأيمان المسلمين مجمع الطلاق والعناق". ويحلفون بالنبي فيقولون: وحياء النبي. وأحياناً يشددون فى ذلك فيقولون "وحياء النبي اللى وضعت إيدى على شباكه". ومع ذلك التأكيد بالقسم فقد يكذبون، كالذى يقول الشاعر:

وأكذب ما يكون أبو المثنى

إذا ألى يميناً بالطلاق
وكان لى صديق رحمه الله اعتاد الحلف
كثيراً، فكان يقول: (والله العظيم ثلاثة)، ثم يسكت قليلاً ليتذكر ما يريد أن يحلف عليه.
ومن أمثالهم "قالوا للحرامى احلف قال جالك الفرج" أى أن الحلف أمر سهل لا سكلفه شيئاً. وإذا أكدوا على أحد قالوا "حلفتك تروح" إلى آخره. ومن غريب استعمالاتهم للقسم خصوصاً فى الحب قولهم: "أمانة تعمل كذا" أى والله، و"أمانة ياليل" و"أمانة يارايح يمّه"، تبوس لى الجب من فمه".

القسم: القسم فى كلامهم بمعنى القدر، فإذا أصيب أحد فى مال أو ولد أو زرع أو

القسم: يسمون الحلف قسماً. ومعظم الأقسام عند المصريين القسم بالله وأحياناً

عصير القصب مشروباً لذيذاً، يصفونه لتقوية الجسم كعصير العنب. والجزء الأعلى من عود القصب يسمى زعزوعة، وقد تسب به المرأة لأنها نحيفة، لأن المثل الأعلى عندهم أن تكون سمينة.

وتستعمل كلمة "القصب" أيضاً فى الأسلاك الذهبية أو المطلية بالذهب، وتكسى بها البديل أو الفرجيات. فكان لحافظ إبراهيم رحمه الله نكته: وهى أن بدلاته لم تحلّ بالقصب ولكن بالزعزاع. وتستعمل كلمة "قصب" فى السب، وخصوصاً عند النساء، يقلن "جاتك قصب". ويقولون كذلك "قصب الرجل"، دلالة على الجزء الأسفل من الساق. ويستعملون تعبير "مصر القصب" كناية عن الممصصة لحزن، فيقولون "قعدوا يمصوا قصب".

القصص⁽⁷⁴⁾: هى خير تسليية للمصريين، ومن القصص نوع يغشى القهاوى ويجلس على المقاعد العالية، ويحيط به السامعون، بينما يدخلون الشبك أو الجوزة وهم يبتهجون به ويفرحون بقصصه. وصاحب القهوة يمنح القصاصيين قليلاً من المال، ولكن ما يأخذه من السامعين أكثر. وهؤلاء القصاصيين يسمون الشعراء. وبعضهم يتلو قصة أبى زيد الهلالي وقد يسمون أبوزيدية. وهى عشرة أجزاء أو أكثر من الحجم المعتدل، وتشتمل على نثر وشعر.

وبعض الشعر فيها قد نسخ فلم يصبح موزوناً، والشاعر قد يقرأ مما يحفظه أو فى كتاب. وقد كان فى حارتنا شاعر يدعى

تجارة قالوا قسمة. وإذا رزق أحد بنات فقط أو بنين فقط أو بنين وبنات قالوا قسمة. وشاعت هذه الكلمة حتى نقلت إلى اللغات الأجنبية، فاتخذوها فرقاً بين الشرق والغرب. فالشرقى يبني حياته على القسمة، والغربى يبني حياته على العلم والعمل. يقولون قسمة طيبة، وقسمته وحشة. وجاء فى أغانيهم "ليه قسمتى كده وياك" وفى الغالب تلازمها كلمة أخرى فيقولون "قسمة ونصيب". وكثيراً ما تكون موضع الاعتذار فيقولون: "أهى دى القسمة، ومالكش فيها... إلخ".

قصب: يطلقونه على عيدان قصب السكر يستخرجون منه العسل الأسود، يأكلونه بالخبز ويضعونه على الطحينة، فيتكوّن منه عسل وطحينة. ويأكلونه أيضاً بالخبز، وبوضعه على الطحينة وتقليبهما على النار يكون منهما ما يسمى الحلاوة الطحينية، وهى كثيرة الاستعمال إداماً كالجبن.

والشئى الواضح عند المصريين فى قصب السكر مصّه بعد تقشيرها؛ فكثيراً ما يمصّونه وهم سائرون فى الشوارع، أو جالسون على نهر أو ترعة. ويستعملون مصاصة القصب والعسل الأسود فى عمل السببوتو. ومصاصة القصب من أسباب قذارة الشوارع بعد تنظيفها. ولكن من منافعها تجلية الأسنان وتقوية اللثة. ومن القصب استخدمت مصانع كثيرة فى مصر لصنع السكر بعد تنقية القصب، ومن أجل ذلك اشتهرت مصر بالسكر. وقد يتخذون

الشيخ أحمد يأتي ومعه كتاب ملفوف فيقرأ فيه، وأحياناً يقرأ بعضهم قصصاً أخرى كقصّة سيف بن ذي يزل، والدلهمة. وفي البيوت يقرأون ألف ليلة وليلة.. وهكذا.

والفرق بينها وبين الحواديث أن الحواديث قصص شعبية، والقصص قصص كلاسيكية. ويقولون "قصّ عليه القصة من طقطق لسلام عليكم" أي من أولها إلى آخرها. وطقطق حكاية دق الباب عند الدخول. وسلام عليكم كناية عن التحية عند الانصراف. (انظر: حواديث وشاعر)

القط ما يحبش إلا خناقه: تعبير يقال للرجل أو المرأة يحب من يؤذيه.

والفرق بينها وبين الحواديث أن الحواديث قصص شعبية، والقصص قصص كلاسيكية. ويقولون "قصّ عليه القصة من طقطق لسلام عليكم" أي من أولها إلى آخرها. وطقطق حكاية دق الباب عند الدخول. وسلام عليكم كناية عن التحية عند الانصراف. (انظر: حواديث وشاعر)

قعد يحقن في نفسه: تعبير يعنى يحركها بما يثير الغضب والحزن.

قضا أخف من قضا: تعبير يعنى أن ما أصابني اليوم وقضى به علىّ أخف من قضا أشد منه كان يحتمل أن يجرى. ومسألة القضاء داخله في حسابهم كثيراً. ومن هذا الباب "مين عارف كان راح يجرى إيه؟" أي لعله كان سيجرى شيء أكبر من ذلك، فطُف بذلك. ومن هذا الباب أيضاً "قَدْرٌ وَلَطْفٌ".

قعد يرطن وقعد يبرجم: تعبير يعنى يتكلم في غمغمة مع غضب.

قعد يشخط وينتر: تعبير يعنى استمر يشتم ويحرك يده للتهديد.

قعد يودى ويجيب: تعبير ينى كما تقول العرب يضرب أخماساً في أسداس.

القفش: في الأصل استعملت في المادة، فقالوا: قفشه، بمعنى أمسكه بعد صعوبة، ثم استعمل في المعنى بمعنى عثر منه على خطأ منطقي، أو غلطة في كلامه أو نحو ذلك، وسموا الواحدة قفشة، وقالوا: قفش له جامد، أي قفشة قوية.

قلّة في وشه ولا تغشه: تعبير يعنى صارحه، ولا تخدعه.

قلبي على ولدى انفطر، وقلب ابني على

القضاء والقدر: يغالى المصريون في الاعتقاد بالقضاء والقدر. وبل قد يهملون العمل اعتماداً على القدر، بل قد يتركوا الدودة في زرع القطن والحشرات تأكل الزرع، لأن ما قدره الله يكون. ولهم حكايات كثيرة في القدر. وهو ركن كبير من أركان كتاب ألف ليلة وليلة. ومن أقوالهم المشهورة "ما قدر يكون، ووقت القدر يعمى البصر". فهم أقرب إلى الجبرية، ومن ذلك انتشر بينهم الكسل. ونسب المستشرقون إلى هذه العقيدة

حجر: تعبير يقال عندما يبدو عطف من الوالدين وعقوق من الولد.

قمر الدين: هو عبارة عن المشمش يجفف ويكبس ويعمل لفافات لفافات. وهذا ينقع ويشرب أو ينقع ويطيخ. وهو كثير الاستعمال في رمضان، وخصوصاً إذا جاء رمضان في الصيف. وبعد نقعه أو طبخه يضاف إليه العسل الأسود أو السكر، وهو من لوازم رمضان كالكنافة، وكثير من الناس يفطرون عليه في رمضان. ولعل تسميته بقمر الدين جاءت من أنه يهل على الناس في رمضان وهو شهر الدين. وتعجبنى نكتة ظريفة من الشيخ طاهر الجزايرلي أنه رأى فتاة جميلة تجلس تحت شجرة فقال لها هل تأكلين قمر الدين يا قمر الدنيا.

قمقم سليمان: يزعمون أن سليمان عليه السلام لما كان يستخدم الجن كان بعضهم يعصيه فيسجنه في قمقم نحاس، ويلحمه بالنحاس المذاب، ويدفنه في باطن الأرض، فإذا فتحه أحد خرج الجنى نامى الجسم، أو خرج على شكل دخان يرتفع، وقد يؤذى فاتح القمقم وقد لا يؤذيه. ولذلك إذا عثر بعضهم على مثل هذا القمقم لم يقرب منه. ومثل ذلك خاتم سليمان وهو عبارة عن مثلثين أحدهما مقلوب على هذا الشكل:

A

ويستعمل لقضاء الحوائج... (75).

القمل والبرغوث والبعوض والبق: هي من الحشرات الدنيئة، وهي كثيرة في الفلاحين، وقلت في المدن. والفلاحون يعتقدون أن القمل يتولد من عرق الجسم، وكثيراً ما يرى الناظر القمل يسبح على ثياب الفلاح. وهم يشبهونه أحياناً إذا كثرت على ثوب "بالنخالة المبدورة"، ولا يكون كذلك إلا بعد أن ينتشر على الجسم ويمتص الدم، يقول الشاعر:

بعوض وبرغوث وبق لزمنى

حسبن دمي خمراً قطاب لها الخمر

فيرقص برغوث لزمر بعوضة

وبقهم يصغى ليسمعه الزمر

ويسمون بذور القمل "الصبيان". والبق

أكثر في المدن منه في الريف لكثرة أخشابها،

وطليها بالجص النى والجلة، وهما لا يألفهما

البق. واشتهرت البقة بكثرة الولادة فيقولون

في المرأة الولود: "زى البقة تولد مية،

وتقول يا قلة الذرية". وقد صنعوا أحجبة

لمنع البق من سكنى البيوت.

قنديل: كان الناس يستعملون للإنارة بالليل

القناديل من الزجاج، يملأونها ماء وعلى

الماء قيراط أو قيراطان من الزيت، ثم

يضعون فتيلاً يشغلونه فيمتص الزيت. وإذا

أريد زيادة الإضاءة أشعلوا أكثر من قنديل.

وهناك أدوات منزلية أو مسجدية يوضع فيها

قناديل كثيرة. توجد نماذج منها في دار الآثار

العربية. وسموا من ذلك قنديل، ومحمد

قنديل، وعلى قنديل. وقد قلت هذه القناديل

الآن للإضاءة بالكهرباء أو الكلبات.

ويشبهون به الرجل الوضئ فيقولون:
فلان قنديل الحنة، ولكن يستعملون القندلة
بمعنى سيئ، فيقولون بخته مقتدل،
وسأقندلها عليك، أى سأثيرها عليك حرباً
شعواء، وعيشته مقتدلة، أى بائسة؛ وكان
الظن أن يكون غير ذلك⁽⁷⁶⁾.

قياس الأثر: يقوم بهذا العمل فى الغالب
بعض الفقهاء فى الأرياف، فإذا مرض
واحد منهم أرسل للفقير أثره ملفوفاً فيه شئ
من النقود. فحينما يصل إليه يعزم واضعاً
(الأثر) قريباً من فمه، ويتمم ثم يقبض على
الأثر بيديه تاركاً بينهما مسافة ثم يقسها
بإصبعه ثم يعيد هذه المسافة فإذا وجد أن
المسافة أقل دل على قرب الشفاء، وإذا وجد
أن المسافة أبعد قال أنه يلزمه كتابة حجاب.

ك

يستطع ذلك هرب من البلد وترك أطيانه وأقاربه. ومن ناحية أخرى كان عليه أن يشارك في تجهيز الطعام للكاشف وحاشيته، فهذا عليه خروف، وهذا عليه وزه، وهذا عليه أن يقدم الفطير للكاشف، ونحو ذلك، وتسمى هذه بالوجبة. وكان هذا الكاشف في العادة جباراً قاسياً لا تأخذه رحمة ولا شفقة، ينهب هو وجنوده، وطالما قاسى الفلاحون من ظلمه، وتعوزوا بالأحجية لمنه عدوانه، ولا يقر قلبهم إلا إذا رحل من بلدهم. وكان عليهم وجبات كثيرة وجبة للكاشف ووجبة للملتزم، ووجبة للصراف... إلخ. (انظر: **كلمة وجبة**)

كانى مانى: أحياناً يستعملونها كناية عن الكلام وهما كلمتان قبظيتان، فكانى السمن، والثانية العسل. فهى فى الأصل خلط من السمن بالعسل، ثم استعمل فى خلط صحيح الكلام بفساده، ثم استعمل كناية عن الكلام مطلقاً، أو كناية عما لا يعرف من الكلام فيقولون: قال كانى مانى، أى كلاماً لا نعرفه.

كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا: تعبير يعنى كأننا لم نعمل شيئاً، لأن عملنا ضاع.

كانت وقعته زحل: تعبير يدل على أنهم يتشاءمون من زحل، فيعبرون عن ذلك

الكارو: عربية يجرها حمار أو حصان، وهى عبارة عن ألواح من الخشب سمّرت ووضع لها عجلتان أو أربع. وأكثر ما يركبها النساء فى المآتم والأفراح. وكثيراً ما تعنّين عليها ويرقصن. وقد تستعمل فى نقل العفش، فتوضع على العربية عارضة خشبية تتحمل كثيراً منه. وقد اشتهر أصحابه بكثرة المماكسة وعدم الرضا بأى أجره كما اشتهروا بالقدرة على حمل الأثقال على أكتافهم.

الكاشف: الكاشف حاكم الإقليم، والجمع كشاف، وهو كالمدير فى عصرنا، ومن ذلك لقب بعض العائلات بالكاشف، وأغلب ما يكون من الأتراك فى الزمان الماضى. وأحياناً يتحرك من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية. وعادة إذا نزل تقدمت الطبول لإعلان الناس بحضوره، فإذا حضر انزعج الفلاحون لأنه يستدعى مشايخ البلد ويسألهم عن حال أهلها، وهل فيهم متمرد أو لص، فينزل بهم العقوبة، ويحضر الصراف ويسأله عن تحصيل الإيجار، فمن لم يدفع أحضره أمامه وهدده بالدفع أو الضرب أو القتل، ولذلك يكون دخوله للبلد نذيراً بالشر. فمن الفلاحين والفلاحات من يقترض بالربا أو يبيع الحلى أو بقرته أو جاموسته لتسديد ما عليه، فإذا لم

بسوء الواقعة.

كان في حال، صبح في حال: تعبير أكثر ما يقال في الصيرورة إلى الشر، كمغن أصبح فقيراً، أو صحيح أصبح مريضاً.

كبة: هي دمل كبير مستدير يطلع في الجسم فيسمونه طلوعاً أو خراجاً أو دملاً كبيراً. واعتادوا أن يشتموا بها فيقولون: جاءتته كبة، أو جاءتها كبة. وأحياناً لا يلفظون بهذا، وإنما يشيرون في وجه من يسبونه بأصابع الكف مكورة.

الكبة: لعبة كان يلعبها الأطفال وخصوصاً البنات، فيأتون بخمس حجرات مستديرة يضعون أربعة منها على شكل مربع، ويقذف الحجر الخامس إلى أعلا. ويجتهد قبل نزوله أن يجمع الحجرات الأربعة المربعة ما أمكنه. فإذا لم يمكنه فتلاثة أحجار أو اثنان.

كبر الجرن ولا شماه الأعداء: تعبير يعنى أن كبر الجرن الدال على كثرة المحصول، إذا لم يغن في كثرة المحصول، منع من شماتة الأعداء.

الكتاب: الكتاب هو أول معهد لتعليم الأطفال وكان في كل حي أو أكثر. وهي عبارة عن غرفة فسيحة بعض الشيء فرشيت بالحصير، وكثيراً ما يكون الحصير

بالياً، يجتمع فيها الأطفال. والحجرة مكونة من هذا الحصير، ومن صندوق توضع فيه الألواح، ومن زير مغطى بخشب، علق بكوز مربوط بحبل؛ فمن أراد أن يشرب أخذ الكوز وغمسه في الماء. ومكون أيضاً من معلم يسمى "فقى" تحريفاً لكلمة "فقيه"، ومن مساعد له يسمى "العريف". والفقى عادة لا يعرف شيئاً إلا حفظ القرآن الكريم، ويكتب كتابة عاجزة، وكثيراً ما يكون أعمى ويسمى "سيّدنا"، وببدا عصا طويلة من جريد النخل يستطيع أن يصيب بها أبعد ولد عنه، فإذا وجد طفلاً لا يتحرك ضربه بالعصا وقال له اهتز. ومن أساس الكتاب "الفلقة" وهي عصا غليظة مصمته في الغالب قد خُرقت خرقين، ركب فيهما سير من الجلد. فإذا أراد "الفقر" ضرب ولد استعان بالعريف على إدخال رجليه في الفلقة، ثم لواها على رجليه، ثم أمسك بعصا يضرب بها الرجلين المشدودتين. وقد تشق رجل الطفل ويسيل منها الدم. وكان في العادة يأخذ الفقى من كل طفل قرشاً ويحضر الطفل من بيته رغيماً. والفقى يجمع هذه القروش ويشتري بها عند الظهر "فول نابت" أو "مخلل" بمرقته في ماجورين، ويلتف الأطفال حولهما ويتغذون، وهم يلغصون بأيدهم فيهما. وكثيراً ما قد يكون أحدهم مريضاً فيعدى الأصحاء. وكثيراً ما كانت هذه الكتاتيب في أمكنة غير صحية، كالأماكن فيها نور كاف أو شمس كافية أو تكون بجانب

صوته. والطبقة المتوسطة والفقيرة تشتري الكتاكيت وتربيها فى المنازل وتصبر عليها إلى أن يؤذن الديك، ويصير الكتكوت فرخة، فحينئذ يذبحونها ويسمونها "برابر" والفلاحون يربونها للبيع فى الأسواق.

وفى أمثالهم: "الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح"، وتنتشر فى مصر عملية التفريخ لإخراج الكتاكيت من البيض ثم بيعها حسب ما ذكرنا. وقد يكون عن الطفل الصغير بالكتكوت.

كُتِرَتْ لَهَا بِيَه: تعبير يعنى أن قلبه اشتعل ناراً.

كُتِرَ خَيْرِ الْأَرْضِ اللَّيْ شِيْلَاه: تعبير يقال للثقل.

الكحل: هو هباب اللبان العطرى المحروق، ويصنع أيضاً من هباب قشر اللوز. ويستعمل الكحل لعلاج العين، وأكثر من ذلك للزينة. أما للعلاج فقط فيستعمل مسحوق الرصاص المضاف إليه المنزوت وعرق الذهب وسكر النبات ومسحوق الذهب البندقى. وتحكل العين بمرود صغير من الخشب أو العاج أو الفضة أو الزجاج، دقيق الطرف كليل الحدّ بيلّ أولاً بماء الورد، ثم يغمس فى المسحوق ويمرّر بين الجفنين. والوعاء الزجاجى، أو البللورى الذى يوضع فيه الكحل يسمى المكحلة، وهى من بقايا قدماء المصريين. وقد عثر

مراحيض المسجد. وكانت هذه الكتاكيت هى المدرسة الأولى لكل أطفال الشعب غنيهم وفقيرهم، وذلك قبل أن تنشأ رياض الأطفال. والفقى عادة يسمّع لأولاد (الماضى) وأغلب ما يكون ذلك فى يوم الخميس. وأحياناً يقرنهم شيئاً جديداً. وبعض الأغنياء يستغنون عن الكتاكيت بمدرس خصوصى يأتى للأطفال فى بيوتهم. أما البنات فقلما يتعلمن القراءة والكتابة فى الكُتاب. وقد كان فاشياً أن تعليم البنات من المصايب، ولذلك كان يقوم مقام الكُتاب المعلمات، والمعلمة عى أنسة أو سيدة تقبل فى بيتها تلميذات تعلمهن الخياطة من أولها إلى آخرها. فتبدأ بالأشياء السهلة إلى الأشياء المركبة. وقل من البنات من كنّ يتعلمن القراءة والكتابة. ومن أمثالهم المشهورة "لما شاب ودّوه الكتاب" أى أنهم تركوا تعليمه حين الطفولة حيث يلزم أن يذهب إلى الكُتاب، ثم بدأوا يعلمونه عندما شاب، أى بعد فوات الأوان.

كُتِبَ الْكِتَاب: تعبير يعنى عقد العقد. وفتح الكتاب بمعنى رأى البخت.

الكتاكيت: فى أوائل الصيف وأوائل الشتاء كثيراً ما نرى فى القاهرة منادين وعلى رأسهم أقباص ملأى بالكتاكيت ينادون (يا ملاح الملاح). ويظهر أن الكتكوت كلمة مصرية قديمة، ولذلك لا يسمى فى الشام مثلاً كتكوتة وإنما "وصواص" أخذان

يلتفون حوله، إما على حصير أو بساط أو شلت وبعض الناس يعتنون به فيطعمونه بالصدف. وأخيراً يسمون عظمة الوجه البارزة كرسى الخد.

الكشك: الكشك طعام يصنع من البُرّ واللين، وهو أصناف. بعضهم يأخذ القمح ويغسله غسلاً جيداً ثم ينقعه فى الماء، ثم يوضع على النار حتى يلين ويغلي الحب، ثم يجفف فى الشمس، ثم يدش ويوضع فى إناء ويصب عليه اللبن ومش الحصير، ويحرك ثم يترك أياماً، ثم يحرك ويوضع عليه اللبن مرة أخرى، وهكذا حتى يتخمر وتفوح له رائحة الحموضة، ويكون له طعم لذيذ، ثم يزداد اللبن لتخفيف حموضته. ثم يقرص أقرصاً صغيرة ويوضع فى الشمس إلى أن يجف، فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ. وهذا خير أنواع الكشك. وإذا أرادوا أن يطبخوه وضعوا عليه سمناً وعملوه على اللحم الضانى السمين، أو على الفراخ، أو على الطيور، ونحو ذلك. ومنه أنواع أخرى كأن يتساهلوا فى غسله وتصفيته ولا يتحرروا مش الحصير، بل مشاً وضيعاً يسمونه مش قريش... الخ.

ويقال للرجل العزيز عند أهلى هو عندهم "فرخه بكشك"، لأن الفرخة إذا طبخ عليها كشك من الصنف الجيد كانت لذيدة. وقد اعتاد المصريون أن يطبخوا الكشك بالفراخ فى يوم سبوع الطفل، ثم يوزعوه أطباقاً أطباقاً على الأعزة وأهل الحارة ولا يفعلوا

فى المقابر القديمة على المكاحل ومراودها. وهو إذا أضيف إلى جمال العيون المصرية زادها جمالاً. ومن أمثالهم: "جبال الكحل تفنيها المراد". أى الشئ الكثير لابد أن يفنى مع استمرار الأخذ منه ولو قليلاً.

الكرسى: هو ذلك الأداة الخشبية المعروفة، وهو أشكال وألوان، فالكرسى العادى الذى يجلس عليه الناس وهو معروف عند الأمم المختلفة. ولكن الذى يهمننا هنا ما كان للمصريين عادة، مثل كرسى الولادة، وهو كرسى يحضر لبيت الوالدة قبيل وضعها تحضره لها الداية، وهى امرأة من أعمالها التوليد، كما أن من أعمالها أيضاً ختان البنات. وهو كرسى مخروق من الوسط تجلس عليه المرأة عند الولادة، لتتلقى منه الداية الطفل عند نزوله، وتستعين المرأة به عند الطلق فتمسكه من جانبيه.

ومن مثل هذه الكراسى أيضاً كرسى العروس، وهو كرسى كان يحضر مع الجهاز، ويوضع بجانب السرير، وهو ذو سلاط يطع عليه العريس ليصل إلى السرير كأنه بلغ من الكسل أنه لا يستطيع الصعود على السرير من غير معونة.

وكذلك كرسى المطبخ وهو كرسى صغير ليس عالياً تجلس عليه المرأة عند طبخها وليس له سنادة يستند عليها إنما هو مجرد مقعد. وكان فى القديم كرسى يسمى كرسى العشا، وهو مرتفع نحو نصف متر، توضع عليه الصينية وقت الأكل، والأكلون

المساجد الأثرية ليتفرج عليها بتصريح من وزارة الأوقاف.

ويسمون بقعة فى القاهرة بقنطرة الذى كفر. وأصلها رجل كبير من رجال الحملة الفرنسية كان اسمه "كفر للى" فحرفوه إلى اللى كفر، وكان يسكن قرب قنطرة هناك. فبدلاً من أن يسموها قنطرة كفر للى قالوا "قنطرة اللى كفر".

كل إنسان أولى بحقه: تعبير يعنى أن كل إنسان أولى بماله، ولو غاب عنه.

كلام فى العضم: وأحياناً يقولون دا كلام فى المليان: وهو تعبير يعنى أنه كلام حازم، متجه إلى الغرض.

كل يعقله حلاوة: تعبير يعنى أنه أنفق عقله فيما لا يفيد.

الكلمات الدخيلة: توالى على الأمم المصرية حكومات مختلفة من أمم مختلفة. وقد هضمت مصر بعض عاداتها وتقاليدها، كما هضمت بعض كلماتها فاستخدمتها فى لغتها. ولذلك كان للكلمات تاريخ طويل كتاريخ الأمم. فمن بقايا قدماء المصريين "حوم" للجبنة، وبتاؤ لنوع من الخبز، وكتكوت وبلح أمهات وكثير من أسماء البلاد. ومن بقايا الحكم اليونانى "فانوس"، فإن معناها فى اليونانية "المصباح الكبير"، وكلمة "إبليز" للطين الشديد اللزوجة،

ذلك فى غير الكشك. ومن أصناف الحلوى نوع يقال له كشك الفقراء، وهو نوع حلوى لذيذ يشبه طعمه المهلبية. ويظهر أنه محرف عن كشكول الفقراء. والكشكول هو الوعاء الذى يجمع فيه الفقراء أصناف الطعام المختلفة، لأن هذا النوع يصنع من أنواع مختلفة.

كعبلى الحب: تعبير يعنى جعلنى أتعثر فى السير.

الكعك دا دايب: تعبير يقال للفطير والكعك وأمثالهما بمعنى أنها ناعمة هشة كثيرة السم.

الكفار: يسمى عند المصريين من اعتنق ديناً غير الإسلام كافراً، والجمع كفار، سواء كانوا نصارى أو يهوداً أو وثنيين. وإذا مات الكافر قالوا عنه "هلك"، وإذا رآوا جنازته لا يترحمون عليه. وإذا ذكر اسمه كذلك. وإذا كتبوا عنه لا يقولون غفر الله له، ولا اللهم ارحمه. وإذا مرت عليهم جنازة مسلم وقفوا وقالوا لا إله إلا الله، إنا لله وإنا إليه راجعون. وإذا مرت عليهم جنازة كافر لم يوقفوا ولم يترحموا. ولا يسمح لنصرانى أو يهودى أن يدخل المسجد، ولا أن يحمل المصحف، ولا أن يدخل مكة أو المدينة. ولذلك كان من أراد منهم أن يفعل ذلك ادعى الإسلام وتزىى بزى المسلمين. والآن يسمون للسائح النصرانى أن يدخل

كل ذلك. وكان للمصريين ذوق في اختيار ما يناسبهم من الكلمات وإدخالها في لغاتهم، ثم هضموها كما هضموا الفاتحين.

كلمات متقابلة: كويّس ووحش.

جَلُو زَيّ الشّهْد، مُرّ زَيّ العلقم.

طَرَى، ناشف.

ملموم، ومفروط.

قَارِغ، ومليان.

نهاره أبيض واسود.

طازة وبابت.

صحيح ومكسّر.

عين سليمة وعمّية ومدغششة.

عالى وواطى.

دُغْرِى وِعُور.

الأرض ناشفة ومزّلقة.

مفرفش ومدخمس.

عريض وكيز.

تخين وارقيع.

مرتاح وتعبان.

مكسبي وعريان.

كلمة ورد غطاها: تعبير يعنى كلمة قصيرة.

كله عند العرب صابون: تعبير يعنى أنهم يستخدمون كل ما يقوم مقام الصابون ولا يفرقون. يقال لمن لا يفرق بين الأشياء المتقاربة.

كنافة: نوع من الحلوى اشتهرت به مصر والشام، فكان من طعامها الخاص كالقول

و"أرغول"، وأخذوا من الفارسية كلمات كثيرة مثل "روشن" تطلق على فتحة السقف، وهى فى الفارسية بمعنى ضياء أو لمعان، ومثل "جوخ" فإنها تعنى كساء من الصوف، ومثل "برشت" يقال بيض برشت، أى ناضج نصف نضج. أصلها ميم برشت أى مسلى مسلوق، فاقتصروا على النصف الثانى من الكلمة؛ ومثل "برشام" وهى بمعنى ملء الفم... إلخ. و"بنزاهير" وأصلها "بادزهير"، وباد بمعنى مهلك، وزهير بمعنى سم، أى قاطع السم. ومثل "بهريز" يقال شربة بهريز، وهى بمعنى حمية. ومثل "إشكر خبر" وأصله "أشكار" بمعنى واضح، أو ظاهر فهو بمعنى خبر واضح. ومن بقايا الحكم العربى كلمات كثيرة يطول ذكرها.

ومن بقايا الحكم التركى والشركسى كلمات كثيرة مثل "بوريك" فإنها تركية بمعنى فطير، ومثل "برضه" فإنها كلمة تركية بمعنى هو كذا، وأصلها برضل. ومثل "برش" كلمة تركية بمعنى الحصير. ومثل "بنش" العباءة التى يتحلى بها العلماء، فإنها تركية بمعنى معطف أو عباءة. ومثل "ترللى" يقولون عقله "ترللى" أى مزعزع، من ترك التركى بمعنى تزعزع. ومثل "جزمة"، فإنها التركية بكسر الجيم. ومثل "جوقة" بمعنى أغلبية أو كثرة و"أبعادية" بمعنى محل أو مزرعة.

هذا إلى ألفاظ كثيرة من أصل إيطالى أو فرنسى أو إنجليزى، فاللغة العامية خليط من

الكنائيات: لهم كنائيات لطيفة فى أسماء بعض الأشياء فمثلاً يسمون نوعاً من حبوب الحلوى الصغيرة "براغيث الست"، ونوعاً من الحلوى المنفوشة "غزل البنات"، ونوعاً من الحلوى المصنوعة من الدقيق بالسمن والسكر على شكل خاص "سد الحنك"، ونوعاً من الفطير الصغير الذى يشبه المنينو الصغير "كعب الغزال". كما يسمون بعض أنواع العجين المقلّى فى الزيت "لقمة القاضى"، وأصله لقمة قادن، أى لقمة العجوز. ويسمون الذى يضئ الفوانيس بالليل "عفريت الليل"، ونوعاً من النمل الكبير الفارسى "حرامى الحلة"، ونوعاً من ثمر اللبخ "دقن الباشا"، ونوعاً من المشمش المفرد "قمر الدين"، ونوعاً من حيوانات البحر "السيد قشطة"، ونوعاً من الطيور يشبه منقاره المركوب "أبومركوب". كما لهم تعبيراً خاصة مثل "وشه يقطع الخميرة من البيت" ومثل "اليمونة فى بلد قرفانة"، وقولهم فى الذرة اللينة "غرض الأهتم". ويقولون مثلاً "سلم عليه سلام الماوردى على بياع الفسيخ و"الحيطان لها وادن" ويكونون عن الفنجان الفاضى بالملآن، كأنهم كرهوا تسميته بالفاضى وينادون الأسود بيابيض. ويقولون "نادى عليه بالصوت الحيانى" وماشية تتعوج كأنها علامة الاستفهام. وأمثال ذلك كثيرة وردت فى ثنايا التعابير.

كنت افْتكر إنك وَفَى، أتأريك تكايدنى

المدمس، وطريقة صنعها أن يذاب الدقيق فى الماء حتى يكون للسائل قوام. ثم توضع الصينية الكبيرة على النار، ويوضع هذا السائل فى كوز مخرق، ويمسك الكوز من رقبته ليسيل هذا السائل من الخروق على الصينية المحماة. ويترك بعض الوقت حتى يجف بعض الجفاف، ثم يلم ويباع فى الشوارع أو فى الأسواق باسم الكنافة. وإذا أريد تحميرها وضع قليل من السمن فى صينية محماة حتى يسيح، ثم توضع عليها الكنافة.

وإذا أريد التأنق فيها وضع فى وسط راقات الكنافة بعض البندق المدقوق، واللوز المدقوق، والسكر المدقوق، ثم وضعت الراقات الأخرى، إلى أن تمتلئ الصينية. ويوضع من فوق قليل من السمن على وجهها. وتترك على نار هادئة حتى تنضج. فإذا لم تكن أدخلت فى الفرن قلبت على الوجه الآخر حتى يحمر أيضاً، ويكون بجانب ذلك سكر معقود قد أعد وترك حتى يبرد ثم يوضع السكر عليها. وإذا أريد إتقانها أيضاً وضع عليها ماء ورد. وتنتشر الكنافة كل ذلك وتكون حلوة لذيذة. وهى والفول المدمس من لوازم رمضان والعزائم. وأكثر الأدباء المصريون من ذكرها والتغنى بلذاتها فقال قائلهم: إليك اشتياقى يا كنافة زائد... إلخ. واشتهر فى مصر بعض المحال بإتقان صنع الكنافة من الدقيق النقى، ومن هؤلاء السيد على الكنفانى بجوار بوابة المتولى⁽⁷⁷⁾.

المصريين يعالجون الكوليرا بأشياء خرافية إلى أن انتهت. وشاهدت مرة من يطلع على سلم مزدوج فى الشارع ومعه مقص يقص به الهواء، يزعم أنه يقص الميكروبات.

الكيمياء: يقصدون بها تحويل المعادن إلى ذهب، ومن قديم والناس مولعون بها، ويفقدون كثيراً من أموالهم فيها. والحق يقال إن ذلك كان سبباً فى التعرف على مواد كيميائية صحيحة، وقد اتخذت وسيلة للتكسب بها، وكان ابن مسكويه مولعاً بها. وقد ألقت كتب كثيرة فيها غموض ورموز وأشياء صعبة الفهم. وكم غش الدجالون الأثرياء حتى أضاعوا نقودهم فيها ثم افتقروا. يدخلون فى أذهان الأغنياء أنهم يستطيعون بالعزائم والسحر والمواد الكيميائية أن يحولوا النحاس إلى ذهب فيجمعوا نحاسهم ونحاس جيرانهم ويستدرجهم المعزومون فى الصرف عليها، فينفقون الأموال الطائلة، ويجتهدون أن يكون ه ذا العمل فوق السطوح أو فى غرفة خاصة، ثم يصبحون فلا يجدونهم، لأنهم يفرون قبل أن يفتضح أمرهم. وكان لرجل أعرفه بواب يظهر على ملامحه أنه من بيت عظيم، فاستفسرت عن ذلك، فعلمت أنه كان غنياً وذهب ماله فى هذا الباب، حتى اضطر أن يكون بواباً وأوهم سيده أنه توصل إلى قلب النحاس ذهباً إلا خطوة صغيرة يحتاج فيها إلى نحو عشرة جنيهات فأعطاها له، رغم تنبيهى عليه بعدم الدفع.

وتختفى: هو تعبير عامى مشهور، بمعنى كنت أظنك كذا فلقيتك كذا، فيقولون مثلاً كنت أظنك ملاك، أتاريك شيطان.

كوز: الكوز هو الإناء المعروف، ويستخدم كثيراً فى ملئه بالماء والسوائل. وكثيراً ما تكون له يد يمسك منها. ولكنه يستعمل أيضاً للتعبير عن ثمره عود الذرة، ويكاد يكون استعمالاً مصرياً بحثاً فيقولون كوز ذرة. وهم يتركون هذه الكيزان حتى تجف، ثم يقشرونها، ويفرطون الذرة منها، ثم يخزّنونها، ويأخذون منها شيئاً فشيئاً لطحنها عند الأكل. ونظير ذلك أيضاً ما يقولون "كوز الحلبة"، يطلقونه على الحلبة بالماء، حتى نبتت، ويسمون التين الشوكى بكيزان العسل، تشبهاً له لكوز ملئ بالعسل، للدلالة على حلوته.

الكوليرا: أصيبت مصر مع الأسف بوباء الكوليرا مراراً. وقد حدثت مرة سنة 1883، ظهرت أولاً فى دمياط وانتشرت منها فى سائر القطر. وقد ظهر أنها وافدة من الهند عن طريق أحد وقادى السفن التى وصلت بورسعيد من الهند. وذهب فيما بعد إلى دمياط وهو يحمل جراثيم المرض. ولذلت الحكومة مجهوداً كبيراً فى مقاومته والوقاية منه. وجاءت بعثات كبيرة صحية من أوروبا للمساعدة. وكان أكثر الأحياء ضرراً منها حى الخليقة وبولاق، فقد ذهب الأرواح منهما بالألوف لآزدهامهما وقذارتهما. وكان بعض

وما زال يدفع ويدفع حتى افتقر هو أيضاً.
وهكذا من أنواع الحوادث.
ومن الغريب أن هذا الوضع مقلوب ذلك
أنهم يرغبون فى شئ عسير كتحويل
النحاس إلى ذهب، وهذا هو نهاية الكيمياء
لا بدؤها فكان يجب أن يتبحروا أولاً فى علم
الكيمياء ثم تكون هذه غايتهم، وكالتنجيم فقد
كان يجب أن يتبحروا فى علم النجوم، ثم
تكون غايتهم بحث أثر النجوم فى العالم
الأرضى. ومن أمثالهم "الشحاتة كيميا" أى
أن الشحاتة قد تدر على صاحبها الذهب
كالكيمياء.

ل

القرآنية لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثم صاروا يستعملونها فى النفس فيقولون لا عنده مال ولا يحزنون، أى ولا أى شئ آخر، ومثله: لا عندهم فرح ولا يحزنون... إلخ.

لا وراه ولا قدّامه: تعبير يعنى ليس له شئ.

لاوى بوزّه: تعبير يعنى غضبان.

لا يعجبه العجب ولا الصيام فى رجب: تعبير يعنى ليس يعجبه شئ، حتى العجب نفسه لا يعجبه، ولا الصيام فى رجب مع أنه محبوب.

لا ينفع طبلّة ولا طار: تعبير يعنى لا ينفع فى شئ، ولا يفيد فى أمر من أمور الحياة.

اللاسة: لفاقة من حرير يلفها الفتوات من أبناء البلد على الطاقية كالعمامة. فتكون علامة على الفتوة والشطارة. ولكن لا يلبسونها فى العادة على جلابية زرقاء، بل على جلابية بيضاء أو جلابية من التيل، أو غزلية⁽⁷⁸⁾.

اللبان الذكر: هو لبان معروف يميزونه عن اللبان فقط، وهو المسمى باللبان،

لا تُعايرنى ولا عايرك الهمّ طايلى وطايلىك: تعبير يقال للثنتين اشتركا فى المأساة.

لا تكثر لهّمك ما قدرّ يكون: أصلها من قصيدة للشيخ على الليثى وفيها:

الله المدبّر والعالم شؤون

لا تكثر لهّمك ما قدرّ يكون

ويشذ بها الشحاذون فى الشوارع.

لا راح الزمان عليه ولا جة: تعبير يقال لمن بقى على شكله بعد مضى السنين، لم يؤثر فيه الزمان.

لا شافع ولا نافع: ومثله لا يشفع ولا ينفع، أى لا خير فيه.

لاقبنى ولا تغدينى: تعبير يعنى أن تحسن لقائى خير من أن تحسن غدائى.

لا كده نافع ولا كده نافع: تعبير يعنى اتبعت معه كل السبل فلم تنجح.

لاله فى الثور ولا فى الطحين: تعبير يعنى أن ليس له من الأمر شئ.

لا لهم مال ولا يحزنون: أصلها الآية

ولزيب زنوبة ولعيشة عيوشة، ولعزيزة زيزة، ولمحمد حمادة ول، عبدالفتاح توحة، ولمصطفى مصمص، ولخديجة خدوجة، ولهانم هنومة، ولستيتة ستوتة.. وهكذا.

لعبت عليه نفسه: تعبير يقولونه فى الدعاء على الشخص ومعناها تحركت عليه نفسه للقىء. ومثله غمّت عليه نفسه.

الله عليك: تعبير يقال عند استحسان شئ.

الله لطيف به: تعبير يقال لمن مرض وخصوصاً مرضاً عقلياً.

اللهجة العامية: للمصريين لهجة عامية خاصة، ولهجة القاهريين تخالف لهجة الصعايدة، وهما يخالفان لهجة الشراقة والبحاروة؛ وعلى العموم ربما كانت لغة القاهريين أوضح وأرقّ من لغة البلاد الأخرى كالشام والعراق.

وبعض البلاد المصرية ينطق القاف جيماً، والقاهريون ينطقونها همزة. ولكل بلد اصطلاحات خاصة فى بعض الاستعمالات. ولنسق مثلاً للغة العامية أخذاً من مجلة الأستاذ لعبدالله النديم، فقد كان يكتب أحياناً باللغة الفصحى، وأحياناً باللغة العامية، وهذا حوار بين ألف وباء:

"(أ) انت بسّ رايح مصر جاى من مصر! ما سمعتش لنا شئ على اللى زىّ حالتنا.

واللبان الذكر إذا أحرق انبعثت منه رائحة طيبة. وهم عادة يعتنون بإحراقه عند كتابة الأحجبة، وعند بعض الدعوات. ويعتقدون أنه يساعد الأحجبة على تحقيق المطالب، ولذلك يوصى به المشايخ دائماً هو والمستكى. والمستكى أيضاً ذات رائحة طيبة، وهم عادة يمضغون اللبان أو اللادن مضغاً طويلاً. ولبعض النساء دلغ فى المضغ حتى تسمع من مضغها طقطقة. ويستعملون اللبان أيضاً منقوعاً فى الماء طول الليل لقطع البلغم ومداواة الكحة. ويقول العامة للمرأة لا تكتم سراً، إنها بلبانة. وكثيراً ما ترى نساءً فى الشارع وأمامهن صينية أو طبق كبير من الخوص، مملوء باللادن.

اللبس دا خايل عليه: تعبير يعنى أنه ملائم له، ومناسب لشكله.

اللحمة منهيّة: تعبير يعنى ناضجة جداً. فإذا لم تكن ناضجة نضجاً تاماً قاول نُصّ نُصّ.

لسائه يسبّح، وقلب يدبّح: تعبير يعنى أن لسانه حلو، وقلبه مرّ.

لسّه فيه الرّمق: تعبير يعنى أنه لا يزل فيه بعض الحياة.

اللعب بالأسماء: يقولون لنفيسه نفوسه،

والضعيف والقوى. تلاقى الحمار من دول
إذا كان له قضية حتى عند واحد باشا تجيبه
المحكمة قدامها من غير ما يعصى ولا
يخالف. وانت بتقول إنه الأرض أرضك
ومعاك بيها حجة، دى كلها أمور تثبت لك
الدنيا مش بسّ الفدانين. انت تروح ترفع
قضية فى المحكمة ولا تسأل إن كان عضمة
خشنة واللا ناعمة والمحكمة تحكم لك
غصب عن عينه. انت توكل واحد أبكاتو
وتوكل على الله.

(أ) بسّ خايف يروح يترجى القضاة
الذوات ويعملوا خاطر لبعض تقوم تروح
على المصاريف.

(ب) إوعى تصدق! دلوقت جنس تانى.
والقضاة بياخدوا ماهيات كفاية وما تسيبش
الحق.

(أ) بأه ما خدش كام نصّ، أيرطل بيهم
القضاة علشان يخلصوا.

(ب) إوعى تعملها يا مشوم لاحسن تروح
فى شربة مية، هو يقدر واحد دلوقت بيرطل
قاضى. الدنيا دلوقت ماشية على سنجة
عشرة، إوعى يضحك عليم ويأخذ فلوسك،
ويقول لك أنا قلت للقاضى، أنا عملت، أنا
سويت، مافيش كلام زى ده دلوقت، روح
اعمل عليه قضية ولا تبالى، وربنا ياخذ
بيدك ويقضى حاجتك".

ولهذه اللغة العامية بلاغة كاللغة
الفصحى. ولهم فيها تعبيرات ساحرة ولهم
الشعر الجميل. مثل:

تزوجت البطالة بالتوانى

(ب) اللى زىّ حلاتك رايح أسمع عليه
إيه؟ إنت راجل فلاح فى غيطك، وتقضى
عمرك وانت سارح فى الغيط رايح البيت،
جىّ من البيت زىّ حصان الطّاحون يقضى
عمره ما بين الدورة ودار الدواب.

(أ) هوّ أنا ناكر أنى فلاح! ما أنا فلاح بن
فلاح، يعنى أنت اللى ابن جندى ما انت
فلاح زىّي.

(ب) أنا مش مقصودى أعايرك، دنا
فلاح ابن فلاح، ولكن باقلك انت راجل فلاح
يعنى ما حدش عارفك يحكى فى حقك حاجة
فى مصر.

(أ) بأسألك عن كده قصدى أقول إذا كان
واحد زيي فى مصر له حكاية يعرف
يخلصها.

(ب) إن كنت رايح مصر علشان تعطر
لبنتك ولا تفصل لابنك اللى رايح تطاهره، كل
شئ تلاقيه هناك. وان كنت رايح تقضى حاجة
للغيط زى ساقية ولا محراث ولا قصيبة
برضه تلاقى. بس ركك على الفلوس.

(أ) دنا ما بديش كده، قصدى إذا كان
واحد زي حالاتى له فدانين طين، ويقالهم
سنيين وايام، ومعاه بيهم حجة ولا بتقسيط
ميرى ويبدف مالهم، وجاه واحد كبير شوية،
يعنى عضمة خشنة وقال له الفدانين دول
بتوعى وبده ياخداهم غصب، اكمنه كبير
المقام. يعنى إذا رفعت عليه ضية أكسبها.

(ب) يا مغفل، الناس دلوقت مش زىّ
زمان، دلوقت فيه مجالس وقوانين وقضاة
وحكمهم زىّ بعضه فى الكبر والصغير

فأولدها غلاماً و غلامه

فأما الابن لقبه بفقر

وأما البنت سماها ندامه

كما أن لهم الأزجال اللطيفة والمواويل
الرشيقة. وميزاتها أنها تحيا كل يوم فى
البيت والشارع، والروايات التمثيلية.
ويكسبها ذلك حيوية ومرونة أكثر من اللغة
الفصحى. والمتتبع لكلام العوام يرى فيه
التشبيهات الجميلة والعبارات القوية مثل:
الله يجازى أوامك، ما فعل يا بعيد. ومثل: يا
عطارين دلونى الصبر فين أراضيه، ولو
طلبتوا عيونى خدوها بس الأقيه. ومثل
قولهم فى السباب "يا عملة جديدة". ومثل
قولهم فى الغناء: "البحر بيضحك لى وأنا
نازلة أدلع أملا القل". ولو عددنا ذلك لطل
بنا القول فلنكتف بهذا القدر.

وقد ترققت اللغة العامة فى الأزمنة الأخيرة
وأخذت كثيراً من اللغة الفصحى، فتسمع
العامى مثلاً يقول: "فهمت دا بالقريحة".
والفضل فى ذلك للمجلات والإذاعات التى لا
تتزم باسعمال اللغة الفصحى. وبقدر ما
ارتقت اللغة العامية نزلت اللغة الفصحى
لتقابلها فى منتصف الطريق. وكان من أسباب
ضعف التعليم وعدم انتشار الثقافة أن
للمصريين لغتين متميزتين: الفصحى
والعامية، وبينهما خلاف كثير. ولو كان لهم
لغة واحدة أو لغتان متقاربتان لقل ذلك من
العوائق أو أزالها.

ومما يؤسف له أن أدباءنا لا ينتجون إلا
ابلغة الفصحى، أما العوامفليس لهم أديب

ولا يجدون ما يتغذون به إلا شيئاً قليلاً تافهاً
فقل أن يحدثهم أحد فى الراديو بلغتهم. وقل
أن يكتب لهم كتاب بلغتهم، وفى ذلك خسارة
كبيرة. وقد اقترحت من أجل ذلك أن يكون
للأدباء فى بعض الأحيان لغة شعبية ساكنة
أواخر الكلمات، متحررة من الإعراب الذى
هو أكبر عقبة للعوام. ولكن اللغة قلما
تصنع. والزمن كفيل بحل هذه
المشكلات⁽⁷⁹⁾.

اللوازم: من لوازم المصريين التى تلفت
النظر كلمة معلش! يقولونها فى مواضع
لطيفة، كقولهم إذا أصيبوا بالمصيبة:
معلش! استسلاماً للقدر واستحاثاً على
الصبر. وكذلك يقولونها إذا أصيبوا بكارثة
مالية لعدم الحزن على ما فات والأمل فيما
هو آت، ونحو ذلك، ثم يقولونها فى مواضع
سخيفة إذا ظلمهم ظالم من الحكام، فبدلاً من
أن يطالبوا بتحقيق العدل قالوا: "معلش".
ويقولونها أيضاً يتعللون بها عن الكسل
وعدم السعى على الرزق فإذا جاءت دودة
القطن وأتلفته قالوا: معلش! بلد السعى فى
تنقيته من الدود وهكذا.

ومن لوازمهم "البقشيش"، فكل شئ ولو
كان تافهاً صغيراً يطلبون عليه بقشيشاً، فإذا
لم يقولوه بألسنتهم قالوه بنظراتهم
وإشاراتهم. وربما لا تكون هناك كلمات ولا
نظرات، ولكن العرف يدل عليه. وهناك
طبقة أرستقراطية لا تعف عن البقشيش،
ولكن بشكل طريف، وذلك بتبادل المصالح.

ولذلك يقال للرجل إذا أتى بفعل منكر اختشى.
ومعنى الجملة أن الناس الذين كانوا يستحيون
ذهبوا ولم يبق إلا من لم يستح. ومن هذا القبيل
اختشى على عرضك.

**اللى تجمععه النملة فى سنة
يخده الجمل فى خفه (تعبير)**

**اللى جاب لك يخليك: تعبیر يعنى أن الله
أعطاك بيقى نعمته عليك.**

**اللى خبك يا هناه: تعبیر يعنى ما هنا من
يحبك.**

**اللى زمرما يغطيش دفته: تعبیر يعنى أن
الذى يأتى بالعمل لا يصح أن يتستر منه إذا
صم عليه.**

**اللى ما يرضى بالخوخ يرضى بشرابه:
تعبير يقولونه فى معنى: من لم يرض
بالكثير اضطر إلى أن يرضى بالقليل.
اللى يبات فيه يصبح فيه: تعبیر يعنى أنه
مستمر على حالة واحدة.**

**اللى يعد وياه ما يشيلش همّ: تعبیر يعنى
أنه فرح مرح، يفرح من جالس.**

**اللىالى المشهورة: من عادة المصريين
الاحتفاء ببعض الليالى، كليلة القدر وهى ليلة
السابع والعشرين من رمضان. فيحتفلون بها**

فتقضى لصاحبك مصلحة ليقضى لك
مصلحة نظيرها.

وقد يجرؤ على القول فيقول:

سأعمل لك هذا العمل على شرط أن
تعمل لى ذلك العمل.

وفى الأوساط المتعلم خصوصاً بين
الشبان المتعلمين يستعملون كلمة "صهين"،
وهى تساوى كلمة معلش فى استعمالها
ومواضعها.

ومن لوازمهم أيضاً "وانا مالى" يقولونها
للتخلص من مسئولية العمل. ولو قدر لمصر
زعيم نج فى إبطالهم هذه الأمور الثلاثة:
البيقش، ومعلش، وانا مالى، لم يكن
إصلاحه بالقليل.

اللوع: كلمة تستعمل فى اللسان الشعبى
كثيراً، وتستعمل فى معان مختلفة: أحياناً
بمعنى كثرة المران والتجربة، وتحنيك
الزمان. فيقال لوعه الزمان أى حنكه،
وضغط عليه، حتى كثرت تجاربه وأصبح
يفهم الأمور فهماً دقيقاً. وأحياناً بمعنى
الرجل الذى لا يسير سيراً على خط مستقيم،
ولكنه ينحرف فى سيره، فيقولون: فلان
ملوع، ولا تتلوعش على، بمعنى لا تسر
معى سيراً معوجاً. وقد تستعمل بمعنى
الإيلام، والإيقاع فى الحزن والغناء. ومن
ذلك قولهم: الحب لوعنى، أى أضنانى.
وكثر استعمالها بهذا المعنى فى الأغانى
الغزلية.

اللى اختشوا ماتوا: اختشى بمعنى استحيا.

ليالى سوداء. تقول المرأة أو الرجل مرّت على ليالى زىّ قرون الخروب، أى سوداء حزينة.

ليك ألف عوزة:

وادخرتّك ليوم عوزة (تعبير)

العوزة: الحاجة إليه.

ليلته مش فايّنة: تعبير يعنى لا تنقضى بسلام، بل يحدث فيها من الشر ما يطيلها. لأن العادة جرت بقصر الوقت السعيد قليل الوصال، وطول الوقت الشقى قليل الهجران.

ليلة الحنة: هى الليلة التى تسبق عادة الزواج، فبعد الحمام تكون الحناء. وللحمام والحناء أهمية كبرى، وخصوصاً عند الفلاحات، لأن الفلاحات يحرمن على الفتاة منذ بلوغها العاشرة تقريباً أن تستحم أو تتزين، لأن هذا يعد فى نظرهم عهراً. ولذلك لا يأتى ميعاد الحمام والحناء إلا وقد تراكمت عليها الأوساخ. ولذلك ينظفها فى الحمام بحجر الخفاف أو الشقافة. ويستعن على ذلك بالماء الساخن، والمكث فيه مدة طويلة.

أما فى الحضر فالحناء أقل أهمية لنظافتهن، وعدم تقيدهن بقيود الفلاحات. وهن يتحنين مع صواحبهن بالحناء، فيحنين أيديهن وأرجلهن بالحناء المدقوقة المعجونة ويربطنها إلى الصباح، فتكون حمراء. وقد يتشخلعن فيها ويضعن فتلاً فى الأيدي حتى

ويعتقدون أنه فى هذه الليلة تظهر للمسعدين طاقة من نور فى السماء. وحينئذ يجب أن يسرعوا فى الدعوة، مع أنه قد يكون هذا النور ناشئاً من تماس أسلاك كهربائية أو نحو ذلك فيظنون أنه نور ليلة القدر.

ومن الليالى المشهورة أيضاً ليلة نصف شعبان، فيجتمعون فى صلاة المغرب فى المساجد أو فى البيوت فيقرأون الدعاء، وهو: اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه... إلخ.. ثم يدعون بما يشتهون. ومنهم من يعتقد أنه إذا قرأ الدعاء أمن من الموت فى عامه وأمن من الشقاء. ومن الليالى المشهورة ليلة السابع والعشرين من رجب، وهى ليلة الإسراء والمعراج؛ وليلة الثانى عشر من ربيع الأول، وهى ليلة المولد النبوى؛ وليلة أول السنة الهجرية إلى غير ذلك. فى ليلة المولد هذه تقام حفلات الذكر فى ساحة من ساحات البلد، وتصنع الحلوى من السكر على شكل عروس أو جمل أو حصان، وألعاب مختلفة تناسب الأطفال من ذكور وإناث. ومن الليالى المشهورة أيضاً ليلة الحنة وليلة الدخلة... إلخ⁽⁸⁰⁾.

لمونة فى بلد قرفانة: تعبير يعنى أنه حاو لصفات الطلب عليها كثير.

لونه توت عنخ آمون: استعمال ظهر على أثر ظهور ذخائر توت عنخ آمون فيها من ألوان كثير زاهية، وأصباغ متعددة.

ليالى زىّ قرون الخروب: تعبير يعنى

تظهر كأنها منقوشة.

ليلة الدخلة: هي الليلة التي يبني فيها العريس بالعروس وقد سبق شرحها عند الكلام عن الزواج فارجع إليه. ونزيد هنا أنه كان شائعاً عند الفلاحين أن يتصل الرجل بزوجته في ليلة الدخلة، لاطمئنان أهلها على سلوكها. ودليل ذلك أنهم يعلنون عن سبق طهارتها ببقاء بكارتها إلى اليوم، فيخرج أبوها بشائشة ملوثة، ويصيح هو وأهلها: "بيضت الشائشة يا عروسة"، ويعنى النساء أيضاً:

شرفت أهلك يا عروسة

عليت راس أبوك يا عروسة

حلق في ودانك يا عروسة

أى أنها تستحق ذلك.

وفى الأوساط الوسطى والغنية تلعب البلانة دوراً هاماً فى تحميمها، وبعد الحمام فى تزيينها ثم ما يتصل بذلك، وقد تكون البلانة لعروسين أو ثلاث، وقد تقتصر على بنت واحدة إذا كانت من الأغنياء.

وجرت عادة فى قرى الأرياف أن يجتمع النساء على الباب ساعة التقاء الرجل بالمرأة، يصفقن ويغنين ويهللن، حتى ينتهى الأمر. فإذا تأخر عنهن الخبر عئین: "مرسالك غاب يا وردة". فإذا علمن انتهاء الموقف زغردن، ويكون معهن رجل بيندقته فيطلقها فى الفضاء إيداناً بالانتهاء⁽⁸¹⁾.

الليمون الصغير: يسمى بنزاهير. وهى كلمة فارسية أصلها بادزهير، ومعناها ضد السم. وهو ثمرة مفيدة غنية بفيتامينات حرف "س" كما دلّ عليها التحليل الحديث. وهم يتخذونه على أشكال، فيعصرونه أحياناً على ماء مذاق فيه السكر فيكون مشروباً لذيذاً، م هم يعصرونه على كثير من المأكولات كالبامية والفاصوليا والبادنجان والبقول المدمس بالزيت. وأحياناً يخلطونه للأكل منه لقصد فتح الشهية. وكثير من الفلاحين يأكلونه مع الخبز إداماً كالمش. ومن أمثالهم "ليمونة فى بلد قرفانة" وذلك لأن الليمون موصوف لدفع القرف. فإذا كانت البلد كلها قرفانة كان الناس يتسابقون على الليمونة. وأحياناً يستعملونها لتشبيه الوجه الأصفر. فيقولون: وجهه أصفر كالليمونة. وكذلك إذا رأوا ثياباً صفراء أو شيئاً أصفر قالوا: إنه أصفر كالليمونة.

م

أوطارهم. وما أكثر ما يخيف المصريين، من المارد هذا، والمزيرة، وهى عفريته تظهر على شكل امرأة تلبس لباساً أبيض، وأبو رجل مسلوخة، وأم الشعور، والأسياء، والقرينة... إلخ. ومن شدة خوفهم تعلقوا بالجن وطلبوا منهم المعونة.

ماشى بالدرع: تعبير يعنى يسير إمرة بالقوة.

ما شاء الله: كلمة يستعملها المصريون ثلاثة استعمالات: يستعملونها مرة للاستعظام، فإذا رأوا شيئاً حسناً، قالوا ما شاء الله. ومرة للاستهجان، فإذا رأوا أمراً قبيحاً لم يكن ينتظر قالوا ما شاء الله. ويقولونها أيضاً للمدح والتشجيع، فإذا روى لهم مثلاً عن رجل يحفظ آلافاً من الشعر، قالوا ما شاء الله. ومثلها فى ذلك: يا سلام. والفارق بين الاستعمالات النغم وموضع القول.

ماfish بينى وبينه عمار: تعبير يعنى ليس بينهما ألفة.

ماfish فى وشه دم: تعبير يعنى لا حياء عنده.

ماfish لزوم: تعبير يعنى لا داعى لهذا.

مابه الموت ومابه زانقة القبر: هو تعبير غريب، يقولونه للدلالة على الرجل وقع فى مصيبة فما لبث أن وقع فى مصيبة أخرى، كقولهم "تكسرت النصال على النصال" واللفظ نفسه لا يدل على هذا المعنى، ولكن يدل عليه الاستعمال. وهو استعمال شائع فى لسانهم، فيقولون: ما به كذا وما به كذا، للدلالة على أنه كانت تكفيه المصيبة الأولى، فجاءته المصيبة الثانية زيادة عليه.

مات فطيس: تعبير يعنى مات بسبب لا يدعو إلى الموت.

مات فى جلده: تعبير يعنى خاف.

المارد: هو شر أنواع العفاريت، ويعتقدون أنه يستطيع أن يطول إلى مالانهاية، ويقصر إلى مالانهاية، وأحياناً يتمدد فى الطريق بالليل، فإذا قرأ أحد عليه شيئاً من القرآن الكريم قتله. وعند مجئ الأرنؤوط فى مصر فى عهد محمد على باشا عرفوا خوف المصريين، فكانوا يلبسون الثياب البيض، ويلفون عصيهم بشاش أبيض، ويظهرون بالليل، ويدخلون الحواري بحجة أنهم مرده. وقد يرفعون عصيهم، فيظن أنهم طوال، وهم بذلك يخيفون أهل الحارة ويقضون مـونـمـنهم

ماكانش عشمى: تعبير يعنى خاب أملى.

المأكولات الخاصة: اعتاد المصريون أن يأكلوا فى العيد الصغير السمك المجفف، ويسمى البكلاه، بتفخيم السلام، والكعك المنثور عليه والسكر والغريبة. وفى العيد الكبير ذبح الضحية والأكل من بعضها، والتصدق ببعضها، وفى شم النسيم الفسيخ والبصل الأخضر. وفى رمضان يروج الإفطار على الفول المدمس، وتكون الحلوى كنافه وقطايف وقمر الدين مطبوخاً أو منقوعاً. واعتادوا فى العيد الصغير والكبير تقديم الشيكولاته والملبس للضيوف، وأكل الرقاق فى الصينية باللحم المفروم ومرق الضحية. وعند دعوة الفقهاء لقراءة ختمة أو عدية يس أو نحو ذلك تؤكل الفتة من خبز عليه المرققة، ثم طابق من أرز، ثم اللحم المسلوقة.

ثم اعتادوا أخيراً لغلبة المدنية الحديثة أن المار إذا احتاج إلى أكل يمر على دكان أعد لذلك يأكل منه الساندويتشات بالجن والزبد تارة، وأخرى بالكبد، وثالثة باللحم... إلخ. وقد يمرون على دكاكين خاصة بالحلوى والفظائر، وما يسمى بالبسطة. وفى الصيف يكثر من أكل المثلجات كالدندرمة والجرانيتا.

وفى الشتاء يشربون القرفة أو الكاكاو أو السحلب، وغير ذلك من الأشياء المدفئة. وفى الطريق ترى كثيراً من المأكولات الخفيفة، كالبليلة فى الصباح، والترمس واللب فى المساء. وقد ترى الطبقة الفقيرة

تمص قصب السكر، وترمى القشر فى الشوارع، أو البرتقال كذلك. وتجدهم على القهاوى يأكلون السميط والبيض، أو السميط بالملح، أو الطعمية تستحضر من دكاكين جانبية. والفلاحون يعتنون بكيزان الذرة وأكلها مشوية. ومن حين لآخر يذهب بعض المصريين إلى محلات خاصة لأكل النيفة أو الكباب.

المال الحرام: يعتقدون أن المال الحرام وهو ما اكتسب من باب حرام، كالسرقة والارتشاء والقيادة ونحو ذلك، ليس فيه بركة، وأنه عرضة للزوال السريع، وأن المال الحلال وهو ما اكتسب من باب حلال تحل فيه البركة، فينعم به صاحبه، وخصوصاً ما اكتسبه الرجل من عرق جبينه. وربما كانت العلة العلمية لذلك أن المال إذا كسبه الرجل بجهده واجتهاده حرص عليه، وذكر ما لقيه من التعب فى اكتسابه وصرفه بحساب. وعلى العكس من ذلك المال الحرام؛ إذ يأتى من غير تعب، فيسهل على الرجل أن يصرفه حيثما اتفق. ولذلك إذا رأوا مالاً مبدداً قالوا لا غرابة! فإن أصله حرام.

ويعتقدون أن المال الحرام قد لا يضر صاحبه غى المال فقط، بل قد يضر صاحبه ومن اتصل به فى النفس أيضاً. فقد يموت فى حادث شنيعة، أو يمرض مرضاً كبيراً، أو يصاب بعاهة أو نحو ذلك. وأعرف رجلاً كان موظفاً كبيراً فى الحكومة، وكان مرتشياً، وحصل له من ذلك ما كثير، فمات

هو بالحمى، وداست إحدى أبنائه سيارة، ومات آخر بمرض، وخرّب البيت من أجل ذلك؛ فقال الناس: إن سبب ذلك كله المال الحرام.

وإذا فقد مال رجل ثم وجدته، قالوا مال حلال؛ لأنهم يعتقدون أن المال الحرام لا يوجد ثانياً. والمتشددون فى السلوك يحرصون أشد الحرص على أن لا يكسبوا قرشاً حراماً، ولا يدخل جيبهم قرش حرام، لأنهم يعتقدون أنهم إذا كسبوا قرشاً حراماً وقرشاً حلالاً ذهب الحلال بالحرام.

المترد: هو إناء من فخار أحمر وأصفر. وهو أشهر أوانى الفلاحين، يحملون فيه اللبن ويضعون فيه الطبخ. ويساويه فى الشهرة (الطاجن) فهم يضعونه فى الفرن ينضجون فيه اللحم أو السمك أو الطير أو الأرز أو نحو ذلك بوضعه فى الفرن. وإذا امتلأ المترد قالوا: إنه (مترد مطنبر)، خصوصاً بعد أن ينضج ما فيه وينتفخ. وهو يختلف عن الطاجن بضيق رقبته.

المتعوقة: هى المرأة التى تلد ويموت أطفالها. ويعالجونها بأن تحضر العجوز الزوج وزوجته وتوقف أحدهما أمام الآخر، ثم تحضر دجاجة سوداء ليس بها أى إشارة، وتذبحها وتخرج أحشاءها وتنتف ريشها، وتوصل خيطاً بين إبهامى الزوج والزوجة، وتضم كل هذه الأشياء إلى خلاص المرأة، وتدفن الجميع فى عتبة القاعة. وقد شاهدت وأنا صغير امرأة تزعم أنها تجعل المتعوقة تلد. فطلبت طشتاً كبيراً نظيفاً ووضعت فيه ماء، ثم وضعت فيه بعض الحلى، ثم قرأت تعزيمات مختلفة، وأخيراً أخرجت من جيبها

هو بالحمى، وداست إحدى أبنائه سيارة، ومات آخر بمرض، وخرّب البيت من أجل ذلك؛ فقال الناس: إن سبب ذلك كله المال الحرام.

وإذا فقد مال رجل ثم وجدته، قالوا مال حلال؛ لأنهم يعتقدون أن المال الحرام لا يوجد ثانياً. والمتشددون فى السلوك يحرصون أشد الحرص على أن لا يكسبوا قرشاً حراماً، ولا يدخل جيبهم قرش حرام، لأنهم يعتقدون أنهم إذا كسبوا قرشاً حراماً وقرشاً حلالاً ذهب الحلال بالحرام.

ما هى دى عوايدك: تعبير يعنى من معتاداتك، وليس غريباً. وقريب منها قولهم من وحيدك، أى إحدى العجائب التى تأتى بها.

ما يردح لسالم إلا مطاوع: يظهر أنهما كانا لسنين تهاجيا، وأنهما كانا ندين فى التهاجى: تعبير يقال لاثنين لا يقدر على أحدهما فى الشر إلا الآخر.

ما يستاهلش ملء ودنه نخاله: تعبير يعنى أنه رجل تافه لا يساوى شيئاً.

ما يقع إلا الشاطر: تعبير يقال عندما يزل الماهر.

المبخراتى كثيراً ما ترى فى شوارع القاهرة رجلاً يحمل مبخرة فيها نار متقدة، وبجانبه كيس معلق فى كتفه، فيه بخور

جبت له ألف عقل على عقله: تعبير يعنى أن المجنون متمسك برأيه. وهم يعتقدون أن المجنون، إنما يعرف كيفية معاملته مجنون مثله. ويحكون فى ذلك أن مجنوناً أخذ طفلاً وطلع به مؤذنة، وأراد أن يحدف الطفل من المأذنة، فخاف أهله، فنادوا بمجنون مثله. فقال له: إن لم تنزل نشرت المأذنة، فوقعت بالطفل، فخاف ونزل. ونجا الطفل.

المحتسب: وظيفة المحتسب كانت وظيفة كبرى فى الدولة إلى عهد قريب. كان يختار صاحبها ممن جمع بين العلم والوجاهة؛ ووظيفته مراقبة الأسواق، ومراعاة الأسعار والمصالح العامة. فمن طفف فى الكيل والميزان عاقبه، ومن رفع السعر عاقبه؛ وربما كان هذا المحتسب شديداً فيعاقب أشد عقوبة، فمثلاً كان بعضهم إذا ضبط بائع كنانة يبيع بثمن أعلى مما حدّد له، وضعه على الصينية حتى يحترق، ومن باع قمحاً أو ذرة أكثر من ثمنها عوقب عقوبة شديدة، وله الحق فى أن يمنع طبيياً لا يحسن العلاج، أو محترفاً لا يتقن حرفته، أو قاضياً ليس أهلاً؛ وهو يجوس خلال الأسواق يتقدمه عامل يحمل ميزاناً ويتبعه الجلادون والخدم، وكثيراً ما يستوقف خادماً ما حاملاً مأكولات فيسأله عن ثمنها ووزنها، فإذا تبين له أن البائع استعمل موازين أو مكاييل مغشوشة، أو طفف الكيل أو الميزان، أو زاد على سعر السوق، أنزل بالبائع العقوبة فى الحال، وهى الضرب أو الجلد؛ أو بما شاء المحتسب من العقوبات، كخرمه أنف

أداة فى حجم الجرس الصغير ووضعها وطلبت من المتعوقة ريالاً ووضعته على هذه الأداة، وبعد قليل طار الريال إلى السقف، وتضاحك الحاضرون والحاضرات واختفى الريال. وقد فهمت الآن أن هذه الأداة كان مركباً فيها زميلك مضغوط لحم بشيء يذوب فى الماء بعد مدة، فلما ذاب انفك الزميلك فطار الريال. والمهم فى المسألة أن المتعوقة لم تحمل، والريال قد ضاع.

المجاملة: هم يجاملون كثيراً فيظهرون من الصداقة والإجلال ما قد يضمرون من الكره والاحتقار. وقد يقابلون أعداءهم بالحضن والتقبيل مما لا يكون إلا بين الأصدقاء، بينما هم يضمرون البغض والازدراء، وحدثنى أحدهم قال: حضر رجل دينى معمم كان مكروهاً لموقف معين له فى السياسة المصرية ومجاهرته بذلك، قال وكنت فى مأتم مزدحم بالناس، فما أهل هذا الرجل الكبير حتى وقف الناس كلهم على الجانبين إجلالاً له، ومنهم من انحنى على يده فقبلها، وقد كانوا يلعنونه منذ عهد قريب.

وعلى العموم فهم تنقصهم الصراحة، وأشعارهم فى المجاملة والمداراة كثيرة. ومن مجاملاتهم الكثيرة الإلحاح على الضيف والإكثار من الأصناف، وكثرة ألفاظ الترحيب، وكثرة الألقاب فى الخطابات، والمقابلة بالحضن والقيل، وكثرة الهدايا فى الأفراح... إلخ.

المجنون ما يعجبوش إلا عقله، ولو

فالفظتان واحدة، والمعنى فى اللفظة الأولى ما دريتم به، وفى الثانية ما درى ثوبه.

محسوبة: هى نسبة تركيبة إلى محسوب، أخذاً من قوله "محسوب عليه"، وجعل المصدر للدلالة على إنهاء الشيء من رَجَلٍ لِرَجَلٍ محسوب عليه. وهذه المحسوبة إما للرشوة، وإما لانتساب الرجل إلى الآخر بسبب ما، كالتنذل له أو قضاء مصلحة له، أو طمع عامل فى الخدمة فى أن يقضى له خدمة أخرى، أو لقراءة أو نسب وهكذا.

وكل أمة فيها محسوبة لدرجة ما، ولكن ليست محسوبة سافرة كان يُخَطَّى الأول من الامتحان مثلاً لأخذ من ترتيبه الخمسون، أو تفضيل غير الكفاء على الكفاء. واتصف المصريون بكثرة هذه المحسوبة حتى اعتقد الناس أنه ليس يعمل عمل إلا بها، فالورق يبقى عند الموظف نائماً تتراكم عليه الأتربة أو منسياً فى درج الموظف إلى أن تأتي محسوبة فيمر مرّ البرق. ولذا شاع بين المصريين: إذا أردت أن تقضى عمالك فابحث عن كبير يرجو لك. وسبب ذلك أن الموظف المصرى غالباً كان لا يتحرك لعمل إلا أن يكون له غرض شخصى من ورائه، ومن لا رجاء له، أو بعبارة أخرى من لا محسوبة له أهمل شأنه سنين.

ويحتاج الأمر إلى تعويد قوى على أن المحسوبة لا فائدة منها، وأن العدل يجرى مجراه، سواء كان لصاحبه محسوبة أو

الغشاش، وتعليقه فى أنفه كعكه بطول الشبر وعرض الإصبع. وأحياناً يجرّس فى الأسواق مع العقوبة. وقد قابل محتسب مرة بائع بطيخ عل جمل فسأله: بكم البطيخة؟ وكان معروفاً عنه أنه يكثر قطع الأذان، فقال له المسئول: هذه أذنى فاقطعها؛ قال له: أنت مجنون أو لم تسمع؟ قال: بل سمعت، ولكن إذا قلت بعشرة قطعت أذنى، وإذا قلت بخمسة قطعت أذنى، فاقطعها بالاختصار. ومرة قابل المحتسب رجلاً يبيع قلاً من سمنود مدّعياً أنها من قنا، فأمر بكسرها، وكان الذى جرت منه هذه الأحداث فى - عهد محمد على - كرهياً يسمى مصطفى كاشف، وقد أمر مرة أن يحمى حصانه فى الحمام، فاستغرب صاحبه من هذا الأمر، واعتذر بأن أرض الحمام ناعمة فربما زلقت رجل الحصان؛ فأمر أتباعه أن يطرحوه على الأرض ويضربوه حتى يأمرهم بالكف عنه، فلم يأمرهم حتى مات. وقد ألغيت هذه الطريقة من قريب، ولكنها ربت فى قلوب المصريين الرعب.

المحسنات اللفظية: يعتمد المصريون كثيراً على المحسنات اللفظية من جناس وسجع وكناية ونحو ذلك؛ حتى ليغيرون الكلمات أحياناً التماساً للسجع أو الجناس. فمثلاً يقولون: سيدى بندق ما صدق. وبندق لا معنى لها، إلا أنها فرش للسجع، ومن مثل إمعانهم فى الجناس قولهم:

محبكم داب وأنتم لم دريتو به
والنار بترعى فؤاده وأنتم لم دريتو به

ممن لا يقبله، بل إن أحب الناس إلى الناس هو رجل يركب سيارته صباحاً فيمر على المصالح المختلفة لقضاء الحاجات المختلفة، وكلما نجح في ذلك كان أقرب إلى قلوب الناس، مع أن نجاحه قد يكون ظلماً، وقد يكون على حساب آخرين مظلومين ليس لهم رجاء، وهكذا. وكان لى صديق - رحمه الله - رئيس مصلحة كتب على بابها "لا محسوبية لا رجاء"! ومع ذلك لم تنفع شيئاً، فقد بقيت المحسوبية وبقي الرجاء، كما أن اللافتة المكتوب عليها "ممنوع البصق" لا تمنع البصق.

ولكثرة فسوّ هذه العادة في مصر قالوا "يا بخت من كان النقيب خاله". وقالوا "ابن الوز عوام"، وقالوا: "اللى له ضهر ماينضربش على بطنه" وهكذا من كثير من الأمثال التي تدل على تغلغل هذه العادة في نفوسهم، وحتى سرت هذه العادة إلى الأولياء وأصحاب الأضرحة الأموات، فقالوا "المحسوب منسوب ولو كان معيوب"، تملقاً للمشايخ كأنهم أحياء يرزقون. وتقول لرجل إنى قدمت طلباً في وظيفة كذا، فيقال لك: ألك واسطة كبيرة؟ فإن قلت لا، قال لا! وبلغ من الجراءة أن تلصق على الطلب بطاقة من أوصى عليه أو انتسب إليه للنظر في ترجيح من أوصى عليه عند البت في الأمر. وكان من مساوئ نظام الحكم عندنا أن كل وزارة تأتي يكون لها لون من المحسوبين عليها، وفي نظير ذلك يكون لها خصوم، فإذا زالت وزارة اختفى المحسوبون عليها، وظهر

ليس له. والاعتیاد على هذا المنظر يقطع الرجاء، بدليل أن الناس لما ألفوا أن الامتحان في الابتدائية والبيكالوريا لا رجاء فيه، فقد يرسب ابن الوزير عدلاً، وينجح ابن الحاجب عدلاً، امتنع رجائهم في هذا الباب؛ فمن لنا أن تكون كل المصالح شأن الامتحان. ومن الغريب أن عدم المحسوبية بقدر ما يبطئ العمل أشهراً وسنين تعطيه المحسوبية سرعة البرق في لحظة.

أعرف مرة أن طلبت لى ترقية إلى الدرجة الثالثة فلم أوصى أحداً، ثم مكثت ستة أشهر دون أن أسأل عليها. فلما فلتت وسألت عن الأوراق قيل لى أن الدوسيه فقد. فحكيت الحكاية لكبير فأمر بإعداد دوسيه جديد، وفي ربع ساعة كان قد مر على الموظفين المختصين، لأن فلاناً أمر، وفي ربع ساعة أخرى صدّق عليه. ومن غريب الأمر في هذا الحادث أن كان لى صديق رقى معى في قرار واحد، وكانت ترقيته استثنائية، وترقيتى قانونية، فأما هو فكان محسوباً لوزير كبير بيده سلطة، فما تم القرار حتى أرسل إلى المالية فوراً وصدّق عليه في الحال، وخرج القرار فإذا مجلس الوزراء يوافق عليه في ساعة. وأما أنا الذي مطلبه قانونى فكانت قصته كما ذكرت.

وألعن ما في الأمر اعتياد الناس هذا واعتيادهم أن أمراً لا يتم إلا بالرجاء. ولذلك نجد حجرة الموظف الكبير تمتلئ كل يوم وتفرغ، ثم تمتلئ وتفرغ، حتى يعوقه ذلك عن عمله. ومن أسوأ ما في ذلك أن من يقبل الرجاء ويعين على الظلم، أحب إلى الناس

هو المكلف بتحصيل الضرائب وأموال الجباية.

ونظم البوليس والشرطة، واهتم كثيراً بالجيش وتقويته؛ وعلى أساس هذا الجيش أسست المدارس وأوفدت البعثات وعلمت الحرف المختلفة. ثم غير النظام المالي للبلد، فكانت أكثر الأَطِيان في ملكه، وكأف الملتزمين أن يثبتوا ملكيتهم، فلما لم يفعلوا جردهم عنها ووضع لهم مقداراً من المال محددًا يتقاضونه كل سنة، أو كل شهر، واستعان بالمصريين في أعماله، بعد أن كان لا يتولاها إلا الأتراك. وهذه الطريقة في الملكية لقيت تحبيذاً وانتقاداً، وأكثر التحبيذ كان من جانب الفرنسيين، لأنهم كانوا أنصاره، وأظهر النقاد كانوا من الإنجليز لأنهم كانوا يكرهون تقرب الفرنسيين وحظوتهم؛ يمثل ذلك ما كتبه كلوت بك الطبيب الفرنسي عن محمد على، فكل كتابه مديح؛ و"الين" الإنجليزي، فكتابته مسممة بالنقد، فقد قال إن كثيراً من أعماله قابلة للنقد.

وأياً ما كان فلا يختلف اثنان في أنه أخرج مصر من الحكم العثماني وجعلها مستقلة بذاتها. وهذا الاستقلال ألزمها الاعتماد على نفسها في المصانع والجيش والإدارة، ثم نقلها نقلة جديدة لما جره هذا النظام من تغيير في العادات المصرية والتقاليد، ثم أفادها باعتزازه بالنفس لما كسرت الجيش العثماني.

وقد أخذ عليه الشيخ محمد عبده في مقال له أنه أفقد المصريين شجاعتهم. ولا يزال

المحسوبون على الوزارة الجديدة، وهكذا دواليك؛ وفي كل هذا خسارة على الأمة. هذا عدا أن أناساً قويت عندهم حاسة الشم، فإذا أدركوا أن وزارة ذات لون خاص ستأتى أسرع فانتسبوا إليها وتظاهروا أنهم من رجالها. وقد كان هذا من مضار انقسام الأمة إلى أحزاب. فالحزبية لا تنجح مع شعب كهذا. وكثيراً ما نسمع في الأمم الأخرى عن استقالة وزير أو رئيس مصلحة لأنه طلب منه أن يفعل شيئاً لا يتفق مع العدالة. ولا يصلح هذه الحال إلا توالى وزارت مختلفة تلتزم العدل، وتفهم الناس أن المحسوبية لا تقدم ولا تؤخر، وتبرهن لهم على عدلها، لأن العدل وحده هو الحكم فيمن يصلح ومن لا يصلح، وتقيم البراهين على ذلك من نفسها بتنوير الناس أن رجلاً خير من رجل لكفاية لا لواسطة، وأنه يتحرى المصلحة العامة لا الخاصة.

محمد على باشا: نذكره أيضاً لأنه بدء مرحلة في تاريخ مصر؛ فقد غير النظم التي كانت تأسست في العهد العثماني وغير نظامها وحكومتها، فغير تقسيمات القطر المصري وبذل بها تقسيمات إدارية أخرى، تكفل للسلطة حصر الموارد، وقسمها إلى سبع مديريات، كل مديرية عليها مدير؛ اثنتان في الوجه البحري، وواحدة في القاهرة، وأربع في الصعيد. وقسم كل مديرية إلى مراكز، وكل مركز يرأسه مأمور، والمركز يشمل جملة قرى، وكل قرية يرأسها العمدة وشيخ البلد، وشيخ البلد

تقديره التام وتقدير أعماله فى ذمة التاريخ، كالعين إذا قربت من المبنى الضخم لم تستطع تقويمه. وقد كان الجبرتى المؤرخ رحمه الله جريئاً إذ نقده فى كتابه فى بعض تصرفاته. ولكن الحق يقال إن نظرات الجبرتى كانت جزئية، ولم يستطع النظرة الكلية والتقدير الشامل. وعلى كل حال فقد كان صفحة جديدة فى تاريخ مصر، فيها الحسن وفيها الردى.

المحمل: إطار مربع من الخشب، هرمى القمة، له ستر من الديباج الأحمر، وعليه زخارف وكتابة مطرزة تطريزاً فاخراً بالذهب على أرضية من الحرير الأخضر أو الأحمر، وله قماقم أربعة من الفضة المطلية بالذهب، وينتهى هذا الكساء بشراريب تعلوها كرات فضية يتفرع منها سلوك دقيقة. وللمحمل مصلحة حكومية لإعداد كل هذه المواد الخام وصنعها بالقاهرة يشرف عليها موظف كبير. والناس يتبركون عادة بالمحمل ويتمسحون بالكسوة، ويقبلون شراريبها، ومن استطاع ذلك كان له الفخر حتى كأنه قبّل يد النبى صلى الله عليه وسلم. والمحمل لا يحوى شيئاً إلا مصحفين صغيرين داخل صندوقين من الفضة المذهبة معلقين فى القمة. ويحمل المحمل على جمل ضخم، يتمتع أيضاً بما يتمتع المحمل من تبرك له، وإعفائه من العمل بقية السنة ويسمى جمل المحامل. وقد قامت ضجة حول المحمل بسبب أن المملكة العربية السعودية وهابية، وهى لا تؤمن

بالمحمل ولا بالأضرحة والقباب، وقامت أزمة شديدة من أجل ذلك بين السعوديين ومصر، وحل الأمر أخيراً بأن يحتفظ بشكل سفره، ولكن لا يدخل الحجاز على ما أظن. وهو قديم فى القاهرة من عهد شجرة الدر. ويحتفل به فى بعض شوارع القاهرة، ثم يحتفل به فى ميدان القلعة، ويحضر هذا الاحتفال من ينوب عن الملك والحكومة وأمير الحج وبعثته وبعض العلماء والكبراء، وقد اعتادوا فى هذا الاحتفال أن يقبل الأمير مقودّ الجمل. ويحتفل به مرتين فى العام: مرة عند طلوع الناس إلى الحج، ومرة عند عودتهم منه؛ وهو يثير فى الجماهير عواطف قوية شديدة نحو الحج.. وفى الاحتفال تضرب المدافع، وتغنى أغانى الحجاج... إلخ⁽⁸³⁾.

مخ الحمار: يصفونه دواء لبعض الأمراض الروماتزمية ويتعب المريض فى إحضاره. ويزعمون أنه يُشفى من المرض بسببه.

المخللاتى: المخللاتى من يصنع المخل، ويسمونه أيضاً الطرشجى. ويكاد يكون فى كل حى من أحياء القاهرة دكان أو معمل للطرشى هذا، مما لم أر له مثيل فى البلاد الأخرى. وهم يخللون فيه اللفت والخيار والجزر والبصل وهو أكثرها لأنه أرخصها. والناس يذهبون بسلاطينهم أو مواجيرهم الصغيرة ليشتروا منه بقرش أو لنصف قرش، فيضع فى القاع اللفت لأنه أكثر، ثم قليلاً من الأصناف الأخرى. ثم يضع عليه

مرقاً مخللاً لَوْنٌ بلون أحمر يسمى الدقة. والفقراء يعيشون كثيراً على الأكل منه. وكان في مَدِّنتنا في الكَتَّاب يأخذ سيِّدنا من كل ولد نصف قرش، وفي الظهر يرسل ماجورين صغيرين، يملأ أحدهما طرشياً بمرقه، ويملأ الآخر فولاً نابتاً بمرقه أيضاً. ويلتفت الأولاد حولهما فيأكلون من خبزهم ويلغوصون في المواجير. وقد يكون أحدهم مريض فيعدي الآخرين. وللمرحوم محمد (بك) جلال قصة أولها كان فيه واحد بياع طرشى؛ يختمها بقوله "الليفهش ما يخلهش" (84).

الناس حاق به الهلاك. فيقولون مثلاً إن سلطناً وقع اختياره على رجل فقير، فلما استوزر أغلظ للناس ونسى فقره، فاغتاظ زملاؤه. فلما ذهب لصلاة الجمعة مع السلطان وضعوا تحت سجادته صليباً ثم أعلنوا أمره فقتل وهكذا. وربما كان من أسباب كثرة ما يقع عليهم من ظلم الحكام والعسف بهم وكذبهم كثرة مداراتهم، وقلة صراحتهم، وعدم تمللمهم. وقد رأى الجاحظ حماراً يحمل عليه حمل ثقيل فقال: "لو هملج هذا ما حمل عليه". (انظر مجاملة)

مدد يا أسيادي: تعبير يقال عند زيارة شيخ يطلب منه المدد والإعانة.

المدفع: ليس يهمننا إلا أنه يستعمل عادة عند المصريين في مواقف خاصة. فيطلق عند الإفطار في رمضان، وعند السحور وعند الإمساك. ويطلق في أوقات الأذان في الأعياد: صباحاً، وظهراً، وعصرًا، ومغربًا، وعشاءً. يطلق في كل مرة إحدى وعشرين طلقة، وكذلك في بعض المناسبات كعيد الدستور ونحوه. هذا في الأفراح. وقد يطلق في الأحزان كإعلان موت أحد من البيت المالِك سابقاً. ويطلق أيضاً طلقة واحدة عند ظهر كل يوم.

وإذا كان أغلب ما يستعمل في الأفراح قلده الأطفال في إطلاقهم البارود مصغراً في الأعياد والمواسم. المسلمون في أعيادهم، والأقباط في أعيادهم.

المدارة: والمصريون يتقونها ولهم في ذلك الحكاية المشهورة "أنا خادم الباذنجان ولا خدام عندك"! فيرون أن سيِّداً سأل طاهية: ماذا تطبخ لنا اليوم؟ قال له أمرك! قال له ماذا تقول في الباذنجان؟ قال له ما شاء الله! طو لذيذ الطعم، وظل يمدح فيه زمناً طويلاً. ثم قال له سيده: ولكنه حارّ يعطش، فأخذ الطاهي يذمه أيضاً. قال له السيِّد: إنك كنت تمدحه. فقال: الطاهي أنا للباذنجان أم لك؟ وقد نظمها شوقي بك في شعره. ومن أمثالهم المشهورة "إن دخلت بلد أهله يعبدون العجل حشّ وادبيله" وقالوا أيضاً: "ارقص للقرد في دولته". وقال شاعرهم:

ودارهم مادمت في دارهم

وحبهم مادمت في حبهم

وأحسن العشرة مع بعضهم

يعينك البعض على كلهم

ولهم حكايات كثيرة على أن من لم يجار

المُرّ: يستعملونه هو والصبر كثيراً فى كلامهم، بمعنى تجرّع الغصص، فيقولون شربت المرّ، وسقاه المرّ من كبعائه، وشفّت المرّ، وذفته حل على مرّ، وشربت كاس المرّ وهكذا.

المرأة: المرأة المصرية مشهورة من القدم بخصائص، وحتى الأجانب الذين زاروا مصر لفت نظرهم خفة روحها، وجمال عينيها العسليتين، وحسن قوامها، ولطافة تقاطيعها، وجمال مشيتها، وظهور أنوثتها. وقد ذكرهن هيرودوت أبو التاريخ فى كتابه، فوصفهن وصفاً غريباً إذا قال: "إن النساء فى مصر يخرجن إلى الأسواق ويتعاطين التجارة، والرجال يقيمون فى البيوت ويشغلون فى النسيج، ورجال مصر يحملون الأحمال على رؤوسهم، والنساء على ظهورهن. وأولاد الرجل الذكور إذا لم يشاؤوا أن يقوموا بمعاش آبائهم لا يجبرون، أما الإناث فإذا امتنعن يجبرن".

وقد اكتشف أخيراً وثيقة من وثائق قدماء المصريين فيها أن الرجل يتعهد أن يمهر زوجته عند تمام الزواج بمبلغ معين ينقدها إياه لتشتري به ثيابها، ويؤكد أن يدفع المبلغ فى السنة الأولى. ويتعهد بأن يجعل أكبر أبنائها منه وارثاً لكل ممتلكاته، وأن يدفع لها غرامة إذا تزوج عليها غيرها.

ومن العوائد التى كانت مرعية قديماً أن يتزوج الرجل المرأة سنة زواجاً مبدئياً، فإذا وافق مشربه ثبت زواجها وسلم لها كل ماله، وإذا لم توافق مشربه ردّها إلى أهلها بعد دفع

تعويض. ثم إذا هو ثبت زواجها صار كأنه رقيق لها، فلا يخالف لها أمراً ولا يتصرف تصرفاً إلا بإذنها، وإنما يجب عليها شئ واحد هو أن تعوله فى حياته، وتقوم بنفقة مأتته وتحنيطه فى مماته. ولشدة سلطانها كان الرجل ينسب إليها فيقال إنه زوج فلانة وينتسب أولادها إليها فيقال فلان ابن فلانة. ومن أجل ذلك قال ديورودوس "إن الرجال كانوا عبيداً للنساء". ويقول هيرودوت: "إن المرأة كانت تباع وتشترى أيضاً كالرجل، والرجل يحبك ويغزل كالمرأة. ويظهر أن التاريخ يعيد نفسه، فنحن فى مصر الآن سائرون فى هذا الطريق".

وقد جرت على ألسنة الشعب المصرى أمثال تدل على نظرة الرجل للمرأة منها: (1) هنيّاك يا من عاش بلاهم، وخلص من بلاهم، (2) المرأة ضلع أقصر، ولسان أطول، (3) جو يخطبها تدللت، راحوا تركوها تدللت، (4) لو محبة العرس تدوم، كانت القيامة ما بتقوم، (5) قال لها يا مره اطبخي طيب، قال يا راجل كتر إدام .. إلخ.

والمرأة المصرية ككل نساء العالم فى طباعهن مما يمتزىن به عن الرجل، وما يمتاز به الرجل عنهن. وقد قتل ذلك الموضوع بحثاً علماء الفسيولوجيا وعلماء النفس والاجتماع، ووصلوا من ذلك إلى نتائج مختلفة. وعلى العموم ربما كان محل اتفاق أن عواطف المرأة أرفف، وعقل الرجال أقوى، إلى آخر ما قالوا.

وتحكى حكايات فى المجالس الخاصة يفرط فيها القائلون فى حوادث الغرام، ونحو

وهن يصبغن أظافرهن باللون الأحمر غالباً، وكان في القديم يلون بالحناء. وتنزين الفلاحات بالوشم، ويسمونه الدَّق؛ وقد مرت المرأة الأوروبية بهذا الدور، ثم اقتصرت أخيراً في الزينة، وهذا ما نحن سائرون فيه.

وأجمل النساء المصريات من كانت من أصل شركسي، وكثيراً ما كانت تتألف منهم الحظيَّات في القصور ودور الأغنياء. وجمالهن من بياض بشرتهن وحسن تقاطيعهن الزاهية وقلما يباريهن فيه أى جنس غيره. هذا إلى عنايتهن بالملابس وتزويقها، واختيارها من الألوان، وتحليتها بالجواهر واختراع كل حين بدعاً يسمى موضحة، وإكثارهن من الكلام الناعم وترقيق الصوت والخلاعة في المشية والحديث ونحو ذلك. وعنايتهن بتفصيل أثوابهن حتى يبيدين زينتهن.

وربما كان هذا كله سبب كثرة الأحاديث عنهن واتهامهن بأكثر مما تتهم به المرأة في البلاد الأخرى، وقد يكون ذلك حقيقة إذا نظرنا إلى ما يسود الرجال من كيوف، فليس لذلك كله قصد إلا النساء.

وقد اشتهرت المرأة المصرية بأن كيدها عظيم، وأن كيدها يغلب كيد الرجال؛ وكن قبل الحركات الأخيرة يعيشن فيما يسمى الحريم جاهلات غير متعلمات، بين الخادمت والأغوات، مع ما يبذل الرجال من تزويق الحريم وتجميل.

وفي الأزمان الماضية كان المحارب المهزوم إذا التجأ إلى الحريم أصبح أمناً

ذلك مما لا تخلو منه أمة من الأمم؛ وهم يرون أن هذه الحوادث حين الحجاب كانت أكثر مما هي بعد السفور. والسبب في ذلك أن المرأة في القديم كانت في الطبقي الوسطى والعليا فارغة ليس لديها ما يشغل زمنها، إذ عندها في البيت خادمت وخادمون يقضون كل حوائج البيت، وليس لديها علم حتى تقرأ الكتب وتحسن قراءتها. وهي في المجلس تسمع من زوارها الأحاديث الفارغة وأحاديث الغرام، فتتصرف بكليتها إلى ذلك فلما كثر عملها قلَّ زللها. ومن قديم قال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للمرء أى مفسدة

وليس الذنب ذنب النساء وحدهن بل يشاركهن الرجال في ذلك.

وقد كنت في استانبول في سنة 1928 فقال لي رجل تركي مثقف: إن سمعة مصر عندنا ولا مؤاخذه، تتلخص في ثلاث كلمات: شهوت، وغفلت، وثروت. والى الآن تتدفق في أوروبا كل صيف أموال المصريين الوافرة على القمار والنساء، مما لا يرى مثيله بين السائحين. وتميزت المرأة المصرية بتبرجها وبهرجتها بما تسبى به عقول الرجال من ترقيق الحواجب واستعمال الكحل في إناء صغير من الفضة أو البلور، ويسمونه المكحلة يدخلن فيه عند الاستعمال عوداً كذلك من الفضة أو البلور يسمى المرود. ومن الأمثلة العامية المشهورة "جبال الكحل تغنيها المراد" وهذا الكحل يجعل الأجفان سوداء براقاً،

التعلم، وأصبح المسكن معداً للأزواج والزوجات على السواء من غير حريم. ولا بأس للمرأة أن تركب الترام مع الرجال، وهكذا. فهذه العوامل قربت في الأخلاق بين الجنسين، وفي التعليم بين الصنفين، وأزالت كثيراً من الفروق. ولما وجدت المرأة نفسها متعلمة، اعتزت بنفسها ورأيها، وأبت أن يسود عليها الرجل، وطالبت بالمساواة في كل شيء، حتى تكون منتخبة ومنتخبة، وستنال ذلك قريباً أو بعيداً.

وتتمتاز المرأة المتعلمة بتقليلها للزينة والتبرج، كما كانت أختها من قبل، وملء وقتها بالقراءة والمطالعة والفنون الجميلة من رسم وتصوير وموسيقى، وميل إلى قلة الأولاد حتى يكون لهن وقت من الفراغ، وتربية الأولاد على أساس علمي لا خرافي، ومطالبتها بالسلطة المنزلية، وكثير منهن بلغ الغاية في ذلك، فأخضعن الرجال لإرادتهن كما كان الحال في عهد هيروودوت، بل بدأت في مزاحمة الرجال في العمل. فأصبح منهن المحاميات والطبيبات، بل والمهندسات والتجارات والموظفات في الحكومة. وعلى الجملة فهن يسرن إلى غايتهم بخطوات واسعة⁽⁸⁵⁾.

المراباة: شاع بين المصريين التعامل بالربا مع حرمة دينهم. ومن الغريب أنهم يستييحون أخذ المال بالربا ولا يستييحون إعطاء المال بالربا، ولذلك كان أكثر المرابين أروماً أو أرمناً. وكانوا فيما مضى يتغالون في الأرباح إلى أن قيدها

حتى في عهد المماليك. وكن ينتقلن قبل السيارات على حمير، وكن يقبلن هذه المعيشة عن رضا واختيار، وكل متعتهن في الغالب داخل بيوتهن، قلما تسربت إليهن أخبار النساء في أوروبا وسيطرتهن، وخضوع الرجال لهن، وحسن معاملتهن، ثار النساء المصريات على أوضاعهن.

وكان نابليون يحكى في مصر حكاية غريبة، وهي أن أحد كبار الفرنسيين واسمه "منو"، وتسمى بعبدالله بعد إسلامه، تزوج امرأة من رشيد وعاملها معاملة السيدات الفرنسيات، فكان يقبل يدها ويمشى وراءها إلى غرفة الطعام، ويجلسها أوفق مجلس، وإذا وقعت الفوطة من على رجليها، ناولها لها. فلما روت الزوجة هذه المعاملة وأمثالها على النساء في أحد حمامات رشيد ملن إلى تغيير أحوالهن وتعهدن أن يحملن أزواجهن على مثل هذه المعاملة. وقد تسربت أخبار هذه الحادثة من رشيد إلى سائر القطر. هذا ما عدا ما تنقله السائحات المصريات من أوروبا إلى مصر.

ومن قديم حمل الرجال كثيراً على النساء حتى إن أبا العلا المعري أكثر القول في لزومياته في استهتارهن ودعوتهن إلى لزوم بيوتهن.

وقد بُنى نظام الحياة الاجتماعية على فصل الرجال عن النساء، في المسكن، وفي التعليم، وفي الركوب، ونحو ذلك. فسبب هذا انحطاطاً للمرأة، كما سبب انحلالاً في الأخلاق والعادات. ثم تغير هذا كله فاتصلت الفتاة بالفتى في

رماد هذه النار كان يستعمل فى البناء: يخلطونه مع الجير والرمل، ويسمونه "الفُصْرُمل"، وهو أسود اللون بسبب احتراقه؛ ويشبهون عادة الرجل القذر المعبر فيقولون: زى الخارج من المستوقد.

المسحراتى: رجل يمسك بيده اليسرى طبله، ويده اليمنى سيّراً من الجلد أو خشبة يطبل عليها فى رمضان وقت السحور. ويغنى لذلك أغاني مناسبة بنغمات خاصة، ويكون لأغانيه سحر خاص، لأنه يغنى ويطبل فى وقت خشعت فيه الأصوات، وقألت الحركات. ويفعل كذلك طول شهر رمضان، ثم يمر على البيوت فى العيد يتقاضى أجره.

ومما يلاحظ غرابة هذه النسبة. وهى نسبة قد يستعملها المصريون، كالمكباتى والعجلاتى والمبخراتى، وكان القياس أن يقال المسحّر فقط. والنسبة فى اللسان العامى على أشكال مختلفة، إحداها هذه، وأخرى مأخوذة من اللسان التركى، وهى إضافة "جى" على الآخر، فيقولون جزمجى وخردجى وعربجى، وهناك النسبة العربية كليثى ودمشقى، وهناك زيادة الواو والياء بعد الألف مثل طنطاوى ومعداوى وعبداللاوى. ومنها النون والياء بعد الألف مثل معجبانى، للرجل المعجب بنفسه، وكنفانى.

مسكّه بهديله: تعبير يعنى أنه شهّر به وهجاه.

القانون بتسعة فى المائة. ومع ذلك فللمرابين وسائل ماكرة فى الحصول على أرباح أكثر من ذلك. وينتشر الأروام فى بلاد الفلاحين وينتهزون فرصة الحاجة إلى المال ويمدّونهم به، فإذا لم يدفع المدين الفائدة تضاعفت هذه الفائدة المطلوبة. أضف إلى ذلك ما يستتبع هذا من مغالطة فى الحساب، ومن أساليب خدّاعة لا يستطيع أن يفهمها الفلاح البسيط.

وفى القاهرة نوع من النساء المرابيات تعطين الجنيه بفائدة قرشين أو ثلاثة فى الشهر وتدّعين أنهن يعملن ذلك خدمة للمحتاجات وكم أفلست بيوت من جرّاء هذا الربا.

المراكبى فى حساب والنوتى فى حساب: تعبير يقال لاثنين أو أكثر كلّ يرمى حسابه على أساس.

المسألة دى ريحتها فاحت: تعبير يعنى أنه كثر فيها الكلام السيئ.

المستوقد: فى كل حى تقريباً مستوقد تأتى إليه طائفة الزبالين بالزباله يرمونها فيه. وهؤلاء الزبالون عادة من أهل الواحات الخارجة أو الداخلة. وهم يوقدون هذه الزباله، ويستخدمونها فى أغراض شتى، فيحمون بها الحمام الذى يكون بجوارها عادة، وينضجون فيه قدر الفول المدمس التى يأتى بها باعة الفول فى أول المساء ويستلمونها فى الصباح الباكر. وما تبقى من

قليلاً من البن المطحون، ثم يعيدونها إلى النار وينتظروا حتى تبدأ في الفوران. وهي منتشرة في مصر، وقلّ أن يخلو أحد من مشربها. وهي تقدم في الصباح عند الفطور، وللضيف عند زيارته لأى بيت فى أى وقت. وهي تقدم فى فناجين صغيرة تأتي عادة من اليابان أو الصين أو يوغوسلافيا؛ ولكل فنجان طبقه الصغير. وبعض النساء لا يتكيفن من القهوة إلا إذا عملنّها بأيديهن على نار من الفحم الهادئ. ويلى هذه الطريقة ما يسمى بالقهوة الفرنساوى، وهي عادة تصنع من اللبن الجريش، ويستعملها بعض الممدنين.

وعندما اخترعت قهوة البن اختلف علماء الدين: أهي محرمة أو محللة وألفت الكتب فى تحريمها وتحليلها، مثل "كتاب الصفوة فى حلّ القهوة"، ثم انجلى هذا الخلاف على إجماع على حلها.

وبعض النساء من المصريات يتخذن فنجان القهوة وسيلة لمعرفة الغيب عن الرجل أو المرأة؛ فإذا شرب من يريد معرفة مستقبله كفاً فنجانها فى الطبق وصبر قليلاً، ومن العادة إذا كفى هكذا أن تتبين فيه خطوط وتعريجات تقرأ فيها المتنبئة أو المتنبئ بالمستقبل حسبما يرى أو ترى.

وبعض الناس يستعملها "سادة" أو بسكر قليل أو كثير.

وهناك فى مصر قهاوى كثيرة تقدم فيها القهوة بجانب المشروبات الأخرى. فتقدم فيها القهوة فى فنجان بطبق حسب الطلب، ومعها كوب من الماء على صينية من

المش: هو الطعام الأساسى للفلاحين؛ فأكثر ما تحمله المرأة الفلاحة إلى زوجها فى الغيط هو المشّ القديم فيه جبن قريش ومعه خبز كثير "بتاو" فيأكله مع البصل الأخضر أو الكرات، ويشرب الماء القذر من القناة، وربما لا يذوق الفلاح اللحم طول السنة من العيد الكبير إلى العيد الكبير. والمش أنواع: خيره ما يسمى "مش الحصير" وهو يؤكل فى المدن أيضاً بعد أن يضاف عليه قليل من الزيت والليمون، وكثيراً ما يصاب بالدود؛ وهم يعتقدون أن الدود يتولد منه، وهو اعتقاد خاطئ، فقد أثبت العلم أن الحى لا يتولد إلا من الحى.

ومن الأمثال المشهورة عندما يرون أسرة دب إليها الفساد، وتعادى بعضهم مع بعض أن يقولوا: "زى دود المش منه فيه". وأكثر ما يخزنه الفلاحون بلاليص المش. وكثيراً ما يحدث أن لا يتبقى للفلاح غير المش بعد أن يدفع ما عليه من مال وواجبات. وهم يعتقدون أن المش مع البصل يطرد الجرب. ومن أمثالهم "زى المش، كل ساعة فى الوش".

المشروبات: أكثر المصريين المسلمين لا يشربون الخمر لنهى الإسلام عنها، ويكتفون بشرب الماء على الأكل. ولكن لهم مشروبات أخرى؛ من ذلك قهوة البن. وطريقتهم فى ذلك أن يجلبوا البن من اليمن أو البرازيل أو نحوهما، ثم يحمصوه، ثم يطحنوه، ثم يغلوا الماء فى التتكة "الكنكة"، ثم ينزلونها من على النار ويضعوا فيها

والمعدن. والمقهى عادة محل لمقابلة من يراد مقابلته لحديث أو قضاء عمل أو لقضاء وقت فى نرد أو شطرنج أو كلام فارغ. ومن مشروباتهم الشاي، والقرفة، والزنجبيل واليانسون والمغات. وإذا كانت البلاد حارة والماء قليلاً يصعب الحصول عليه، وجدت دكاكين الشربتلية تبيع الخروب والتمر هندي والليمون... إلخ. ويوجد باعة متجولون فى الشوارع يبيعون العرقسوس والليمون فى جرة لها بزبوز أو بطرمان له بزبوز كذلك. ويشبهون الدم الخفيف بالشرابات فيقولون "دمه زى الشرابات".

وقد رأيت أهل الواحات الخارجة يستعملن الحلبة المدقوقة شراباً لذيذاً بارداً يدفع العطش. ومن الأشربة التى كانت مستعملة نبيذ البلح أو الزبيب أو التين. وكان أمام باب سيدنا الحسين فى القاهرة محل كبير لبيع هذه الأنبذة. وفى الأيام الأخيرة وجد فى مصر والإسكندرية دكاكين لبيع مشروبات سموها "جنة الفواكه"، فهى تبيع عصير البرتقال وعصير القصب فى الشتاء، وعصير الأناناس والخرشوف وحب العزير والمانجو والعنب فى الصيف. وفيها قسم لبيع مزيج اللبن بالقهوة أو الكاكاو، وغير ذلك. وكلها تدور بالكهرباء على آخر طرز. وكثيراً ما كنت ترى فى القاهرة يباعى العرقسوس والخروب والليمون، وهم عادة يضعون فى أيديهم بعض أطباق نحاسية، وبعضهم يستطيع أن يوقع عليها نغمات موسيقية جميلة، فيلفتون إليهم الأنظار.

المعدن. والمقهى عادة محل لمقابلة من يراد مقابلته لحديث أو قضاء عمل أو لقضاء وقت فى نرد أو شطرنج أو كلام فارغ. ومن مشروباتهم الشاي، والقرفة، والزنجبيل واليانسون والمغات. وإذا كانت البلاد حارة والماء قليلاً يصعب الحصول عليه، وجدت دكاكين الشربتلية تبيع الخروب والتمر هندي والليمون... إلخ. ويوجد باعة متجولون فى الشوارع يبيعون العرقسوس والليمون فى جرة لها بزبوز أو بطرمان له بزبوز كذلك. ويشبهون الدم الخفيف بالشرابات فيقولون "دمه زى الشرابات".

وقد رأيت أهل الواحات الخارجة يستعملن الحلبة المدقوقة شراباً لذيذاً بارداً يدفع العطش. ومن الأشربة التى كانت مستعملة نبيذ البلح أو الزبيب أو التين. وكان أمام باب سيدنا الحسين فى القاهرة محل كبير لبيع هذه الأنبذة. وفى الأيام الأخيرة وجد فى مصر والإسكندرية دكاكين لبيع مشروبات سموها "جنة الفواكه"، فهى تبيع عصير البرتقال وعصير القصب فى الشتاء، وعصير الأناناس والخرشوف وحب العزير والمانجو والعنب فى الصيف. وفيها قسم لبيع مزيج اللبن بالقهوة أو الكاكاو، وغير ذلك. وكلها تدور بالكهرباء على آخر طرز. وكثيراً ما كنت ترى فى القاهرة يباعى العرقسوس والخروب والليمون، وهم عادة يضعون فى أيديهم بعض أطباق نحاسية، وبعضهم يستطيع أن يوقع عليها نغمات موسيقية جميلة، فيلفتون إليهم الأنظار.

وقد رأيت أهل الواحات الخارجة يستعملن الحلبة المدقوقة شراباً لذيذاً بارداً يدفع العطش. ومن الأشربة التى كانت مستعملة نبيذ البلح أو الزبيب أو التين. وكان أمام باب سيدنا الحسين فى القاهرة محل كبير لبيع هذه الأنبذة. وفى الأيام الأخيرة وجد فى مصر والإسكندرية دكاكين لبيع مشروبات سموها "جنة الفواكه"، فهى تبيع عصير البرتقال وعصير القصب فى الشتاء، وعصير الأناناس والخرشوف وحب العزير والمانجو والعنب فى الصيف. وفيها قسم لبيع مزيج اللبن بالقهوة أو الكاكاو، وغير ذلك. وكلها تدور بالكهرباء على آخر طرز. وكثيراً ما كنت ترى فى القاهرة يباعى العرقسوس والخروب والليمون، وهم عادة يضعون فى أيديهم بعض أطباق نحاسية، وبعضهم يستطيع أن يوقع عليها نغمات موسيقية جميلة، فيلفتون إليهم الأنظار.

مشى لحال سبيله: تعبير يعنى انصرف لوجهه.

المصارع: هو رجل كان يلبس لباساً من الجلد ونصفه الأعلى عريان، وييده زخمة، ويسمى مصارعاً، يضرب بها على رجله أحياناً. وكان يمشى فى الزفات بدعوى أنه يحرسها من الخصوم؛ وهى مأخوذة من المصارعة، فقد كانت أشكالا وألواناً. فمصارعة اللكمية، وهى الضرب بجمع اليد على قوانين خاصة، والمصارعة بالنبايت. وقد تكون المصارعة مصارعة فرد لفرد، وقد تكون مصارعة جماعة لجماعة، كمصارعة الفتوات فى الجبل. وعامة المصريين ينطقونها بالسین.

المصايف والمشاتي: اعتاد المصريون خصوصاً أهل القاهرة أن يتغلبوا على الجو بالمصايف والمشاتي، فيصيفون فى الإسكندرية، أو رأس البر عند دمياط، أو بورسعيد، ويشتون فى الأقصر أو أسوان أو حلوان.

وكثير من الذوات وأولادهم يفضلون التصييف فى أوروبا، كسويسرا وشمال إيطاليا وهناك ينفقون النفقات الطائلة، حتى عرف المصريون هناك السرف فى الترف والشهوة، وعدم اللامبالاة بالمال، واللعب على موائد القمار. ومن أجل ذلك لا تعجبهم المصايف المصرية ولا الشرقية، لأنها أقل حظاً من الملاهى وأدعى إلى التحرر من القيود التى تتطلبها معرفة الشخص.

المصحف: كثير من الناس يتبركون بحمل مصحف صغير الحجم على صدورهم. وقد يوضع فى علبة صغيرة ذهبية، ويعلق فى سلسلة ذهبية أيضاً. وكثير يضعونه تحت رؤوسهم إذا ناموا ليمنع عنهم الأذى.

وقد بالغوا فى العناية بخطه وتحليته بالذهب وما إلى ذلك، واختيار الورق الذى يطبع عليه. وإليه ينسبون عدم الأذى والضرر، فإذا هبّ حريق فى البيت فأطفئ، أو فشل سارق فى سرقة شئ، نسب ذلك كله إلى وجود المصحف فى البيت. وقد لا يكون الرجل متديناً فلا يؤدى الصلاة ولا الصوم، ومع ذلك يحرص كل الحرص على اقتناء المصحف. وهو كثير الانتشار بين المسلمين، يعتقدون فيه الاعتقادات الكثيرة هو والبخارى. ومن حين لآخر تطبع دار الكتب مائة ألف نسخة مثلاً أو أكثر فلا تلبث أن تذهب. وهم يحافظون على خط المصحف، وهو الخط العثماني، نسبة إلى عثمان بن عفان، فيكتبون الصلاة والزكاة بالواو، ورحمة الله بالتاء المفتوحة أحياناً والمربوطة أحياناً؛ ومن أجل ذلك لا يحسن قراءته إلا من كان يحفظه من قبل. وقد اشتهر الأتراك بحسن الخط فى المصحف. وإذا أراد بعض المصريين تأكيد القسم أحضروا المصحف واستحلفوا الذى يراد تحليفه بقوله: وحياتك يا دى المصحف، أو حياة المصحف ده واللا أعدم عينى وهكذا.

وشغف بعض الفنانين بجمع المصاحف الخطية المطبوعة. وأعرف منهم من أنفق

كل ثروته في ذلك، كالأخرين الذين ينفقون أموالهم في جمع السجاجيد العجمية.

المصرية: للشخصية المصرية خصائص ظاهرة بسبب أنها تداول عليها أمم كثيرة من يونان ورومان وفرس وعرب ومماليك وشراكسة وأتراك وفرنسيين وإنجليز وطيغان ومع ذلك هضمتهم أكثر مما هضموها.

نعم قد أخذوا بعض عوائد وكلمات واستعمالات، ولكن ما أثرت هي فيهم أكثر، وربما كان أقل الأمم تأثراً بالإنجليز، لأنهم أبوا أن يندمجوا في المصريين وترفعوا عن مخالطتهم والزواج منهم، إلا في القليل النادر. وكما أن لرجولتهم سحنة خاصة، ربما كان من أصعب الأشياء وصفها. فهي شخصية ذكية فنية، تدرك الجمال وتتذوقه، ذات عواطف حادة يؤثر فيها الكلام الناعم، شهوانية تستعين كثيراً بالعقاير التي تثير الشهوة، وتكثر من الكلام في وسائلها، تحب الأرض وتحب الالتصاق بها، وتكره السفر من بلد إلى آخر. صبورة على تحمل المشاق، حتى كاد صبرها أن ينقلب رذيلة، فهي قلّ أن تثور لظلم يلحقها ولا لكارثة تنزل بها ففعلت بها الأمم المحتلة الأفاعيل الشنيعة، ومع ذلك تحملت وارتقت الفرج، ولكن مع صبرها وحلمها، إذا ثارت حطمت كلّ ما أمامها من دون إدراك للعواقب، وقبل أن تثور تفرج عن نفسها بنكتة لاذعة أو أغنية لامعة أو مثل تستعمله، يغلب عليها الكرم أكثر مما تغلب عليهم الشجاعة، وهم

سريعو النسيان للحوادث، فمن عاملهم معاملة سيئة ثم أعقب ذلك بحسنة نسوا السيئات بجانب الحسنة، كالحاكم التركي قد يغلو في الظلم ثم يتبع ذلك ببناء مسجد أو حجة يحجها أو سبيل ينشئه أو مصحف يحمله أو نحو ذلك فيغتفرون له إساءته. يغلب عليهم السرور حتى كان من الغريب أن أكثر الناس شقاء أكثرهم مرحاً وغناء، كأن الطبيعة تعوّضهم بذلك عن بؤسهم، وهم كثيراً ما يخدعون بالمظاهر، ويميلون إلى الكسل حتى لتجد الرجل ليس عنده قوت يومه ثم لا يتحرك لكسب الرزق، وإذا كسب مالاً انقطع لينفقه في سخاء، ولم يحسب حساب المستقبل وقال اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب. يتجلى ذلك كله في الأمثال الدائرة على ألسنتهم، والأقوال الشائعة التي ينطلق بها عجايزهم، كما يتجلى ذلك بمقارنتهم بغيرهم من الأمم.

المعجون: المعجون والمنزول بمعنى واحد. وهو منتشر بين الطبقات وخصوصاً طبقة الفقير. وهو مما يضرها ضرراً بليغاً. والقصد الأكبر منه تخدير الأعصاب عند الاتصال الجنسي؛ وهو مزيج من بعض العقاقير يضاف إليه بعض من الحشيش، ويعجن جيداً. ولذلك يسمى المعجون.

ويسمون الرجل الذي يبيعه "تحفجى" ويسمى المعجون نفسه "تحفة"، وكم له من ضحايا كثيرة بسبب الحشيش الداخل فيه، وبسبب تهيج ما يضاف إليه من بهارات للأعصاب. وقد يضيفون إليه شيئاً من العنبر

لتحسين رائحته ولتنشيط الدورة الدموية.
وأعرف شاباً من أولاد الأغنياء كان ذكياً
مؤدباً في سن الثلاثين، ورث أموالاً طائلة،
وكان متزوجاً. فلما حصل على هذا الإرث
احتاط به جمع من الشباب الفاسد، فتزوج
بأخرى. وبعد أسابيع قليلة تزوج بثالثة، ثم
برابعة، وسقط في هذه العادة الرديئة.
ويجمع هؤلاء الأربعة كل ليلة ويتلاعبون
ويرقصون ويغنون ويفعلون الأفاعيل
الشائنة، لأنه في حالة الذهول. وأخيراً
ضعف عقله، وانحطت قوته، حتى صار لا
يقوى على المشى، وإذا تحرك للضرورة
أسندوه إلى أن يعود إلى فراشه، ولا يقوى
على وضع اللقمة في فمه، واستمر على هذه
العادة الرديئة حتى مات.

وكنّا في مجلس فأتت هذه السيرة فقال
الأخر : كنت أعرف رجلاً أفغانياً ادعى أنه
يستحضر الجان، وكان يتاجر في بعض
السلع فاشترى حماراً ووضع عليه خرّجاً،
وكان ينتقل في الأرياف حتى وصل أمره
إلى المنصورة. ونزل ضيفاً على رجل
وادعى أنه يستحضر الجان. وكان المضيف
مضطراً إلى مباشرة أطيانه، فكان يتركه
في البيت ويذهب إلى عمله، وهو يدعى أنه
يستحضر الجان، فاتصل بنسائه، وما زال
على ذلك الحال وهو يتعاطى المنزول إلى
أن صار لا يفيق منه، فوقع في إغماء شديد
واضطر معه لإحضار الطبيب، فلما أفاق
هرب.

وقال آخر: كنت أعرف شاباً متعلماً من
ذوى الشهادات العالية، ثم وظف في

الحكومة، وورث عن أبيه بعض المال،
وانهمك في المعجون حتى كان يسكن في
ماخور من المواخير، واختلط عقله أخيراً،
فكان يتكلم كلاماً ربيعاً، ولكن سرعان ما
ينتقل من موضوع إلى موضوع. ثم يطيل
الصمت ثم يرفع رأسه ويلتفت يميناً وشمالاً
ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، لا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم. وكثيراً ما كانت
تنهمر الدموع من عينيه إذا أفاق.

وقال ثالث: كنت أعرف رجلاً تجاوز
الخامسة والثلاثين، كاتب حسابات في إحدى
المديريات، وكان أديباً لطيفاً، لا يأخذ عليه
مَنْ جالسه أقل شئ. ثم وقع في المعجون
فأصيب في عقله، فكان إذا رأى من بعيد
مطربشاً هرب منه خوفاً من أن يعرفه.

وقال رابع: جاء رجل كردى إلى مصر
وأقام بها وتزوج، ثم ماتت زوجته فروث
بعض الشئ من قريب له، ثم وقع في هذا
المعجون، وأخيراً أشعل النار في نفسه،
وهكذا من ضحاياها.

وهم يسمون المعجون أحياناً "لسان
العصفور" و"الببل" و"حلاوة سمسمية"
و"خلطة عنبرية" و"حجر الذخيرة" .. الخ.
وهو منتشر في مصر انتشار الحشيش لأنه
نوع منه حتى اضطرت الحكومة أخيراً إلى
تشديد العقوبة عليه.

المعدّدة: هى امرأة تدعى للغناء بنغمة
حزينة فى مجمع النساء من المآتم. وهى
تسقى أولاً عن الميت ومَنْ هو، وعلى أى
حال كان، وما فضائله ومزايده. وتصوغ من

والنساء هذا الخبر؛ الرجال لإرواء شهواتهم، والنساء لتسر موقفهن. والله أعلم.

المغسل: كان فى جوار بيتنا قريباً من ميدان المنشية مكان معد لغسيل القتلى والمشنوقين. وكانت تحضر إليه القتلى ملوثين بدمائهم. وكان النساء يهجمن على هذا المغسل إذا علمن بقتيل، فتغمسن بعض الثياب فى دمائهم، يدعين أن ذلك يجبل من لم تحبل.

المفارقات: هى نوع من أشهر أنواع الفكاهات المصرية، ويعنون بها الجمع بين شئ ونقيضه، أو ما يبعد عنه ويخالفه، ذلك مثل قولهم: "البردان يفلع عريان". وفى هذا الباب طرف مليحة كثيرة. وقد أكثر منها الشيخ حسن الآلاتى فى كتابه "مضحك العبوس"؛ من ذلك قوله: "روح خد لك مكان فى خان جعفر، بيع جلة ونيفة وكذب أخضر". وخان جعفر هذا سوق مشهورة فى طنطا، يباع فيها الحرير والجوخ والأصواف القيمة. ومثل قوله: "قال لها وحية جمالك وافتنانك، قصدى فى الهوى أفلع سنانك" والمفارقة فى قوله "قصدى أفلع سنانك". ومن ذلك أن رجلاً فلاحاً من أهالى الشرقية كان ذكياً وكان خفيف الروح ذهب إلى خان جعفر هذا ووقف على دكان من دكاينه المشهورة بالأجواخ والأصواف والحراير وأخذ يقلب النظر فيها، ودعاه صاحب الدكان وقال له تفضل يا عمدة! فلم يأبه به، ومكث ينظر طويلاً، ثم اتجه إلى

كل ذلك كلاماً فى تعديدها يثير كوامن النفوس، ولها لسان فصيح وقدرة تامة على الإبكاء، وبعضهن يصحبن معهن الدف، فيثرن بذلك دوافع اللطم على الوجه، خصوصاً فى الأوساط الدنيا. وبعضهم يستعملن فى هذا أيضاً النيله يصبغن بها وجوههن، ولها طرائق فى التعديد. فتشعب حديثها إلى نواح كثيرة، مرة على الغرقى ومرة على الحرقى ومرة على القتلى، ومرة على الموتى بأنواع مختلفة، وفى كل مرة تثير شجون بعض من يسمهن كلامها. وهن فى الفصاحة يشبهن الأدباتية فى فصاحتهم. ويقابلهن فى ذلك العوالم فى الأفراح يثرن السرور. ولكل نغمات. ويشجع العوالم الرقص والضرب على الدبكة؛ ويشجع المعدّات اللطم والضرب بالدف والنيلة. وقد قلت هذه العادة حتى كادت تفنى.

معلّش: يكثر من عادة من استعمالها عند نزول كارثة فى ولد أو مال إعلاناً بالرضا بالقضاء والقدر. فإذا مات ابنه قال "معلّش"، وإذا تلف زرعته قال "معلّش" وهكذا. وقد يتضحك الفرنج على مصر فيقولون: بلاد معلّش.

المغاورى: هو شيخ فى جبل الجبوشى، يعتقد النساء أنه من زارته وكانت عقيماً ولدت، ولعله حدث ذلك مرة أو أكثر بسبب وجود رجال من سيئ الأخلاق، انتهزوا هذه الفرصة واتصلوا بالمرأة. وكان العيب من زوجها حملت. فأشاع هؤلاء الرجال

وجميع أشياء الورى أشياء
والمرّ مرّ والحلاوة حلوة
والنار قيل بأنها حمراء
والمشى صعب والركوب نزهة
والنوم فيه راحة وعناء
والماء قيل بأنه يروى الصدى
والخبز واللحم السمين غذاء
ويقال إن الناس تنطق مثلنا
أما الخراف فقولها مأماء
كل الرجال على العموم مذكر
أما النساء فكلهن نساء
والميم غير الجيم جاء مصحفاً
وإذا كتبت الحاء فهي الحاء
إن المدام لدى التعاطى مسكر
وبشربه قد جُنّت العقلاء
ما لى أرى الثقلاء تكره دائماً
لاشك عندي أنهم ثقلاء
سئلت عن الثقل فقل لهم
الناس عندي كلهم ثقلاء

المفتّحة: وتسمى "حلاوة مفتّحة"، وهى
سوداء اللون، يفطر بها بعض الناس،
ويصفونها للحنيفة حتى تسمن. وتصنع من
جملة مواد يبلغ عددها على قولهن نحو
أربعين صنفاً، أكثرها من الثمار الزيتية،
وهى عسيرة الهضم. وأبين ما فيها العسل
الأسود والزيت، ويعون فى داخلها بندقاً
مقشراً، وقد يرشون عليها سمسماً. ويزعم
بعض الناس أن بعض النساء مبالغة فى
السمن يظفن عليها بعض الخنافس⁽⁸⁶⁾.

دكان آخر ينظر إليه، فقام صاحب الدكان
وشده من يده ليعرض عليه ما عنده، وقال
له: والله العظيم ما عندى لا يوجد عند
غيرى وقدّم له سيجارة كبيرة ثم فنجاناً من
القهوة ثم سيجارة أخرى، ثم قال له: ماذا
تطلب. قال له الفلاح: لا أظن أن طلبى
يوجد عندك! قال التاجر: أتريد جوخ
اميريال من أحسن الأصناف؟ قال الفلاح:
لا. قال التاجر: كشمير صوف معتبر؟ قال:
لا. قال: شاهى أو قطنى من أحسن صنف؟
قال: لا. قال التاجر: عصب حرير أو أثواب
كريشة أحسن ملبس؟ قال: لا. قال: إذا ما
هو مرادك؟ قال الفلاح: إنى أريد طواجن
فخار لقلى السمك. فاصفر وجه التاجر
وقال: يا فلاح يا حمار! أفى دكان الحرير
والجوخ تسأل عن الطواجن الكبار؟ وقام
من عنده بعد ما شرب القهوة والسجاير.
وتعجبنى قصيدة فى هذا لصريع الدلاء
عارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها:
من لم يرد أن تنتقب نعاله

يحملها فى كفه إذا مشى
من دخلت فى عينه مسلة
فأسأله من ساعته عن العمى
وهناك قصيدة أخرى فى هذا المعنى:
الأرض أرض والسماء سماء
والماء ماء والهواء هواء
والبحر بحر والجبال رواسخ
والنور نور والظلام عماء
والحرّ ضد البرد قولٌ صادق
والصيف صيف والشتاء شتاء
والمسك عطر والجمال محبب

من صفحاته خالية من دواء أو نبات، ينص على أنه يقوى الرجل كأنه اختصاصى فى هذا الموضوع. وأخيراً زعم الفرنج أنهم اكتشفوا أشياء تفعل فعل هذه الأشياء الشرقية ووردوها إلى الشرق، كخصا الثعلب وغيره. (انظر معجون ومنزول)

مقياس الروضة: كان مقياساً قديماً من قبل الإسلام، فلما اختلّ بناؤه بنى سليمان بن عبدالمك لأموى العمود الموجود الآن للمقياس، بدليل الكتابة التى عليه. وقد اختل مراراً ثم أعيد ترميمه، وقد اعتنى المصريون من قديم بهذا المقياس، لأن النيل عندهم هو ربّ ثروتهم والعامل لخيرهم، ولولاه لكانت مصر صحراء قاحلة.

وقد أنشأوا المقياس ورتبوا عليه تحصيل الضرائب، لأنه إذا لم يرتفع أو علا كثيراً فغرق الأرض لم يكن من العدل تحصيل الضرائب كالمعتاد، والزيادة المعولّ عليها هى ما بين ستة عشر ذراعاً وأربعة وعشرين. وجعل هذا المقياس فى الروضة بحيث يدخل الماء إلى حجرة لا يفعل فيها الهواء، فتقطع الأمواج، ويمكن مقياس النيل مقياس صحيحاً.

وقد عين للمقياس محمد على باشاً رجلاً اسمه الشيخ على، ولقب بالمنادى، لأنه ينادى هو وأتباعه على النيل كل يوم، وجعل له مرتباً. ولمّا مات عين مكانه ابنه وأمر المهندسين بالكشف على المقياس كل عام، وإجراء ما يلزم له من التطهير والتعمير. وأقيمت مقاييس أخرى فى أعلى الصعيد

المقاطعة: إذا قال الرجل سأفعل كذا، قالوا: بلاش مقاطعة، أى لا تسبق الزمان، فلعل المقدر يعاكسك، وقل إن شاء الله.

ويحكون أن رجلاً كان عنده جرّة كبيرة مملوءة لبناً ومعلقة فى السقف، فنام فى سريره ونظر إلى الجرّة فتمنى الأمانى أن يبيع اللبن ويشتري بثمنه بيضاً، ثم إذا كثّر البيض باعه واشترى نعجة، والنعجة تلد له شياهاً كثيرة، فيسرح بها، وإذا خالفته إحداها ضربها بعصاه هكذا. وحرك عصاه فأصابت الجرّة فكسرت وذهب سدى ما فيها من لبن. يحكونها للدلالة على أن الأمانى قد لا تتحقق، ويسمون هذه مقاطعة، وأن المقاطعة قد تتعكس على صاحبها، بل إنها كثيراً ما تدعو القدر إلى معاكسته.

وتستعمل كلمة المقاطعة أيضاً فى أن يقاطع الإنسان الآخر أثناء كلامه، فلا ينتظره حتى يتم كلامه. واشتهر المصريون بذلك أيضاً، فلا يكاد يبدأ المحدث حديثه حتى يقاطعه سامعوه. ولذلك يسرع المتحدث فى حديثه شاعراً بالخشية من أن يقاطعه أحد. وهم فى حاجة إلى أن يتعلموا فنّ السماع، فللسماع فنّ كفنّ الكلام، فيتركون المتحدث فى حديثه إلى أن يتمه، ثم لهم الحق فى أن يردوا عليه إلى أن يتموا ردّه.

المقويات: أولع المصريون من قديم بالمقويات على أشكال مختلفة، من منزل معجون، وكذلك الشرقيون. وتقرأ القاموس المحيط للفيروز ابادى، فلا تكاد ترى صفحة

يقولون: عوفا الله! بإمالة الألف فى الله.
وأصل عوفا الله: أو فى الله، أى أو فى الله
النيل.

وبعد تحرير المحضر بوفاء النيل تطلق
الصواريخ وتعزف الموسيقى... إلخ. ويكون
يوماً مشهوداً. ويبدأ الجو بعده بالتلطف.

المكتبة: كانت المكتبات كثيرة فى المساجد،
ولكن خدمتها فى يعتوا بها، فكانت تسرق أو
تباع، وأكثرها كتب توحيد أو فقه أو تفسير.
ويقتنى بعض الأغنياء فى بيوتهم مكتبات
حسنة، حتى ولو لم يقرؤوا فيها وأكثر الكتب
يوضع فى غلاف مجلد. وكثيراً ما تكون
الملازم مفكوكة، حتى يمكن أكثر من واحد
استعارة ملازم منها.

وكاتب الكتب عادة يستعمل الورق المتين
ويسطره على مسطرة هى قطعة من الورق
المقوى، يشدّ عليها بعرض الورق وطوله
خيوطاً ملصقة بالغراء، فيجعل المسطرة
تحت الورقة ويضغط على كل خيط بخفة،
فتؤثر فى الورق المراد الكتابة عليه، وقد
جمع هذه الكتب كلها الموجودة فى المساجد
على باشا مبارك وجعلها فى بناء فى درب
الجماميز حفظاً لها من الضياع، ثم بنى لها
مكاناً خاصاً فى باب الخلق.

وبدأت مكتبة باب الخلق هذه تنشئ
مكتبات صغيرة فى أحياء مختلفة فى
القاهرة والإسكندرية. وهناك مكتبات لا
بأس بها فى الأرياف، كمكتبة دمياط
وسوهاج وأسيوط. وهناك مكتبة لا بأس بها
أيضاً فى الإسكندرية. وهذه المكتبات

ليستدل منها على ما سيكون الحال فى
مصر، حتى إذا كان النيل فى أعلاه، اتخذت
الاحتياطات الكافية لاتقاء الغرق؛ وعمل
مقياس فى الخرطوم، ومقياس فى مدينة
أسوان، ومقياس فى القناطر الخيرية.

وقد جرت العادة بأن النيل متى بلغ ستة
عشر ذراعاً احتفل بوفائه، وسمى اليوم يوم
وفاء النيل؛ وكتب سجلّ يثبت أن النيل بلغ
حداً يجوز معه للوالى أن يحصل الضرائب.
والاحتفال به قديم، وكان بالغاً حدّ العظمة.
وإلى اليوم تزين مركب تسمى العقبة،
ويكون فيها الموسيقيون وغيرهم. وكان
الموكل بالمقياس يطلق عليه اسم قاضى
المقياس، وهو الذى يقيس كل يوم زيادة
النيل أو نقصه. ويخبر بذلك الحكومة
وينادى بذلك فى المدينة، ويقيد فى دفتر
مخصوص. ولهذا كان شيخ المقياس يعرف
فيضان النيل يوماً فيوماً من ابتدائه إلى
انتهائه.

وفى عهد إسماعيل باشا نظم مقياس
جزيرة أسوان، وأمر العامل عليه أن يخبر
مصر كل يم بواسطة التلغرافات ترسل إلى
مصر.

والمصريون أيضاً يسمون بلوغ النيل
فيضانه، والاحتفال به جبر الخليج، لأن
خليج القاهرة كان يمد بالماء فى هذا العيد.
والمنادون وأولادهم يسيرون فى شوارع
القاهرة يوم عيد جبر الخليج وبأيديهم
الجريد عليها الزايات من البفتة الملونة:
الأخضر والأحمر والأبيض، ويقولون:
البحر زاد غرق البلاد! ويرد عليهم آخرون

ملّة: يقولون ملّة كل يوم! وملّة كانت عشوة! أى ياله من يوم! وياله من عشوة! ويستعملون الملّة بمعنى مذهب أو دين، ففى سبابهم أيضاً سبّ الملّة، أى الدين.

الملح: هو المادة المعروفة، والذى يهمننا منه أنه يستعمل فى البخور كثيراً، كما يستعمل فى دفع أثر العين، فيرشونه على من تراد وقايته من العين؛ ويقولون فى ذلك: "ملحة فى عين اللى ما يصلى على النبى". ومن قديم يستعمل فى توثيق الروابط بين شخصين أو جماعة، فيقال: أكل معه عيش وملح، ويخونه العيش والملح. ومن استعمالهم أيضاً قولهم مثلاً: "فص ملح وداب" يقولونه لمن تغيب فجأة ولم يعرف مقره!

الملق: يكثر فيهم الملق، وخصوصاً ملق المرؤوس للرؤساء، وملق الفقراء للأغنياء؛ يدل على ذلك أمثالهم المشهورة: "إذا دخلت بلد يعبد العجل حش واديله" وكقولهم: "عاز الغنى شقفة، كسر الفقير زيره"! وأمثال ذلك كثيرة. وهم معذورون فى ذلك، لأن ما مر عليهم فى عهود طويلة من الظلم والاستبداد، خصوصاً فى عهد الأتراك، علمهم الملق والإفراط فى المديح غير المصقول ولذلك قلما تجد مرؤوساً يقول الحق لرئيسه، أو يتوقف عن تنفيذ أمر وجّه إليه مهما اعتقد أنه خطأ؛ وهو أشكال وأوان، يظهر ذلك فى خطاباتهم وجميع

صورة من عقلية المصريين، ففىها الكتب القيمة النافعة، وفىها كتب التدجيل، وكتب الكيمياء واليازرجه، ونحو ذلك. والمصريون يطلبونها أكثر من الكتب الجدية وقد يستعبرونها. وبعض الأفراد مولع باقتناء الكتب، فهم ينشئون فى بيوتهم مكاتب خاصة، كتيمور باشا وطلعت باشا. ولكن مع الأسف قلّ الراغبون فىها اليوم.

ملاً: كلمة تستعمل للتعظيم. يقال ملاً راجل، وملاً كتاب، أى رجل عظيم، وكتاب عظيم، إلا إذا قصد بذلك الاستهزاء.

الملاهى: أولع المصريون بالملاهى كغيرهم من الأمم. وكانت لهم فى القديم أنواع من الملاهى البدائية مثل: القراجوز، أو خيال الظل، وابن راببة، والرقص، ولعب البرجاس ونحو ذلك. ثم لما تقدم الزمن تغيرت هذه الألعاب بسبب الاقتباس من المدنية الغربية، فحلت السينما والتمثيل محل القراجوز، وحل الرقص الإفرنجى محل الرقص البلدى، وأصبح عندنا ملاهٍ متنوعة على شكل مصغر من الملاهى الأوروبية.

الملاية: كانت المرأة خصوصاً من الطبقات الوسطى والدنيا تلبس الملاية. وقد تتخذها وسيلة من وسائل العياقة، إذ تشدها على جسمها حتى تظهر تقاطيعه. وقلّ الآن استعمالها بسبب السفور. وفرش الملاية يستعملونه كناية عن الردح وكثرة السباب. فيقولون: فرشت له الملاية.

تصرفاتهم.

ففى الخطابات من ألفاظ الملق وأساليبه ما ليس بله حصر، ومن أعمالهم فى مخاطبة الرؤساء وإظهار علامات التعظيم الذى قد يصل إلى تقبيل الأرجل ما ترى منه الكثير.

حضر من عمله سأل زوجته: طبختم اليوم ملوخية وأى شئ آخر، كأن الملوخية شئ لا بد منه. ومن أغانيهم:

أبو قردان زرع فدان
ملوخية وباندجان

المماليك: حُكمت مصر بالمماليك مدة طويلة، وحُكمهم هو جزء من حكم الأتراك وقبله، فلما فتحها السلطان سليم سنة 1517 أيقن أنه لا يمكنه حكمها مباشرة لبعدها، فتركها للمماليك. وعهد إلى ديوان أعضائه من كبار المماليك ومن رؤساء فرقهم وطوائفهم وزعمائهم أن يديروا البلد، وكان لهم الحق فى فرض الضرائب وجبايتها. يأخذون منها الحصة ويرسلون منها الباقي إلى خزانة الدولة العثمانية، وقد اعتادوا الترف والنعيم، فأخذوا للراحة وإن لم يفقدوا صولتهم. وغلوا فى سلطنتهم حتى كانت سلطة السلطان فى الأستانة سلطة اسمية، بل فى سنة 1766 رفع على بك، أحد بكوات المماليك، لواء العصيان على الدولة وضرب النقود باسمه، ودحر الجيش العثمانى، وبايعه شريف مكة سلطاناً على مصر. وكثيراً ما نقصوا ما يرسلونه إلى الدولة العثمانية معتذرين باعتذارات كثيرة، كإنفاقها فى مصالح الدولة، فما كان يسع السلطان إلا قبول عذرهم.

وقد أورثوا الشعب صفات كثيرة، بعضها حسن وبعضها ردى، فقلدهم الأغنياء فى الترف والنعيم وحب الفخفة واعتيادهم بعض العادات التركية حسنها ورتيبتها،

الملوخية: من طعام مصر المؤلف. فملوخية أهل الحضر يأخذونها ويخرطونها بالمخرطة خرطاً جيداً، ويطبخونها باللحم الضانى أو الفراخ أو الوز. ويستبشرون بالملوخية فى أول طوعها، لأنها خضراء، وهم يستبشرون باللون الأخضر، ويقولون دائماً اللهم اجعلها علينا سنة خضراء. ومن ذلك أنهم إذا أرادوا أن يسكنوا بيتاً جعلوا معهم سلقاً أخضر.

وهناك نوع آخر من الطبخ ويسمونه ملوخية بورانى، نسبة إلى بوران بنت الحسن زوج المأمون، وطريقتها أن يخرطوا الملوخية ثم يحمروها بالسمن حتى يجف ثم يدقوها فتكون لذيذة جداً.

ومن غرائب ما يروون فى أمر الملوخية هذه أنها تكون على يد النساء أذ مما يطبخها الطباخون. وينسبون ذلك إلى العادة المتبعة وهى أن المرأة بعد أن تطبخ الملوخية تضع لها الثقالية، وهى ثوم محمّر بالسمن، فإذا أرادت أن تضعه عليها فلا بد من أن تشهق، وربما كانت هذه الشهقة هى السر فى لذتها.

وكان لنا أستاذ يعلمنا الرياضة أغرم بالملوخية حتى كان يطبخها كل يوم، فإذا

مِنْ شَافِ بِلْوَةٍ غَيْرِهِ هَانَتْ عَلَيْهِ بِلْوَتُهُ:
تعبير يعنى من رأى مصائب غيره، هانت عليه مصيبته.

مِنْ طَقَطِقَ لِسَلَامٍ عَلَيْكُمْ: طقطق حكاية صوت الباب عند الدخول، وسلام عليكم علامة الانتهاء من الزيارة: تعبير يضربونه فى أن الرجل حكى الحكاية كلها ولم يترك منها شيئاً.

مَنْدَلٌ: شاهدت مرة مندلاً لإظهار سارق شيئاً. فأتى صاحب المندل بطفل فى نحو السابعة أو الثامنة واختار بواسطة رسم كفه، فهم يعتقدون أنهم إذا كان رسم كفه يقرأ 71 و 17، كان الأطفال أقرب إلى نجاح المندل. وبعد أن أحضر صاحب المندل الطفل صب فى يده اليمنى نقطاً من زيت مع إطلاق البخور. ثم سأل الطفل هل ترى مكاناً مرشوشاً وكراسى مصفوفة؟ ولا يزال بالطفل حتى يقول رأيت. ويسأله عن صفة هذا الرجل وما يلبسه فيقول أرى رجلاً أو امرأة صفته كذا، ثم يطبقون هذه الأوصاف على شخص يعرفونه فيكون هو اللص. وهو نوع من الإيحاء.

وروى الأستاذ لين الإنجليزى الذى كان فى القاهرة منذ حوالى مائة عام أن ساحراً أحضر غلاماً وأجلسه على كرسى وأمر خادمه الإنجليزى أن يحضر مجرة. فلما أحضرها وضع فيها لبناً وكسيرة ثم أمسك يد الصبى اليمنى ورسم على راحته مربعاً سحرياً، ثم صب فى وسطه قليلاً من الحبر وطلب من الصبى أن ينظر فيه ويخبره إذا

كتقليدهم فى النظافة والنظام. وأحياناً كانوا يقلدونهم فى الغطرسة والاستبداد إذا ولوا أمراً من الأمور، ونظر الأغنياء إلى الفقراء نظرة احتقار وازدراء. ومن أسوأ ما ورثوا عنهم الإسلام السطحى والإيمان بالخرافات والأوهام، فالتركى عادة يرتكب المظالم ويعتقد أنه يكفرها ببناء مسجد أو سبيل أو إقامة صلاة ونحو ذلك. فيحترم القرآن إذا قرئ فلا يضع رجلاً على رجل فى مجلسه، ولا يدخل، ولكن لا يدخل جوهر الإيمان فى قلبه. وربما كان للمماليك أثر كبير فى أن المصريين يعبدون الله عبادة ظاهرية، فلا يصل فيها الإيمان إلى قلوب أكثرهم. وكثير من عادات المماليك دخلت على المصريين فى أكلهم وشربهم، واختلاف طبقاتهم، بل أثروا كذلك فى موسيقاهم والأعيابهم وأمثالهم، وربما أيضاً فى جمال المصريين، فقد كان بعض المماليك يتزوجون من مصريات، وبعض المصريين يتزوجون من مماليك، والمماليك فى الحقيقة أجمل، ولذلك إذا وصفوا أحداً بالجمال يقولون أنه جميل كالمملوك. واستقصاء هذا الباب أعنى ما أثر المماليك فى المصريين يحتاج إلى بحث طويل لا محل له الآن. وقد ذكرنا فى ثنايا الكتاب أمثالا تدل على ما لقيه المصريون من المماليك.

مِنْ دَقَّنَهُ وَافْتَلَّ لَهُ حَبْلٌ: تعبير يقال بمعنى أنك تعمل له حيلة من صميم عمله. وأحياناً يقولون: من دقنه وافتل له كعك.

كان يمكنه رؤية وجهه معكوساً فيه. فأجاب الصبى أن نعم، فأمر الساحر الصبى بأن يظل يحدق النظر وأن لا يرفع رأسه. وأخذ الساحر ورقاً مكتوباً عليه أدعية وألقاها فى المجرمة على الحبر والبخور حتى امتلأت الغرفة بالدخان وأخذ الساحر يدمدم دمدمة لم تفهم. ثم سأله: هل يرى شيئاً فى الحبر؟ فأجابته بالنفى، ولكنه لم يلبث أن ارتعش وخاف وقال أرى رجلاً يكنس الأرض. قال الساحر أخبرنى بعد أن ينتهى من الكنس، ثم سأل الساحر الصبى: هل تعرف البيرق؟ فقال: نعم. فسأله: هل أحضر الجن بيرقاً؟ قال: نعم. قال الساحر: على أى لون هو. قال: أحمر. فقال له: اطلب بيرقاً آخر. فقال إنهم احضروا بيرقاً آخر. قال: اطلب بيارق. قال الصبى: إنهم احضروا بيارق أخرى: أبيض وأخضر وأسود وأحمر وأزرق، حتى صارت سبعة. ثم وضع الساحر فى المجرمة لبناناً وكسبرة مرة أخرى. وقال للصبى قل لهم يحضروا خيمة السلطان، فأخبره الصبى أنهم أحضروها، وهى خيمة كبيرة خضراء وقد نصبوها. فقال الساحر للصبى: مر الجنود بالحضور ونصب معسكرهم حول الخيمة. فقال الصبى: قد حضروا واصطفوا. فقال الساحر للصبى: مرهم أن يحضروا ثوراً. فقال الصبى قد أحضروه. فقال له: مرهم بذبحه وتقطيعه ووضع لحمه فى أوعية وطهيه، ثم قال قل للجنود يأكلون.

المنسج: المنسج إطار كان يقضى النساء فيه أكثر أوقات فراغهن فى المنزل، فهن يشتغلن عليه بالإبرة أو يطرزن مناديل أو طرحاً بالحريز المذهب. والفقيرات وحتى الأوساط، كن يتاجرن فى هذه العملية فيعطين عملهن لدلالة تبيعه فى السوق أو فى حريم آخر. وكثيراً ما يجتمع بعض الشابات على المنسج يقضين أوقاتهن للتسلية ويتحدثن أثناء ذلك حديثاً ظريفاً.

المنظرة: ينطقونها عادة بالضاد، وهى فى أغلب بيوت الأوساط والأغنياء. وقد كانت هذه المناظر موضع المسامرات فى الليل وتلاقى الرجال. فكان بكل حارة بيوت، ولكل بيت منظرة يستقبل فيها الزائرون. وبعض البيوت له مناظر بهيجة تجذب إليه الناس للطف صاحبها وكثرة أصحابه.

كان يمكنه رؤية وجهه معكوساً فيه. فأجاب الصبى أن نعم، فأمر الساحر الصبى بأن يظل يحدق النظر وأن لا يرفع رأسه. وأخذ الساحر ورقاً مكتوباً عليه أدعية وألقاها فى المجرمة على الحبر والبخور حتى امتلأت الغرفة بالدخان وأخذ الساحر يدمدم دمدمة لم تفهم. ثم سأله: هل يرى شيئاً فى الحبر؟ فأجابته بالنفى، ولكنه لم يلبث أن ارتعش وخاف وقال أرى رجلاً يكنس الأرض. قال الساحر أخبرنى بعد أن ينتهى من الكنس، ثم سأل الساحر الصبى: هل تعرف البيرق؟ فقال: نعم. فسأله: هل أحضر الجن بيرقاً؟ قال: نعم. قال الساحر: على أى لون هو. قال: أحمر. فقال له: اطلب بيرقاً آخر. فقال إنهم احضروا بيرقاً آخر. قال: اطلب بيارق. قال الصبى: إنهم احضروا بيارق أخرى: أبيض وأخضر وأسود وأحمر وأزرق، حتى صارت سبعة. ثم وضع الساحر فى المجرمة لبناناً وكسبرة مرة أخرى. وقال للصبى قل لهم يحضروا خيمة السلطان، فأخبره الصبى أنهم أحضروها، وهى خيمة كبيرة خضراء وقد نصبوها. فقال الساحر للصبى: مر الجنود بالحضور ونصب معسكرهم حول الخيمة. فقال الصبى: قد حضروا واصطفوا. فقال الساحر للصبى: مرهم أن يحضروا ثوراً. فقال الصبى قد أحضروه. فقال له: مرهم بذبحه وتقطيعه ووضع لحمه فى أوعية وطهيه، ثم قال قل للجنود يأكلون.

قال الأستاذ لين: إن الساحر سألنى إذا كنت أرغب فى أن يرى الصبى شخصاً

مجالس الذكر، وتعتبرى بعض الذاكرين جذبات وإغماءات، فيرش على وجوههم الماء، ويتصاعد من أفواههم رغاء كرغاء الإبل. وبعض أهل هذه الطرق يدخلون النار فى أفواههم أو الجمرات فلا تضرهم، وربما يكون ذلك بسبب دهن حلوهم بمادة خاصة تعدم أثر النيران. ومنهم من كان يقذف قطعة من الحديد على الحائط ثم يتلقاها على رأسه فيسيل دمه دون مبالاة.

وبعد ذلك تنصب الصواوين، فى كل صوان من يقرأ القرآن أو يقرأ السيرة النبوية أو يقيم حفلة ذكر.

ومن أشهر ذلك حفلة "الدوسة" فى يوم (11) ربيع الأول يجتمع أرباب الطرق بميدان باب الخلق على نظام خاص، ويسير الموكب بأهم شوارع المدينة، ومنهم كثيرون من المشعوذين، بعضهم يأكل الزجاج، وبعضهم يأكل الثعابين، وبعضهم يضرب شذقه بدبوس ذى رأس غليظ فى عنف وقسوة، ومنهم من كان يضع حد السيف فى بطنه ثم ينام فوقه. ويأتى الشيخ فيبيل يده بريقه ثم يمسح على بطن المريء حتى لا يتأذى من حد السيف. وعندما تصل هذه الموكب إلى ساحة المولد ينبطح الكثيرون على وجوههم فى صف كبير فيمر فوقهم شيخ السادة السعدية بحصانه يقوده اثنان من أتباعه، ويعتقدون أنهم سينالون من ذلك بركة كبيرة.

وكان الناس يروحون عليهم بمراوح إذا تحرك الموكب من شدة الحر. ومن الغريب أن لا تحدث من ذلك أضرار كثيرة كالذى

فأحياناً تقضى لياليها فى السير، وأحياناً فى قراءة القرآن، وأحياناً فى سماع الموسيقى والغناء، بل وأحياناً يتواعدون على أن يحضر كل واحد ما عنده من العشاء فى بيته ويتعشوا جميعاً من كل ما يحضر. وكم كانت هذه المناظر معهداً لتخريج سماء وآلاتية ومغنين وغير ذلك.

وقد اشتهرت منظره العمدة بأنها محكمة للمتخاصمين وحالة المشاكل التى تعرض لهم أثناء النهار وسمر لذيذ فى الليل وغير ذلك.

منفوخ ع الفاضى: تعبير يعنى متكبر على لا شئ.

الموالد: الموالد عند المصريين ذكرى ميلاد الولي، وأشهرها مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان يقام له حفلات عظيمة، فيجتمع رجال الطرق الصوفية، وكان الاجتماع فى باب الخلق، وكل طائفة بأشابيرها. وعند تكاملها تسير فى موكب كبير، كل موكب ينشد نشيده الخاص على نغماته الخاصة مع دق الدفوف وقرع ما يسمى البازة، وهى آلة نحاسية، حتى يصلوا أخيراً إلى مشيخة الصوفية فى بيت البكرى، فتقرأ الفاتحة والصلوات، ويعلن السيد البكرى افتتاح المولد⁽⁸⁷⁾ وفى مساء ذلك اليوم يدي الأمراء والعلماء فى ساحة المولد، ويأتى طوائف الصوفية وأمام كل طائفة فانوس أو أكثر كبير غطى بالقماش الأبيض بدل الزجاج. وبعد الصلوات تقام

كان ينتظر.

وبعد صلاة العشاء يشرف الصوان الخديوى والكبراء فيسمعون المولد، ثم توزع الحلوى وشراب الليمون. ويزدحم الناس فى هذه الليلة ازدحاماً كبيراً، ويهيص بعض الشبان فى هذا الازدحام، وكثيراً ما تحدث أفاعيل ومراسلات بين راكبات العربات وراكبيها مما يجعل الليلة فتنة. وقد أبطل الخديوى توفيق عادة "الدوسة" هذه لما ينشأ عنها من أضرار.

موت يا حمار على ما يجيلك العليق:
تعبير يعنى انتظر طويلاً، حتى يحدث ما تأمل، ولن يحدث. ومثله حتى يجى الترياق من العراق.

الموسيقى والغناء: للموسيقى والغناء عند المصريين مقام كبير وشغف عظيم. يظهر ذلك فى كثير من عاداتهم. فترى الباعة فيهم يغنون على بضائعهم، حتى حب العزير تقام له زفة كزفة العروس. والدين دخل فيه الغناء؛ فالأذان يقال فى غناء، والذكر يُغنى له، والقرآن يُغنى به. وكثيراً ما كان يمر بحارتنا رجل يغنى بقصائد نبوية وهكذا. ولكل نوع من أنواع الحياة الاجتماعية غناء خاص؛ فغناء فى الأفراح، وغناء المعدّات فى المآتم، وغناء المسحراتية فى رمضان، وغناء لليالى المولد، وهكذا.

لكنهم كانوا مع ذلك ينظرون إلى المغنى نظرة فيها شئ من الاحتقار، إلا فى الأيام الأخيرة. وكانوا يسمون الموسيقى مزيكاتى

والمغنى آلاى.

ومن المؤكد أن الموسيقى المصرية مأخوذة من عدة نواح من موسيقى قدماء المصريين، كالذى يظهر فى موسيقى الكنائس ومن الفرس ومن الترك. وهى تختلف فى المقام عن الموسيقى الإفرنجية. والموسيقى المصرية تناسب ذوق المصريين وأذانهم، ولا يستسيغون الموسيقى الأجنبية، ومع أنها قد تكون أرقى، كما أنه لا يستسيغ الفرنج الموسيقى العربية.

والغناء موضوعه الحب غالباً والمصريون أميل إلى النغمات الحزينة لما تواتر عليهم من ظلم الحكام واستبدادهم، وهم لا يسمعون الغناء فى صمت وسكون كما يفعل الأوروبيون ولكنهم يهيصون ويهللون، ويعتقدون أن فى ذلك تشجيعاً للمغنى والمغنية؛ من مثل قولهم: الله الله! كمان يا عينى! ونحو ذلك.

وإذا أتم قارئ القرآن قراءته بالغناء قالوا له: أحسنت. ومنهم من اعتاد أن يغنى غناءً خاصاً للتعاون على الصنعة كالفعلّة، وأرباب المهن الصغيرة؛ كأن الغناء يسليهم عن متاعبهم، كالحداء للجمل وكالمراكبية؛ ولهم أغان خاصة بهم، وكبانعى حب العزير، وكالسقايبين. وقد يتوارثون الأغانى من عصر إلى عصر، مثل أغنية "جنا يا جنا يا قطر الندى" فيظن بعضهم أنها ميراث من العهد الطولونى، أيام زفت قطر الندى بنت خماروية إلى الخليفة العباسى. والمغنون من طبقات شتى، ويختلف منبع غنائهم، فبعضهم من طبقة راقية مثقفة،

وبعضهم من طبقة شعبية. مثال الأولى ما حكى من أن مفتياً للديار المصرية وضع أغنية "الله يديم دولة حسنك"، ومثال للثاني "سبع سواقي بتنعى لم طفولى نار".

وأكثر المغنين والمغنيات يظهرون "شيطاني" من غير تعليم ولا مدرسة، إنما منحوا حسن الصوت الطبيعي فاتجهوا بعد ذلك إلى التعلم، وهى هبة يهبها الله من يشاء، لا نستطيع أن نعللها. فقد كانت من مشاهير المغنيات السيدة ساكنة، وكانت تشتغل فاعلة تحمل المونة فى القوالب، تُعنى للفعلة، ثم اكتشف حسن صوتها بالمصادفة. وفى حفلات الغناء يكون عادة رجل مخصوص يسمى "مطيياتي"، من وظيفته تطيب خاطر المغنى أو المغنية بإظهار علامات الإعجاب؛ وقد يحترف المطيياتي حرفة بيع اللب، وقد يكون ساقلاً فيكون صلة الغرام بين الرجل والمغنيات.

أما الآلات الموسيقية فهى كثيرة بسيطة ومركبة، فالبسيطة كالمزمار والطبل البلدى والرق والنقرزان، والكاسات والصاجات. والمركبة كالناي والعود والقانون. ومن الآتيم الجديرة بالذكر الربابة، وهى عبارة عن كمنجة ينقصها التجويف، ويستخرجون منها نغمات شجية.

والمغنيات فى مصر تسمين "العوالم" وهى تسمية غريبة، ولهن أغان خاصة، وخصوصاً عند زفة العروس وزفة العريس. وقد يأخذن أجراً صغيراً فى مقابل النقطة الكثيرة التى مر ذكرها فى موضعها، وقد أدخلت الموسيقى الغربية فى الجيش

المصرى مع الموسيقى العربية، ولذلك يلقى الجيش فى الحفلات والميادين أدواراً من الموسيقى الشرقية وأدواراً من الموسيقى الغربية. ثم ارتفع حديثاً شأن المغنين والمغنيات حتى لم يعد يستنكر أن يجلس العظيم فى مجلس معن كبير أو مغنية كبيرة. وقدروا الغناء كفن جميل⁽⁸⁸⁾.

الموظفون: ويسمون أيضاً المستخدمين، وكان يسمّى العوام الواحد منهم "ابن عيشة"، أى أنه خاضع للوظيفة التى عليها قوام معاشه. ويكثر من ذكر هذه الكلمة للاعتذار عن خضوعه للرئيس، وأنه مضطر لتحمل مشاق الوظيفة، للحصول على العيش الذى هو الخبز.

وللموظفين عادات رديئة، منها التزامهم الخطط المرسومة حتى كأنهم آلة صماء، ومنها انتظار الموظف آخر الشهر لقبض المرتب، فلا يسعى فى جلب رزق آخر. ومن سوء هذه العادة الأخيرة أن الموظف إذا رفت من وظيفته أو أحيل إلى المعاش لا يجد نفسه صالحاً لأى عمل حر آخر.

وقد قال البوصيرى صاحب البردة قصيدة لطيفة فى المستخدمين، وتكاد تكون حالتهم كحالة الموظفين اليوم وهى:

يا أيها المولى الوزير الذى

أيامه طائعة أمره

ومن له منزلة فى العلا

تكل عن أوصافها الفكرة

إليك نشكو حالنا إننا

حاشاك من قوم أولى عسره

إن ينظر المولى له أمره
فهم من عهد البوصيرى وقبله طلاب
علاوات⁽⁹⁰⁾.
مولد السيّد: يقام فى طنطا كل عام مولد
كبير، تجتمع فيه حلقات الذكر، وأهل
الدعارة والخلاعة، والطبل والزمر، وتجار
المأكولات، وعلى الأخص الحمّص
والحلاوة وحبّ العزير. وقد اشتهرت حلاوة
السيّد اشتهاراً كبيراً، حتى يسمع المار فى
طنطا أو عليها "حلاوة السيّد، حلاوة
السيّد!". وأصل مولد السيّد أن أتباعه كانوا
كثيرون متفرقين فى البلاد، فاستدعى مرة
خليفته عبدالعال أتباعه، وأوثق الروابط
بينهم، وقالوا له هذه عادة لا تنقطع إن شاء
الله. وفى الميعاد حضروا وظلوا يحضرون،
واستمرت العادة إلى يومنا. وحدث أن أحد
المشايع المنتمين إلى السيّد حضر هو
وتلاميذه وجماعته وأقام الأذكار، وتعاهدوا
على العودة فى الميعاد، فكان من ذلك المولد
الصغير؛ وأما الأول فالمولد الكبير⁽⁹¹⁾.
وكان من أحد أتباعه شيخ يقال له الشيخ
الرجبى، حضر هو وأتباعه ومعهم مقدار
كبير من الشّاش المصبوغ بالأخضر،
لتجديد عمامة السيّد. وفكّوا العمامة القديمة
ووضعوا عمامة خضراء جديدة، فسمى
المولد: المولد الراجبى. وكانت مدينة طنطا
مدينة صغيرة فنصبوا المولد خارجها حيث
يقام الآن؛ وقد حدّدوا ميعاد المولد بعبادات
البلاد الزراعية من النيل وانغمار الأرض
للرى وكثرة المال فى جيوبهم بعد الزرع

فى قلة نحن ولكن لنا
عائلة فى غاية الكثرة
قد أقبل العيد ما عندهم
قمح ولا خبز ولا فطره⁽⁸⁹⁾
فارحمهمو إن عابنو كعكة
فى كف طفل أو رأوا تمره
تشخص أبصارهم نحوها
بشهقة تتبعها زفره
كم قائل يا أبنا منهم
قطعت عنا الخير فى كرّه
ما صرت تأتينا بفلس ولا
بدرهم ورق ولا نقره
وأنت فى خدمة قوم فهل
تخدمهم يا أبتي صخره
ويوم زارت أمهم أختها
والأخت فى الغيرة كالضرة
قالت لها كيف تكون الناس
كذا مع الأزواج يا عرّه
قومى اطلبى حقك منه بلا
تخلف منك ولا فطره
وإن تأبى فخذى ذقنه
ثم انتفيتها شعره شعره
فألت لها ما هكذا عادنى
فإن زوجى عنده ضجره
أخاف إن كلمته كلمة
طلقتى وقالت لها بعره
وهوتت قدرى فى نفسها
لجاءت الزوجة مجتره
فقاتلتنى فتهددتها
فاستقبلت رأسى بأجره
وحق من حالته هذه

وفى الثامن والعشرين من "بابه" عيد يسمونه عيد الشمس كانوا يرمزون إلى أن إيزيس تبحث عن جثة أوزوريس.. وكانوا فى بعض الاحتفالات يظهرن الحزن والكدر لنقص النيل وغلبة الريح الجنوبية... إلخ.

وكان عيد الميلاد، وليلة الغطاس، وغير ذلك، فيظهر أن الأقباط أخذوها من قدماء المصريين، وأخذها المسلمون من الأقباط وصبغوها بالصبغة الإسلامية، كمولد النبى، ومولد السيد، ومولد الحسين، والسيدة زينب... إلخ. والحكام تشجع هذه الموالد لترويجها للحركة التجارية ومسايرتها للعواطف الشعبية.

المولوية: حضرت مرة ذكراً للمولوية فى تكيّة بالقاهرة فى شارع المظفر، وكانت تكيّة نظيفة ذات حديقة نظيفة. واجتمع المولوية بعد صلاة الجمعة واستداروا على شكل حلقة كبيرة، وقد لبسوا لبدة طويلة على رؤوسهم، وتحزموا فى أوساطهم على سراويل واسعة. وهم يتقنون الضرب على الناي، ويستخرجون منه أصواتاً جميلة؛ وقد بدأوا بذكر الله، ويحنون فى كل مرة رؤوسهم، وبدأ درويش منهم يدور على حركات الناي وسط الحلقة ويتحرك برجليه ويداه ممدودتان، ثم أسرع فى حركات رجليه فانتشرت سراويله على شكل شمسية. وظلّ يدور نحو عشر دقائق ثم انحنى أمام شيخه الجالس داخل الحلقة منصحاً إلى

ونحو ذلك؛ ولذلك يحدد المولد بالتاريخ القبطى لأنه أثبت، والحكومة تحدد الموعد رعاية لذلك. وهو فى العادة يكون فى أوائل شهر مسرى، والمولد الصغير فى أوائل شهر برمودة، والمولد الرجى قبل المولد الصغير بنحو مائة يوم. ويرحل إليه الناس من كل فج.

وهذا المولد وغيره من الموالد كان مستعملاً نظيره عند قدماء المصريين حسب ديانتهم، ذكر ذلك هيرودوت المؤرخ. فكانوا يقيمون مولداً فى تل بسطة فى مديرية الشرقية، وصا الحجر فى الغربية، وهليوبوليس، وهى المساه الآن عين شمس. وكانت هذه الأعياد مرتبطة بأوقات الزراعة، وهى فى العادة ترمز إلى أشياء هامة؛ وسار على ذلك قدماء المصريين فاحتفلوا بأول السنة القبطية، وهو المسمى بعيد النيروز، فيشعلون فيه النيران، ويرش بعضهم على بعض الماء؛ وكان فى العهد الفاطمى يركب فيه أمير يسمى أمير النيروز ومعه جمع كثير. واستمر على ذلك حتى أبطله السلطان برفوق. وكان للأقباط فى شهر توت عيد الصليب، وهو فى السابع عشر منه. يقولون إن المسيح صلب فيه. وقد منع من إقامته الخليفة الفاطمى العزيز بالله. وكان قدماء المصريين أيضاً يعملون فى سادس "بابه" عيداً يزعمون أن إيزيس حملت فيه بولدها، يشيرون بذلك إلى وضع بذور الزرع فى الأرض بعد نزول ماء النيل.

وهذا يدلنا على أن الأنظمة تتغير بتغير الأسس التي تعتمد عليها، كالحمير كادت تبطل بوجود الترام، وعربات الخيل كادت تبطل بالسيارات، وهكذا.

المية تكذب العطاس: تعبير يعنى أن الرجل إذا ادعى أنه عطاس وشك في ذلك، فالماء كاف في تجربته.

الميرى: أصلها أميرى، مثل ميرلاى، أى أميرلاى، ومرجوشى، أى أمير الجيوش. والميرى هو الحكومة، والرغبة فى التوظيف رغبة شديدة، حتى من أمثالهم الشائعة "إن فاتك الميرى تمرغ فى ترابه". ولعل السبب فى ذلك أن الوظيفة الحكومية هيئة مضمونة الأجر. ومن أسباب ذلك أيضاً عدم مغامرة المصريين فى المشاريع التجارية ورغبتهم فى وضع أموالهم فى البنوك أو شراء الأطميان والعقارات؛ ولذلك كان أكثر الشركات المؤسسة للأعمال الحرة أجنبية. وهذه الشركات لم تكن ترغب فى تخديم المصريين؛ ومن الأسباب أيضاً إجلال المصريين للموظف الحكومى وتفضيلهم له على الموظف الحر. أضف إلى ذلك أن أصحاب الأعمال الحرة يتطلبون عملاً يوازى الأجر الذى يتقاضاه، وليس كذلك فى الحكومة.

ومع أنه قد كثرت الأعمال الحرة فى هذه الأيام ونال أصحابها من الأرباح ما لا يحلم به موظفو الحكومة، فلا يزال الإقبال على

ال دراويش الذين يذكرون، ثم تحلقوا ووضع كل رجل يديه على كتفى آخر وأخذوا فى الذكر بسرعة شديدة، ثم استراحوا، وبعد ربع ساعة قاموا للذكر ثانية. واستمروا على هذه الحال نحو ساعة أو ساعة ونصف. فكان منظرأ عجيباً يمتع السمع بنايه، والنظر بسر اويله المفرودة، والحركات العجيبة.

المياه⁽⁹²⁾: كان نظام المياه فى القاهرة شاقاً عسيراً، فعند فم الخليج سواق تحمل الماء من البحر إلى حوض من الماء تجرى منه قنوات على عقود بنيت من الحجر، وتذهب إلى القلعة لتستقى منه، ومنها تنزل إلى القاهرة؛ وقد يملأ بعض الأغنياء الصهاريج التى فى البيوت من مياه الخليج أو من مياه الأمطار.

وإذ كانت مياه الفيضان مملوءة بالطمى اعتادوا عند أخذ الماء منها للشرب أن يرشحوها باللوز المقشور لأنه يمتص العكارة. ومن أجل صعوبة الماء على هذا النحو استعملت الآبار وبنيت الأسبلة فى الشوارع ووجد نظام السقائين، ووجد باعة الماء فى الطريق، وغير ذلك.

وكانت فكرة مدّ المياه إلى البيوت سهلة لو فكروا، فلما سهل الماء فى البيوت استغنى عن الآبار وعن الأسبلة وعن السقائين، إذ لم تعد حاجة إليهم. وبالضرورة كان من نتيجة ذلك قلة الأمراض التى تنتشأ من الميكروبات بالموضة والآبار وغيرها.

متوسط اليوم وجدناها مثلاً كالاتى:

جنيه	
أجرة مسكن فى السنة بواقع 15 جنيهاً فى الشهر	180
لحم وخضار وما يتبعهما على الأقل مسلى	216
ماء فى السنة	36
كهرباء	10
كسوة للزوج وزوجته وللأولاد على الأقل	96
دخان	36
خدم	50
مصاريق نثرية للطوارئ كدواء وطبيب	50
بن بواقع رطل بـ30 قرشاً كل شهر موصلات	3
السينما والتمثيل بواقع 200 قرشاً كل شهر	24
لبن بواقع كيلو فى اليوم بسعر 7 قروش	24
خبز بواقع 10 أرغفة بـ5 قروش كل يوم	18
المجموع	785

وهذه تقريباً ميزانية الموظف المتوسط الحال، أى أن نسبة الجنيه الآن إلى نسبة الجنيه فيما مضى تساوى 1 إلى 30 وهى نسبة غير معقولة⁽⁹³⁾.

المیضة: كان فى كل مسجد تقريباً میضة، وهى حوض من الماء مربع تقريباً، أو شبه مربع، يملأ بالماء من حين لآخر، ويتوضأ منه. وكان بجانبه فى الغالب بئر تملأ المیضة منه، والذي يتولى هذا يسمى الملاء.

وكثيراً ما نشأ عنها الضرر الكبير، لأن بعض المتوضئين يكون مصاباً بمرض معدٍ

الوظيفة أكثر، فإذا أعلنت الحكومة عن عمل خال عندها تقدم لها مئات يطلبون هذا العمل.

وإذ كانت الحكومة تربط الماهية بالشهادة دون نوع العمل، فقد كثرت الإقبال على التعليم الجامعى كثرة منقطعة النظير لا تجد مثلها فى الأمم الأخرى.

ميزانية البيت: عثرت على ميزانية بيت لعام، وضعت لبيت متوسط الحال، من نحو مائة عام، فكانت كالاتى:

قرش	
قمح فى السنة	400
طحن القمح	50
خبزه	40
لحم كل يوم رطل ونصف	550
خضراوات نصف قرش فى اليوم	185
رز	100
قنطار سمن فى العام	335
بن	185
تنباك جبلى لصاحب البيت	20
قنطار سكر	100
ماء	100
خشب للوقود سبعة أحمال	75
فحم حطب	100
زيت لقتديلين أو ثلاثة	125
شمع	100
صابون	50
المجموع	25.15

هذا عدا الملابس والطوارئ. وهو يدل دلالة واضحة على تغير المعيشة وتغير الأسعار. وإذا قورنت هذه الميزانية بميزانية بيت

كذا... إلخ.

فى عینه أو جسمه، فینتقل منه المرض إلى الصحیح الذی یتوضأ بعده. ولأجل هذا دعا المصلحون للاستغناء عنها بالحنفيات. ولكن مع الأسف كان مما أخذ على الشیخ محمد عبده أنه أبطل میضة الأزهر، واستعاض عنها بالحنفيات، فقالوا أنه أذهب البركة. ومازالت الحنفیات تهاجم المیضة حتى هزمتها، لأن الحنفیات أصح وأنظف.

وقد حدثت لی حادثة سیئة فى المیضة، ذلك أنى أردت أن أتوضأ فتزحلت رجلی وانكفأت فى المیضة، ولم یكن أحد یتوضأ معی، وكدت أغرق لولا أن سمعنى أبى، فالتقت لیرى ماذا حدث فرأنى فأنقذنى. وكم للمیضة من ضحایا. ومما یزید المیضة ضرراً الملاية لها من بئر قریبة القاع من مراحيض المسجد، یتسرب منها بعض المیکروبات إلى البئر، ومنها إلى المیضة، فیزید بذلك الضرر، ولذلك تتصاعد روائح كريهة من المراحيض على المصلین وعلى أولاد الكتاب الذین یتركونه عادة بجوار هذه المراحيض.

المیعة: هی مزيج من عقاقير مختلفة، تجهز وتباع فى الأيام العشرة الأولى من المحرم، ینادون علیها: یا بركة عاشوراء المباركة! یا شهر یا مبارك! یا میعة مباركة!. والمنادى یحمل على رأسه طبلیة علیها عقاقير مختلفة، تتوسطها مادة قاتمة حمراء، تحیط بها أكوام من الملح الملون بالأزرق والكرکم الأصفر؛ فإذا دعى المنادى للرقیا، قال تعویذة معروفة: بخرت اللحاف من وجع الأكتاف؛ بخرت كذا، من

ن

من أولياء الله. وقد روى الجبرتي أن امرأة كانت تدخل بيوت الذوات وتبيت فيها الليالي ذوات العدد، وتدعى العلم بالمغيبات، وصادف أن كانت فى بيت أحد الباشوات وماتت، فلما جاءوا يغسلونها ظهر أنها رجل، فافتضح الذوات الذين كانوا يبيتونها فى البيت، وكانت حادثة شنيعة.

وبعد ذلك كانت حادثة الشيخ بلال اليمنى واتصاله ببعض الأغنياء وإعداد حجرة خاصة له، وتزويجه له بنته، وافتضح أمره بعد ذلك، فظهر أنه فاسق عربي ليس له من الولاية شئ. وكثير من أمثال ذلك من الأحداث.

النّدا: يولع المصريون بتحسين سلعهم التى يبيعونها، ولهم فى ذلك التحسين أساليب مختلفة، فقد ينادون عليها بأصواتهم الجميلة. وأحياناً يعلنون عنها بنسبتها إلى ولّى. فالترمس للشيخ الإمبابى والخص للمليجى. وأحياناً بنسبة الشفاء إليه، كما ينادون على الموز أو الحلبة "الشفاء من الله يا موز" و"الشفاء من الله يا حلبة"! وأحياناً باستخدام البلاغة مثل "زى بيض اليمامة يا عنب" و"نواك لوز يا بلح".

والغريب أن الأشياء التى جددت فى مصر لم تحسن بشئ من هذه التحسينات، كأن الجدد قصّروا عن القدامى، فهم لا ينادون على المانجو، والجوافة إلا بأسمائهما من

النّار ولا العار: هو تعبير أيضاً من تعبيرات العوام، أى أنه يفضّل النار على العار، ومثل هذا الاستعمال شراً العبد ولا تربيته، فولا هنا بمعنى أحسن. ومثله أيضاً الشرط عند الحرت ولا الخناقة فى الجرن.

ناس ياكلو البلح، وناس يترموا بالنوى: تعبير يعنى ناس سعداء وناس أشقياء.

نبيّن زين: طائفة من النساء تدور فى الحارات والشوارع والمصايف تنادى: "نبيّن زين" ويحملن على رؤوسهن فى الغالب قفة أو منديلاً فيه ودع، وتفرد الودع وتدعى أنها تشوف البخت وتبين زين! وبعضهن يصدقن بعض الأحيان؛ إما بسبب أن لها قدرة على الكشف بطريق يشبه التنويم المغناطيسى، وإما أن تكون عندها قوة الفراسة، وإما بكلامها كلاماً عاماً ينطبق على كل حال. وأكثرهن يكذب ولا يقول حقاً، وهى طائفة لا تزال كبيرة فى مصر، وخصوصاً فى القاهرة.

وأحياناً يحترف الرجال هذه الحرفة فيدعون أنهم متصلون بالأولياء أو بالجن، وأنهم يتلقون أخبار المستقبل عنهم. ومن غريب الأمر أن بعض الباشوات الكبار يسمح لهم بالدخول فى بيته، ويفرد لهم غرفة يقيمون فيها، ويسمح لهم بالاتصال بالخدم وسيدات البيت، اعتماداً على أنهم

غير تحلية⁽⁹⁴⁾.

وهناك من وجوه الخير ما هو أبرّ من هذه العادة وأنفع، كبناء مستشفيات وملجأ للأطفال والأيتام وغير ذلك⁽⁹⁵⁾.

نسن السكين: كثيراً ما نرى في المدن الكبيرة في مصر رجلاً يحمل حجر مسنّ ركب على عجلة ولف على العجلة سير، فإذا ضغط برجله على السير دار الحجر. والرجل ينادى عادة نسنّ السكين! نسنّ المقص! والناس ينادون عليه ليسنّ لهم السكين أو المقص على هذا الحجر. فإذا فرغ من ذلك أخرج حجراً آخر أخضر وصّب عليه بعض الزيت وأتم الشدّ عليه بيده. وفي الأمثال القديمة "حجر المسنّ يشدّ ولا يقطع".

النشل: يكثر في مصر النشل، وهو أخذ المال أو المحافظ خلسة. وقد احترف قوم ذلك من رجال ونساء وصبيان، ويسمون النشالين. ومما يؤسف له أن مصر قد اشتهرت بذلك عند السائحين، ووضعت المراكب التي تحملهم إعلاناً كتب فيه ما مضمونه "احترس من النشالين!" وهي سبّة فظيعة. وربما لم تكن مصر أسوأ حالاً من بعض البلاد المتمدنة.

ولهم في ذلك طرق مختلفة، ومهارة ممتازة، حتى ليستطيع مهرة النشالين أن ينشلوا من غير أن يحس المنشول. بل قد ينشلون ضباط المباحث. فإذا لم يستطيعوا أخذ الشيء شقوا الجيوب أو فتحوا شنط النساء وأخذوا ما فيها. ثم لهم حيل

النذور: اعتاد كثير من المصريين تقديم النذور إلى المشايخ الكبار، كالسيد البدوي، وسيدنا الحسين. ولما رأت وزارة الأوقاف أن هذه النذور تذهب إلى جيوب بعض الموظفين جعلت بجانب الشيخ صندوقاً توضع فيه النذور، وحرمت على الخدمة أخذ شيء منه، وهي كل ثلاثة أشهر تفتحه بمحضر رسمي، وتوزعه بنسبة معروفة عندها على الخدم: هذا لشيخ المسجد، وهذا لمؤذنه، وهذا لکناسه. والمصريون وخصوصاً الفلاحين يفوقون غيرهم في هذا. وقد يحرم البعض أولاده من أكل شيء يتطلعون إليه من أجل أنه منذور للسيد البدوي. فهذا ينذر عجلاً، وهذا ينذر بقرة، وهذا ينذر شاة، وهذا ينذر عشرة جنيهاً ذهباً أو ورقاً، ونحو ذلك.

وهم عادة ينذرون هذا النذر معلقاً، كأن يقولوا "إذا شفى ابني المريض من المرض فللسيد البدوي خروف، وإذا قضيت لي حاجة فللسيد البدوي عشرة جنيهاً". ثم هم يوفون بنذورهم على الأكثر خوفاً من السيد البدوي أن ينتقم منهم إذا لم يفوا. وتذهب هذه النذور عادة ممن يستحقونها إلى من لم يستحقونها.

وبعض من يأخذ هذه النذور ربيّ ثروات كبيرة. وقد قرأت اليوم في الصحف إعلاناً عن تأجير مائة فدّان تجمعت عند صاحبها من أموال النذور. وحيداً لو عقل المصريون فتركوا هذه النذور وأبطلوا هذه العادة؛

والأعيب، خصوصاً على من تفرّسوا فيه أنه فلاح مغفل أو غريب الدار. وبعضهم يسرّح الأطفال بعد أن يعلمهم طرق النشل. وكثيراً ما يكون لهم شيخ يسلمونه ما نشلوه، وهو يعطيهم القليل منه، ويستلب منهم الكثير. وكثيراً ما تنضم إلى رذيلة النشل رذائل أخرى خفية تتضح عند اكتشاف النشالين.

النشوق: ويسمى أيضاً السعوط، هو نوع من ورق الدخان يدق ويضاف عليه قليل من النطرون فيما أظن؛ وبعد أن يسحق يشمّ في الأنف فيهيجه ويسيل المخاط منه. ومتعاطوه كثيراً ما يحملون معهم منديلاً أحمر كبيراً للنفّ.

وكانت توجد دكاكين في أكثر الأحياء لبيعه، وكان استعماله منتشرًا خصوصاً بين علماء الأزهر ومن اتصل بهم، لأنهم أجازوا استعماله في المسجد دون استعمال الدخان وكانوا عادة يشترونه في قرطاس ويضعون منه في علبة خشبية صغيرة، وقبل أن يتنشقوا يضربون ضربات خفيفة على رأس العلبة لينزل منه ما قد يكون علق به. ولتهيجه أنف المتعاطى يزيد عطاسه خصوصاً من لم يعتده. وقد قلّ كثيراً بقدر ما انتشرت السجاير وتدخينها، وشم الكوكابين وأمثاله.

النظافة: مما يؤسف له أن النظافة لم تنل من المصريين العناية الكافية، وربما كان الجوّ عاملاً في ذلك. وقد رُتبت الأمم

الشرقية في النظافة فكان الأتراك أولاً، ثم اللبنانيون والسوريون، ثم المصريون، ثم الإيرانيون، ثم الهنود. وكانت مأكولاتهم تعرض في الطريق للذباب والغبار. وقلّ من الفلاحين من يلبس حذاء. وهم يأكلون الفجل والكرات بعد غسله بماء قذر في الترع، ويشربون ماء النيل من غير تقطير؛ وهكذا من مظاهر عدم نظافتهم. ولعلمهم يسبغون إلى الأمام سريعاً في سبيل النظافة. وقد تمر على الأطفال والفقراء فتجزم أن وجوههم لم تغسل بالماء منذ أيام، وأن ملابسهم لم تغسل منذ أن لبسوها. وتدخل بيت الوجيه وخصوصاً في القرى فتجد أثاثاً فحماً وموائد فحمة لكنها تنقصها النظافة.

وقد امتازت بيوت الأتراك في القاهرة، الحق يقال، بالنظافة التامة لما تعودوه في بلادهم. والحارات البلدية في القاهرة من أدل الأشياء على القذارة خصوصاً في أيام المطر، فوحل وماء قذر ورائحة عفنة ونحو ذلك.

وقد يصادف وأنت مارّ طشت ماء من الغسيل ألقى عليك! والفقراء عادة لا يتورعون من رمي مصاصات القصب في الشارع وقشر البرتقال وقشر الموز وقشر البطيخ، فيكون الشارع قذراً مهما كنسه الكناسون.

نظام الطبقات: الطبقات في الأمم تنشأ تبعاً للتاريخ، ولما كان تاريخ مصر ذا أحداث خاصة نشأت الطبقات فيها نشأة خاصة. وقد كثر الفاتحون وتتابعوا من يونان

لإضرابهم ويعلم بعضهم بعضاً المطالبة بحقهم. أما الفلاحون فيفارقون، وتفرقهم يضعف من شأنهم. على أننا سمعنا فى الأيام الأخيرة حركة جديدة قاموا بها يطالبون بالعدل ورفع الظلم؛ ولا يعلم إلا الله منتهأها. وكان من أهم أغراض الثورة الأخيرة فى مصر إزالة الفروق بين الطبقات بتحديد الملكية وإلغاء الرتب والنياشين، ونحو ذلك.

نعل الجلشنى: الجلشنى مسجد فى القاهرة عند مسجد المؤيد، وهناك نعل صغير يزعم الناس أنه نعل الشيخ الجلشنى، والناس يعتقدون فى هذا النعل ويتبركون به، ويشربون من مائة غرافاً من بئر، وله يوم مخصوص فى الأسبوع هو يوم الأربعاء، يزار فيه الجلشنى ويتبرك بنعله.

نظره على قدّه: يستعملون على قدّ كثيراً بمعنى قليل، فيقولون نظره على قدّه إذا كان قصيراً، ومعيشته على قدّه. إذا كان فقيراً وهكذا.

انْفَتْحَ زَى الْبَرَابُند: تعبير يعنى تكلم كثيراً بطلاقة وتدفق.

نقاوة عيني: تعبير يعنى اخترته على عيني.

نقبه على شونه: تعبير يقال فى الأصل للحرأى ظلّ ينقب. وأخيراً انتهى نقبه إلى شونة حيث لا ذهب ولا فضة، إلا قمحاً أو شعيراً تصعب سرقة، ثم استعيرت لكل

ورومان وعرب، وترك وفرنساويين وإنجليز... إلخ. فنشأ عن ذلك أن الفاتحين كانوا هم الطبقة الأرستقراطية دائماً وأقلّ منهم كثيراً الطبقة الفقيرة من فلاحين وعمال وصناع، ويكونون أعظم الشعب، وبين هؤلاء وهؤلاء طبقة وسطى. ورغم أن الإسلام سوى بين الطبقات فإن النظام الاجتماعى فارق بينها. وقد اعتادت الطبقة الفقيرة احترام الطبقة العالية والذل والخضوع الشديد لها.

وأظهر الطبقات طبقة الأمراء، وكان العلماء طبقة ممتازة يصغى إلى أوامرها العامة والأمراء معاً، وكثيراً ما تدخلوا فى الحركات السياسية لهذا السبب، ولكن ضعف شأنهم على توالى الأيام، ولم يعد لهم تأثير كبير لا على الشعب ولا على الأمراء. ويلي هؤلاء وهؤلاء كبار الملاك والتجار، وهم أثرياء ثروة متوسطة. وفى الزمن الأخير كثر عددهم وسلطانهم. ويلي هؤلاء جميعاً طبقة العمال والصناع، وهم ينقسمون إلى طوائف، كل طائفة منهم لها نقابتها يفضون مشاكلهم ويرعون أمورهم بأنفسهم. وآخر طبقة هى طبقة الفلاحين، وهم أكثر عدداً ممن قبلهم وأسوأ حالاً وأكثر بؤساً وأشدّ تعرضاً للمظالم.

ولما جاءت الحروب الكبرى الأخيرة زلزلت هذه الطبقات وجعلت عاليها وسافلها وسافلها عاليها، وأفهمت الطبقات الفقيرة حقوقها، وعلمت الإضراب لنيل حقوقهم. وكان العمال فى ذلك أسرع من الفلاحين وأقدر، لأنهم متكثرون وتكتلهم يجعل قيمة

رجل يأتي عملاً لغرض ثم ينقلب عليه غرضه فلا يكسب شيئاً.

النقطة: يطلقها المصريون على أول نقطة ترد من الأمطار إلى مصر، وتكون عادة في 11 بؤونة، وهم يستبشرون بها وينسبون إليها تنقية الهواء، ومنع الأمراض، وخصوصاً الطاعون. وقد اعتادوا أن يضعوا في تلك الليلة قطعة من الطين المجفف يقيسون به الفيضان، فإن ابتلت بالماء دل ذلك على أن الخير سيكون عظيماً، وهم يعتقدون أنه في هذه الليلة إذا وضعت عجينة اختمرت لاعتدال الجو، والمصريون يحتفلون بليلتها. ويسمونها ليلة النقطة.

وللنقطة معنى آخر وهو المال الذي يمنح للعروس أو للعالم ليلة الدخلة، وكانت العادة أن يوضع منديل في حجر العروس والمعازيم ينفخ العروسة من المال كل على قدره. ويسمون ذلك كله نقطة. وكذلك عند زفة العريس تقف الزفة على بعض الأماكن، وينادي بعض الخاصة: شوبش شوبش! فينقط من يشاء. وكذلك تنقط العوالم بعد الزفة. وأحياناً يرسل الأصدقاء بعضهم إلى بعض هدايا لمناسبات، كزواج بنتهم، أو ظهور ابنهم أو ابنتهم، أو عودتهم من الحج، أو نحو ذلك، وتسمى نقطة. وتكون هذه النقطة كدين على المهدي له، يؤديها عندما تحدث مثل هذه المناسبات للمهدي.

النمس: هو حيوان منتشر في مصر، ويمكن استئناسه، فإذا استؤنس أفاد صاحبه بإباده للفران، ولكنه يؤذيه من جهة أخرى

بأكله للحيوانات الأخرى كالجدجاج. ومعروف عنه أنه يببب التماسيح الصغيرة، ويفحص عن بيضه في الرمل وبيالغون في ذلك فيقولون إنه إذا فتح التماسيح فمه دخل النمس في فيه فقتله. وفي القوانين المصرية القديمة نصوص صريحة توجب حمايته وتوصى به، لأنه يأكل الفران والحيوانات الضارة.

والمصريون يطلقون على الشاب الماكر الماهر الذي يصل إلى غرضه بأساليب ناعمة "نمس".

النوبيون: هم سكان النوبة وهم سمر الألوان بونهم أشبه ما يكون بلون الحبش. وقد اشتهروا بالأمانة والنظافة والصلاحية للخدمة، ولذلك تراهم يملأون البيوت للخدمة، كما يملأون الفنادق والقهوات. ولا يغنى عنهم البيض. وكثيراً ما يتزوجون ويتركون زوجاتهم في بلادهم، ويأتون إلى مصر ويقيمون فيها سنوات ثم يعودون إلى بلادهم للإقامة فيها على الدوام أو بعض أشهر.

وفي الأيام الأخيرة اعتاد بعضهم الوقوف في الشوارع حيث تقف السيارات، فإذا خرج صاحب السيارة أو سواقه نصحه بأن يسير إلى الوراء قليلاً أو كثيراً ليتمكن السير إلى الأمام في نظير قرش أو نصف قرش. ولهم لباس خاص، وهو القفطان الأبيض أو الجلاب و عليه أو عليها حزام أحمر.

وقد يشاركونهم بعض السودانين في أعمالهم؛ وهم أسود منهم لوناً، ولكنهم لا يكثرثون كثرتهم. وهم بحكم أنهم أقلية

يرتبطون فيما بينهم ارتباطاً كبيراً، حتى أن بعض القهوى يكون كل جلاسها منهم، لأن صاحب القهوة ومقدمها منهم⁽⁹⁶⁾.

نماذج: نسوق تحت هذه الكلمة بعض نماذج الأحداث والأشخاص تعتبر نماذج للناس في مصر، وما كان يجرى فيها، مأخوذة من تاريخ الجبرتي. قال في ترجمة "إيواظ بك" إن أصل اسمه "عوض" حرّفت باعوجاج اللسان التركي إلى "إيواظ" فإن اللغة التركية ليس فيها الضاد، فأبدلت وحرّفت حتى صار فيها "إيواظ". وهو شركسي الجنس قاسمي، أي أنه يتخذ الشارة القاسمية، تولى الإمارة عوضاً عن سيده مراد بك. وقد تلقى مرسوماً بالركوب إلى الصعيد للتغلب على العربان وإجلائهم عن البلاد، لأن الملتزمين والفلاحين يتظلمون منهم، فجمع "إيواظ بك" نحو ألف جندي وخرج إليهم بموكب عظيم، ثم طلب الإمداد فأجيب إلى طلبه؛ فحارب العربان وانتصر عليهم، ففروا إلى الوجه البحري عن طريق الجبل، بعد أن نكل بهم تنكيلاً كبيراً، وقتل بعضهم ونهب جمالهم. وفي وقعة من الوقعات أخذ منهم ألفاً وسبعمائة جمل بأعمالها. وعاد "إيواظ بك" ودخل القاهرة في موكب عظيم وخلعت عليه الخلع.

ولما عاد إلى مصر وجد بعضهم تترسوا في جامع السلطان حسن، فحاربهم وانتصر عليهم بعد أمور وحروب يطول شرحها. وحدث أن بعضهم أحرقوا بيت أمير وما

لاصقه من البيوت والحوانيت والرباع. فركب "إيواظ بك" وأمامه القواس بمزراق، فاشتبك المزراق في الباب فانكسر، فتطير "إيواظ بك" من ذلك وطلب مزراقاً آخر. وفعلاً انهزم "إيواظ بك" وكانت فتنة كبيرة يقول فيها الشيخ حسن حجازي قصيدة مطلعها:

أيها الشخص لا يكن منك متعب

إن إيذاء خلق ربك معطب

ومنها:

وعلينا مدافع نصبوها

في أعالي الأبراج ترمى بملهب

وبيوتاً عديدة حرقوها

مع نهب الأموال من غير موجب

وأحاطوا بنا وقد منعونا

استقاء من نيلنا أو مصوب

فعطشنا وماء ملح شربنا

رمونا بكل ما كان يرعب

مدة مستطيلة ثم باءوا

بعقاب لم يبق منهم معقب

والذي ذكرته هنا مجمل

لو بسطناه لضاق تعبير معرب

ويستفاد من هذا الجزء أشياء كثيرة منها:

أولاً: كثرة فساد العربان وتأديبهم بالقتل

والتشريد، ثانياً: كثرة المظالم على الناس

بشتى أنواعها، ثالثاً: تحريف الأتراك

لكلمات عربية إلى نطق غريب تركي،

كتحريفهم عوض إلى "إيواظ"، رابعاً:

احتمال الأهالي الظلم وصيرهم عليه،

خامساً: ضعف الشعر، ومع ذلك عنايته

بتسجيل الحوادث، إلى غير ذلك.

وهذا منظر آخر يصور لنا الكرم العربى مع الغنى العريض والجاه الواسع، كما يصور لنا نوعاً جديداً من الحياة التى يحيها هؤلاء الأغنياء المترفون من الأعراب.

ونموذج ثالث: يمثل لنا حياة العلماء فى ذلك العصر: كالشيخ حسن الكفراوى، فهو عالم من علماء الأزهر، وُلد ببلدة كفر الشيخ، ومن ذلك سُمى الكفراوى. وقرأ القرآن، وحفظ المتون بالمحلة الكبرى، ثم حضر إلى مصر وحضر إلى شيوخ الوقت، ومهر فى الفقه والمعقول، وتصدّر ودرّس وأفتى، وتداخل فى القضايا والدعاوى، وفصل فى الخصومات بين المتنازعين، وأقبل الناس عليه بالهدايا، وتجمّل بالملابس وركوب البغال، وأحذق به الاتباع. ووفدت عليه الناس، ثم تزوج بنت جزار بالحسينية، وسكن بها، واحتاط به أهل الناحية، وصار له بهم نجدة على من يخالفه أو يعانده ولو من الحكام. وتردّد على الأمير محمد "بك" أبو الذهب قبل استقلاله بالإمارة. فأحبه محمد "بك" وحضر مجالس دروسه فى شهر رمضان بالمشهد الحسينى.

فلما استبد محمد "بك" بالأمر لم يزل يراعى صحبته، ويقبل شفاعته فى المهمات، ويدخل عليه من غير استئذان فى أى وقت أراد، فزادت شهرته. ولما بنى محمد "بك" جامع عيّن الشيخ حسن رئيساً له. واجتمع المترجم له بالشيخ صادومة المشعوذ، وكان يدعى أن شعوذته من باب الولاية والكرامات، إلى أن اتضح أمره ووافاه الأجل والحمام بعد أن تمرّض

النموذج الثانى: شيخ العرب همام بن يوسف كان غنياً كبيراً، ملجأً للفقراء والأمراء، ومحط رجال الفضلاء والكبراء. تنزل بحرمة قوافل الأسفار، إذا نزلت بساحته الوفود والضيوفان، تلقاهم الخدم وأنزلوهم فى أماكن معدة لأمثالهم، وأحضروا لهم ما يحتاجون إليه، من سكر وشمع عسل وأوان، ثم يحضرون لهم مرتب الطعام فى الغذاء والعشاء، والفقير وفى الصباح تحضر المرببات والخلوى، سواء كانوا يعرفونهم أو لا يعرفونهم، وإن أقاموا على ذلك شهوراً لا يختل نظامهم. وكان ينعم بالجوارى والعبيد والسكر والغلال والتمر والسمن والعسل. وكان الفراشون والخدم يهيئون الفطور من طلوع الفجر إلى ضجوة النهار، ثم يشرعون فى أمر الغذاء من الضحى إلى قرب العصر، ثم يبتدون فى أمر العشاء. وعنده من الجوارى والسراير والمماليك والعبيد الشئ الكثير. وكانت أملاكه واسعة، فله فى زراعة القصب وحدها اثنى عشر ألف شونة، وكانت شون غلاله لا تعد، تكتل أتلاً. وعنده من الأجناد والقواسة الشئ الكثير، فيقضى الأقباط والمحاسبون عنده زمناً طويلاً ليلاً ونهاراً، لمحاسبته وبيان ما وما عليه. وإذا جلس مجلساً عاماً وضع بجانبه فنجاناً فيه قطن وماء ورد، فإذا قرب منه الأجلاف وتحادثوا معه وانصرفوا، مسح بتلك القطنه عينيه وشمها بأنفه حذراً من رائحتهم. وكان له صلوات بالعلماء والأمراء كالسيد مرتضى الزبيدى وغيره.

الأزهر. وكان كثير قبول الرشوة. صادر الأغنياء على أموالهم، واقتدى به في ذلك غيره، حتى صارت الرشوة سنة مقررة. وكذلك كان يصلح على تركات الأغنياء التي لها وارث. ومن أكبر سيئاته إثارته العدا بين الأمراء وتسليطه بعضهم على بعض. ولذلك تنفسوا الصعداء لما أخرج من القاهرة.

نستنتج من ذلك: أن الأمراء كانوا يظلمون ويتصدقون وبينون الأسبلة والمساجد ظناً منهم أن هذه تغفر لهم سيئاتهم، كما تدلنا هذه السيرة على ما كان في تلك الأزمان من جور وفساد، وسلب ونهب. وما أكثر ما احتمل المصريون!

هذه نماذج من تركى وشيخ عرب وعالم وأمير. وهى تمثل أصناف الناس من الطبقة الوسطى والعليا، ولا يختلف عنهم أمثالهم إلا قليلاً. فقد يزيدون فى بعض الصفات وقد ينقصون. ويمكن أن نتصور الشعب المصرى من هذه النماذج على قدر الإمكان، إلا أفراداً شذوا فى باب الخير أو باب الشر، فمنهم من زهد فى الدنيا، ومن الحكام من عدل، ومن العلماء من تورّع أو تصوّف، ولكن عددهم قليل، والعبرة بالغالب.

النيل: تعد مصر بحق هبة من هبات النيل، وقد سمى النيل نيلاً من اسم نيلوس، أحد الفراعنة القدماء، لما قام به نحو النيل من جلائل الأعمال. وقد بهر النيل أبصار اليونان فقرر بعضهم أن الماء أصل الكائنات وأسسوا

شهوراً وتعلل، ولم يكن مثالاً للعلماء الزاهدين. رحمه الله.

يستنتج من هذا: (1) أن بعض العلماء كان واسطة بين العامة والأمراء، (2) بعض العلماء يؤيد المشعوذين فى شعورهم، (3) استتجاد العلماء أحياناً بالشطار ورؤساء الحرف والصناعات ليحتموا بهم عند اللزوم. ونموذج رابع: من الأمراء فى عهد المماليك للأمير عبدالرحمن كتخده:

كان لما مات سيده لم يأخذ شيئاً من المال الموجود. فغضب وخرج من وجاقهم إلى وجاق آخر، فلما مات واضع يده على أمواله انتقل الأمر إلى زوج أم عبدالرحمن، فاستدعاه وسلم له التركة أجمعها، وكان شيئاً يجلّ عن الوصف. فرجع عبدالرحمن إلى وجاق الانكشارية، وعلا أمره من حينئذ. ثم تولى الإمارة فأبطل خمامر حارة اليهود، وأنشأ كثيراً من الأسبلة والكتاتيب، وزاد فى الجامع الأزهر مقدار النصف وبنى له فيه مقبرة. وعلى العموم أنشأ عمارات كثيرة فى كل حى. وكان إذا جاء رمضان اجتمع الفقراء على باب بيته فأخرج لهم اللحم والفتّ، وأعطى كل رجل سحوره، ثم اشتد ساعد على بك الأمير عدوّه، فأخرجه من مصر وأبعده إلى الحجاز. ولما رجع من الحجاز رجع ممرضاً فلم يلبث إلا قليلاً ومات، وخرجوا بجنازته فى مشهد حافل حضره العلماء والأمراء والتجار ومؤذنو المساجد، وأولاد الكتاتيب التى أنشأها، ودفن بمدفنه فى

إلى مصر العليا، وينصرف بعضها إلى جهات مختلفة كثيرة ويرشح بعضها. والزيادة في النيل لا تأتي مطردة منتظمة، بل قد تختلف زيادته في بعض السنين، وقد تجئ متأخرة. وفي أواخر سبتمبر أو أوائل أكتوبر تبلغ الحد الأعلى من ارتفاعها، ثم تهبط بالتدريج حتى تكون التحاريق في مارس وأبريل ومايو. وليس الفيضان كما يظن بعض الناس الأجانب سيحان النيل على الأرض فيغمرها كالطوفان، وإنما هي عبارة عن امتلاء مجرى النيل وترعه وارتفاع الماء فيهما. وإذا بلغ النيل حداً مناسباً لرى الأراضى، وذلك يحدث في النصف الأخير من أغسطس، احتفل في القاهرة بفتح الخليج الذى كان يخترقها من جانب إلى جانب، فيضيئون الأنوار، ويطلقون الأعيرة النارية بأشكال مختلفة، وتعزف الموسيقى، ويغنى المغنون، وتسير في النيل زوارق مزينة بالأعلام. وقد كان شائعاً أن المصريين يرمون فتاة جميلة في النيل محلاة بالزهور؛ وقد أبطها عمر بن الخطاب، ثم ظهر أنها خرافة كاذبة، وإنهم إنما يرمون هيكلاً من الطين على شكل فتاة. وكثير من مياه النيل يضيع سدى في البحر الأبيض المتوسط من فرعى دمياط ورشيد. وللنيل في القاهرة مقياس في الروضة قديم تجاه مصر العتيقة، وهو عبارة عن عمود من المرمر الأبيض، قائم وسط بحيرة تتصل بالنيل، والعمود ذو ثمانية أوجه، مقسم ستة عشر قسمًا، كل قسم منها ذراع؛ فإذا ارتفع النيل ارتفع ماء البحيرة فأمكن

مدينة أطلقوا عليها اسمه، وشادوا هيكلاً فخماً كان النيل في هذا الهيكل ممثلاً في صورة شيخ تحته مرممر أسود، رمزاً إلى بلاد الحبشة، وكأل رأسه بالسنابل، واستند إلى تمثال أبو الهول، وجعل عند قدمه تمساح وفرس بحر، حيث يصب النيل، وأحيط بصورة تمثل الستة عشر طفلاً، ترمز أوضاعهم اللطيفة إلى ما اكتسبوه من نعمة فيضان النيل. واشتهر شلالات النيل شهرة عظيمة من أكبرها شلال أسوان، ويسمى خريز الماء من مسافة بعيدة. وقد كان الشلال جبلاً كان يعترض النيل، فتمكن من قطعه في عدة مواضع حتى يمر الماء منه، خصوصاً في أيام الفيضان.

ويتكون مجرى النيل من ماء وطمى، ويختلف عرضه وعمقه بحسب الأماكن، كما تختلف صفتا النيل كبيراً وصغراً، وكما تختلف في أيام الفيضان، وأيام التحاريق؛ ويمر النيل وترعه بجميع مدن القطر المصرى وقراه، وتقوم على قراه القصور والعزب. والنيل كغيره من الأنهار تزداد مياهه سنوياً عقب الانقلاب الصيفى. وحده بالفيضان ستة عشر ذراعاً إلا في سنوات نادرة، ويبدأ الفيضان في جهة الحبشة في أبريل ومايو ويؤنيه على أثر نزول الأمطار الغزيرة، ثم تمر المياه إلى الخرطوم في أوائل أبريل، ولا تظهر في القاهرة إلا في النصف الأخير من يونيو؛ أعنى أن المياه تصل إلى القاهرة في نحو ثلاثة أشهر.

وسبب هذا البطء أن المياه الأولى للفيضان تذهب في الطريق قبل وصولها

قياسه. وقبيل الاحتفال يمرّ المنادون على أبواب البيوت ويعنون أغنيات مختلفة منها: البحر زاد! غرق البلاد! والأطفال حولهم يجيئونهم في كل نداء بقولهم: عوفا الله! بإمالة الألف إلى الله. وربما كان أصلها أوفى الله، أى أوفى الله النيل. فإذا انتهى الاحتفال بالخليج مرّ المنادى وأطفاله على البيوت يوزعون بعض البلح والليمون الحلو والبرتقال الحادق، يرجون بذلك المكافأة بقرشين أو خمسة أو عشرة، كل على حسب استعداده. وقد كان هذا العمل رائجاً في مصر ثم كاد يندثر مع المدنية.

وكثير من ماء النيل يذهب رشحاً في باطن الأرض، بسبب ضغط مائه على ضفتيه وتخلل أجزاء الأرض. وفي الأرض عروق يجرى فيها الماء كأنها قنوات، ويأخذها المصريون بواسطة الآبار الارتوازية أو السواقي العميقة. وفي العادة يحمّر ماء النيل في أيام الفيضان، ويخضر في أيام التحريق. ومن الغريب عزوف الرجال عن شرب الماء المقطر أو المرشح، أو بعبارة أخرى من الطلمبات، لأنهم يعتقدون أن ماء النيل أبعث للقوة.

النيل نجاشى: تعبير اخترعه أحمد شوقي. ومعناه أسمر نحاسى.



هَاتهُ مِنْ شَعْرٍ رَاسِهِ: هو تعبير بالقوة.

مع الجار، ونحو ذلك.

هَاتِي يَا سِدْرَةَ، وَدَىٰ يَا مَدْرَةَ: تعبير يعنى أنه أسرف في حياته حتى أنفق ما جمع.

الهزل: يسمى الهزل، ويسمى المزاح، ولهم في ذلك أعاجيب ذكرنا بعضها عند الكلام على النكتة والفكاهة فارجع إليهما.

هرجلة: معناها الفوضى. والهرجلة كثيرة في مصر، ومعناها عدم النظام، تجدها عند حضورك سينما أو تمثيلاً، وتجدها في المجتمعات وفي الأفراح، وخصوصاً عند حضور أولاد البلد أو تلاميذ المدارس. وتجدها في الرجال والنساء، وفي التلاميذ حين يضربون. فقسم يريد الإضراب، وقسم لا يريد، وقسم يهتف لهذا، وقسم يهتف لذلك. ولم يتعلموا بعد المظاهرات الصامتة. فإذا تظاهروا كسروا الترام وفوانيس الشوارع ودكاكين التجار.

هزيمة الجيوشى: هى نوع من العزائم المشهورة، وصفتها أن يكتب الخاتم الآتى: فى كاغد أخضر بماء ورد وزعفران ويختر بلبان الذكر والمستكا، على أن يكون الطالع هو الميزان والساعة للشمس، ويجعل تحت الذى يريد منزلة أعدائه، ويستعمله أيضاً قائد الجيوش فإنه يتغلب على أعدائه، وهو صورته:

سيهزم	الجمع	ويولون	الدبر
الجمع	ه ه	د د	ويولون
ويولون	د د	ه ه	الجمع
الدبر	ويولون	الجمع	سيهزم

وتجد الفوضى فى المصالح أيضاً؛ فورق هنا وورق هناك. وورق يضيع بين الموظفين. وهرجلة أخرى فى الملابس، فهى متعددة الأشكال، عمّة وطربوش، ولبدة وطاقيّة، وجليبيّة وجبّة وقفطان، وجاكتة وبنطلون، إلى آخر أنواع الهرجلة. حتى يحسبهم الإفرنجى إذا نظر إلى الشوارع المصرية لأول مرة أنهم كرنفال. وفوضى فى مجالس الغناء. فى كل نغمة أه وآهات! وحديث بصوت عال

ويستعمل أيضاً فى قضاء الحوائج وعند الدخول على العظماء.

هشك: إذا لاعب الأب أو الأم طفلهما الصغير فأمسكاه بين أيديهما ورفعاه إلى فوق يقال لهذه العملية "تهشكة".

هَقَّتْنِي نَفْسِي: تعبير يعنى اشتقت.

هُفَّ طَلَعَ النَّهَارُ: كان الناس قديماً يعيشون ليلاً في ضوء الشمع أو القنديل، أو مصباح جاز، فإذا بدأ النهار أطفأوا المصباح بقولهم "هف" وهى حكاية صوت الإطفاء. فإذا قالوا هف أطفأوا المصباح وذلك دليل على طلوع النهار. وهم يقولونها للدلالة على تغيير الحال إلى أسوأ، فمثلاً إذا ذهبت أيام عزه، وأصبح شقيماً بانساً. أو ذهبت أيام غناه، وأصبح فقيراً، قالوا إذ ذاك "هُفَّ طَلَعَ النهار".

الصفوح والنحاس يصيحون صيحات مختلفة لاعتقادهم بأن الجن خنقت القمر أو الشمس، وهم بهذا الدق والدعاء إذ يدعون: يا لطيف يا لطيف! يظنون أنهم يبعدون الجن عن القمر أو الشمس⁽⁹⁷⁾!

هَمَّ عَيَانٌ، وَهَمَّ مَامَعَاهُوشُ فُلُوسٌ: تعبير يستعملونه كثيراً، فيستعملون هم بمعنى من ناحية.

هنومة: يطلق على المرأة الجميلة الحسنة التقاطيع "هنومة". ويسمون نوعاً من السمك أيضاً "هنومة"، فلعلهم شبهوا المرأة الصبوح بها.

هُوَ أَنَا اشْتَكَيْتُ مِنْ شَيْءٍ شَوِيَّةٍ: تعبير يعنى لم أشكك من شئ قليل، بل شكوت لما فاض بى الهم.

هُوَ دَاخِلٌ عَامِلٌ زَيْطَةٌ وَزَنْبَلِيَّةٌ: تعبير يعنى دوشة.

هُوَ السَّمَا وَأَنْتَ الْقَمَرُ: تعبير يعنى أنك حللت فى قلبه محلّ السماء يدور فيها القمر.

هُوَ عَقْلُكَ دَفْتَرٌ؟: تعبير يقال للاستغراب مَمَّنْ حَسَنْتَ ذَاكَرْتَهُ.

هُوَ قَالَ كَدَهُ وَأَنَا اتْبَلَيْتُ: تعبير يعنى أنه بمجرد ما قال ذلك خجلت من قوله.

الهلال: هو القمر أول ما يبدو، وللمصريين عقيدة كبيرة فيه، فإن رؤيته تؤثر فى الشهر كله. فإذا رآه أحد هَلَّلَ وابتهل إلى الله وقال: "اللهم اجعله شهراً مباركاً علينا وعلى من يتصل بنا" وعندهم عقيدة فيه مربوطة بوجوه الناس، فمنها وجوه خيرة، ومنها وجوه شريرة. فإذا فتح الإنسان عينه أول ما يرى الهلال على وجه سعيد كان الشهر كله ذا حوادث سعيدة، وإن فتح عينيه على وجه نحس كان الشهر كله بؤساً. ولذلك يكف بعض الناس عن رؤية أى أحد، ويتعمد بعده أن يفتح عينيه على المرأة ليرى فيها وجهه كأن وجهه أسعد مخلوق.

وبهذه المناسبة إذا حدث خسوف للقمر أو كسوف للشمس دق الأطفال والنساء على

هي دى أخلاق بنى آدمين: بنى آدمين
جمع ابن آدم. أى أهذه أخلاق ناس طيبة؟.

هي حسبة برمّة: تعبير يقال للحسبة
يحسبها الرجل فيطيل فى حسابها، فيستتكر
عليه ويقال هيّ دى حسبة برمّة ولا أدرى ما
أصلها.

هيّله هُبّ هيّله: تعبير يقوله المراكبية عند
زحزحة المركب. ومثلها هُبّ ليصًا.

و

فى وقت معين، فيقال وجبة الطعام، أى الأكلة التى تؤكل فى وقت معين دورى. ووجبة العمل أى العمل المفروض على شخص يعمل فى وقت معين، كوجبة الخفير، أو التلغرافجى.

وكان الفلاحون يطلقونها على الملتزم عند ذهابه لتحصيل المال من القرية. وذلك أن الأراضى الحكومية كانت تؤجرها الحكومة لملتزمين وهم الذين رسا عليهم المزداد، وهم يؤجرونها لصغار الفلاحين بأجور مرتفعة. ثم يذهب هؤلاء الملتزمين للقرية من حين لآخر ليأخذوا الإيجار. والملتزم فى العادة يذهب ومعه بعض الأفراد، وعلى أهل القرية أن يؤكلوا الملتزمين ومن معهم خرفاناً ووزاً ونحو ذلك، وتسمى هذه وجبة.

وأحياناً يكون الملتزم قبطياً فيأتى هو أيضاً من الظلم والعسف مع المسلمين ما يشفى غليله وهو يدخل القرية عادة فى موكب عظيم من الخدم والحشم، ويركب عادة فرساً مسرّجة لها ركاب مطلقى بالذهب، وللركاب حديدتان خارجتان، فإذا أرسل إلى الفلاح الذى عليه الإيجار حضر يرتعد من الخوف، ويقف بجانب فرسه وهو راكب، ويسبه ويغلظ له القول ويقول له: "لابد أن تحضر ما عليك الآن وإلا أضربك بهاتين الحديدتين فيجرحه أو يميته". وتوزع

الواو: حرف الواو فى اللغة العامية يساوى عند الإفرنج O، وهو واو خفيفة وواو ثقيلة. والنوعان يظهران فى كلمة بوسة ودلوعة، مع أنه فى اللغة الفصحى ليس هناك إلا النوع الثانى، كيلقبون ويقرؤون.

وأبوها: تعبير يستعمل كثيراً فتسأل رجلاً، هل تستطيع أن تفعل هذا الشئ فيقول لك وأبوها، أى أنه يستطيع أن يفعل أكثر منها.

الواحد ما يخدم إلا نصيبه: تعبير يستخدم دلالة على الإيمان بالقضاء، ولكن مع الأسف أنها تستخدم أحياناً لتبرير الكسل.

الواحد يكلمه بعرض حال: تعبير يعنى أنه متكبر لا يتكلم إلا بصعوبة.

واخذ منى على خاطره: تعبير يعنى هو غضبان منى وعاتب على.

واوا: يقولها الطفل إذا أحس بوجع، وقد يسمى موضع الوجع نفسه "واوا"؛ ويظهر أن أصلها قبطية قديمة.

الوجبة: هى اسم للمرّة من الشئ تعمل

فتحرك، وانكب السلطان على الأرض
مغشياً عليه، ثم أفاق السلطان فقال له: اعف
عنى أيها الشيخ! قال له: أنا لا أريد شيئاً إلا
أن لا تؤمر النصارى ولا اليهود على
المسلمين وإلا هلكت. وخرج الشيخ من عنده
على غاية من الكرامة والتبجيل، وذهب إلى
قريته.

والذى ألجأ السلطان إلى تعيين الأقباط
مهارتهم فى الحساب، ولذلك قال قائلهم:
لعن النصارى واليهود جميعهم
نالوا بمكر منهم الآمالا
جعلوا أطباء حساباً لكى

يتقاسموا الأرواح والأموال
ولذلك كان من الفتاوى فى ذلك الوقت
هل يصح الخضوع للنصارى واليهود إذا
ولوا على المسلمين؟ وكان الجواب:
إن خدمة المسلم للكافر حرام، وكذلك
الخضوع له والتذلل له بين يديه، ما لم يخف
منه ضرر أو أذية، بأن يكون حاكماً أو
متولياً أمراً كالصرافين فى ديار الفلاحين.
وظلّ الصرافون من هذه الفئة إلى عهد
قريب. وكثيراً ما ترك الفلاحون أراضيهم
وأماكنهم من الإيجار والوجبات.

وحوى وحوى: هى أغنية منتشرة فى
رمضان بين الصبيان، يجتمع الأطفال بعد
الطور وبايديهم فوانيس صغيرة مضاءة
بالشمع، زجاجها ملون بألوان مختلفة، من
أحمر وأخضر وأزرق وأصفر، وينشد
منشدهم: وحوى وحوى! فيجيب الآخرون

عادة الوجبة على الفلاحين بحسب غناهم
وفقرهم، فهذا عليه خروف، وهذا عليه وزّة
وهذا عليه فطير، وهكذا. والفلاحون
يرتعدون منهم، وقد يحرمون أنفسهم طول
السنة ويضنون بالشاة أو الوزّة على أولادهم
ليقدموها وجبة للملتزم. وأحياناً تحوّل
الوجبة إلى مال يزداد على الإيجار ويدفع
معه.

ويروون فى تاريخ مصر حادثاً غريباً،
وهو أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد كان
السلطان فى زمنه قد ولى صرافاً قبطياً على
إقليم يقبض ماله، فاتفق أنه ذهب إلى قرية
ابن دقيق العيد، فأحضر الصراف فلاحاً
وطالبه بما عليه، فقال له الفلاح أمهلنى بقية
هذا اليوم؛ فلم يقبل، وأراد أن يضربه
بالحديدتين ليقتله. ويسمونها "السّفايت"
واحدتهما "سقوت"، وربما حرّفت التاء إلى
الدال. فولّى الفلاح هارباً، فتبعه القبطى وما
زال الفلاح يجرى حتى رمى نفسه بين يدى
الشيخ. وكان الشيخ يحرق قيمناً من الجير،
وهى صنعة الشيخ فى ابتداء أمره. فقال له
الشيخ أمهله بقية النهار، فلم يقبل، وأغلظ له
القول. فقام الشيخ غاضباً وأمسكه واتكأ على
ظهره حتى قفصه وألقاه فى تنور القمين
فاحترق. وبلغ الأمر السلطان فغضب غضباً
شديداً واستحضر الشيخ وقال له: ما حملك
على حرق القبطى؟ قال له ما حملك أنت
على تولية النصارى على المسلمين وأذيتهم؟
فزاد الغضب بالسلطان وأراد أن يبطش به..
قالوا فأشار الشيخ الذى يجلس عليه السلطان

لحال سبيلك.

وَزُهُ عَلِيٌّ: تعبير يعنى حرّضه علىّ.

وشه يقطع الخميرة من البيت: تعبير يعنى أن وجهه وجه شؤم.

وعنها وشمع الفتلة: كلمة وعنها يستعملونها كثيراً بمعنى إذا به، وشمع الفتلة يكون بها عن الهروب.

الوقاية: يعتقدون أن للعين تأثيراً كبيراً فيمن تقع عليه فيتقونها بالرقى تارة وبالأحجبة مرة أخرى. ويعللون كل الأمراض بالعين وبالحسد، ويسمونها أحياناً "نفس" حتى الحمى. ولعلاج ذلك تأتي العجوز فتوقد ناراً ترمى عليها قطعاً من الشب والفسوخ أو الجاوى، فمتى تبخرت مائيته، فيأخذ أشكالاً شتى، تقول العجوزة إنها صورة رجل أو امرأة هي فلان أو فلانة. وأحياناً تأخذ دبوساً تغرز به في الصورة وتقول: فقأ الله عينها، ولوقاية الفرس يعلق في صدره ناب ضبع، ولوقاية الجمل يعلق على صدره نعل قديم. ومن الشائع بينهم أن يأخذوا قطعة من الورق يشكون فيها الدبوس جملة مرات وفي كل مرة يقولون من عين فلان أو عين فلانة! ثم يبخر المحسود بهذه الورقة مع قليل من الملح والشب.

وقع فى أرابيزه: تعبير يقال للشىء

إيّاحة! ثم يستمر المنشد "بنت السلطان، لايسة ققطان، بالأحمر، بالأخضر، بالأصفر" وينشد الأطفال وراء كل كلمة "إيّاحة". ولا أدرى معناها هل هي كلمة مصرية قديمة، أو هل هي مشتقة من حوى يحوى، أى عمل كما يعمل الحواة، بدليل قولهم: لولا فلان ما جينا، ولا تعبنا رجلينا، ولا حوينا ولا جينا..

ودن من طين وودن من عجين: تعبير يقال للرجل أو المرأة لم يعلق على هذا الحديث أهمية. بل أغضى عنه حتى كأن آذانه من طين ومن عجين لا تسمع ولا تحسّ.

ودنك منين قال من هنا: ثم يشير إلى أذنه البعيدة لا القريبة، وكانت الإشارة إلى القريبة أولى: تعبير يقولونه لمن حاول إتيان الشىء من بعيد وكان يمكنه أن يأت به من قريب.

وراه نجوم الظهر: تعبير يعنى صب عليه الشدائد.

وردّه: يقولها الحوذيون للمارة بمعنى احترس أو خذ بالك. وهي مأخوذة مع التحريف من أصل إيطالى Gradez أى ترقب وانتبه أو من البرتغالية Grada أى الرقيب والمنبه.

ورينى عرض كتافك: تعبير يعنى اذهب

وياك وياك عليك عليك: تعبير يعنى أنه يجاريك فى قولك، ويجارى الناس ضدك معهم. وهو دليل على خلق فاسد.

المعيب، لم يقدر صاحبه على أن يتصرف فيه، أو تصرف فيه، ولكن عاد إليه لعيوب ظهرت فيه فيقولون: وقع فى أرابيزه.

وقع فى شر أعماله: تعبير يعنى ما اكتسب من سوء عمله.

ولادة الذكور: قالوا إن الرجل إذا أراد أن تلد امرأته الذكور فليضع يده اليمنى على سرتها وهي نائمة. ويمسح على السرة وهي فى ابتداء حملها ويقول ثلاث مرات وهو يديم المسح بيده: اللهم إن كنت خلقت خلقاً فى بطن زوجتى هذه فكونه ذكراً وأنا أسميه محمداً. رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وبشروه بغلام عليم.

وله يا راجل أو ياخى وله: تعبير يعنى حاسب، ولا تكثر.

والنبي اللى حطيت إيدى على شباكه: تعبير يقسم به من حج وزار النبي ووضع يده على ضريحه.

والنبي ما كان ينعر: تعبير يقال للاعتذار عن شئ طلب، وليس فى إمكان المطلوب منه ولا فى نيته أن يعطيه، فإذا قلت لرجل أقرضنى عشرة جنيهاً مثلاً وهو لا يريد أن يعطيك أو ليس معه قال هذه الجملة.

ى

يا دوب قعدنا وجه فلان: هذا تعبير عامى غريب؛ يقال إذا حصل الشىء تماماً فى وقت الشىء الآخر، أو عقبه بقليل، يقولون: يا دوب ركبنا والقطر مشى، أى عقب الركوب مشى القطار، يا دوب دخل البيت ووقع مات، أى عقب دخوله مات.

يا رايح قول للجاي ويا شاهد قول للغايب: تعبير يعنى ليخبر بعضكم البعض.

يارمز: كانت فى القاهرة طائفة يسمون "يارمز" لا أعرف اشتقاقها. وكان من أوصافها أنهم يلبسون جلباباً أزرق، ويتحزمون عليه، ويرفعونه حتى يكون له منهم عب، ويلبسون طربوشاً من غير عمامة، وله زر أزرق، ويحكون رقبتهم حركة متتالية حتى يدور الزر بسرعة، ويصنع كل منهم وجه الآخر، فتكون لعبة يتضحك عليها.

وقد يحملون طبلية تحت إبطهم يطبلون عليها وفقاً لحركات الزر. وهم أشبه ما يكونون بطائفة الأدباتية التى ذكرناها.

يا رُوحى على كده: كلمة تقال فى الغالب لمغازلة السيدات.

يا ريت اللى جرى ما كان: تعبير يقال عند الندم على ما حدث.

يا بخت اللى نفع واستنفع: كلمة شائعة على لسان المصريين، وهى تدل على فساد شائع فى الخلق، لأن معناها ما أحسن بخت الذى ينفع وينتفع، أى يأخذ الرشوة ويقضى الحاجة. وهو خير عندهم من الذى لا يأخذ رشوة ولا يقضى شيئاً. ومعنى هذا أن الرشوة تحلّ وتستحسن إذا اقترنت بقضاء الحوائج.

يا بن الحلال فضك من الخصام: ابن الحلال تقال للمدح. وعكسه ابن الحرام. وفضك من الخصام بمعنى اترك. وهو كثر فى كلامهم. يقولون: فضك من كده. وفضك من الكلام الفارغ، فهى مرادفة لكلمة بلاش. فبعضهم يقول: بلاش كلام فارغ، وبعضهم يقول فضك من الكلام الفارغ.

يا خبر بفلوس بكرة يبقى بلاش: بلاش أى بلا ثمن. وهو تعبير يعنى أن هذا الشىء اليوم بثمن لندرته، فغداً يكون بلا ثمن لكثرتة.

يا داخل بين البصلة وقشرتها ما ينوبك إلا ريحتها: تعبير يعنى لا تتدخل بين المتخاصمين فيلحقك الأذى.

يا دار ما دخلك شر: تعبير يقال عند انتهاء المسألة من غير أن تثير شراً.

يا زرع البدارى، يا جنى العَصارى: زرع البدارى تقال للجسيم، لأنهم يعتقدون أن ما زرع مبكراً يسرع إليه النمو وجنى العصارى، أى أنهم يجنونه فى العصر، وهو خير أوقات الجنى.

يا سلام: تعبير يقال فى مواضع كثيرة، فمثلاً تقال يا سلام سلم عند الرعب والطلب من الله السلامة، فيقولون مثلاً من تأثير عينيه. ويقول المريض عند الوجع يا سلام. ويقول المتعجب عند العجب يا سلام على كده مثلاً.

يا عدوى: نداء ينادى به على الولد التائه أو البنت التائهة فهم يقولون يا من شاف ولد صفته كذا، ويلبس كذا، واللى يلاقيه له الحلاوة يا عدوى. والعدوى هذا شيخ ينسب إليه أنه يحضر التائه.

يا فرج: يمشى فى القاهرة رجل يلبس جلباباً أبيض، ويضع عصا مستعرضة على كتفيه وينادى: يا فرج! فمن سمعه فهم منه أنه يخرج الثعابين من مكانها، فإذا نودى عليه أدخل مظان الثعابين وعزّم تعزيمات فيخرج الثعبان لشيء يحمله هذا الرجل يشتهي الثعبان أو غير ذلك.

على كل حال هذا هو ما شاهدته. ومن وظائفه أيضاً أنه ينزل الدود من أنف الأطفال بما يدعيه من العزائم. وكثيراً ما يكون ذلك من وضع دود فى كفه ينزل من أنف الطفل بحركة سريعة منه.

يا ليلة بيضة يا نهار سلطانى: تعبير يقال عند الفرح والسرور. والنهار المشرق الجميل يسمى نهار سلطانى. والسكة الواسعة الممتدة تسمى سكة سلطانى.

ياماً: يستعملونها بمعنى كثير، فيقولون ياما رأيت، أى رأيت كثيراً، وياما قلت، أى قلت كثيراً، وأحياناً يستعملون يا زائدة، فيبدل أن يقولوا ما أكثر فلوسه، يقولون: ياما أكثر فلوسه. ويقولون: "ياما" باعتبارها صفة. فمثلاً يقال "فلوسه ياما" أى كثيرة؛ وكذلك "خير ياما".

ياما ناس متعذبة ومن الغلا مثلهايه: هو تعبير ظريف، أى قوماً كثيرين فى عذاب من الغلاء، كأنهم فى لهلوبة نار.

يا مستكبر الدهر أكثر: تعبير يعنى لا تغتر بكثرة كما فى يدك، فالزمان يستطيع أن يضيع الكثير.

يا ميث ندامة: يستعملون ميث بمعنى مائة، فيقولون يا ميث ندامة، بمعنى ما أكثر ما يستحق الشيء من الندامة. ونحوه يا ميث حسرة، ويا ميث مرحبة.

اليانصيب: هى كلمة ينادى بها على أوراق "اللوترية". سموها كذلك لأنها تكون من مئات الآلاف، ثم يربحها عدد محدود من غير سبب معروف. وقد يكون رابحها أبعد الناس عن استحقاقها، ومحرومها أكثر استحقاقاً لها.

الإله وحده.

يتعلم الحلاقة فى رعوس اليتامى: تعبير يقال لمن يستحقر أفراداً يتعلم فيهم صنعة كمعلم الجراحة يعلم طلبته الجراحة فى رؤوس المجرمين.

يخلق من الفسيخ شربات: تعبير يعنى أنه يعمل من الشيء الرديئ شيئاً حلواً.

يادالعدى: تعبير يستعمل كثيراً على السنة النساء، وتقول يادا العدى يا فلانة.

يرد الروح: تعبير يعنى أنه جميل جداً، حتى ليكاد يرد الروح على من فارقته.

يزمزا: تعبير يعنى يغضب ويضجر. **يصبر على الأسيّة:** تعبير يعنى أنه إذا أسئ إليه صبر.

يصوم يصوم ويفطر على بصلّة: تعبير يقال لمن يصبر على الشيء ثم لا ينال شيئاً يكافئ صبره.

يضرب بلطة: تعبير يقولونه لمن يتمشى سبّهلاً أى لا لغرض.

يعمّلها الصغار، ويقع فيها الكبار: تعبير يعنى أن الشيء يأتية الصغير، ويقع فيه الكبير، كقول العرب "معظم النار من مستصغر الشرر".

فيربحها الغنى المفرط فى الغنى، ويخسرها الفقير الممعن فى الفقر، فكأن ربحها أو خسارتها مبنيان فقط على البخت، أو بعبارة أخرى النصيب، ولذلك نادوا عليها يا نصيب. وانتشرت هذه الكلمة عند الإفرنج بأن المصريين أكثر الناس اعتقاداً فى القضاء والقدر والبخت والنصيب، كما أخذوا منهم كلمة "قسمة". وهى تساوى "قدر".

يا نموتُ سواء يا نعيش سواء: يستعملون يا بمعنى إما، أى إما أن نموت سوا وإما أن نعيش معاً. ومثله قولهم يا كده يا كده. وتقول الأم لولدها، يا تيجى يا اضربك.

يا نهارُ زىّ بعضه: تعبير يعنى أنه نهار لا يسرّ.

يا هل ترى: تعبير كثيراً ما يستعمل بمعنى الاستفهام عن الشيء، هل يحدث فى المستقبل أو لا يحدث. تقول هل ترى نعود إلى بلادنا، أو نعيش طول العمر كده.

يا هنّاى لما افرح بيك: تعبير يعنى إذا فرحت به فما أهناى.

يا ويل اللى ما يرضى عنه أبوه وأمه: أى ويل له.

يبوس إيدته وشّ وضهر: تعبير يقال إذا أنعم على الإنسان بنعمة، لأنهم اعتادوا أن يقبلوا أيديهم ظهراً وبطناً علامة على شكر

يَمُّه: أى ناحيته، تعبير يستعملونه بمعنى ناحية يقولون إن رحت يَمِّه، قول له كذا.

اليمنى واليسرى: يعتقدون البركة فى البدء باليمنى سواء كانت يداً أو رجلاً، فيلبسون النعل اليمين قبل النعل اليسار، والكم اليمين قبل الكم اليسار، ويتعمدون أن يدخلوا البيت والمسجد بالرجل اليمنى، وعلى العموم يتيمنون باليمنى ويتشاءمون من اليسرى.

يموت الزمّار وإصْباعُه يلعب: ومثله قولهم: الليفهْش ما يخلهش.

اليهود: فى مصر كبيرة من اليهود، امتازوا بالمحافظة على جنسهم، والانطواء على أنفسهم، كما هو شأنهم فى كل بلاد العالم ولهم حارة فى القاهرة تسمى حارة اليهود، ولا يسكنها غيرهم. وقد عرفوا ببياض بشرتهم وزرقة عيونهم. وامتازت وجوههم بسحنة خاصة يعرفها من اختلط بهم. ولهم شهرة واسعة فى الأعمال التجارية وصياغة الحلى. عرفهم المصريون بالبخل، ولهم فى ذلك النواذر اللطيفة الكثيرة عنهم؛ فإذا رأوا من المسلمين من يبخل ويدقق فى الحساب قالوا له أنت يهودى. وهم لأنهم أقلية أكثر ما يكون تعاوناً بعضهم على بعض وامتاز بعض نساءهم بالجمال، وهم حيث ما كانوا يحترفون التجارة ويسيطرون على المال. حتى أنهم فى أمريكا وعددهم فعلاً لا

يضيّع المستكى، ويحافظ على الورقة: تعبير يعنى أنه يضيع الشيء الهام، ويحتفظ بالتافه كقولهم: "سرق الصندوق محمد، لكن مفتاحه معاه".

يعملوها ويخيلوا: تعبير يعنى يأتون بالعملة فتكون منسجمة منهم ويخيلوا، يقال إذا لبس أحد ثوباً وانسجم معه خال عليه، والمضارع يخيل.

يفضل الإنسان يتعلم لحد ما يموت: تعبير يعنى أنه يتعلم طول حياته.

اليفظ: أولع المصريون باليفظ، كتبت بخط جميل ووضع عليها لوح من الزجاج، ثم صنع لها إطار من خشب، فتجد فى القاعات: بسم الله الرحمن الرحيم. وإنك لعلى خلق عظيم. وتجدها فى الدكاكين، وخصوصاً: إن الله هو الرزاق العظيم. ورب يسر ولا تعسر. ووضع على رأس القضاة: العدل أساس الملك، تذكيراً لتحقيق العدل. وكثير يستغنون بها عن صور المناظر الطبيعية أو صور الفنانين.

يفهمها وهى طائيرة: تعبير يعنى أنه سريع الفهم قوى الذكاء.

يقتل القتيل ويمشى فى جنازته: تعبير يعنى أنه يعمل العمل، ثم يمارى، حتى لا يظن أنه هو الذى عمل.

يكلمك ومناخيره لفيق: تعبير يعنى أنه متكبر.

المساجد، ويجعل آخرها فى مسجد عمرو، فيسمونها الجمعة اليتيمة، أى الجمعة التى لا جمعة بعدها فى رمضان. ولا تزال هذه العادة جارية إلى اليوم مع تعدد المساجد وكثرتها. وذلك كقولهم "أربعاء لا يعود" وهو الأربعاء الذى قبل شم النسيم.

يتجاوز الستة ملايين ظهرُوا على سكانها وهم نحو أربعمئة مليون. ولهم نظر نقاذ فى نوع العمل الذى يسيطرون به على الأمة التى يسكنون فيها، من طبّ وأعمال بنوك واستيلاء على الصحافة وتدريب ونحو ذلك. ولهم مهارة فى نشر الآراء والتعاليم التى تزلزل العقائد وترج الإيمان. وفى حرب فلسطين حاربوا الأمم الإسلامية بغاية ما وصل إليه العلم والسياسة من الأساليب الحديثة، ويحاربون بها التقاليد القديمة.

يهون عليك دا كله: تعبير يعنى هل يسهل عليك هذا؟

يوضع سره فى أضعف خلقه: مثل قوله تعالى: "الله أعلم حيث يجعل رسالته".

يوم الجمعة: يعتقدون أنه يوم مبارك، وتستجيب فيه الأعمال، ولكن فيه ساعة نحس لا يعرف متى هى. وهى يوم راحة للمسلمين تغلق فيه أكثر الدكاكين ويستراح فيه من أعمال الأسبوع؛ ويزاحمه فى ذلك يوم الأحد لأنه عند النصارى كيوم الجمعة. ومن كان يعمل عند النصارى اضطر بحكم الضرورة أن لا يعمل يوم الأحد.

وهناك يوم جمعة يقال له الجمعة اليتيمة، ذلك أنه كان فى زمن الفاطميين أربعة مساجد: الأنور، والأزهر، والأقمر، ومسجد عمرو بن العاص فى مصر العتيقة، فكان الخليفة يصلّى كل جمعة فى مسجد من هذه

الحواشى والمراجع^(*)

- (1) البدنجان هو اللغة الشعبية للبادنجا.
- (2) هو الشاعر الساخر شمس الدين محمد بن دانيال الموصلى الخزامى، كان يجمع بين العمل بالكحالة (طب العيون)، وبين المجون والسخرية والفكاهة والتندر. ولد بالموصل عام (646هـ - 1248م) ثم قدم إلى القاهرة واستقر بها منذ صباه، وفيها بدأ يصطنع أشعاره فى لغة بين الفصحى والعامية. واستغل التورية والجناس وتحرر من قواعد النحو وأصول النظم. وقد عمر بن دانيال حتى توفى عام (711هـ - 1311م). وأما شهرته التى حازها بين الشعراء فى مصر فى عصره وبعده فتعود إلى تأليفه عدداً من البابات أو التمثيليات وأهمها: طيف الخيال التى تصور الحياة السياسية والثقافية أيام السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى، ومنها عجيب وغريب، ومتين التى وضعها فيما يظن عام (667هـ - 1267م). وهناك بعض الدراسات التى عرفت بابن دانيال وتمثلياته ومنها:
 - إبراهيم حماده، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، دراسة وتحقيق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1961.
 - د. عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، بيروت، 1981.
 - ابن دانيال، شمس الدين محمد بن يوسف. توفى 710هـ، طيف الخيال، صدر باعتناء جورج يعقوب أولينجر، 1910، 3 أجزاء لم يكتمل طبعه والأصل مخطوط فى الخزانة التيمورية كاملاً.
- (3) قدم محمد قنديل البقلى دراسة للكتاب ونشره وحققه بمبادرة فردية ومنذ تاريخ بعيد. انظر يوسف الشربيني، قريننا قبل الثورة: هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف، إعداد محمد قنديل البقلى، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.
- (4) راجع بعض الدراسات المعاصرة عن النكتة والفكاهة عموماً، نذكر منها:
 - العدد الخاص الذى أصدرته مجلة عالم الفكر، عن الفكاهة والضحك، أكتوبر - ديسمبر 1982، ونشير بصفة خاصة إلى دراسة محمد رجب النجار عن: الشعر الشعبى الساخر، ص 63-147 فى ذلك العدد. وانظر أيضاً:
 - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى، الفصل الثامن، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1981.
 - خليل إبراهيم حسنى، ألف نكته ونكته، مطبعة دار البصرى، بغداد، 1965.
- (5) من الدراسات العربية التى ظهرت عن الهلالية:
 - د. فؤاد حسنين على، قصصنا الشعبى، دار الفكر العربى، 1947، ص 61-71.

(*)

- الأستاذ رشدى صالح، فنون الأدب الشعبى، ج2، الفصل الثالث، دار الفكر، القاهرة، 1956.
- د. عبدالحميد يونس، الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى، مطبعة جامعة القاهرة، 1956، ثم الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1968.
- محمد فتحى عبداللطيف، أبوزيد الهلالي، المستقبل بالفجالة والإسكندرية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1983. (دار المعرفة، القاهرة، 1946) – (مكتبة الدراسات الشعبىة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1998).
- ومن الدراسات التى قامت على الجمع الميدانى:
- عبدالرحمن الأبنودى، سيرة بنى هلال، مطابع جريدة الأهرام، 1978، 3 أجزاء.
- —، السيرة الشعبىة بين الشاعر والراوى، مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربى، الدوحة، قطر، 1984.
- وهناك طائفة عريضة من الدراسات والتجميعات الميدانية للسيرة الهلالية ببعض اللغات الأوروبية أهمها دراسات كونلى Connelly، وكانوفا Canova، وفتنشر لن يتسع المقام لحصرها هنا تفصيلاً.
- فاروق خورشيد، السير الشعبىة العربىة، المكتبة الثقافىة، الهيئة المصرىة العامة للكتاب، 1988.
- د. نبىلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار الكاتب العربى، القاهرة، 1969.
- د. محمد رجب النجار، أبوزيد الهلالي، دراسة نقدىة فى الإبداع الشعبى العربى، دار القبس، الكويت، 1979.
- عبدالغنى داوود، السيرة الهلالية والمسرح، مج الفنون الشعبىة، العدد 51، أبريل / يونيه 1996.
- د. محمد حافظ دياب، إبداعىة الأداء فى السيرة الشعبىة، مكتبة الدراسات الشعبىة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1996.
- (6) اتسع مجال الدراسة الفولكلورىة للسحر، بحىث بات يهتم بشخصىة الساحر، وتكوينه "العلمى" أو "المهنى" (بمعان نسبىة طبعاً)، والأغراض التى تستخدم فىها الأعمال السحرىة، وأشكال التأثير السحرى (الرقى، الحجاب، الكتابة وإذابتها فى الماء وشربها... إلخ)، وجمهور المترددىن على السحرة، والدلالات الاجتماعىة للممارسة السحرىة... إلخ. راجع:
- محمد الجوهرى، الدراسة العلمىة للمعتقدات الشعبىة، الجزء الثانى من دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى، دار المعرفة الجامعىة، الإسكندرىة، 1992.
- محمد الجوهرى، علم الفولكلور، المجلد الثانى عن: المعتقدات الشعبىة، دار المعارف، القاهرة، 1988.
- منى الفرنوانى، تغىر المعتقدات الشعبىة السحرىة فى مجتمع محلى مصرى، دراسة ميدانىة لمدينة المحلة الكبرى، رسالة ماجستىر غير منشورة، كلية البنات، جامعة عىن شمس، القاهرة، 1984.
- سامىة الساعاتى، السحر والمجتمع، دار الفكر العربى، القاهرة، 1982.

- على المكاوى، المعتقدات الشعبية والتغير الاجتماعى، دراسة ميدانية لقرية سيف الدين بمحافظة دمياط، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1982.
- محمد الجوهري، المشتغلون بالسحر فى مجتمع اليوم، مجلة الفنون الشعبية، العدد 19، أبريل - يونيو 1987.

(7) يشير المؤلف إلى ثورة 23 يوليو 1952 (المحرر).

(8) لا تقتصر المعتقدات المتصلة بجسم الإنسان على الأذن والعين واليد، فأجزاء الجسم المختلفة تمثل محوراً لعدد من المعتقدات التى تقدم تفسيراً لكل سمات الإنسان الجسمية الخارجية وتمتد إلى السمات المزاجية أيضاً، ولكل ما يطرأ على جسمه من ظواهر كالأحلام ورف العين وتميل اليدين والعطس والتثاؤب... إلخ. ولعلنا ندرك أن الدافع لهذه المعتقدات هو حرص الإنسان على تفسير ما يعن له من أمور وما يطرأ على بنى جنسه من ظواهر ومحاولته ربط ذلك ببعض الممارسات والشعائر.

وبالإضافة إلى ما ذكر هنا فإن حلى الأذن على سبيل المثال إذا لم تكن ملبوسة بهدف الزينة، فإنها تكون فى العادة جزءاً من الأحجية التى يلبسها الناس لحماية فتحات الجسم ضد المؤثرات، والأرواح الشريرة، والقوى التى تسبب الأمراض. وأما أصابع اليد فإنها تحظى باهتمام خاص من المنجمين والفلكيين فى كشف الطالع مع قراءة الكف، ولديهم أسماء خاصة لكل إصبع من الأصابع يكشف صلته بنجم معين.

انظر عناصر الدراسة الفولكلورية الشاملة لأعضاء الجسم الإنسانى فى:

محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، الجزأين الأول والثانى من دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

ولنفس المؤلف المجلد الثانى من علم الفولكلور عن المعتقدات الشعبية، دار المعارف، القاهرة، 1988.

(9) اسم الشخص من الأمور التى تحتل أهمية فائقة فى نظر الإنسان عموماً، وفى الثقافة الشعبية على وجه الخصوص. وتحظى عملية تسمية الطفل بكثير من الاهتمام، وتنطوى على عدد من الممارسات التى تضمن أن يحصل الطفل على اسم يكفل له حظاً وافراً وعمراً مديداً (بصرف النظر عن جماله أو قبحه). وفى عالم المعتقدات السحرية يمكن السيطرة على الشخص من خلال الاسم. كما أن بعض أسماء الله (خاصة ما يسمى فى المعتقد الشعبى: اسم الله الأعظم) تستخدم لأغراض سحرية. وقد عرضنا ذلك تفصيلاً فى رسالتنا للدكتوراه عن استخدام أسماء الله فى السحر. (راجع ملخصاً عربياً وافياً لها عند علياء شكرى، التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الأوروبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998).

وهناك عدد من المصادر والمراجع التى تناولت أسماء الأشخاص وتفسيرها والتعليق عليها، راجع على سبيل المثال:

- جلال الدين السيوطى، الرياض الأنيقة فى شرح أسماء الخليفة، مخطوط بدر الكتب تحت

رقم (23316ب).

- أمين الغريب، أسماء البنات معانيها وعلاقتها التاريخية وأشهر نساء دعين فيها، بيروت، 1911.
 - كمال الدين عبدالرازق، مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، دمشق، 1965.
 - محمد مقبل، الثمين فى أسماء البنات والبنين، القاهرة، مطبعة وادى النيل، 1295هـ.
 - أحمد تيمور (باشا)، الكنايات العامية، مطابع الأهرام التجارية، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1970.
 - موسوعة الأسماء العربية، دولة عمان، مسقط، 1995.
- (10) هؤلاء هم أرواح الزار، لهم أسماء عديدة، وسمات كثيرة، وفى بعض المعتقدات الشعبية يبلغ عددهم ستاً وستين، مما يدل على الكثرة، ولا يعنى الرقم فى ذاته. ولا تستطيع كودية الزار أن تحصر أسماء كافة "السلطين" أو الأسياد الموجودين الذين ينقسمون إلى مجموعات داخل كل منها سلطان أكثر أهمية. ولا تستطيع شيخة من شيوخات الزار - حسب رأى العالم الألماني كريس فى دراسته الميدانية الشهيرة عن الزار المصرى - لا تستطيع أن تتصور وجود علاقة ثابتة بين هؤلاء الأسياد. ويمثل الزار المصرى وعاءاً مشتركاً تجمعت فيه كثير من معتقدات الأرواح ذات الأصول العربية والحبشية والسودانية والأفريقية الوسطى. وكان من نتيجة هذا امتزاج خصائص وسمات هذه الكائنات المختلفة على نحو قد لا يتيسر معه الفصل بينها بصورة واضحة. راجع:
- محمد الجوهري، علم الفولكلور، المجلد الثانى، دراسة المعتقدات الشعبية، طبعات متعددة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
 - عادل العليمى، الزار، رسالة ماجستير، المعهد العالى للفنون الشعبية، أكاديمية الفنون، 1989.
 - برندا سلجمان، الزار فى مصر وأصوله الأفريقية، مجلة الفنون الشعبية، العدد الثانى، 1962.
 - عبد المنعم شميمس، الجن والعفاريت فى الأدب الشعبى المصرى، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976.
 - فاطمة المصرى، الزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.
- وللوقوف على عناصر الدراسة الميدانية الشاملة لموضوع الزار، انظر:
- محمد الجوهري، دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى المصرى، الجزء الأول، عن المعتقدات الشعبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
- (11) أصبحت موضوعات الطعام تحظى باهتمام كبير من جانب علماء الفولكلور الأوروبيين المعاصرين، ويعد العالم الألماني الكبير جونتير فيجلمان G.Wiegelmann أشهر من اشتغل بدراسة عادات الطعام هو وتلاميذه. وفى مصر أولت علياء شكرى هذا الموضوع اهتماماً كبيراً فى كتاباتها وفى الرسائل التى أشرفت عليها للماجستير والدكتوراه، سواء فى كلية البنات جامعة عين شمس، أو فى المعهد العالى للفنون الشعبية (حيث تولت عمادته لمدة تقترب من عشر سنوات). انظر أهم تلك الدراسات فى الحاشية رقم (61) تعليقاً على دراسة عادات الطعام وآداب المائدة.
- (12) حظى ميدان الألعاب الشعبية بعدد من الدراسات العلمية الحديثة، نذكر منها على سبيل المثال:

- أحمد الصابحى عوض الله، المهارات والألعاب الشعبية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د.ت.
- محمد عادل خطاب، الألعاب الريفية الشعبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1964.
- وهيب محمد لبيب، الألعاب الشعبية ودورها فى تنشئة الطفل فى المرحلة السنية من 6-12 سنة، دراسة ميدانية لبعض قرى محافظة الشرقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1998.
- رشدى صالح، الألعاب الشعبية والمهارات الجسمية والسيرك، مج الفنون الشعبية العدد 24، يوليو / سبتمبر 1988، والعدد 26، يناير / مارس 1989.
- (13) راجع الدراسات التالية عن ألف ليلة وليلة:
- فؤاد حسنين على، قصصنا الشعبى، دار الفكر العربى، 1947. طبعة حديثه، مكتبة الدراسات الشعبية؛ الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996.
- د. سهير القلماوى، ألف ليلة وليلة، دار المعارف، القاهرة، 1966.
- مجموعة دراسات وافية عن ألف ليلة وليلة نشرت فى مجلة فصول فى أعداد ثلاثة متتالية ربيع وصيف وشتاء عام 1994 منها على سبيل المثال:
- د. فاطمة موسى، عن مخطوطات ألف ليلة فى مكتبات أوروبا.
- د. فريال جبورى غزول، البنية والدلالة فى ألف ليلة.
- د. أحمد مرسى، ألف ليلة ومشكلة الهوية.
- د. أحمد شمس الدين الحجاجى، قصة الملك النعمان بين السيرة والحكاية.
- فاروق خورشيد، الليالى والحضارة الإسلامية.
- سيلفيا باتل، توالد السرد فى ألف ليلة وليلة.
- أميمة أبوبكر، المسخ فى حكايات ألف ليلة وليلة.
- د. محمد رجب النجار، قصص الحب فى الليالى.
- د. محمود مكى، حكاية الجارية تودد فى الأدب الأسبانى.
- فاروق خورشيد، قراءة جديدة فى ألف ليلة وليلة، مج الفنون الشعبية، العدد 45، أكتوبر / ديسمبر 1994.
- إحسان سركىس، الثنائية فى ألف ليلة وليلة، دار الطبيعة، بيروت، 1979.
- ألف ليلة وليلة شهرزاد بين السخرية والإباحية، كتاب الهلال، دار الهلال، أبريل 1998.
- (14) راجع المصادر والدراسات التالية عن الأمثال الشعبية:
- الميدانى، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، ط3، دار الفكر، بيروت، 1972.
- أحمد تيمور باشا، الأمثال العامية، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.

- محمد قنديل البقلى، مناخنا من أمثالنا الشعبية، مج الفنون الشعبية، العدد الثانى، أغسطس 1960.
- —، الأمثال الشعبية، جمع وتبويب وشرح وتصنيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
- د. إبراهيم أحمد شعلان، موسوعة الأمثال الشعبية المصرية، مكتبة مدبولى، 1996.
- حمد حامد، الأمثال الشعبية فى مدينة القاهرة، دراسة ميدانية، رسالة ماجستير، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1997.
- محمد فتحى السنوسى، الأمثال الشعبية البدوية، مج الفنون الشعبية، العدد 46، يناير/ مارس، 1995.
- آلان دندس، حول بنية المثل، ترجمة د. خطرى عرابى، مج الفنون الشعبية، العدد 53، أكتوبر / ديسمبر 1996.
- (15) يللمس هذا الموضوع ميداناً واسعاً ومهماً من ميادين الدراسة فى علم الفولكلور هو الطب الشعبى. ولا يقتصر ميدان الطب الشعبى على وصفات شعبية لعلاج الأمراض، وإن كانت تلك الصفات هى الجسم الرئيسى لميدان العلاج الشعبى، ولكنه يشمل كذلك الطب الوقائى. وتنقسم الصفات الوقائية بدورها إلى أنواع متعددة حسب الغرض منها. على أن اهتمام دارسى الطب الشعبى لا يقتصر على تتبع الصفات الوقائية الطبية وما تتضمنه من عناصر وعقاقير مختلفة، وإن كان هذا الجانب يمثل محور الارتكاز وبؤرة الدراسة فى هذا الموضوع. ولكن هناك علاوة على هذا: الجانب الاجتماعى فى المرض والصحة. فالمرضى يجب زيارته، ولهذه الزيارة قواعد وأصول، ولها آداب يجب مراعاتها. وما يميز ميدان دراسة السحر بين السحر الشعبى والسحر الاحترافى، نجد هنا أيضاً آلاف الصفات التى يعرفها جمهور الشعب ويمارسها دون تدخل شخص محترف، ولكن هناك حالات أكثر تعقيداً أو أكثر خطورة تتطلب تدخل الطبيب الشعبى. وهذا المطبب شخصية محورية فى المعتقد الشعبى عند كل الشعوب، وإن كنا لا نلمس اليوم مكانته بشكل واضح، حيث طغى الطبيب الحديث على مكانته. إلا أن هناك عديداً من الملامح التى تميز هذا الشخص وتحيط به وتؤسس مكانته بين الناس، وتحدد طبيعة عمله الطبى بينهم.
- (16) انظر من الدراسات الحديثة التى اهتمت بدراسة البرقع والحبرة:
 - سنية خميس، الأزياء الشعبية بحى بحرى بالإسكندرية، مطبوعات الملتقى القومى للفنون الشعبية، لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ديسمبر 1994.
 - سعاد عثمان، البرقع، فى دراسات فى علم الفولكلور، إشراف د. محمد الجوهري، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 1998، ص ص 351-418.
- (17) ومن المعتقدات الشائعة أن مشاهدة البصل فى الحلم يعنى الحظ السعيد. ويعتقد البعض أن مما

يجلب الحظ السعيد حرق قشر البصل فى النار. ويستخدم البصل كعلاج فى الطب الشعبى، فيوصف لعلاج القروح، حيث يشوى لمدة قصيرة ثم تدلك به القرحة، ويلقى بعد ذلك للخنازير. ولعلاج ألم العين والأذن يقطر فيهما عصير بصلة مشوية فى فحم نباتى. ووضع قلب بصلة مشوية فى الأذن دواء ناجع لآلامها. وابتلاع حساء من شرائح البصل والسكر يفيد فى علاج نزلات البرد والبلغم. ووضع لبخة ساخنة من البصل كفيل بشفاء المرء من الحمى والالتهابات الرئوية والَبَحَّة. وتضوع هذه اللبخة على الصدر، أو تربط فى عقبى القدمين. ويعتقد البعض أن ولادة المرأة تكون سهلة إذا جلست على دلو فيه حبات بصل مسلوقة. راجع حول الموضوع:

عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، ط1، 1983.

(18) تسجل القاهرة، وربما مصر كلها، فى التسعينيات استخداماً مثيراً لبعض الشئء لكلمة الباطجى. فقد أصبح يعنى الرجل القى، أو الماهر فى إحداث ضرر معين: استخدام السلاح النارى... إلخ، الذى يستأجر من قبل طرف معين للإضرار بطرف آخر، مقابل أجر. وقد كان دور البلطجية حتى عهد قريب يقتصر على الضرب، والتخريب، أو مجرد التهديد بذلك، حتى يتحقق للطرف المستأجر الهدف المنشود. أما الآن ومع تطور تكنولوجيا العدوان فقد أصبحت أعمال البلطجة تختلف عما سبق: قتلى أيضاً. وقد تفتشت الظاهرة مؤخراً وسجلت عنها رسائل للماجستير والدكتوراه بأقسام الاجتماع المصرية، وكثرت الكتابات عنها.

(19) حظيت العمارة الشعبية بعدد من الدراسات الفولكلورية التى أجراها بعض المهندسين المعماريين، والفنانين التشكيليين، ومؤرخى الفولكلور. راجع على سبيل المثال الدراسات التالية:

● حنا نعيم، أشغال الخشب فى العمارة الشعبية، دراسة ميدانية بقرية ميت يعيش دقهلية، رسالة ماجستير، إشراف علياء شكرى، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1995.

● د. هانى جابر، العمارة التقليدية الطابع والشخصية وأثرها فى تصميم عمارة قومية معاصرة، مج الفنون الشعبية.

● د. سوزان السعيد، المنزل الريفى فى الناطق المستصلحة، مطبوعات الملتقى القومى للفنون الشعبية، لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ديسمبر 1994.

● د. محمد الجوهري، المجلد الخامس من دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى، عن الثقافة المادية الريفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

(20) راجع الدراسات التالية: 1- د. أحمد أبوزيد، الثأر دراسة أنثروبولوجية بإحدى قرى الصعيد، دار المعارف، القاهرة، 1965، 2- أحمد محمد عبدالرحيم، الثأر فولكلورياً، مطبوعات الملتقى القومى للفنون الشعبية، لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1994، 3- عبدالحليم حنفى بكرى، بركان الدماء؛ الثأر، بنى مزار، مطبعة النهضة الوطنية، 1960.

(21) يغطى هذا الموضوع بشكل واف دراسة علياء شكرى، التنشئة الاجتماعية، فى محمد

- الجوهري وآخرون، الطفل والتنشئة الاجتماعية، الفصل الثاني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص ص 79 – 172.
- (22) هذا المربع مما ينسب لابن عروس الشاعر المصري الشعبي الذي قيل أنه عاش في القرن الماضي، والذي جرت أشعاره حكماً على لسان الناس، فسميت حكم ابن عروس.
- (23) د. محمد الجوهري، الجن في المعتقد الشعبي، المجلة الاجتماعية القومية، العدد الأول، يناير 1974.
- د. محمد الجوهري، علم الفولكلور، ج2، دار المعرفة الجامعية، 1988، ص ص 185 – 266.
 - د. منى الفرنواني، دراسة أنثروبولوجية لتغير المعتقدات الشعبية السحرية في مجتمع محلي مصري، دراسة ميدانية لمدينة المحلة الكبرى، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف علياء شكرى، كلية البنات جامعة عين شمس، 1984.
 - د. محمد عبدالسلام إبراهيم، الحسد والرقية في المعتقد الشعبي، مج الفنون الشعبية، العدد 22، يناير – مارس، 1988.
 - د. محمد الجوهري، دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
- (24) لم يقتصر رأى الباحثين على إرجاع أصل التصوف إلى لبس الصوف بل نسبه بعضهم إلى أصل صُوفة، وهم قوم في الجاهلية قطنوا حول الكعبة وانقطعوا لله، ونسبها فريق آخر إلى الصفة هي موضع في مسجد الرسول كان يقيم فيه فقراء الصحابة، ورأى آخرون نسبتها إلى صوفة الفقا. أما ابن خلدون فقد أرجعها إلى صفات المنخرطين في هذا الطريق وسلوكهم، وهو العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه. ويتمثل اتجاه العمل في التصوف في مجموعة من الآداب والعقائد التي تتمسك بها جماعات الصوفية. ويفرق بعض الباحثين بين التصوف الإسلامي وأشباهه من أنواع التصوف الأخرى (المسيحي والهندي وغيرها)، من حيث أنه يقوم على التجربة الجماعية لا على العزلة والرهينة، فالتصوف الإسلامي يقوم على تكوين الجماعات والطرق، كما تؤدي بطريقة جماعية يقود الدراويش فيها شيخ من الشيوخ. وقد اتخذت هذه الحلقات مكاناً لها في الزوايا والخانقاوات والرُّبُط في بداية الأمر، ثم انتقلت إلى المساجد وانتشرت بعد ذلك في الموالد التي تقام للاحتفال بالأولياء. راجع الدراسات التالية عن التصوف:
- د. أبو الوفا التفاتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة العربية، 1976.
 - لويس ماسينيون ومصطفى عبدالرازق، الإسلام والتصوف، مطبعة دار الشعب، 1979.
 - د. محمد ياسر شرف، حركة التصوف الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
 - د. حسن الشافعي، فصول في التصوف، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1991.
 - د. عبدالمنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، دار الرشاد، 1992.

- د. أماني قنديل، وسارة بن نفيسة، الحالة الدينية في مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 1994.
- (25) يلاحظ أن مفهوم التعصب الوارد في المادة لا يتفق التعصب Discrimination أو Apartheid أى التمييز الاجتماعى. ولكنه أقرب إلى معنى "التحزب".
ولكن المهم أن نلاحظه في جميع الأحوال أن المصريين لم يعرفوا التعصب العنصرى ولا الدينى.
- (26) راجع بعض الدراسات الحديثة عن جحا:
● د. عبدالحميد يونس، جحا شخصية عالمي، مج الفنون العشبية، العدد 11، ديسمبر 1969.
● د. محمد رجب النجار، جحا العرب شخصيته وفلسفته في الحياة والتعبير، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 10، 1978.
● حكمت شريف، نوادر جحا الكبرى، المكتبة التجارية الكبرى، ط8، القاهرة، 1963.
● عباس العقاد، جحا الضاحك المضحك، دار الهلال، القاهرة، 1956، 1968.
● محمد فهمي عبداللطيف، مذكرات جحا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.
- (27) ويلاحظ أن المؤلف قد استخدم جده مكان مصطلح الفتوة، الذى تستخدمه الدراسات حالياً، فضلاً عن إهمال استخدام شعبى مهم فى الحياة اليومية هى إطلاق لفظ الجده على الشاب، والشبان "جدهان"، وأحياناً تطلق على الرجال (ولكن بشرط أن يغلب عليهم أو يكون بينهم عنصر الشباب). وهى تحمل معنى إيجابياً لا شك أنه ينهل من المعنى القديم الذى أشار إليه الأستاذ أحمد أمين.
- (28) يمكن أن يستخدم مصطلح الجن بمعنيين، أحدهما عام والآخر خاص. المعنى العام يغطى عالماً كاملاً من الكائنات الخرافية (فوق الطبيعية)، شريرة كانت أو خيرة، معينة للبشر فى أعمالهم أو معوقة. إنما هى تشترك جميعاً فى صفة أساسية كونها من طبيعة مختلفة عن طبيعة الإنسان وتخضع فى سلوكها العام لمنطق غير منطق الإنسان... إلخ. وهى بذلك تشمل الجن بالمعنى الخاص (أى الفئة الطيبة من الجن)، والعمارة، والشياطين، والمردة، والتوابع، والأسبياد... إلخ. أما الجن بالمعنى الخاص فهى كما أشرت فئة طيبة من هذا النوع من الكائنات. وقد قدمنا معالجة مفصلة لموضوع الجن فى المجلد الثانى من كتابنا: علم الفولكلور. دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعرفة الجامعية، طبعات متعددة، الباب الرابع بأكمله من ص 359 حتى ص 465.
- وانظر كذلك حول الموضوع:
● ويلاند هاند، المعتقدات الخرافات الشعبية، ميدان فى الدراسات الفولكلورية طال إهماله، ترجمة أحمد صليحة، مجلة الفنون الشعبية، العدد 42، يناير / مارس 1994.
● عبدالمنعم شمس، الجن والعمارة فى الأدب الشعبى المصرى، المكتبة الثقافية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1976.
● فوزى سمعان (مترجم)، حكايات الجان، مجلة الفنون الشعبية، العدد 16، مارس 1971.

● عبدالحميد يونس، معجم الفولكلور، بيروت، 1981.

(29) يتم نقل جهاز العروس في كثير من القرى حتى اليوم في زفة يشهدها ويشارك فيها أهل القرية. ويمكن أن نصادف هذه الزفة أيضاً بشكل نادر في بعض الأحياء الشعبية في المدن الكبرى، وبشكل أكثر في المدن العاصمية (المراكز وعواصم المحافظات). وقد وصفت منى الفرنواني زفة الجهاز في إحدى القرى فأوضحت أن الجهاز الخشبي يوضع مفروداً ومتفرقاً على عربة كارو أو أكثر، ويوضع باقي الجهاز - كأدوات المطبخ وأدوات الخبيز وغيرها - في سلال مكشوفة ليراها الناس. أما الأكواب والأطباق "وعدة" الشاي فتوضع على ألواح العجين وتحملها بعض النساء على الرؤوس. وتعلق ملابس العروس: الجلابيب وقمصان النوم على حديدة الفرن، كأنها شماعة. أما الملابس الداخلية فتنتثر على حواف سلال ليتسنى رؤيتها. ويمشى حملة تلك السلال، وحديد الفرن والألواح على الأقدام في موكب وراء عربة الكارو التي تحمل قطع الجهاز الخشبية. وفي أثناء ذلك تطلق الزغاريد، ويتغنى أفراد هذا الموكب بالكلمات الآتية:

يحي أبوها وسلمه
سلك أبوها يا جدعان
جانب عزها وتممه
جانب عزها على التمام

ومن التغييرات التي طرأت على زفة الجهاز استبدال العربات الكارو بالسيارات نصف النقل، فأصبح يوضع الجهاز الخشبي على عدة سيارات (حسب الإمكانيات والمستوى الاقتصادي) وفي كل سيارة عدد من الشباب والأطفال ذكوراً وإناثاً. أما باقي أجزاء جهاز العروس فأصبحت توضع في علب من الورق المقوى (الكرتون) بدلاً من السلال. لمزيد من التفاصيل انظر، منى إبراهيم حامد الفرنواني، بعض ملامح التغيير الاجتماعي الثقافي في الريف المصري كما تعكسه عادات دورة الحياة، دراسة متعمقة لقرية مصرية، رسالة دكتوراه، إشراف علياء شكرى، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1989.

(30) انظر عن الحارة دراسة حديثة: نوال المسيرى، "مفهوم الحارة. دراسة تاريخية سوسولوجية لحارة السكرية"، في محمد الجوهري وعلياء شكرى، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الرابعة، 1989، ص ص 531-581.

(31) حديث المؤلف عن الحب ينصرف كما يلاحظ القارئ إلى الحديث عن الوصفات أو الأعمال التي تتم لتحقيق المحبة بين الزوجين، أو بين رجل وامرأة. وقد كان هذا الغرض من أبرز أغراض الممارسة السحرية على امتداد التاريخ الشعبي المعروف لنا، راجع حول الموضوع:

● محمد الجوهري، علم الفولكلور، المجلد الثاني، المعتقدات الشعبية، دار المعرفة الجامعية، 1988.

(32) لعله سقط سهواً من الأستاذ الإشارة إلى الحج بالبواخر، لأنها ظلت طوال أكثر من خمسين عاماً وسيلة السفر الرئيسية إلى الحجاز، بعد أن تراجعت قوافل الإبل، ولم تكن السيارات

(ومن قبلها الطرق الجيدة) قد تقدمت بالقدر الكافي، كما لم تكن الطائرات قد تطورت بالشكل الذى جعلها وسيلة "شعبية" للسفر على نحو ما نرى اليوم.

المهم أنه قد طرأت على ممارسات الحج تغيرات جمة بفعل تطور الحياة من حولنا. فظاهرة طلاء البيوت ورسم أشكال عليها تراجعت حتى فى الريف الذى أصبح يعرف ظاهرة البيوت الخرسانية المبنية بالطوب الأحمر والشقق المؤجرة. وزال عن الرحلة كثير من الخطر والمشقة، وزادت بشكل لافت المبالغة فى عدد مرات الشخص الواحد للحج، فأصبحنا نجد من تفاخر بأداء الفريضة عشر مرات، وعشرين مرة، وسنوياً. ولعله لهذا السبب، والذى هو أيضاً أحد نتائج تيسير المواصلات الجوية، زاد الضغط على المملكة السعودية فى موسم الحج، ووجدت نفسها مضطرة إلى تخصيص نسبة (حصّة) لكل دولة حسب عدد سكانها، تتراوح حالياً فى نهاية عام 1998 حول واحد فى الألف من عدد السكان (فيخصص مثلاً لمصر حوالى 65.000 تأشيرة حج) هذا بالطبع عدا المصريين المقيمين فى المملكة السعودية الذين يؤدون الفريضة وأقاربهم. وكان طبيعياً أن تتخذ المملكة السعودية إجراءات لتقييد عدد مرات الحج لكل مواطن من مواطنيها هى، تخفيفاً للزحام الهائل الذى وصل بعدد الحجاج كل عام إلى تجاوز المليونى حاج.

ومن الظواهر التى انتشرت أيضاً حج المرء عن والده أو أحد أهله تطوعاً أو بالأجر، وتغر نمط المشتروات التى أصبح يشتريها من الحجاز، فلم تعد تقتصر على التمر وماء زمزم والسيح، ولكنها امتدت إلى كثير من المستلزمات اليومية كقطع الزى والأدوات المنزلية والهدايا بمفهومها الحديث... إلخ.

(33) تلعب الأحجار، من أنواع ومواصفات خاصة، دوراً مهماً فى كثير من الممارسات الشعبية. فهناك قطع معينة من الأحجار، قد تتسمى باسم شخص، وتعامل معاملة الولي، تزار، ويدعى إليها، وتوسط لقضاء الحوائج، وقد تتدحرج فوقها النساء طلباً للحمل، أو لعلاج مرض، أو للبركة بصفة عامة. وهناك أحجار تستخدم فى "الأعمال" التى تمارس الإيقاع فى الحب، أو لعلاج بعض الأمراض.

(34) أجريت فى العقود الماضية دراسات وبحوث عديدة عن الحشيش من النواحي الطبية والنفسية والاجتماعية، وبرزت منها الدراسات النفسية بوجه خاص. فقد استمدت جميعها قوة دفع هائلة من بحث تعاطى الحشيش الكبير الذى أجرى فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية تحت إشراف أستاذنا مصطفى سويف، وبمشاركة مجموعة من أساتذة علم النفس المرموقين. وقد نشرت عدة كتب وعدد كبير من المقالات العلمية بنتائج وخبرات ذلك البحث.

- انظر أيضاً:

- سعد المغربي، ظاهرة تعاطى الحشيش، القاهرة، دار المعارف، 1963.
- سعد زغلول عبدالمجيد، تعاطى الحشيش، دراسة نفسية اجتماعية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1961.
- عدلى محمود السمرى، المتغيرات الاجتماعية لتعاطى المخدرات، (باللغة الإنجليزية)

إشراف محمد الجوهري والبروفيسور إدوارد ديجر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1991.

(35) يلاحظ القارئ أن الحديث اقتصر على موضوعات: وحدات التقسيم الإداري، والضرائب، والقضاء. وبذلك ينقص الموضوع مجالات عديدة لم تتناولها المادة. ويمكن لدارس متخصص في الإدارة العامة أو علم السياسة أن يزيد هذه القائمة ويثريها، وهي جميعاً علوم شهدت تطورات خطيرة وبعيدة التأثير في العقدين الأخيرين. ولكن حسبنا إدراك الأستاذ للصلة بين هذا الميدان والتراث الشعبي والشخصية المصرية، واهتمامه بها إلى هذا الحد. وهذا هو شأن الرواد الكبار دائماً.

(36) انظر حول الموضوع:

● عبدالمنعم شمس، الجن والعفاريت في الأدب الشعبي المصري، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976.

● د. محمد الجوهري، دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي، ج2، دار المعرفة الجامعية، 1992.

(37) دراسة الأحلام ودلالاتها من أهم أبواب الدراسة في ميدان المعتقدات الشعبية. وقد أوضحت دراستنا أن الأحلام ظاهرة معروفة في ثقافات كل شعوب العالم. والمصريون لا يختلفون في ذلك عن سائر الشعوب، فهم يؤمنون بتلك الرحلات التي تقوم بها الروح أثناء النوم. ولذلك كانت الأحلام بمثابة اتصال مع الأرواح (أو الكائنات الحية)، سواء أرواح الموتى أو الأرواح المتجولة لرجال ونساء آخرين. ومن ثم تعتبر الأحداث التي تقع في الأحلام بمثابة مؤشرات تنبئ بما سيقع في المستقبل. ومن هنا يمكن أن تستخدم للإنباء عما سيحدث مستقبلاً.

ولما كانت أحداث الأحلام غير منطقية في تتبعها وتسلسلها، أصبح من الضروري فرض مستويات معينة من التفسير على رموز الأحلام. ولا نغنى بذلك علماء التحليل النفسي، وإنما مفسري الأحلام من الشعوب البدائية والشامان والمشعوذين والنساء العجائز والعرافين.

ومن أشهر كتب تفسير الأحلام في مصر كتاب ابن شاهين وكتاب ابن سيرين، والأخير تلميذ السابق. وقد لاحظ وليم لين أن المصريين - حتى المتعلمين منهم - يستشيرون هذين الكتابين بثقة كاملة فيما يقدمان من تفسيرات.

انظر دراسة شاملة للأحلام على امتداد الباب الثالث من كتابنا: علم الفولكلور، المجلد الثاني، دراسة المعتقدات الشعبية، مرجع سابق، ص 283-357. وانظر كذلك، فاروق خورشيد، الأحلام في الموروث الشعبي، مجلة الفنون الشعبية، ع 27-28، إبريل/سبتمبر 1989 وإبراهيم محمد الجمل، تفسير الأحلام لابن سيرين والنايلسي، اخترنا لك من التراث، مكتبة القرآن، القاهرة، 1982.

(38) انظر حول الموضوع:

● نبيل صبحي حنا، الطب الشعبي في الخليج، مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول

- الخليج العربية، الدوحة، قطر، 1998.
- فوزى عبدالرحمن، دراسة أنثروبولوجية للممارسات الطبية الشعبية فى الريف المصرى مع التطبيق على إحدى القرى، رسالة ماجستير، إشراف علياء شكرى، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1984.
 - حسن الخولى، الرف والمدينة فى مجتمعات العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
 - وينفريد بلاكمان، فلاحو الصعيد، ترجمة أحمد محمود، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995.
- (39) راجع عن الحنا كوسيلة لتزيين الجسم البحث التالى:
- ثريا إبراهيم على، زينة العروس وتجميلها، دراسة ميدانية بقرية العايشة محافظة المنوفية، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1988.
- ولنفس المؤلفة أيضاً، زينة العروس، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993.
- (40) انظر حول الموضوع:
- سعاد عثمان، "ختان الإناث. دراسة اجتماعية"، فى: علياء شكرى وآخرون، المرأة والمجتمع، وجهة نظر علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص ص 299-350.
 - د. شوقى عبدالقوى حبيب، احتفالية الختان فى مصر عبر التاريخ (العادة - المعتقد)، مج الفنون الشعبية، العدد 52، يوليه / سبتمبر 1996.
- (41) يضمن الأستاذ هذا الميدان موضوعات الجن، والأولياء، والحسد، والتفاول والتشاؤم، والسحر. ولم يضمنه موضوعات أخرى كتب عنها فى قاموسه أيضاً: كالتطب الشعبي، والزار، والأحلام وغيرها، وموضوعات لم يغطها فى قاموسه كالمعارف الشعبية، ورؤى العام... إلخ.
- وبهنا هنا أن نلاحظ أن البحث العلمى قد حملنا حملاً على الإقلاع عن تسمية هذه المسائل خرافات أو أوهام، وباتت تسمى المعتقدات الشعبية. وقد خصصنا المجلد الثانى من كتابنا علم الفولكلور (فى نحو سبعمائة صفحة) لتغطية ميدان المعتقدات الشعبية. راجع أيضاً البحوث والدراسات التالية:
- منى الفرنوانى، دراسة أنثروبولوجية لتغير المعتقدات الشعبية السحرية فى مجتمع محلى مصرى، رسالة ماجستير، إشراف علياء شكرى، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1984.
 - على المكاوى، المعتقدات الشعبية والتغير الاجتماعى، رسالة ماجستير، إشراف محمد الجوهري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1982.
 - فاروق أحمد مصطفى، الموالد، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر، الهيئة العامة للكتاب فرع الإسكندرية، 1981.

● مكفرسون، الموالد فى مصر، ترجمة عبدالوهاب بكر، سلسلة الألف، الكتاب الثانى، الهيئة العامة للكتاب، 1998.

● Michael Gilson, Saint and Sufi in Modern Egypt, Oxford Press, 1973.

(42) ترجع بعض المصادر تسمية الخضر إلى أنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء، وقيل سمى خضراً لإشراق وجهه، وقيل إنه كلما سجد فى مكان سجوده. وذكرت بعض الكتب، مثل قصص الأنبياء للثعلبى، وابن كثير وغيرهما أخباراً متعددة عن شخصية الخضر وأخلاقه وكراماته وعظائمه السخى وتقديمه العون لمن يستغيث به. وتوسعت هذه الكتب فى وصف شخصيته وتحديد صفاته الجسدية، وتناولت خلود الخضر. وترجع ذلك إلى شربه من ماء الحياة، أو لسبب دعاء سيدنا آدم بطول العمر لمن يتولى دفنه بعد طوفان نوح. وكان الخضر هو الذى تولى ذلك فدعا له أن يحيا إلى ماشاء الله أن يحيا. وتلعب شخصية الخضر دوراً مهماً فى عالم المعتقدات الشعبية والحكايات الشعبية على اختلاف أنواعها.

انظر المراجع التالية:

● إبراهيم حلمى، سيدنا الخضر فى الإبداع الثقافى الشعبى، مج الفنون الشعبية، العدد 23، إبريل / يونيه 1988.

● حسن بن على السقاف، القول النضر فى نبوة سيدنا الخضر، دار الإمام النووى، 1992.

● Michael Gilson, Saint and Sufi in Modern Egypt, Oxford Glarenden Press, 1973.

(43) اتخذ اصطلاح الطريقة فى بداية العهد بالتصوف مجموعة من الآداب والأخلاق والعقائد أوجدت نشاطاً روحياً ذا طابع خاص فى المجتمعات الإسلامية فى العصور الوسطى وأقبل عليها عدد كبير من الناس. وفى مصر يرجع الباحثون إلى ذى النون المصرى (ت 245 هـ) نشأة التصوف، فقد غرس بذوره فيها مبكراً ومهد إلى ظهور مدرسة صوفية فى صعيد مصر أسسها من بعده عبدالرحيم القنائى، وتوالى ظهور الطرق التى وفد دعائها من أنحاء العالم الإسلامى مثل القادرية أو الجيلانية والرفاعية.

وشهد القرن السابع الهجرى ازدهار الطرق الصوفية فقد وفد إلى مصر السيد أحمد البدوى وأسس الطريقة الأحمدية، كما ظهر إبراهيم الدسوقى وأسس الطريقة البرهانية. وكان ازدهار الطرق الصوفية فى مصر وليداً لنشأة الخوانق والربط والزوايا فى عهد صلاح الدين يوسف بن أيوب (الأيوبي) الذى ينسب إليه إنشاء دار سعيد السعداء المعروفة باسم دويرة الصوفية. وخلال العصرين المملوكى والعثمانى انتشرت الطرق الصوفية انتشاراً واسعاً وتعددت أسماؤها بتعدد مؤسسيها. واندفعت عامة الشعب المصرى تنتسب إلى الطرق وانتشر الشيوخ والأتباع فى الريف المصرى والحضر. ويحدثنا المستشرق الإنجليزى وليم لين عن طرائق الدراويش أتباع الطرق الصوفية وأساليبهم وشعائهم كما وصف مواكبهم واحتفالاتهم. ومنذ ولى محمد على حكم مصر حاول التصدى لنفوذ الطرق الصوفية فأصدر مرسوماً بتنظيم نشاط الدراويش والشيوخ،

وشهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر إنشاء أول تنظيم للطرق الصوفية وضع لها مشيخة عامة. ثم صدرت لها لائحة على يد الشيخ البكرى عام 1903، ظلت سارية المفعول حتى عام 1976، حين صدر قانون تنظيم المجلس الأعلى للطرق الصوفية الذى حدد عددها فى أربع وسبعين طريقة صوفية.

وتتمثل أهم الفروق بين الطرق الصوفية فى الأوراد والأحزاب التى تختص بها كل طريقة، وفى الزى الذى يميز كل منها. وإن كانت تشترك جميعها فى عدة شعائر من أهمها العهد الذى يتم بين المريد وشيخ الطريقة أو نائبه، وهو الشعيرة التى تحدد انضمام المريد والتزامه بالشعائر فيما يعرف بالقرابة الشعائرية Ritual Kinship.

ويظهر بوضوح تأثير الطرق الصوفية أثناء مشاركتهم فى الموالد وما يصحب ذلك من إقامة لمجالس الذكر والمواكب وغيرها من الأنشطة، ولعل أهم أثر لها هو تفريخها المستمر لعدد كبير من الأولياء الذين ينتشرون فى القرى والمدن المصرية.

وقد حظيت الطرق الصوفية بعدد وافر من الدراسات الفولكلورية، من أهمها:

- د. فاروق أحمد مصطفى، البناء الاجتماعى للطريقة الشاذلية فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية، 1980.
- محمود عبدالرشيد، التنظيمات الصوفية، دراسة لإحدى الطرق الصوفية بمحافظة المنيا، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، 1988.
- فريد دى يونج، تاريخ الطرق الصوفية فى مصر فى القرن 19، ترجمة عبدالحميد فهمى الجمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.
- محمد حسن الغندور، سيكولوجية الانتماء، دراسة لجماعة صوفية (الرفاعية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1983.
- إبراهيم عبدالحافظ، الشعر الصوفى الشعبى، دراسة ميدانية بمحافظة القليوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1995.
- محمد قنديل البقل، أدب الدراويش، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970.
- محمد فهمى عبداللطيف، السيد البدوى ودولة الدراويش فى مصر، المركز العربى للصحافة، القاهرة، 1979.
- محمد عبدالسلام إبراهيم، السيد البدوى فى المأثورات الشعبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1988.

(44) من أهم أغراض الممارسة السحرية، وأكثرها انتشاراً، وبلغ من درجة انتشاره أن الناس كانت تلجأ إلى المشايخ للوقاية منه بعمل "تحويلة" وليس للعلاج بعد المعاناة منه فحسب. فكان الشخص المقبل على الزواج يذهب إلى "الشيخ" (الساحر) المشهور بهذا التخصص، لعمل "التحويلة" ليلة الزفاف، ولعله يرفقها ببعض النصائح والوصايا التى يمكن أن تفيده فى هذه الليلة الخاصة.

انظر رسالتى على المكاوى، ومنى الفرنوانى عن السحر والممارسات السحرية واللّتين سبقت الإشارة إليهما فى الحاشية رقم (6).

(45) راجع عن الزار الدراسات التالية:

- عادل العليمى، الزار، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1988.
- عبدالمنعم شمس، الزار مسرح غنائى شعبى لم يتطور، مج الفنون الشعبية، العدد السابع عشر، يونيه 1971.
- برندا سلجمان، الزار فى مصر وأصوله الأفريقية، مجلة الفنون الشعبية، العدد السابع عشر، يونيه 1971.
- محمد الجوهرى، دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى، ج2، دار المعرفة الجامعية، 1992.
- فاطمى المصرى، الزار، دراسة نفسية اجتماعية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1966.
- فاطمة المصرى، الزار، دراسة تحليلية أنثروبولوجية نفسية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1975.

(46) الزجل من الفنون الشعرية الشعبية الملحونة أو غير المعربة، ومن أول من درس هذه الفنون فى الدين الحلى فى كتابه العاقل الحالى والمرخص الغالى، وهو يصف الزجل بأنه أرفع الفنون الملحونة مرتبة، وأشرفها نسبة، وأكثرها أوزاناً وأصحبها ميزاناً، وأن مخترعه هم أهل المغرب ثم تداوله الناس بعدهم. ويذهب ابن خلدون إلى أن العامة من أهل الأمصار نسجت أزجالها على منوال الموشح وأن المصريين أتوا فيه بالغرائب، ويرى أن أول من أبدع فى هذه الطريقة الزجلية أبوبكر بن قزمان. وأما الدراسات الحديثة فيرى بعضها مثل دراسة د. حسين نصار أن الزجل يمنح ناظمه كثيراً من الحرية ولا يقيد بصورة محددة، ويورد له تصنيفات منها الطبيعى الذى يستخدم اللغة العامية استخداماً مطلقاً، والمترنم أو المستلحق أو المزيج الذى يجمع بين العربية الفصيحة واللغة الدارجة، ومنه ما يتناول أغراضاً شتى منها النسيب والغزل والخمر والهزاء والمواظ والحكمة.

ومن اللافت للنظر أن الزجالين الشعبيين قد صاغوا عدداً من قصصهم الدينى الذى يدور حول معجزات النبى وكرامات الأولياء فى قالب الزجل، وهى القصص المنظوم التى اعتاد المداحون غناءها فى الموالد والأسواق، كما ظهر حديثاً بعض القصص الدينى والاجتماعى الذى يصاغ فى قالب الزجل المطعم بالمواويل مما يتغنى به بعض المنشدين (الصبيبة) فى الموالد والاحتفالات الشعبية. ومن أهم المصادر والمراجع التى تناولت الزجل:

- صفى الدين الحلى، العاقل الحالى والمرخص الغالى، تحقيق د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.
- ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1988.

- حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، المكتبة الثقافية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962.
- عبدالعزيز الأهواني، الزجل فى الأندلس، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1957.
- محمد عبدالمنعم (أبوإثينة)، الزجل والزجالون، ط دار الشعب، القاهرة، 1962.
- محمد عبدالمنعم (أبوإثينة)، فن الزجل، دار الهلال، القاهرة، 1972.
- رضا محسن القرشى، الفنون الشعرية غير المصرية، الزجل، وزارة الإعلام، بغداد، 1978.
- سيد خميس، الموشحة والزجل من الأندلس إلى مصر، مج الفنون الشعبية، العدد 54-55 يناير / يونيه 1997.
- محمد قنديل البقلى، فنون الزجل، سلسلة كتابك، دار المعارف، القاهرة، 1979.
- حسين مظلوم رياض ومصطفى الصياحى، تاريخ أدب الشعب، مطبعة السعادة، القاهرة، 1936.
- شمس الدين النواجى، عقود اللآل فى الموشحات والأزجال، تحقيق عبداللطيف الشهابى، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982.
- يسرى العزب، أزجال بيرم التونسي، دراسة فنية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1981.
- محمد قنديل البقلى، أدب الدرايش، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970.
- إبراهيم عبدالحافظ، ملامح التغير فى القصص الشعبي الغنائى، دراسة ميدانية بمحافظة الغربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1998.
- (47) راجع عناصر الدراسة الفولكلورية لموضوع الزواج والطلاق فى دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى، الذى سبقت الإشارة إليه، الجزء الثالث، الإسكندرية، 1992.
- أما بالنسبة لإشارة الأستاذ إلى انتشار تعدد الزوجات بين الطبقات الدنيا، وقتله فى الطبقتين العليا والوسطى فهى تخالف نتائج البحوث المعاصرة عن موضوع تعدد الزوجات التى قدمتها الأنثروبولوجيا وقدمها علم الاجتماع العائلى، راجع الدراسات التالية:
- على عبدالواحد وافى، قصة الزواج والعزوبة فى العالم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1965.
- نهلة إمام، عادات الزواج عند قبيلة الدواغرة، رسالة ماجستير، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1993.
- صفوت كمال، الزواج ومناهج دراسته كظاهرة فولكلورية، مجلة الفنون الشعبية، عدد 11، ديسمبر 1969.
- علياء شكرى، عادات دورة الحياة عند بلاكمان فى كتاب: فلاحو الصعيد، مجلة الفنون الشعبية، العدد 19، 1987.
- منى إبراهيم حامد الفرنوانى، بعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه عادات دورة الحياة، دراسة متعمقة لقريه مصرية، رسالة دكتوراه إشراف علياء

- شكرى، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1989.
- عايذة فؤاد، ظاهرة الطلاق في مصر بين النمط المثالي والنمط الواقعي. دراسة أنثروبولوجية لإحدى القرى، رسالة دكتوراه، إشراف علياء شكرى، قسم الاجتماع بكلية البنات، جامعة عين شمس، 1992.
- (48) ارتبطت المسابح بفئة الفقهاء والحجاج الذين يجعلون من بين هداياهم حين عودتهم من الحج سبحاً، ويبالغ دراويش الصوفية في تعليق سبح كبيرة الحجم في رقابهم لتتدلى على أجسامهم بوصفها مظهراً من مظاهر الورع.
- راجع كتاب رودلف وهيزش كريس، المعتقدات الشعبية في العالم الإسلامى مجلدان، بالألمانية، فيسبادن، 1962.
- (49) للرقم سبعة دلالات اعتقادية عند كثير من الشعوب، وفي مراحل زمنية مختلفة. ويهمن دلالاته الاعتقادية عند العرب أيام الجاهلية. ثم امتدت هذه الدلالة الخاصة للرقم سبعة إلى الثقافية الإسلامية، والشواهد على ذلك كثيرة، وقد أفاض فيها الكتاب.
- وربما ينبغى أن نضيف هنا أن الرقم سبعة يتردد كثيراً في عدد كبير من كتب الطب والسحر، فالأجزاء المقترحة من الجسم تكوى بالنار سبع مرات لتبرأ. وقد أشار العالم الفرنسى إدموند Doutee إلى دلالة الرقم السحرية في كتابه الشهير السحر والدين في شمال أفريقيا، مشيراً إلى الأختام السبعة، والسبع عهود... إلخ انظر عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، بيروت، 1983.
- (50) من عناصر الدراسة الفولكلورية للسبوع:
- خروج الواضعة، إقامة السبوع للوليد والتسمية (اليوم المحدد لإقامة السبوع: السابع - التاسع)، الإعداد للسبوع بالشموع والحبوب السبع والغناء فى الزفة ورقوة الوليد ورش الملح ثم استخدام الإبريق أو القلة. واستنابت حبات الفول لتوزع على المدعوين أو توزيع أكياس الحلوى بها بعض العملات الورقية التى كتب عليها اسم المولود. ومصادر تسمية المولد عن طريق استخدام الشموع، وكيفية اختيار الاسم سواء عن طريق اختيار أحد أسماء الأسرة النبوية أو الأجداد المتوفين أو الأحياء أو أسماء الدلع، واختيار أسماء غريبة أو محقرة للأطفال خشية الحسد، وخاصة فى الأطفال (الوحيد).
- (51) يمثل إتاحة مياه الشرب للناس دون تمييز مصرفاً مهماً من مصارف الزكاة، والصدقة، والتعبير عن الكرم فى كافة البيئات الحارة، خاصة عندما يكون الوصول إلى الماء الجارى ليس أمراً يسيراً. وكانت الأوقاف توقف على الأسبلة، ثم أصبح المحسنون يتفننون فى بنائها وزخرفتها وغير ذلك. راجع إبراهيم حلمى، الأسبلة فى القاهرة، 1989.
- (52) هناك بعض آيات القرآن الكريم أو سوره أو أقوال الرسول أو أسماء الله الحسنى أو غير ذلك مما يدخل كعناصر فى بعض العمليات السحرية. ولا شك ان من يقوم بالعمل السحرى يهدف من وراء استخدام هذه الآيات إلى تدعيم تأثير العمل السحرى فى رأيه وتأييده فى قلوب عملائه من عامة الشعب، وإضفاء طابع إسلامى على عناصر سحرية قديمة تعاقبت عليها الديانات والنظم الاجتماعية المختلفة. وهناك من عامة الناس من يحمل القرآن أو جزءاً منه بقصد

الحماية والتبرك. ويمتد الاعتقاد إلى اختصاص كل سورة من سور القرآن بفائدة معينة كالشفاء من الأمراض، أو درء الحسد أو تحقيق غاية معينة. ومن الكتابات التى تناولت هذه الموضوعات الجزء الثانى من دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى بإشراف محمد الجوهري، الذى أورد ما يقرب من ثمانين سؤالاً (1232-1310) حول استخدام المصحف وسور القرآن الكريم فى الأعمال السحرية.

(53) هى شجرة من أشجار الجميز العتيقة يقال أن العائلة المقدسة (السيدة مريم، والسيد المسيح، ويوسف النجار) استظلت بها أثناء قدومها إلى مصر هرباً من اضطهاد الإمبراطور الرومانى منذ ألفى عام. وبجوار الشجرة وعاء من الرخام يقال أن السيد المسيح استحم فيه. ويحرص زوار الشجرة من المسيحيين والمسلمين على تقيلها وغسل أيديهم من وعاء الرخام تبركاً، وتتواتر أقوال الناس من أن الشجرة تجدد نفسها فلا تموت، وتدور كثير من الروايات حول أناس أصابهم مكروه عندما هموا بقطع هذه الشجرة. وهناك كتاب حديث عن قصة رحلة العائلة المقدسة إلى مصر يحتوى فصل من فصوله تعريفاً بشجرة العذراء مريم.

(54) وسع الأستاذ أحمد أمين مفهوم الشحادة، بحيث يمكن القول أنه استخدمه بمعنى مجازى عام إلى جانب المعنى الخاص. فاعتبر الوساطة، والنفاق للرؤساء، أو طلب الهدايا من الشحادة. كما أدخل بعض أنواع الغناء الشعبى والعروض الشعبية كالمداحين والأدبائية ضمن الشحادة. ويهمن أن الشحادة بمعنى التسول الصريح أو بعذر معين مازالت قائمة ومنتشرة، واستحدثت أساليب جديدة للشحادة من جانب محترفى التسول، خاصة فى المدن الكبرى. من ذلك أن يحمل الشحاذ ورقة مكتوبة يطلب فيها المساعدة، أو التظاهر بإتلاف شئ ما كالبيض أو السمن أو الأوانى الفخارية (كالقلل والزلع... إلخ) وعرضه فى شارع رئيسى وطلب المساعدة من المارة فى ثمنه.

وقد قامت مؤخراً باحثة بجامعة القاهرة بدراسة ظاهرة التسول فى مدينة القاهرة، وشرحت الظاهرة من المنظر الدينى، ثم الصورة التى تبدو فيها هذه الظاهرة فى وسائل الإعلام، ثم صورة المتسولين فى الأمثال الشعبية، والمميزات التى يوفرها التسول للشحاذين، والرؤية الشعبية لحياتهم، والعوامل التى تؤدى إلى استمرار هذه الظاهرة وتفاقمها. انظر: ابتسام سيد علام، ظاهرة التسول فى مدينة القاهرة، دراسة أنثروبولوجية لبعض جماعات المتسولين، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الاجتماع بكلية الآداب، جامعة القاهرة، 1996.

(55) تخضع عملية المشاركة فى البهائم فى الريف اليوم لقواعد دقيقة تنظمها، فأصبح هناك الشريك المرفوع (الممول) والشريك القانى (المربى). ويقصد بالأول الشخص الذى يشتري البهيمة ويدفع ثمنها بالكامل. أما الشريك القانى فهو الفلاح الذى يرببها، وقد يشترك فى التمويل بنصيب معين، وذلك فى حالات لم تعد قليلة اليوم. ذلك أن مشاركة القانى للشريك الممول (المرفوع) بنسبة ساعد على تقليل المنازعات والخلافات فى حالة نفوق البهيمة.

(56) هناك العديد من المعتقدات والممارسات التفصيلية المرتبطة بشعر الإنسان، منها ما يدور حول شعر الطفل عندما يخلق لأول مرة (شعر البطن)، فقد يندر لأحد الأولياء أو يوضع فى

قطعة من الطين ويرمى فى الماء لكى يكتسب بذلك القوة والاستمرار. وقد يدخل الشعر فى بعض الوصفات الطبية والعلاجية، فضلاً عن استخدامه فى الأغراض السحرية كأن يحرق جزء من شعر الحاسد ويختر به المصاب (المحسود) من أجل إبطال تأثير هذا الحسد. ومن الممارسات ما يتعلق بالعناية بالشعر، فكثيراً ما تعد الوصفات الشعبية لإطالة الشعر أو علاج أمراضه كالصلع أو السقوط، كما تستخدم وصفات أخرى فى عملية "الحفوف" إزالة الشعر النابت على الوجه وغيره، ويحظر غسل الشعر فى أوقات معينة لغرض معين. وهناك من المعتقدات ما يدور حول الذقون واللحى والحواجب والرموش ولون الشعر والشيب المفاجئ (تحول الشعر إلى اللون الأبيض بين يوم وليلة).

ومن الدراسات التى أشارت إلى هذه الممارسات والمعتقدات الجزء الثانى من دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى بإشراف محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، 1992، (الأسئلة 666-684). وانظر مزيداً من المعلومات فى: محمد الجوهري، علم الفولكلور، الجزء الثانى، دار المعرفة الجامعية، 1992.

(57) استخدمت الشموع منذ أقدم الأزمنة فى الشعائر والطقوس والاحتفالات والموكب الدينية. ومن المعتقدات الشائعة أن الشمعة إذا ذابت سريعاً، فإن هذا يكون نذيراً بموت فرد من الأسرة. ومن أجل هذا يقرن المحتفلون بسبوع المولود تسميته باسم الشمعة التى تنطفأ آخر الشموع. ومن المعتقد كذلك أنه من الخطأ إشعال ثلاثة شمعات فى نفس الحجرة مرة واحدة. وإذا كانت الشمعة تستخدم فى بعض الأعمال السحرية، فإن الشمعة المشتعلة تحمى المرء من هذه الأعمال.

(58) اختلط الحديث فى المادة بين الصناعات التقليدية والصناعة الحديثة. ولكن محور الاهتمام الرئيسى فى المادة انصب على الصناعة الحديثة. أما علم الفولكلور فيولى اهتماماً كبيراً إلى الصناعات التقليدية الشعبية: كصناعات الفخار، والحصر، وضرب الطوب، وصنع السلال، وصنع أدوات العمل الزراعى... إلخ. ويمكن أن يرجع القارئ إلى المجلد الخامس من دليل العمل الميدانى تأليف محمد الجوهري ورجب عفيفى، عن الثقافة المادية الريفية. أما بالنسبة للصناعة الحديثة فمن الواضح أن حركة التصنيع الضخمة التى شهدتها مصر منذ الخمسينيات وحتى الآن قد عدلت كثيراً من هذه الأحكام والتصورات.

(59) تراجعت حرفة الخيامية كثيراً، وقل عدد المشتغلين بها وهبط مستوى منتجاتها، ودخل الآلات فى بعض مراحلها. وربما أدى إلى ذلك وترتب عليه أيضاً ظاهرة دور المناسبات الثابتة التى أنشئت مؤخراً فى الأحياء وفى المدن وفى القرى لتلقى العزاء، توفيراً لنفقات إقامة الصوانات. أما بالنسبة لاستخدام الصوان فى أغراض أخرى غير عمل سرادقات العزاء (مثلاً عمل موائد الرحمن، معارض للسلع أو الأشياء... إلخ) فقد أخذت الفواصل أو القواطع المصنوعة من الخشب، وفى الغالب من المواد البلاستيكية، تنتشر لتحقيق هذه الغرض.

(60) حظيت طاسة الخضة باهتمام كبير من العالمين رودلف وهاينريش كريس فى مؤلفهما الضخم

عن المعتقدات الشعبية فى العالم الإسلامى، ونشرا نماذج عديدة منها، وترجما الكلام المكتوب على كل منها، ودرسا وحللاه، كما درسا وظائفها وما يتردد عنها من معتقدات. انظر:

- Rudolf Kriss, Volksglaube im Bereich des Islam, 2 Vols., Wiesbaden, 1962.

(61) تهتم الدراسة الفولكلورية لعادات الطعام وآداب المائدة بطائفة من الموضوعات المهمة التى لم تكن معروفة كموضوع من موضوعات الدراسة الفولكلورية فى النصف الأول من هذا القرن. ومن أهم تلك الموضوعات: الوجبات مواعيدها، أكلات المناسبات، العادات المرتبطة بالخبز وأنواعه، الحبوب والبقول واللحوم والطيور... إلخ، طرق إعداد الطعام، طرق حفظ الطعام، الأواني والأدوات، المعتقدات حول الطعام، آداب المائدة، التجديدات فى عادات الطعام وآداب المائدة... إلخ.

ويجد القارئ عرضاً مفصلاً لها عند: علياء شكرى، دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى، الجزء الرابع، عن عادات الطعام وآداب المائدة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

ولكى يكون القارئ فكرة عن اتساع ميدان دراسة عادات الطعام، فقد تولى سميح شعلان دراسة موضوع جزئى هو الخبز فى رسالته للدكتوراه، انظر سميح شعلان، العادات المرتبطة بالخبز كمؤشر للمناطق الثقافية، دراسة ميدانية بالدلنا، رسالة دكتوراه إشراف علياء شكرى، المعهد العالى للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون، القاهرة، 1997. راجع حول نفس الموضوع: نجوى عبدالمنعم قاسم الشايب، ديناميات تغير التراث الشعبى فى المجتمع المصرى، دراسة لعادات الطعام وآداب المائدة فى إحدى القرى المتاخمة لمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1998.

(62) عبده الحامولى 1841-1901 هو زعيم المدرسة الغنائية التقليدية التى كانت مزدهرة فى أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين، وله دور كبير فى تحرير الأغنية العربية من النبرات التركية والحلبية. وقد حفظ القرآن الكريم وبدأ يغنى المواويل والموشحات والقصائد الدينية. قم التقى بالمعلم شعبان، أحد حفظة الموشحات، فتعلم على يديه أصول الغناء. ثم سطع نجم الحامولى وأخذ صيته ينتشر بين الأوساط الثرية وقصور الأعيان، حيث اختصه الخديوى إسماعيل بمجلسه وصحبته، مما هيا له فرصة كبيرة للتجديد. وكان أحد نجوم الطرب الذين اشتركوا فى إحياء أفراح أنجال الخديوى فى يناير عام 1873. وقد تلقى الحامولى ألحان زميله محمد عثمان وأضاف إليها من ذوقه وفنه. وكان ضمن تسجيلاته على كويبهات الشمع دور "فى البعيد ياما كنت أنوح". وقصيدة أراك عصى الدمع. أما ألمظ فكانت من أشهر المغنيات فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. تزوجت من عبده الحامولى وتميزت الفترة التى عاشتها ألمظ بالابتكار والتجديد فى مجال الغناء العربى على يد مجموعة كبيرة من الفنانين، منهم عبده الحامولى ومحمد عثمان وسلامة حجازى والمنيلوى..، وغيرهم. ومن أشهر مع الخديوى إسماعيل رفضها دعوتها لها للغناء، وإصرارها على ذلك تنفيذاً لرغبة زوجها عبده الحامولى. راجع كتاب الغناء فى القرن التاسع

عشر تأليف الدكتورة ناهد أحمد حافظ.

(63) من أشهر الأشكال الشعبية لاستخدام سور القرآن الكريم لأغراض الحياة المختلفة، لنجاح الابن، لتحقيق وفاق بين متخاصمين، لشفاء مريض... إلخ. وهى أكثر انتماء إلى ميدان السحر الشعبي، حيث أن الناس العاديين هم الذين يستخدمونها، فرادى وجماعات، بأنفسهم أو بالاستعانة بمقرئين... إلخ فى شتى المناسبات.

(4) العهد شعيرة عامة فى جميع الطرق الصوفية، إذ يلزم المريد المرور بهذه الشعيرة بوصفها التزام بين المريد وشيخه، أو أنها التزام بالقرابة الشعائرية Ritual Kinship. والعهد مأخوذ من الالتزام الذى قطعه الأتصار على أنفسهم بحماية النبى من أعدائه. (إذ يبايعونك تحت الشجرة). ويتمثل العهد فى جلوس المريد أمام شيخه وفى مواجهته حيث يضع يده فى يد الشيخ ثم يبدأ فى ترديد الفاتحة والأدعية التى يلقيها عليه الشيخ، ويتبع ذلك بقراءة ورد الطريقة أو القسم الذى يقسمه بأن يحفظ العهد. وعلى الرغم من اختلاف صيغة العهد من طريقة إلى أخرى، فإنها جميعاً تتفق فى الهدف من إجراء هذه الشعيرة. وترمز شعيرة العهد إلى الميثاق بين المريد وشيخه ووجوب الطاعة للشيخ، وأن المريد أصبح فى حماية شيخه، والعهد مكفول بشهود هم الله ونبيه عن طريق قراءة الفاتحة، وترمز يد الشيخ أثناء أخذ العهد للصلة مع الله. ومن صيغة العهد فى الطريقة الشاذلية على سبيل المثال:

"اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وأنبياءك ورسلك وكافة خلقك وأنت خير الشاهدين على أننى قد اتخذت ورضيت وقبلت أختى هذا أختاً فى الله تعالى ومرشداً إليه على طريقة مشرب سيدى على بن عبدالله أبى الحسن الشاذلى - وسيدة سلامة بن حسن الراضى - رضى الله عنهما... وأنى عاهدت الله وأعاهد الله وأعهد إلى الله وأشهده على نفسى بأننى قد التزمت السمع والطاعة لشيخى هذا، فلا أخالفه بقلبى ولا بجوارحى ولا بلسانى وقد جعلت هذا نذراً علىّ الله تعالى وعهداً شرعياً صحيحاً جازماً ناجزاً بيننا ظاهراً وباطناً مادمت حياً وعلى نية شيخى هذا ومطالباً به فى الدنيا والآخرة. ومسئولاً عنه بين يدي الله تعالى - فإذا خالفت شيخى هذا أو أنكرت عليه أو اعترضت أو غيرت أو بدلت أكون خائناً أو ناكثاً وناقضاً لعهد الله وموآثيقه أعادنا الله من ذلك ووقفنا للوفاء بما عاهدنا عليه - وبما نذرنا الله تعالى والله على ما نقول وكيل". راجع حول الموضوع:

- فاروق أحمد مصطفى، البناء الاجتماعى فى الطريقة الحامدية الشاذلية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1981.
- محمود عبدالرشيد، التنظيمات الصوفية، دراسة لإحدى الطرق الصوفية بمحافظة المنيا، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنيا، 1988.

(65) الغول من الكائنات فوق الطبيعية، وتستخدم المفردة فى اللغة للمذكر والمؤنث، وقيل عن استبعاد وجودها حقيقة أنها من المستحيلات الثلاثة "الغول والعنقاء، والخل الوفى". ويعتقد الناس أنها تستطيع أن تتشكل فى عدة أشكال لأنها نوع من أنواع الجن الشريرة، وتظهر الغول

على شكل أنثى نافشة شعرها تطلب من المارة طلباً تختبرهم فيه، فإن هم أطاعوا ولبوا سلموا من أذاها. ويعتقد أنها تأكل الجثث وتهاجم الناس ليلاً بهدف أكلهم، وهى ترادف أكل لحوم البشر. وهناك بعض الوسائل للتغلب على الغول، منها ما ذكر هنا ومنها تلاوة القرآن، وإقراء السلام "لولا سلامك سيق كلامك كنت كلت لحمك قبل عظامك".

وتكشف لنا بعض المناسبات عن البعد النفسى فى تسمية أمنا الغولة أو الأم الكبرى فى رأى أصحاب التحليل النفسى للحواديت، حيث ترمز إلى النفس البشرية التى تنطوى على نصفين خير وشر يتصارعان داخل الإنسان، وأن الجانب الخير هو الذى دعا إلى إطلاق كلمة "أمنا الغولة". ويرجعها البعض إلى الآلهة القديمة مثل الآلهة هاتور، وإيزيس، وآلهة الحكمة صوفيا، فى مقابل آلهة الحرب التى تمثل الصورة المفزعة، فالأم الغولة هى الجانب الخير من الإنسان. راجع حول الموضوع الدراسات التالية:

- محمد الجوهري، علم الفولكلور، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
- نبيلة إبراهيم، أمنا الكبرى، مج الفنون الشعبية، العدد 8، مارس 1969.
- عمر عثمان خضر، الغيلان فى الحكايات النوبية، مج الفنون الشعبية، العدد 9، يونيه 1969.
- (66) أوضح الأستاذ أحمد أمين فى حاشية الكتاب أن الشيخ المشار إليه هو الشيخ إبراهيم الدسوقي، وأن المتبرع المقصود هو المستر وليم لين، المستشرق الإنجليزى.
- (67) يلفت النظر أن الأستاذ لم يتوسع فى المعنى الثانى - الخاص - للفرح، وهو الأقرب إلى الذهن بالنسبة لدارسى التراث الشعبى، وأعنى احتفال الزواج. فالحديث الشعبى الشائع يتحدث عن "يوم الفرحة"، و"موعد الفرحة"، وهكذا.
- ويأخذ الاحتفال بالفرح مظاهر متعددة فى بيئات مصر المتنوعة، فأفراح النوبة -مثلاً- لها مظاهرها الخاصة التى تميزها، وكذلك أفراح أهل بادية سيناء، وأهل حواضرها، وبالطبع سكان الوادى... إلخ. وهى فى كل حالة ترتبط بالإطار الثقافى الفرعى، وبالطبعة الخاصة للبناء الاجتماعى... وهكذا.
- وقد اهتمت الدراسات الفولكلورية الحديثة بمظاهر الاحتفال وعادات الأفراح وتقاليدها فى ثنايا موضوع الزواج عموماً. ونذكر فيما يلى بعضها:
- نهلة إمام، عادات الزواج عند بدو سيناء، دراسة ميدانية لعادات الزواج فى قبيلة الدواغرة، رسالة ماجستير، إشراف محمد الجوهري، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1994.
- صفوت كمال، أفراح النوبة، مجلة الفنون الشعبية، العدد الأول، يناير 1965.
- منى إبراهيم حامد الفرنوانى، بعض ملامح التغيير الاجتماعى الثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه عادات دورة الحياة، دراسة متعمقة فى قرية مصرية، رسالة دكتوراه، إشراف علياء شكرى، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1989.
- (68) يعرف بعض الباحثين فى الأدب الشعبى الفزرة بأنها تعبير فنى قولى يقوم بوظيفة الاتصال بين مجموعة من البشر قد يصل إلى شخصين، على عكس النوعيات الأخرى كالموال أو

السيرة أو الأغنية. وتؤدي الفزورة وظيفتها من خلال ما يعرف بظاهرة اللبس: "قد الفيل ويتصر في المنديل"، ومن خلال الغموض الدلالي والمقابلة التركيبية والاعتماد على التصوير، أو من خلال التشبيه والاستعارة والجناس الصوتي لتكتمل فيها أداء وظيفتها وهى تعميق الاتصال. راجع حول الموضوع:

- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1981.
- نصر حامد أبو زيد، الفوازير، وظيفتها وبنائها اللغوي، مجلة الفنون الشعبية، العدد 18، يناير، 1987.

● نبيلة إبراهيم، اللغز في الأدب الشعبي، مجلة الفنون الشعبية، العدد الثاني، إبريل 1965. (69) أبرز الأستاذ في حديثه عن الفكاهة المدونة والمنشورة، ولكن ربما كان الأصل في الفكاهة المصرية المعاصرة، أو على الأقل المهم بنفس الدرجة، الفكاهات الشفاهية المتداولة. وقد وصل الأمر إلى حد نشر تجميعات للنكت الشفوية في صور كتيبات أو كتب أو مجلات. حول تعريف النكتة راجع: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق.

(70) لم يقتصر التغنى بقصة المولد على الفقهاء في الحقيقة، فهى فى الأصل من عمل الصوفية الذين جعلوها فى صميم تقاليدهم واحتفالاتهم. وإذا كان قد شاع بين الشيوخ "الموالدية" قصص المولد النثرية ذات نظام الفواصل المسجوعة، مثل قصة البرزنجى والمناوى وغيرهم، فإن القصص المنظومة فى قالب شعري أو بعضاً منها قد انتشرت بين المنشدين فى مناسبة مولد النبى، وامتد أدؤها إلى موالد الأولياء ينشدونها بمصاحبة الآلات الموسيقية المتعددة. ومن الدراسات الحديثة التى تناولت هذا الجانب:

- ماجدة أحمد قنديل، المدائح النبوية والتراث الشعبي، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للموسيقى العربية، 1982.
- محمد عمران، الثابت والمتغير فى الإنشاد الدينى الفولكلورى، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للموسيقى العربية، 1991.
- إبراهيم عبدالحافظ، الشعري الصوفى الشعبي، دراسة ميدانية بمحافظة القليوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للموسيقى العربية، 1995.

(71) التبس الأمر على كثير ممن تكلموا عن خيال الظل وخلطوا بينه وبين القراقوز المشهور المسمى "بالأراجوز"، بينما هما فنان منفصلان تاريخياً وشكلياً. ويبدو أن الأستاذ أحمد أمين يتكلم عن خيال الظل من حيث وجود الشاشة وانعكاس خيالات الدمى عليها. والأراجوز كما هو معروف يتميز بصورته الماريونيتية (العرائسية) الحية، وقد شاع خطأ أن الأتراك هم الذين أدخلوه إلى مصر، ويبدو أن العكس هو الصحيح حيث يذكر أن سليم الأول العثمانى أعجب بأحد المخاليلين عندما قدم أمامه قصة إعدام طومان باى، ومن ثم اصطحب بعد ذلك عدداً من مخاليل الأراجوز المصريين إلى اسطنبول.

وتصنع عرائس الأراجوز من القماش مع الاستعانة بالجص والخشب والسلك والورق

وعناصر أخرى مثل القش أو القطن أو الجلد وتلبس الشخص ملابس الشخصيات المراد محاكاتها في التمثيل. ومن المعتاد أن يكون تركيب الوجه في الدمية تركيباً مضحكاً. وفي أغلب تمثيلات الأراجوز تكون هذه الشخصية هو البطل الذى يكرر الصفحات واللغات للشخصيات الأخرى مثل زوجته أو الخفير (الشرطى) الأبله أو غيرهما.

وتظهر دمي الأراجوز بوضوح للعيان ولا تحتاج إلى إضاءة، ويمكن اللعب بها فى أى وقت من ليل أو نهار، حيث يدخل لاعب الأراجوز خلف الستارة التى يقيمها (يحملها على ظهره عند الفراغ من اللعب)، ويحرك الدمى بيديه من أعلى هذه الستارة. ويتميز الأراجوز بصوت أجش ينفرد به عن بقية الشخصيات المشتركة، حيث يضع لاعب الأراجوز فى فمه زعاقه (مزمار صغير يثبت فى مقدمة سقف الحلق) لتكبير الصوت حتى يوهم المتفرجين بأنه صوت خاص به.

- أما النص الأدبى للأراجوز فهو نص مرتجل أو محفوظ يتصرف فيه اللاعب وقت الحاجة بالإضافة والحذف بهدف الإضحاك والتسلية من خلال النكات والمفارقات والسخرية.
 - وقد اختلف الباحثون فى تفسير كلمة قراقوز التى حرفت إلى أراجوز فيرجعها البعض إلى الكلمة التركية قراقوش التى تحولت إلى قراقوز. وقراقوش هم اسم بهاء الدين قراقوش أحد وزراء صلاح الدين الأيوبي، وقد اشتهر بالغلظة والغباء، وألف فيه ابن ممتى كتابه (الفافوش فى حكم قراقوش) ويرجعها البعض إلى اللفظة التركية قراقوز، وهى تعنى أسود، وقوز تعنى عين أى أسود العين.
 - وفى الخمسينات ظهر ما يسمى بأراجوز شكوكو الفنان المعروف الذى وظف هذا الفن فى كثير من أفلامه بعرائسه ودماه المعروفة، وتناول اسكتشات غنائية وتمثيلية اجتماعية مضحكة ألفت لهذا الغرض وكان يؤديها شكوكو بصوت خاص.
 - ومن مظاهر تأثير هذا الفن اهتمام السينما المصرية به فاستلهمته فى عل فيلم مشهور باسم الأراجوز قام ببطولته عمر الشريف يتناول حياة لاعب أراجوز، ويشير بطرف خفى لما استقر عليه الناس حول هذه الشخصية "الأراجوز" التى تتحرك حركات كثيرة بهلوانية من غير فائدة. ومن الدراسات التى تناولت الأراجوز:
 - إبراهيم حمادة، خيال الظل وتمثيلية ابن دانيال، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1961.
 - عبد الحميد يونس، خيال الظل، مكتبة الدراسات الشعبية بالهيئة العامة لقصور الثقافة، 1997.
 - مختار السيوطى، خيال الظل والعرائس فى العالم، دار الكتاب العربى، القاهرة، 1997.
 - عثمان محمد عزمى، الأراجوز بين السياق الشعبى واستلهامه سينمائياً، مطبوعات القدوة العلمية لمهرجان الإسماعيلية الدولى السادس والهيئة العامة لقصور الثقافة، 1995.
 - عادل العليمى، إحياء دراما الأراجوز، مج الفنون الشعبية، العدد 24، يولييه 1988.
- (72) من المعتقدات الشعبية الشائعة أن القرد كان إنساناً مسح إلى قرد بعد أن خالف ربه وتوضاً

- باللين. ويبدو أن فئات القرداتية كان أغلبها من العجر، وأنهم كانوا يتحايلون بهذه المهنة على سرقة المشاهدين فيدربون القروء على سرقتهم أثناء الملاعبة.
- وكان فى القاهرة عزبة تسمى عزبة القروء بجوار عشش الترجمان تضم أعداداً كبيرة من القرداتية الذين يقيمون مع قروءهم فى عشش من الصفيح.
 - ويبدو أن ملاعبة حيوانات السيرك مثل الأسود والنمور والفيلة، وكذلك ملاعبة الدرافيل وتدريبها، هى الجانب الحديث لملاعبة القروء التى اختفت من الشوارع والساحات.
- (73) من المعتقدات الشائعة أن القرينة أو القرين يلقى نفس المصير الذى يلقى صاحبه، فإذا مرض الإنسان مرض القرين، وإذا عالج طبيب عين الإنسان المريضة، تولى قرين الطبيب علاج عينى القرين الإنسان المريض، وإذا مات الإنسان مات قرينه. وهناك حالات أخرى للقرينة أو أم الصبيان التى تظهر ليلاً بالذات مدفوعة بدافع الحسد والغيرة نظراً لأنها لم توهب قدرة الأم الإنسية على الإنجاب، إما لكى تقتل جنينها فى بطنها، أو تهددها فى حملها، أو بعد أن يتم الوضع تهاجم الطفل وتسبب له أمراض الأطفال، والضعف والهزال. وفى مثل هذه الحالات تلجأ الأم إلى الساحر طلباً لعلاج ابنها أو ابنتها عن طريق كتابة الأعمال السحرية. راجع المجلد الثانى من كتابنا علم الفولكلور، مرجع سابق.
- (74) هناك أنواع أخرى من القصص الشعبى شاعت إلى جانب قصص السيرة، منها الدينى ومنها الاجتماعى. فأما الدينى فهو الذى اختص به المداحون والمنشدون. وكان المداحون يتغنون بقصصهم فى الموالد والأسواق بمصاحبة الدف. ووجل هذا القصص يدور حول معجزات النبى (صلى الله عليه وسلم) وكرامات الأولياء فى مقاطع زجلية مثل قصة الجمل والغزاة، وقصة الإسراء والمعراج، وقصة السيد البدوى مع خضرة الشريفة، وقصة إبراهيم الدسوقى وغيرها.
- ويغنى المنشدون لوناً آخر فى موالد الأولياء ومولد النبى والأفراح، وهو اللون الذى بدأ حول الموضوعات الدينية، ثم تحول إلى القصص الاجتماعى ينتقد الواقع الاجتماعى فى إطار الدينى أخلاقى.
- وأما القصص الاجتماعى الخالص فهو المواويل القصصية التى يتغنى بها المغنى البلدى فى الأفراح والمناسبات الاجتماعية الخاصة، مثل أدهم الشرقاوى وحسن ونعيمة وغيرهما. ومن الدراسات الميدانية التى تناولت هذه القصص حديثاً:
- محمد عمران، الثابت والمتغير فى الإنشاد الدينى الفولكلورى، رسالة ماجستير، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1991.
 - إبراهيم عبدالحافظ، ملامح التغير فى القصص الشعبى الغنائى، دراسة ميدانية بمحافظة الغربية، رسالة دكتوراه، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1998.
- (75) قمقم سليمان من أشهر العناصر السحرية التى حظيت بالانتشار بين المصريين، وأكاد أقول على المستوى العالمى، ووصلت إلى حد استخدامها فى الأمثال الشعبية، وفى التعابير،

والحديث اليومي، ولا ننسى طبعاً استخدام هذا العنصر في عدد من الأفلام السينمائية. على أن هذا القمقم ليس هو العنصر السحري الوحيد الذي ينسب إلى سيدنا سليمان، فسليمان من الشخصيات التي تحتل في المعتقد الشعبي (السحري والمتعلق بالجن) مكانة خاصة لدى العرب والمسلمين، ولدى المصريين بصفة أخص. ومن العناصر السحرية المرتبطة به خاتم سليمان. وقد لفت الأشكال السحرية نظر الباحثين، خاصة الأجانب، في التراث السحري في العالم الإسلامي، وخصص الألمانى فينكلر كتاباً مستقلاً عن "الأختام والأشكال في السحر الإسلامى المصرى"، وكذلك اختصه العالمان رودلف وهابنريش كريس باهتمام كبير فى مؤلفهما الضخم عن المعتقدات الشعبية فى العالم الإسلامى. أما بالنسبة للشعوب العربية فى شمال أفريقيا فقد لفت النظر منذ تاريخ مبكر إلى تلك الأشكال والرسوم السحرية إدمون دوتيه فى كتابه الشهير عن "السحر والدين فى شمال أفريقيا" والذى سبقت الإشارة إليه.

(76) يلفت النظر فى حديث الأستاذ إغفاله الإشارة إلى قنديل السيدة نفيسة، الذى ظل لأمد طويل يتمتع بمكانة كبيرة لدى الشعب، بسبب ما كانوا ينسبونوه إلى زيتته من خصائص طبية، لشفاء أمراض العيون أساساً، وبلغ من شهرته أن كتب عنه يحيى حقى روايته المشهورة، والذى عدل فيها من اسم صاحبة القنديل فنسبه إلى أم هاشم بدلاً من السيدة نفيسة ليتفادى الحرج.

(77) اشتهرت مصر بالكنافة منذ العصر الفاطمى، ورسخ شهرتها وأسس لها ارتباطها بشهر رمضان الكريم، فمن لا يأكلها فى الأيام العادية، لابد أن تتاح له، على نحو أو آخر، فرصة تناولها خلال رمضان. وهى شائعة فى الريف، كما هى شائعة فى الحضر، وتنتشر بين شتى المستويات الطبقيّة الاجتماعيّة، حيث أن ما يميز طبقة على من هى أدنى منها الخامات الداخلة فى صناعتها، وإن ظلت طريقة الإعداد ميزة خاصة للسيدة، أو السيد، الذى يتولى إعدادها. وقد طرأت عليها بعض التطورات فى العقود القليلة الماضية، لعل من أبرزها استخدام الآلة فى صنع الكنافة بدلاً من الكوز ذى الخروم بأسفله، وذلك توفيراً للجهد، والوقت، وتيسيراً لتحقيق الإنتاج الكبير (كنتيجة طبيعية لزيادة الطلب) بشكل اقتصادى. وقد أصبحت تعرف باسم الكنافة الآلى. وقد أصبحت هى الشكل الأكثر انتشاراً بطبيعة الحال، خاصة فى المناطق الحضرية والأحياء الشعبية.

كما كان من المستحدثات المهمة فى بيع الكنافة "جاهزة" أى مطهية على شكل صوان، أو قطع لدى محلات الحلوى، خاصة فى الحضر، حيث يتيح هذا الحل توفير جهد ربة البيت، وعدم اضطرار عدد قليل - بسبب ظروف الأسرة النووية مثلاً - إلى شراء وإعداد كمية كبيرة، أو كمية تزيد عن الحاجة، أو تؤذى "النظام الغذائى" الذى يسببون عليه.

ومن التغيرات التى طرأت على المواد المستخدمة فى إعداد الكنافة منزلياً استخدام المسلى الصناعى كبديل عن المسلى الطبيعى، ربما بسبب غلاء السمن الطبيعى، أو لاعتبارات صحية. كذلك لعبت وسائل الإعلام دوراً بارزاً فى ظهور بدائل جديدة فى الحشو المستخدم فى الكنافة، فأصبحنا نجد بعض الناس يحشونها ببعض أنواع الفاكهة الطازجة (كالموز)، أو بأنواع من

المخلوط اللبني الصناعي، (بعض أنواع الكاسترد)، وكلها ترتبط بالمناطق الثقافية، والمستوى الاقتصادي، ورؤية العالم... إلخ.

راجع حول الموضوع:

● نجوى عبدالمنعم قاسم الشايب، ديناميات تغير التراث الشعبي فى المجتمع المصرى، دراسة لعادات الطعام وآداب المائدة فى إحدى القرى المتاخمة لمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، إشراف علياء شكرى، قسم الاجتماع بكلية البنات، جامعة عين شمس، 1998 (خصائص صفحات 171-176).

(78) تخلف اللاصة عن اللثام الذى يخفى به البدو الجزء الأسفل من الوجه والفم، وقد يغطى الأنف. واشتهر به بعض القبائل المغربية وعرفوا بالملثمين، ومنهم الطوارق الذين يلبسون اللثام حتى اليوم. وكان السيد أحمد البدوى لا يخلع اللثام، ومن بين الأسماء التى اشتهر بها: الملثم. ولا يقتص استخدام اللاصة على الفتوات، بل ينتشر لدى الرجال الريفيين أو "البلدى" عموماً، ولكن بصفة خاصة بين المتأنقين منهم. وقد تكون اللاصة من الحرير أو الصوف. وفى حالات أخرى تصنع من النايلون (حديثاً فقط طبعاً).

وطبيعى أن يرتديها العريس فى الريف يوم زفافه، ومن الأغاني التى اشتهرت تلك التى تقول:

ادلع يا عريس يابو لاسة نايلون

ادلع يا عريس وعروستك نايلون

انظر مزيداً من المعلومات عن الموضوع فى:

- سعد الخادم، الأزياء الشعبية، دار القلم، القاهرة 1961.
- تحية كامل حسين، تاريخ الأزياء وتطورها، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1964.
- عبدالغنى أبو العينين، أزياءنا الشعبية بين القديم والحديث، مجلة الفنون الشعبية، العدد 3، يوليو 1965.
- عثمان خيرت، الزى والزينة، مجلة الفنون الشعبية، العدد 2، إبريل 1965.

(79) تبتعد اللهجة العامية المصرية عن الفصحى فى شئيين هما: الإعراب وتركيب الحروف. ولما كانت العامية تؤخذ سماعاً من الآباء إلى الأبناء فقد أصابها التغيير، كما يصيب أى عنصر ثقافى شفاهى. وكثير من الألفاظ العامية لازال يقترب من الأصل الفصحى، ولكن هناك ألفاظ أخرى دخلت إلى العامية من اللغات الأخرى نتيجة مخالطة المصريين لأهل اللغات كالفرنسية والإيطالية والتركية والفارسية والإنجليزية والأسبانية وغيرها. ومن اللافت للانتباه أن كثرة من الأعمال الأدبية الشعبية الكبيرة كآلف وليلة والسير الشعبية المعروفة، ودواوين الشعر العامى قد تمت بالمزج بين العامية والفصحى أو جاءت بالعامية. وذلك كله جاء بعد ثمانية قرون أو أكثر من الفتح العربى لمصر. وقد شهدت العامية امتحاناً على مستويين هما:

- الاهتمام بشعراء العامية وأدبائها ودراسة إنتاجهم الأدبى.

- الاهتمام باللهجات المحلية من خلال الدراسات الميدانية أو من خلال عمليات الجمع الميدانى
للأنواع الأدبية الشعبية ودراستها مثل الحواديث والمواويل والقصص الغنائى والفوازير
وغيرها. إلا أن ذلك كله لا يرقى إلى مستوى الدرس العلمى الجاد للهجات العامية المصرية
بما تستحقه من عناية واهتمام.
راجع حول الموضوع الدراسات التالية:
- رمضان عبدالنواب، عن العامة والتطور اللغوى، دار المعارف، القاهرة، 1967.
- عامر رشيد السامرائى، بين العامى والفصحى، مقال بمجلة التراث الشعبى، بغداد، عدد 7، 1970.
- عبدالعزيز مطر، لحن العامة، فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة
والنشر، القاهرة، 1966.
- رشدى صالح، الأدب الشعبى، دار النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1971.
- (80) هناك العديد من الدراسات التى اهتمت بدراسة بعض هذه اللبالي:
● عن العاشر من شهر المحرم، انظر: أحمد غنيم، عاشوراء فى الإسلام بين الحقائق والأوهام،
دراسة تخصصية تقارنية للنصوص الإسلامية واليهودية، 1984.
- عن رأس السنة الهجرية، واحتفالاتها، انظر: قاسم عبده قاسم، دراسات فى تاريخ مصر
الاجتماعى، عصر السلاطين المماليك، دار المعارف، 1983.
- عن مأكولات هذه المناسبات، انظر: وليم لين، المصريون المحدثون، عاداتهم وشمائلهم، مرجع
سابق. وكذلك محمد الجوهرى، بعض ملامح التغيير الاجتماعى الثقافى، دراسة لقرية غرب
أسوان، فى محمد الجوهرى، الأنثروبولوجيا. أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعرفة
الجامعية، الإسكندرية، طبعات متعددة.
- عن الاحتفالات بشم النسيم، انظر: عائشة صلاح الدين شكر، الاحتفال بشم النسيم، دراسة ميدانية
فى بورسعيد، رسالة ماجستير، المعهد العالى للفنون الشعبى، القاهرة، 1995.
- عن احتفالات رمضان: 1- إبراهيم أحمد العدوى، رمضان فى مصر الإسلامية، الدار القومية
للتباعة والنشر، القاهرة، دت، 2- حسن عبدالوهاب، رمضان، دار القلم، القاهرة، 1960، 3-
على الجندى، قرّة العين فى رمضان والعيدين، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1969.
- عن مولد النبى، المناوى، مولد النبى، أو المولد الجليل حسن الشكل الجميل، مطبعة بولاق،
القاهرة، 1307هـ.
- عن ليلة النصف من شعبان، حسنين محمد مخلوف، الكلمات الحسان فى فضائل ليلة نصف
شعبان، مصطفى البابى الحلبي، القاهرة، 1964.
- عن وفاء النيل، إبراهيم العفيفى، وفاء النيل، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.
- عن الأعياد المسيحية: 1- حنا موريس فائى، أعياد الأديرة أعياد شعبية، مقال بمجلة التراث
الشعبى، بغداد، العدد 2، سبتمبر 1969، 2- عثمان خيرت، باقات عيد أحد السعف، مقال
بمجلة الفنون الشعبية، العدد 14، سبتمبر 1970، 3- كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، ترتيب

أسبوع الآلام، القاهرة، مكتبة المحبة، 1970.

(81) لازال فض بكاره العروس فى الريف يتم فى ليلة الدخلة، ويحاط بالعديد من الممارسات التى ترمز إلى قيمة العفة. ومن ذلك حضور بعض الأقارب المقربين للعروسين من السيدات كالأخوات والعمات، وذلك إلى جانب الداية، التى كانت تتولى إرشاد العريس إلى كيفية إتمام هذه العملية فى حالة إخفاقه حيث كان الفض يتم باليد.

ومع تأثير المتغيرات المختلفة (كالتعليم، والاتجاه نحو التحضر... إلخ) أصبحت هذه العملية تقتصر على العروسين، وإن كان أغلب الحاضرين يظلون متواجدين خارج غرفة العروسين (فى انتظار البشارة). وإذا تأخرت عملية إشهار البكاره يتم حث العريس من الغناء الذى يردده الواقفون بالخارج: "شديدة عليك... أجيلك أنا" أو "يا عريس ياخمة.. ابقى كلك حنة لحمه".. وبعد الانتهاء من عملية فض البكاره، وإشهارها، تطلق الأعبرة النارية فى الهواء، وتدوى الزغاريد، ويتم التلويح بالمحارم الملوثة بالدماء فى الهواء، وهذا هو جوهر عملية إشهار البكاره. وفى أثناء ذلك تردد الحاضرات من أهل العروس الأغاني، ومنها:

"الله بيبض طناكى
"هاتو دم الفليحة
بيضتينا"
فرجونا عليه"
"أحمر زى التفاحة
ياما شاء الله عليه"

ومنها أيضاً:

"قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى

وإن كان شبعان يحط فى إيده مقشة

دم العروسة غرق لنا الفرشة"

ويطلق تعبير "أخذ العرض" على عملية فض البكاره لدى بعض قبائل شمال سيناء، حيث تتم بشكل عنيف نظراً لمقاومة العروس العريس، إلى الحد الذى يصل إلى ضرب العريس للعروس بعضاً حتى تمتثل له.

انظر مزيداً من التفاصيل حول الموضوع فى الدراسات التالية:

● منى حامد إبراهيم الفرنوانى، بعض ملامح التغيير الاجتماعى الثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه عادات دورة الحياة، رسالة دكتوراه، إشراف علياء شكرى، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1989.

● نهلة عبدالله إمام، عادات الزواج لدى بدو شمال سيناء، دراسة ميدانية لقبيلة الدواغرة، رسالة ماجستير فى الفنون الشعبية، إشراف محمد الجوهري، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1994.

(82) يلفت النظر أن عملية استخدام البخور لمنع الحسد قد راجت رواجاً كبيراً فى السنوات الأخيرة بتأثير عوامل جديدة متعددة، أهمها سيطرة مناخ الخرافة كرد فعل مواز ومتأثر على نحو ما بحركة المد الدينى الحالية. كما تحظى هذه الممارسة بانتشار واضح بين المصريين العائدين من الهجرة إلى بلاد النفط، حيث ينتشر البخور تحية للزائر، واستجاباً للبركة عموماً،

ومصدراً للمتعة، وربما علاج للمريض... إلخ. وكما طورت بلاد النفط أدوات تدخين الحشيش (باستخدام الكهرباء)، كذلك طورت المبخار واستخدمت فيها الكهرباء، بحيث تناسب مناخ الرفاهية، وجو البيت الحديث الذى لم يعد يسمح باستخدام الفحم بسهولة. وما زالت الظاهرة تحتاج إلى رصد ميدانى، وتحليل مفصل يشير إلى طبيعة المناخ الاعتقادى الشعبى فى نهاية القرن.

(83) راجع حول الموضوع دراسات الباحث إبراهيم حلمى:

● إبراهيم حلمى، المحمل، رحلات شعبية فى وجدان الأمة، دار التراث الإسلامى، القاهرة، 1994.

● إبراهيم حلمى، كسوة الكعبة، كتاب اليوم، أخبار اليوم، إبريل 1992.

(84) تمليح بعض أنواع المأكولات أو تخليلها، هو أسلوب من أساليب حفظها، خاصة إذا كانت سريعة التلف أو قصيرة العمر: كالخيار، والبصل، والكرنب، والجزر، وغيرها. وقد يكون التخليل لجعل مذاقها مقبولاً أو استكمال إنضاجها: كالزيتون، واللفت... إلخ. وهو فى جميع الأحوال وسيلة لترشيد الانتفاع بهذه الأنواع من المأكولات، وطبيعى أن تزداد انتشاراً بين الفئات الأشد فقراً. ومع الوقت يتكون مذاق المخلل، أى يصبح جزءاً من ذوق الإنسان فى الطعام، حتى بعد أن تتحسن أحواله، أى يرتفع مستواه المادى، يظل على إخلاصه للطرشى، أو المخللات، أو الحوادق.

ويعتقد أن تناوله مع الطعام يفتح الشهية، فيقدم ضمن المشهيات، أو المقبلات، مع السلطات وغيرها، وبذلك يكتسب انتشاراً أوسع، وينفتح على دوائر اجتماعية اقتصادية كبرى وأعرض. وهو شائع فى ثقافات بلاد حوض البحر المتوسط وغيرها، وإن اختلفت الطرق بطبيعة الحال عما هو عندنا.

والتمليح وسيلة لحفظ بعض أنواع الطعام إلى جانب التسكر (كالمربى، والحلوى المسكرة)، والتسخين، والتبريد... إلخ.

(85) انظر مصادر لمادة شعبية غنية، وكذلك دراسات شعبية عن المرأة وآدابها السلوكية وأحوالها الاجتماعية فى:

● محمد الجوهري (مشرف)، مصادر دراسة الفولكلور العربى، قائمة ببليوجرافية مشروحة، القاهرة، الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 479 - 487.

● علياء شكرى وآخرون، المرأة المجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998.

(86) من مكونات المفتقة العسل الأسود والسمسم والزيت والخلبة وتحويلة العطار والدقيق، وهى أكلة الفقراء لما تحويه من مكونات غذائية عديدة مع رخص سعرها فى الماضى. ويقال أن السيدات كن يجمعن مبالغ زهيدة من النقود ويكفنن أجدادهن بإعداد كمية المفتقة التى تكفيهن جميعاً ثم تقوم بتوزيعها على الجيران، وتقال فزورة معروفة حول المفتقة هى: "قميص هبر هبر خيطته بسبع إبر" إشارة إلى كثرة مكونات المفتقة.

(87) الشيخ محمد توفيق البكرى 1870 - 1932، ولد سنة 1870 بالقاهرة. وهو الابن الثانى

لوالده الشيخ على البكرى أحد سلاله الأسرة البكرية التي تنتسب إلى أبى بكر الصديق، والتي ولبت نقابة الأشراف فى مصر مدة طويلة من الزمن، ثم جمعت بين نقابة الأشراف ورئاسة مشيخة الطرق الصوفية. تلقى البكرى تعليمه فى مصر بالمدرسة العليا ثم بالأزهر الشريف، وسافر إلى أوروبا لإتمام دراسته. ثم عاد إلى مصر وترأس مجلسين فى شبابه اختص أحدهما بالأمور السياسية وكان يعقد بدار المؤيد، واختص الثانى بالأمور الأدبية وكان يعقد بالمقطم. كان له الفضل فى تأسيس المجمع البكرى عام 1893 ورئاسته، وإن لم يكتب له الاستمرار، وظهر بعده المجمع اللغوى. كما شارك البكرى منذ صباه فى المعترك السياسى فى مصر، وكان من مؤيدى إنشاء الجامعة الإسلامية. وقد اختاره الخديوى عباس حلمى الثانى عضواً فى مجلس شورى القوانين.

يعود إلى البكرى الفضل الأكبر فى تنظيم مشيخة الطرق الصوفية، فقد صدرت فى رئاسته أول لائحة داخلية لها عام 1903. وقد أصيب فى أخريات حياته بمرض عقلى وأودع مستشفى العصفورية بلبنان عام 1912 وعاد إلى مصر عام 1928 إلى أن توفى عام 1932. (88) أجمل الأستاذ ميداناً واسعاً من ميادين التراث الشعبى فى مادة واحدة مساحتها تقل عن صفحتين، عالج فيها موضوعات:

حب الغناء والتغنى، النظرة المتدنية إلى الموسيقى والمغنى، علاقة المصريين بالموسيقى الأجنبية، التغنى بالقرآن (قراءته مجوداً)، أغانى الباعة، التعليم الموسيقى، الآلات الموسيقية، الموسيقىات العسكرية، العوالم. انظر المجلد السادس من دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى، عن الموسيقى الشعبى، من تأليف دكتور محمد عمران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997. (89) الفطرة فى لسان المصريين: النقل، من خروب وبلح وبنديق ولوز وجوز. ويستخدمونا فى رمضان والعيدى.

(90) يلفت النظر ويستحق الإعجاب تسجيل الأستاذ لحالة الموظفين، وبيان مدى افتقارهم إلى الإبداع والمبادرة فى عملهم، وضيق رزقهم، أو على الأقل البطء الشديد فى ترقيةهم وتقديمهم. ومن العجيب أن هذا الوضع قد تفاقم فى أيامنا هذه تفاقماً خطيراً، بحيث بات الموظف هو أنعس الفئات خطأً وأسوأها حالة. فهو مثقل بالأعباء، محسوب على الطبقة الوسطى، متطلع إلى تعليم أبنائه وتحسين مستواه، ولكن أحواله الاقتصادية الاجتماعية فى تدهور مضطرد بسبب ثبات دخله مع تضخم كان قد بلغ فى الثمانينيات وأوائل التسعينيات 30% سنوياً. وقد انتبهت السينما المصرية إلى سوء أحوال الموظفين وترديها إلى مستوى لم تبلغه من قبل. وصورت بعض تلك الأفلام عدداً من "كبار" الموظفين يحلون مشكلاتهم المادية: بالتسول، أو العمل بمهنة النقاشة، أو عزف الموسيقى وراء راقصة فى ملهى ليلى. (أفلام: الموظفون فى الأرض لفريد شوقى، والأسطى المدير لصالح ذو الفقار، وحد السيف لمحمود مرسى). وهذه مجرد عينة دون محاولة للحصر.

(91) من أهم الدراسات التي صدرت عن السيد البدوي مؤلف الدكتور أحمد صبحي منصور عن السيد البدوي، القاهرة، 1986.

(92) هذه المادة كانت واردة في الأصل بعد مادة ميزانية البيت، وقد نقلناها إلى ترتيبها الصحيح (المحرر).

(93) أصاب الأستاذ أحمد أمين الفرع من أن ميزانية الأسرة في حوالى سنة 1850 كانت حوالى 25 جنيهاً في السنة، ثم وصلت بعد حوالى مائة سنة، أى في عام 1950، وقد تأليف الكتاب، إلى حوالى 800 جنيهاً في السنة.

ولاشك أن القارئ يفزع كثيراً عندما يطلع على الصورة الحالية في أواخر التسعينيات لميزانية البيت المصرى، والتي نعرضها فيما يلى بصورة تقريبية من واقع تقديرات رسمية نشرها الدكتور رشدى سعيد في نهاية 1996.

يقدر رشدى سعيد عدد الفقراء (التي يسميها كتلة البشر الغاطسة) بحوالى خمسين مليون نسمة يمثلون 86% من إجمالي عدد سكان مصر، موزعين على حوالى 8.5 مليون أسرة، يحصلون على حوالى 26% من إجمالي الدخل القومى. ويخص كل أسرة في المتوسط من 100 – 500 جنيهاً شهرياً، أى حوالى 1200 إلى 6000 جنيهاً سنوياً، ولاحظ أيضاً أن 56% من هؤلاء الخمسين مليوناً يعيشون في الريف، و44% في المدن.

أما الطبقة الدنيا فيقدر عددهم بحوالى سبعمائة ألف أسرة يشكلون حوالى 6% من إجمالي عدد سكان الجمهورية، يحصلون على حوالى 9% من مجمل الدخل القومى. ويخص كل أسرة دخل يتراوح بين 700 – 2500 جنيهاً شهرياً، أى 8400 – 30000 جنيهاً سنوياً.

ثم يلى ذلك – صعوداً – الطبقة الوسطى، ويقدر عددهم بحوالى سبعمائة ألف أسرة يشكلون حوالى 6% من إجمالي عدد السكان، يحصلون على حوالى 25% من إجمالي الدخل القومى، بمتوسط للأسرة الواحدة يتراوح بين 2000 – 7000 جنيهاً شهرياً، أى 24000 – 84000 جنيهاً سنوياً.

وعلى القمة توجد شريحة أهل القمة الذين يشكلون حوالى 2% من إجمالي عدد السكان (حوالى مليون نسمة) ويحصلون مجتمعين على حوالى 40% من إجمالي الدخل القومى. وليست بنا حاجة إلى حساب دخل الأسرة من هذه الفئة، لأن الأرقام تتحدث عن نفسها أبلغ من أى تعليق أو تفسير.

(94) النداء من فنون الأدب الشعبى التي تتوفر لها طلاوة الأسلوب والأداء المنغم، ويختار بائع الفاكهة تمثيلات مشوقة لبضاعته:

المشمش: "اللى استوى وطاب وطلب الأكلة".

والبلح: "يا عينى على جلابك يا نايج".

والعنب: "واللى بلا سنان ياكل فدان يا عنب".

وامتدت النداءات إلى الباعة الجائلين في وسائل النقل الحديثة الذين يقومون بعمل حوارات مع الزبائن عن الركاب ويعلقون بعبارات مثيرة للضحك على بضاعتهم.

(95) يلاحظ الأستاذ أن وضع صناديق النذور في أضرحة كبار الأولياء يعد خطورة كبيرة للقياس إلى الوضع الذى كان قائماً من قبل، حيث كانت النذور تسلم - إن نقداً أو عيناً - ليد شيخ الضريح، وهو الذى يوزعه بمعرفة.

واليوم فى أول عام 1999 اشتمت الدعوة إلى إعادة النظر فى نظام صناديق النذور، بحيث لا يستأثر خدم الضريح، وبعض الموظفين بالقسط الأكبر من أموال النذور. وكذلك قطعاً لدابر التلاعب فيما يقدم من نذور. ويطالب أصحاب هذه الحملة بفتح حساب فى البنوك تودع فيها هذه النقود المخصصة للنذور.

والطريف أن وزارة الأوقاف المختصة برعاية المساجد والإشراف عليها، لم ترحب بهذه الدعوة. ونشرت جريدة الجمهورية القاهرية تحقيقاً طريفاً عن صناديق النذور فى عددها الصادر يوم الجمعة 1998/11/20 يورد وجهة نظر وزير الأوقاف فى الإبقاء صناديق النذور بشكلها الراهن، ووجودها بالقرب من أضرحة الأولياء، لضرورات مالية واعتقادية شرحتها السيد الوزير فى حديثه.

(96) بعد انتشار الأعداد الكبيرة من السيارات فى مدينة القاهرة والمدن الكبرى راجت مهنة منادى السيارات الذين أصبح بعضهم يحمل ترخيصاً بمزاولة المهنة من الجهات المسئولة. ولم يعد النوبيون يقومون بهذه المهمة الآن، أو على الأقل ليسوا وحدهم.

(97) الخسوف والكسوف ظواهر طبيعية تحدث نتيجة وقوع ظل الأرض على القمر أو القمر على الشمس. وتذهب الأسطورة المصرية إلى أن حورس اشتبك مع ست اله الشر فى قتال مرير، لأنه اغتصب منه العرش. وذات مساء بينما كان القمر بديراً خرج حورس، وسرعان ما ظلمت غمامة سوداء وجه القمر وحجبت نوره، فأصيب عين حورس. واتهم حورس عدوه ست بإصابته فى عينه، ولكن رفاقه قالوا إن الخنزير الأسود هو الذى حجب عنهم ضوء القمر، وأخذوا يصيحون، ويصفقون بأيديهم لرد الخنزير الذى يحجب عنهم ضوء القمر.

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن لحورس عينين هما الشمس والقمر. وعندما أظلمت الدنيا بحدوث خسوف القمر أعاد اله الشمس العين اليسرى وهى القمر للإله حورس، فانتهى الخسوف. ومن بين العقائد القديمة حول الشمس أنها تقوم بالرقص فى صباح عيد الفصح، فكانت الناس تضع دلو من الماء عندما ترتفع الشمس، كما لو كان الأمر هو الإمساك بأوائل انعكاسات الأشعة. فإذا ارتفعت أشعة الشمس، وترجرت، فإن فصل الصيف سيكون شديد الحر، ولكن إذا استقر الضوء، فذلك يعنى بالتأكيد أن الصيف سيكون رائعاً.

فهرس تفصلى لمواد القاموس (*)

أبو على - أبو جيبين - أبو	هذا الكتاب. تقديم محمد الجوهري
طويلة - أبو عين نايمة - أبو	الأستاذ أحمد أمين فى سطور
رجل مسلوخة - أبو قردان.	مقدمة المؤلف
أبو حديد	حرف الألف
أبو فروة	أدى الزير وأدى غطاه
أبو دقيق	أبات أعلم فى المتبلم
أبو زيد الهلالي	أبات مهنى والحس مسنى
أبو لسان زفر	الإبرة
إبعد عن الشر	إبريق
أبو نضارة	أبزم او أبزين
أثارى	أبلس
الأتراك	ابن
أثر النبى	ابن فن - ابن روحه - ابن فتلة -
الأحبة	ابن سبعة - ابن سوق - ابن غرام
الأحزاب	- ابن الليالى - ابن كلمة - ابن
أحلق شنبى لو ...	الحاكم - ابن الزمن - ابن مره -
أخلك تمشى على العجين ...	ابن ساعته - ابن كيف - ابن الناس
الأدعية	- ابن الضرة.
إذا حضرت الملائكة	ابن أرملة
الأذن	ابن البلد
أربعاء أيوب	ابن حظ
الأرمن الأروام	ابن دانيال
أزرق	ابن رابية
الأزهر	ابن كباية
الأزياء	ابن نكتة
استحضار الأرواح	أبو

(*)

ألفاظ الملق والنفاق	الاستخارة
اللى	الاسترسال
الألوان	الاستغاثة
أما غريبة	الاستفهام
الأمثال	استنجلينا
الأمراض	الأسرة
أم	أسلوب الكتابة
أم على	اسم التفضيل
أم قويق	اسم النبي حارسك
إن – وإذا	الأسماء والألقاب
إن شاء الله	الأسياء
إن عامت قرقت ...	الأشاعر
أنه	الأشلاء
انتقال الجبل	الأشياء المقدسة
أهل السماح الملاح	أصبح حاله عدم
أوراد	أصحاب العاهات
الأوقاف	إصطبل عنبر
أونطة	أطلق منادى
إيه ياخذ الريح ...	الأعراب
أيوه	أفندى
حرف الباء	الأقباط
الباب اللى بيحى منه ...	الأفيون
البانجان	أقدام وأعتاب ونواصى
باشا	الأكل
باطه والنجم	أكل النار
الباع	إكمنه
البخور	إلا
البدو	الأسطة
بدوح	الألعاب
البرابرة	ألف ليلة وليلة

البلاص	البرابى
بلانة	البراغيث
البلح	برج
البلغة	برطمة
بلطجة	برد العجوز
بلكى	البرقع
بلها وأشرب ميتها	البركة
بليلة	برمكى وبرامكة
بنات الهوى	برية
بندى	بس
بنديرة	بشركة
بنى	بصاص
البهاء زهير	البصبصة
بهدة	بصل
بهرجة	بصلة المحب
بهلوان	بضلة
بوز	بط
البوصيرى	البطاطة
بوطة	بطن
بولوتىكا	بطيخ
بياكل سفلة	بعبع
بيت يوسف بك	البيغدة
بيرق	بغلة
بير يوسف	البق
البيير	بقه بينقط شهد
بيسارة	بقر من غير قرون
بيسوق الدلال	بقشيش
بيضة ثورة عرابى	بكرة
بيض شم النسيم	البلا
بيضوها	بلاش

التقريفة	بينى وبينه ...
تلاوة القرآن	البيوت
التمثيل	حرف التاء
تملا بنوره	التار
تنبل	التأكيد
تنميل الرجل	التبنى
حرف الثاء	التأوب والعطاس
ثوب مكشكش	التجارة
حرف الجيم	تحطه على الجرح ...
جابر	تحفجى
جات على البهلى	التحيات
جات على الطبطاب	تختروان
جاه الحزين يفرح ...	التراجمة
جاه يكحلها ...	تربية الأطفال
الجبا	التربية
جبتك يا عبد المعين ...	ترتررة
جحا	ترمس
جدع	التسالى
جدوار	تسخير الجان
الجديد	التسليم
الجراية	التسميم والتحريق
الجرب	تشارك بدوى مين ...
الجرة	التشبيهات
الجرسة	التصغير
الجزار	التصوف
جزاك يا قلب ...	التعذيب
الجزع	التعصب
الجعان يحلم ...	التعميرة
جعيدى	التغييرة
جلاب اليسير	التفاؤل والتشاؤم

حدوته	الجلبية الزرقاء
حديلة علقه ...	الجلة
حرامى	الجلوتية
الحرب	الجمل والغزاة
حرز	جميلكم على راسى
الحروف	الجنزة
الحسد	الجناس اللفظى
حسن كيف	جن
حسنة وأنا سيدك	جنينة الأزبكية
الحسن خى الحسين	جهاز العروس
الحسوم	جوزوا مشكاح لريمه ...
حش	الجوقة
حشكلة	حرف الحاء
الحشيش	الحاء
حط	الحاتى
الحظ	حادثان
حظر فطر	حادى بادى
الحفا	الحارة
حفلة التكنية	حانوت
الحفوف	الحب
الحق له ناس ...	حبرة
حكم قراقوش	حبله وشايلة ولد ...
الحكومة المصرية	حبيبي خفة ...
حلب النجوم	حبيتك خالص
حلق بلا ودان	حتة
الحلم	الحج
الحماة	حجاج الخضرى
الحمار	حجر الكباس
حمام	حد بيقى فى ايده ...
الحمام	الحدق يفهم

حمامة بيضة ...

حمرق

الحمصة والكى بالنار

حمل الأتقال

الحملى

الحمى

حنبلى

حنا

الحواشين

حوش

حوشوا الهوى ...

حيلة أمه

حرف الخاء

الخاطبة

الخالق الناطق هو

خان الخليلى

خايب ونايب

خبطتين فى الراس ...

الختان

الخدم

خدنى فى دوكة

الخرافات والأوهام

الخرج

خرزة البقر

الخزام

الخس

خش لى قافية

الخشبة التى تطير

الخصاء

الخصاب

الخضر

خطفت رجلى ...

الخطوة

خلاها خل

خلخال

الخلوة

الخليج

خليك فى بر خليص

خليك فى حالك

خليك مع الله

الخماسين

خمسة وخميسة

الخواجة

خيال

خيال الظل

حرف الدال

دا بكاش

دا بيلعب بالبيضة ...

دا جاب السبع ...

دا حباله طويلة

دا خيبة تنيلة

دا خم نوم

دا راسه مصفحة

دا سعر داير

دا شارب ...

دا شمعة منورة

دا كان لى فين

دا كله كوم ...

دا لسانه ما يدخلش ...

دا مات وشبع ...

راح سبعة سباتى	دا مخسنتك شوية
راحت السكره ...	دا مش على
راح فى شربة ...	دا معجبانى
راح لون وجه ...	دا من عشمى
راسه راس منسر	دا ميه من تحت ...
الراية	دخيلك ...
الربط	ال دراويش
ربنا ياخده	الدربة
ربنا يقصر ليلته ...	دستور
الرتب	دغرى
رجع قفاه ...	الدلالة
رجله اتلوت	دماغه ورمت
رحنا وجينا بالسلامة	دمه شربات
رد البدع	الدنيا زهزت
رضا الوالدين	الدنيا ماشية ...
الرقص	الدنيا مش سايعاه
رقية	دود المش منه فيه
الرقيق	دودة الأنف
الرك	دورت عليه فى سلقط ...
ركبها ميت عفريت	دى حاجة جنان
الركة	دى مرأة ممحونة
رمضان عشرات عشرات	دى نغنغة
الرهن	الدين
روضة المدارس	حرف الذال
ريقه نشف	الذقن
حرف الزاى	ذمة
زاد به الحد	الذوات
الزار	الذوق
الزايرة	حرف الراء
الزبرجد	الراجل زى الحمامة

ستته لحد ما ييجى ...	الزجل
السجاد العجمى	الزراعة
سحب عليه لسانه	زغر له
السح النح	الزغودة
السحاب	زقزت العصافير ...
السخرة	زكى عن جمالك
السرطان	الزلزال
السرية	الزمان معاندى
سعة الرزق	الزمن معاكس
السفر	الزنا
السفرجية	الزواج والطلاق
السقا	زى التعبان ...
سكتنا له	زى أم العروسة ...
سكران طينة	زى البدر ...
السلطان سليم	زى تنابلة السلطان
سلم عليه سلام الماوردى ...	زى الجوار ...
سمن على عسل	زى خلع الضرس
السن	زى سبع البرومبه
السهرات	زى مضغ الزلط
سوارس	حرف السين
سور القرآن	السائس
سورق	ساعة لقلبك ...
السوق	الساهى ياما تحتة ...
سوق العصر	السباب
السيد أحمد الكنفانى	سبارس
سيدى الأربعين	السبحة
حرف الشين	سبعة
شال	السبوع
شالوه شيلة بيبة	السبيل
شبتب	ستعنت عليك ...

صبح ندامة	الشبك
الصداع	شجرة العذراء
صحن كنافة وجنبه آفة	الشحاذون
الصعايدة	شد دى جريت دى
الصفاء	شرا العبد ...
الصناعة المصرية	الشربات
صهين عليه	شربت المر
الصوان	الشركة فى البهائم
حرف الضاد	الشركس
ضارب الدنيا طبنجة	شرم برم ...
الضبة	الشعر
ضحك فى شرك	الشعر
الضرائب	الشعور الوطنى
ضرب	شغله يجنن
ضرب الرمل	شفاة لا الله ...
ضرب كف على كف	شكه مقلب
ضرب الودع	شقانق ومقانق
ضربنى وبكى	الشمس
الضرة	الشمع
الضريح	شمع الفتلة
حرف الطاء	الشهور القبطية
طاب واستوى	الشيء دا بريمو
طاسة الخضة	الشيب والشباب
الطالع	الشيخة
طبق فى زوره	شيك
الطرحة	حرف الصاد
الطعام	الصالونات
الطقطوقة	صباحك فل
الطلسم	صباعه مدوحس
طلع	صبح جلده على ...

طلعت المسألة فيسكو
طهقت ...
طول عمرك ياردا ...
الطيب

حرف الظاء

حرف العين

عاج الطربوش
عاوز للجمل ناقة
عايش كماله عدد
عبده وألمظ
العجائز
عدية ياسين
العزاء
العشبة
عشنا وشفنا
عضمة خشنا
عفريت الليل
عقبال أمالته
عقله منويشى
العقم
العقيق

العلاقة بين المسلمين والأقباط

عشان

علمناه الشحاتة ...

على السكين

على سنجة عشرة

على عينك يا تاجر

على كاكا

على لوز

الشيخ على يوسف
عليه العوض ومنه ...
العمامة
العمدة

عمر الشقى بقى

العمل دا جليطة

عمل على عندى

عمودا جامع عمرو

العمى يا بدر

عنده عكوسات

عنزة السيدة نفيسة

العواطف

عوج بن عنق

العونة

عهد

العيش

عيشنى النهاردة ...

عيطت من كل عين ...

العين

عين الصيرة

عينك ما شافت إلا ...

العين ما تعلاش ...

العينة بينة

عينة شيش بيش

عينيه مبظطة

حرف الغين

غاب القط العب ...

الغابة

غاباتى

الغراب

الغربال والمنخل

غرض الاهتمام

الغريبة

الغزال

غصبا عنى

غنى على خراب ...

الغول

الغيرة

حرف الفاء

الفار

فال الله ولا فالك

فتح الكتاب

فتح كده فى عينه

الفتوة

الفراسة

فرحية

الفرح

فرشت الملاية

فرغ الهذار ...

الفرقة كانت على عينه

الفروة

فزورة

فسقية

الفسيح

فش غليله

فص لمونة

فص ملح وداب

فضلت أهرى وأنكت ...

فضل يبستفه ...

فضل يحتيه ...

فضل يزغر وينفخ

فضل يصفح ويصلح

فضها سيرة

الفقر حشمة ...

فقعت بالصوت

الفقى

الفكاهة

الفلاح

فنار

الفل

فنجان قهوة

الفول

فى المشمش

فى الوش مراية ...

حرف القاف

القادر عايب

قاعد للساقطة واللاقطه

قاعد مطرقش

قاعد يمخخ

قافية

قال ياما الحلاوة ...

قال يا داخل بين البصلة ...

قال ياما البطيخ ...

قالوا للراجل يا حارمى ...

قال لى وقلت له

قاموس الحب

قبارصة

قبة بلا شيخ

القبلة

القر

الكاشف	قراءة المولد
كانى مانى	قراجوز
كأنا يا بدر ...	القرداتى
كانت وقعته زحل	القراع
كان فى حال ...	القرافة
كبة	القرعة أو التجنيد أو الجهادية
الكبة	القرعة تتباهى
كبر الجرن ولا ...	القرفة
الكتاب	القرينة
كتب الكتاب	القسم
الكتاكت	القسمة
كثرت لهاليه	قصب
كتر خير الأرض ...	القصص
الكحل	قضا أخف ...
الكرسى	القضاء والقدر
الكتشك	القط ما يحبش إلا ...
كعبانى الحب	قعد يحقن فى نفسه
الكعب دا دايب	قعد يرطن ...
الكفار	قعد يشخط ...
كل إنسان أولى بحقه	قعد يودى ويجيب
كلام فى العضم	القفش
كل بعقله حلاوة	قله فى وشه ...
الكلمات الدخيلة	قلبى على ولدى انفطر ...
كانت متقابلة	قمر الدين
كلمة ورد غطاها	قمقم سليمان
كله عند العرب ...	القمل والبرغوث والبعوض ...
كنافة	قنديل
الكنايات	قياس الأثر
كوز	حرف الكاف
الكوليرا	الكارو

الكيمياء

حرف اللام

ولا تعيرنى ولا أعايرك ...
ولا راح الزمن عليه ولا ...
لا شافع ولا نافع
لا قينى ولا تغدينى
لا له فى التور ...
لا يعجبه العجب ...
لا ينفع طبلة ولا طار
اللاسة
اللبان الذكر
لسانه يسبح وقلبه يدبح
لسه فيه الرmq
اللعب بالأسماء
لعبت عليه نفسه
اللهجة العامية
اللوازم
اللوع
اللى اختشوا ماتوا
اللى تجمععه النملة ...
اللى جاب لك ...
اللى حبك يا هناه
اللى زمر ما يغطيش ...
اللى ما يرضى بالخوخ ...
اللى يبات فيه ...
الليالي المشهورة
لمونة فى بلد قرفانة
لونه توت عنخ آمون
ليالى زى قرن الخروب
ليلة الحنة

ليلة الدخلة

الليمون الصغير

حرف الميم

مابه الموت ومابه ...
مات فطيس
مات فى جلده
المارد
ماشى بالذراع
ما شاء الله
مافيش بينى وبينه عمار
مافيش فى وشه دم
ما كانش عشمى
المأكولات الخاصة
المال الحرام
ما هى دى عوايدك
مايردح لسالم إلا ...
ما يستاهلش ملء ...
ما يقع إلا الشاطر
المبخراتى
المترد
المتعوقة
المجاملة
المجنون ما يعجبوش إلا ...
المحتسب
المحسنات اللفظية
محسوبة
محمد على باشا
المحمل
مخ الحمار
المخللاتى

مقياس الروضة	المدارة
المكتبة	مدد يا أسيادى
ملا	المدفع
الملاهى	المر
الملاية	المرأة
ملة	المراباة
الملح	المراكبى فى حساب ...
الملق	المسألة ريحتها فاحت
الملوخية	المستوقد
المماليك	المسحراتى
من ذقنه وافتل ...	مسكه بهدله
من شاف بلوة غيره ...	المش
من طقطق لسلام عليكم	المشروبات
المندل	مشى سنة ولا ...
المنسج	مش عارف إن كانت ...
المنظرة	مش ملاحق
منفوخ ع الفاضى	مشى
الموالد	مشى لحال سبيله
موت يا حمار	المصارع
الموسيقى والغناء	المصايف والمشاتى
الموظفون	المصحف
مولد السيد	المصرية (الشخصية المصرية)
المولوية	المعجون
المياه	المعددة
الميه تكذب الغطاس	معلش
الميرى	المغاورى
ميزانية البيت	المغسل
الميعة	المفارقات المفتقة
حرف النون	المقاطعة
النار ولا العار	المقويات

ناس ياكلو البلح ...

نبيين زين

الندا

النذور

نسن السكين

النشل

النشوق

النظافة

نظام الطبقات

نعل الجلشنى

نظره على قده

نقاوة عيني

نقبه على شونه

النقطة

النمس

النوبيون

نماذج

النيل

النيل نجاشى

حرف الهاء

هاته من شعر راسه

هاتى يا سدره ...

هرجلة

الهزل

هزيمة الجيوشى

هشك

هف طلع النهار

هل نورك

الهلال

هنومة

هو السما وانت القمر

هو عقلك دقتر

هى حسبة برمة

هيله هب هيله

حرف الواو

الواو

وأبوها

الواحد ما يחדش ...

واخذ على خاطره

واوا

الوجبة

وحوى يا وحوى

ودن من طين ...

ودنك منين ...

وراه نجوم الظهر

ورده

ورينى عرض كتافك

وزه على

وشه يقطع الخميرة ...

الوقاية

وقع فى أرابيزه

وقع فى شر أعماله

ولادة الذكور

والنبي اللى حطيت ...

والنبي ما كان ينعر

وياك وياك عليك عليك

حرف الياء

يا بخت اللى نفع ...

يا بن الحلال فضك ...

يا خبر بفلوس ...

يا داخل بين البصلة ...
يا دار مادخلك شر
يا دوب قعدنا وجه فلان
يا رايح قول للجاي ...
يارمز
يا روحى على كده
يا ريت اللي جرى ما كان
يا زرع البدارى ...
يا سلام
يا عدوى
يا فرج
يا ليلة بيضة ...
ياما
يا مستكثر الدهر أكثر
يا ميت ندامة
اليانصيب
يا نموت سوا ...
يا هل ترى
يا هناى لما افرح ببيك
يبوس إيدى ...
يتعلم الحلاقة فى ...

يخلق من الفسيخ
يادالعدى
يرد الروح
يزمزا
يصبر على الأسية
يصوم يصوم ويفطر ...
يضرب بلطة
يعملها الصغار ...
يضيع المستكى ...
يعملوها ويخيلوا
اليفط
يفهمها وهى طابيرة
يقتل القليل ويمشى ...
يكلمك ومناخيره لفوق
يمه
اليمنى واليسرى
يموت الزمار
اليهود
يهون عليك دا كله
يوضع سره فى ...
يوم الجمعة